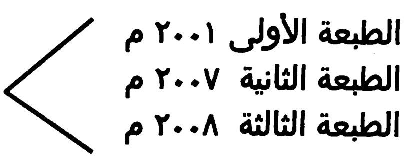
عبد الرحمن باوا ابن محمد المليباري



سيرة سيّد البشر صلى الله عليه وسلم

دار المعارف (المركز الإسلامي)
كودمبزا ، وادي العرفان ، كيرلا، الهند


الطبعة الأولى ٢٠٠١ م
الطبعة الثانية ٢٠٠٧ م
الطبعة الثالثة ٢٠٠٨ م

دار المعارف المركز الإسلامي
وادى العرفان، كودمفزا
كاليكوت، كيرالا، الهند

عبد الرحمن باوا ابن محمد المليباري

سيرة

سيد البشر ﷺ

دار المعارف (المركز الإسلامي)
كودمبزا ، وادي العرفان ، كيرلا، الهند
Ph: 0495 2441067,
kodampuzhadmic@gmail.com

الطبعة الرابعة ٢٠١٠ م ——— دار البصائر، القاهرة



كلمة الناشرين

نحمد الله تبارك وتعالى، ونصلي ونسلم على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فقد يسرنا أن نتشرف بإصدار هذا الكتاب النفيس الذى يلقى الضوء على الحياة الطيبة والسيرة الزكية لسيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين. والكتاب كما ترى قد ألف على طريقة شائقة جذابة بألفاظ سهلة عذبة حتى يحقق الثمرة المرجوة ويفي بحاجة الدارسين والقارئين.

نرى فى سماء السير والتاريخ آلافا من الدوائر صغارا وكبارا رسمها أقلام الأعلام فى مختلف الأعصار بمختلف الأمصار مركزها جميعا السيرة النبوية العطرة. ولكن هذا التأليف ربما يكون أول كتاب نُسج فى بلاد كيرالا على هذا المنوال فى سيرة الرسول ﷺ فى اللغة العربية. وقد زاده ثقة وجمالا أن حققه وحرره عدد من العلماء العظام والأساتذة الكرام.

ونقدم ، بكل تقدير إلى مؤلفه الأخ الكريم عبد الرحمن باوا بن محمد المليباري أوفر الشكر وندعو له بسعادة الدارين كما نرى حتما علينا أن نزجي جزيل الشكر والثناء إلى كل من تفضل بتحقيقه وتحريره وإلى كل من ساهم وساعد فى طبعه ونشره معنى ومادة. ونرجو من إخوة الإسلام تجاه هذا المؤلف أضعاف ما تلقينا من القبول الحار عند إصدارنا كتابه ' أبو البشر' . والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل

لجنة إدارة دار المعارف (المركز الإسلامى)

كودمبزا، وادى العرفان ، كاليكوت ، كيرالا

تقديم – ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛

فقد تصفحت الكتاب الذى ألفه الأخ الكريم عبد الرحمن باوا المليباري على عنوان سيرة سيد البشرعليه الصلاة والسلام. ولا يدع مجالا للشك فى أن هذه الخدمة الجزيلة فى إعداد النقاط الهامة التى ترتبط بحياة النبيّ ﷺ تساعد الأجيال الناشئة والباحثين على الاطلاع على سيرة النبيّ ﷺ العطرة والتسلح ضد البدعات والدعايات الكاذبة التى ظلت شائعة فى المجتمع البشري. وبالخصوص فى هذه الفترة التى تبذل الصهاينة والمستشرقون كافة جهودهم لتلويث حياته ﷺ بما لا يليق بشخصيته اللامثالية.

وقد ظهر لى من مباحث هذا الكتاب أنه حجة ساطعة وبرهان صادق وأن نشره فى هذه الأزمان مما يعتزبه الإسلام ويقضي به على مكائد الأعداء اللئام. وإقبال الأخ عبر صفحات الكتاب على نقد بعض الاتهامات فى ميزان التوسط والعدالة يهيئ المراقب تقدما فى مضامينه وتوسعا فى ميادين تناولاته بما تطمئن به قلوب المتعطشين.

وإنما الحديث عن الرسول ﷺ يجب أن يأخذ اتجاها اعمق ونظرة أشمل وأوسع فلا بد أن تلاحظ حياته ﷺ مع اطلاع تام ودراسة كاملة. حسب اطلاعي المتواضع أن المؤلف شمر كثيرا لمعالجة هذا الموضوع حسبما يستفيد منه المتعمقون فى سيرة حياته ﷺ. وأغتنم هذه الفرصة الطيبة لتقديم بالغ شكري وامتناني على هذه الخدمة الجزيلة كماأتمنى أن تكون هذه الجهود نافعة للأجيال الناشئة.

والله أسأل أن يمن على المؤلف برحمته الواسعة ولطفه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الشيخ أبو بكر أحمد

الأمين العام لجمعية علماء أهل السنة بعموم الهند

ولجامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية

تقديم – ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليه ، والصلاة والسلام على نبيه ، وعلى آله وصحبه والتابعين على منواله . أما بعد : فقد اطلعت على كتاب سيرة سيد البشر عليه الصلاة والسلام الذى قام بتأليفه الشيخ العالم الأديب عبد الرحمن باوا المولوي متعنا الله ببقائه وأعزه فى الدارين. آمين.

إن مما يزيدني فرحا وسرورا أن نشكر مساعيه القيمة ، ومجهوداته الطيبة ، حيث فاض من قلمه السيال تاريخ أشرف الورى بكل ما فيه من إيجاز واختصار . ورغم ذلك أنه وفي عهدة المطولات عبر تزويده بالمراجع والمصادر بما فيها أرقام الصفحات . ومما لا شك أن ذلك يغنى الطلبة والأساتذة عن مطالعة الكتب المبسوطات . فلأجل تحقيق أمنيته – استفادة طلبة المرحلة الأولى من الكليات وحلقات المساجد – نطلب من الأساتذة ومسؤولي المعاهد الدينية أن يشجعوا المؤلف على مواصلة مثل هذه الجهود التى لم يهتد لذلك أغلب العلماء فى مناطقنا. فجزاه الله خير الجزاء وجعل ذلك ذخيرة لنا وله ليوم المعاد ووسيلة لشفاعة خير العباد . آمين.

الشيخ عبد القادر عبد الله القادري

رئيس لجنة التربية الإسلامية لعموم الهند،
ومدير الجامعة السعدية العربية بكاسركوت – كيرلا.

كلمات بكل تواضع

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم رسل الله، وآله وصحبه وسائر أتباعه المستمسكين بدين الله. أما بعد، فكنا قد كتبنا قبل أعوام كتابا وجيزا فى جزأين ضئيلين فى سيرة سيدنا محمد خاتم النبيين ﷺ. وذلك لطلبة المدارس الابتدائية فى الصف السادس والسابع. ثم لما انتهينا من تأليف كتبنا فى التاريخ: الخلافة الراشدة، والخلافة الأموية، وتاريخ العالم الإسلامىّ رجونا أن نتبرك بخدمة أتربة نعال أقدام رسل الله عليهم الصلاة والسلام. فبدأنا بالحلقة الأولى من هذه السلسلة المباركة فأتممنا، بفضل الله قبل عام، سيرة آدم أبي البشر عليه السلام. ثم صرفنا زِمام قلمنا إلى خاتم هذه السلسلة. فشرعنا فى سيرة سيد البشر محمد ﷺ نبسطه بسطا وسطا بين الإيجاز للصغار والإسهاب للكبار.

فبينما نحن فى ذلك إذ أتانا ما شجعنا عليه وعجلنا إليه. وذلك أن بعض الأفاضل أشاروا علينا بتأليف كتاب فى صميم السيرة النبوية بلا استطراد أطراف التفاصيل التى لا يحتاج إليها أكثر المطالعين والمراجعين فضلا عن الذين فى المرحلة الأولى من الطالبين، كتاب يستهدف طلبة المرحلة الأولى من الكليات والتعاليم المسجدية. حتى يصعدوا التلال قبل أن يرتقوا الجبال، ويسبحوا الأنهار قبل أن يخوضوا البحار. فبمزيد فضل الله أتممنا هذا الكتاب: سيرة سيد البشر عليه الصلاة والسلام ثاني عشر ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ (خامس يونيو٢٠٠١ م). ثم تبركنا بقراءته بالحرمين الشريفين بالمسجد الحرام والمسجد النبوي وخاصة بالروضة المباركة بجوار رسول الله ﷺ بين منبره وقبره حتى يكون هدية إليه وتحفة لديه ونرجو من الله الكريم أن يكسوه رداء القبول بالنفع العميم وأن يغفر لنا ويعفو عنا، إنه عفو كريم.

ربيع الأول ، ١٤٢٢هـ

يونيو ، ٢٠٠١م

بكل ود واحترام،

عبد الرحمن باوا بن محمد المليبارى.

كلمات عند الطبعة الثالثة

الحمد لله نحمده ونشكره والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فإن سيدنا محمدا ﷺ أعظم رجل له الأثر الخالد فى العالم، وسيرته أعظم سيرة رآها التاريخ؛ ودراستها أجل عمل فيه أجزل الفائدة، وأعظم اللذة؛ وفيه السعادة العاجلة، والنَّعمة الآجلة؛ وقد صنف فى سيرته آلاف من السلف والخلف ما لا يحصى من المطولات والمختصرات؛ ومن أوجز المختصرات وأسهلها، بحمد الله، هذا الكتاب الذى بيدك. سميناه بسيرة سيد البشر حتى يستدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان.

بذلنا الجهد فى التقاط مباحثه ومضامينه من مظان الصحة، كما تحرينا فيه الإيجاز بلا إطناب؛ فإن الدواعي إنما تنبعث إلى المطالعة إذا كان التأليف وجيزا وثيقا سهلا عذبا؛ مع ما أخرجنا هذا المؤلف فى ثوب من الطباعة العصرية الأنيقة حتى تنجذب إليه الأعين والقلوب وتتيسر لها القراءة والاستفادة. ولما كان غموض المعنى أو اشتباهه فى بعض الألفاظ مما يورث صعوبة الفهم أو يمهل سهولة الفهم على بعض القراء عنينا بتلافيه بشرح ألفاظٍ غير مألوفة وتعيين معان لكلمات مشتبهة.

إن أردنا بهذه الخدمة إلا مثوبة عند الله، وشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم. فلذلك تبركنا بقراءته بالحرمين الشريفين مرتين: مرة بعد التأليف ومرة بعد الطبع. فطاب تأليفه وطبعه بقرائته فى الروضة الشريفة، بين ضريحه ومنبره (ﷺ) بالتمام، وبقرائته بمكة المكرمة بالمسجد الحرام.

هذه الطبعة الثالثة للكتاب، وشَجَّعَنَا على إعادة طبعه ما لقينا من مُحِبّى السيرة النبوية من الترحيب الحار حتى استنجزنا الإخوان أن تظهر هذه الطبعة فى هذا الثوب الجديد؛ فقد صححنا ما عثرنا عليه من بعض الأخطاء، وأضفنا بعض التعليقات والتحقيقات فى الحواشى بالهوامش. ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نتقدم بوافر الشكر إلى كُلِّ مَن ساعدنا بالمادة والمعنى، كما يطيب، فى هذا الصدد، أن نُنَوِّهَ، مع الشكر الجزيل، بالعناية التى بذلتها لجنة المركز الإسلامى: دار المعارف بطبع ونشر هذا الكتاب. شكر الله سعينا وسعيهم وجعل هذه الخدمة نافعة خالدة إلى آخر الأيام. والله المستعان، وهو وليّ التوفيق.

– المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذى أبدع من الطين آدم عليه السلام أبا البشر؛ فجعله أول نبيّ أرسل للبشر؛ ثم بعث من نسله عبر العصور رسلا بالآيات والنذر[1]؛ واصطفي منهم محمدا ﷺ خاتم الرسل وسيد البشر؛ حيث بعثه برسالة شاملة لكل عصر ومصر؛ صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار؛ وعلى التابعين لهم ما اختلف الليل والنهار.

أما بعد، ففي صفحات التاريخ زعماء كثيرة، وعظماء شهيرة. يرى كل أمة فى زعيمهم أسوة؛ ويرى كل فرقة فى عظيمهم قدوة. ولكن لا تكون حياة أحد أسوة تقتدى، ولا سيرة أحد قدوة تحتذى إلا إذا كانت شخصيته تامة كاملة. ولا تكمل شخصية أحد إلا بنجابة نسبه، ورجاحة عقله، وشهامة فؤاده، ونزاهة سيرته، وسلامة سريرته حتى تتخلى عن جميع المعايب والرذائل، وتتحلى بجميع المكارم والفضائل. ولا يوقف على كمال أحد بهذا الحد إلا إذا عُلم مَحتده ومولده، وحياته وسيرته: من جميع أقواله وأفعاله وأحواله، فى جميع أطواره وأدواره[2].

سيد البشر

وهذه الشخصية الكاملة المعصومة الموثوق بها إنما هي شخصية سيدنا محمدﷺ خاتم الأنبياء والرسل حيث بلغ قمة الفضل والنبل. وأما سائر الأنبياء والرسل فقد انقضت مدة شرعتهم كما انتهت مدة دعوتهم من بعد ما أدّوا أمانتهم وبلغوا رسالتهم. وأما سائر البشر فلم يبلغ أحد منهم مبلغ نبيّ من الأنبياء فى عناصر الكمال. بالإضافة إلى أن التاريخ لم يسجل لأحد من البشر ما يُعرِّفه فى جميع أحواله، فى جميع أدواره؛ فضلا أن يسجل ما يؤهله لأن تكون حياته أسوة فى جميع

---

(١) عَبْرَ الْعُصور: على ممر العصور، فى أثناء الزمان. والنُذُرُ جمع نذير بمعنى الإنذار.

(٢) الأطوار: جمع طور؛ وهو المرحلة والدرجة. والأدوار: جمع دَور؛ وهو الفترة والوقت.

جوانبها وسيرته قدوة فى جميع نواحيها.

أما سيد البشر محمد ﷺ فقد شهد معاصروه على كماله فى الخلق والخلق، وفي العقل والفهم، والعلم والأدب، وفي الصدق والأمانة وفي الرأفة والرحمة، وفي العفو والسماحة، وفي الجود والكرم، وفي الشهامة والشجاعة. كما شهدوا على كرم نسبه وحسبه من جهة آبائه وأمهاته؛ وحفظوا حياته وسيرته من ولادته إلى وفاته. فجميع أطوار حياته معلومة مشهورة؛ وتفاصيل سيرته، فى جميع مراحله معروفة مأثورة.

أكمل السير

فجميع أحواله فى ليله ونَهاره، وسره وجهاره وفي بيته وخارج بيته، وفي بلده وخارج بلده، وفي سلمه وحربه، وفي عسره ويسره، وفي صحته ومرضه، وفي غضبه ورضاه، وفي سياسته وقيادته، وكذا مواقفه من عدوه وصديقه، ومن مُخالفه ومُوافقه كل ذلك قد شاهده أصحابه المعاصرون، ونقله أتباعه المشاهدون؛ حتى وصفوا مشيه وركوبه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته، ولبسه ثيابه وخلعه لباسه، وغسله ووضوءه، وذكره وفكره، وضحكه وتبسمه، وتنعله وتختمه، وتنظفه وترجله.

كما ضبطوا خطبه وكُتبه، وكُتّابه ورسله، وخدمه ومواليه، وغزاياه وسراياه، ومراكبه ومنازله، وأسلحته وأمتعته حتى خاتمه ونعله، وسواكه ومشطه، ومكحلته ومرآته، حتى أحصوا شعرات أصابها الشيب فى رأسه ووجهه. حتى لم يستتر شأن من شؤونه ولم ينكتم أمر من أموره. فقد كان أهله فى إذن منه فى نقل كل ما يرون فى خلواته وحجراته؛ وكان أصحابه مأمورين بنقل كل ما يجدون منه بلا حجر ولا ستر. فإذا دخل بيته سجل أهله وعياله كل حركاته؛ وإذا خرج إلى الناس كان أصحابه يعون جميع أحواله. فهل عرفت الدنيا رجلا كهذا الرجل كان أبعد الناس عن السوء حتى وثق بنفسه غاية الثقة فيأذن للكل أن يعوا عنه كل ما وجدوا فيه ينقلونه إلى جميع الناس فى جميع الأمصار فى جميع الأعصار؟!

وبالجملة قد حفظ أصحابه جميع شؤونه بغاية العناية. ثم نقلوها لمن خلفهم بنهاية الأمانة. وخَلفُهم قد وقفوا حياتهم فى تعلمها وتعليمها، وتبويبها وترتيبها، وتدوينها وتأليفها. وعلماء هذه الأمة المرحومة لم يكتفوا بحفظ سيرة نبيهم وسنة رسولهم، بل حفظوا سيرة نَقَلَتِهَا ورُواتها من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين. فتراجم هؤلاء كلهم مدونة جاهزة[١] حاضرة بين يدي العالم. فبها نقد[٢] علماء الإسلام كل رواية فميزوا بين الغث والسمين والضعيف والقوىّ. حتى صارت سيرة سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم أوثق السير كما كانت أكمل السير.

سيرة سيد البشر

قد كثرت التآليف فى السيرة النبوية فى لغات مختلفة؛ أكثرِها لعلماء المسلمين، وقليل منها تأليف الأجانب من المورخين والباحثين. والسيرة النبوية بفضل الله غنية عن كل تأليف من غير المسلمين، وإن كانت فى شهادة الأجانب حُجَجٌ تُلْقِم الحجرَ فى فم كل عدو من أعداء الإسلام. فإن علماء المسلمين قد أَثْرَوا التاريخ منذ العهد الأول إلى العصر الحديث بما لا يحصى من التصانيف النفيسة فى السيرة النبوية. منها المطولات المبسوطة والمختصرات المتوسطة والكراسات الموجزة.

وكتب السلف فيها – من بسط الأخبار، وسرد الأسانيد، ونقل الاختلاف، وتجريح الرواة، وترجيح الروايات – ما يتطلبه الباحثون المنتقدون. ولكن لا يتحمله الطالبون المبتدئون. كما لا يحتاج إليه من يريد مطالعة استعجال أو مراجعة إجمال. وأما كتب المعاصرين فبعضها قد اعتنى بنقل شبه المستشرقين والغربيين وردها؛ وبعضها قد اشتغل بمقارنة هديه ﷺ بسائر المذاهب من دينية أو غيرها حتى يتجلى كماله وجماله؛ وكل ذلك مجهود مشكور. ولكن لا يعنى شيء من ذلك من

---

(١) جاهزة: معدة مهيأة.

(٢) وإنما نقد العلماء فيمن بعد الصحابة. فمن ثبتت صحبته فلا نقد فيه؛ فإن الصحابة كلهم عدول.

يطلب صميم السيرة من غير امتزاج بهذا ومن غير اندماج[1] فى ذاك. وإلى جانب ذلك إن كثيرا من المعاصرين قد صهروا السيرة النبوية فى بوتقة آرائهم، فردوا كل ما يخالف أهواءهم وإن صحت بذلك الأخبار.

ولا ننسى أن بعض المعاصرين صاغوا صميم السيرة بلا إسهاب ولا استطراد ولا اختلاط فى بوتقة أهل الحق والوفاء من غير زيغ إلى الأهواء، توطئة للقراء المبتدئين وتلبية لنداء أكثر المطالعين. إنما أردنا بهذه الخدمة أن نساهم هؤلاء الفئة الأخيرة وأن ننظم هذه الخرزة فى سلك مؤلفاتهم اليسيرة.[2] وسمينا هذا التأليف بسيرة سيد البشر عليه الصلاة والسلام. وتوخينا فى كلماته العذوبة وفي عباراته السهولة معتمدين على أقدم المراجع وأوثق المصادر لأمهر المؤلفين وأشهر المورخين. وحشيناه بالهامش بحاشية تحل المشكلات وتشرح الكلمات وتكشف الشبهات وتبين المراجع لمن يريد الاستزادة والتحقيق. ونسأل الله تعالى أن يجعله عملا مُخلصا، حتى ننال به يوم الدين مَخلصا؛ وأن يسعدنا بالتوفيق والقبول، وأن يعطينا نهاية المأمول. وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) الاندماج: الاندراج.

(٢) اليسيرة: ضد العسيرة.

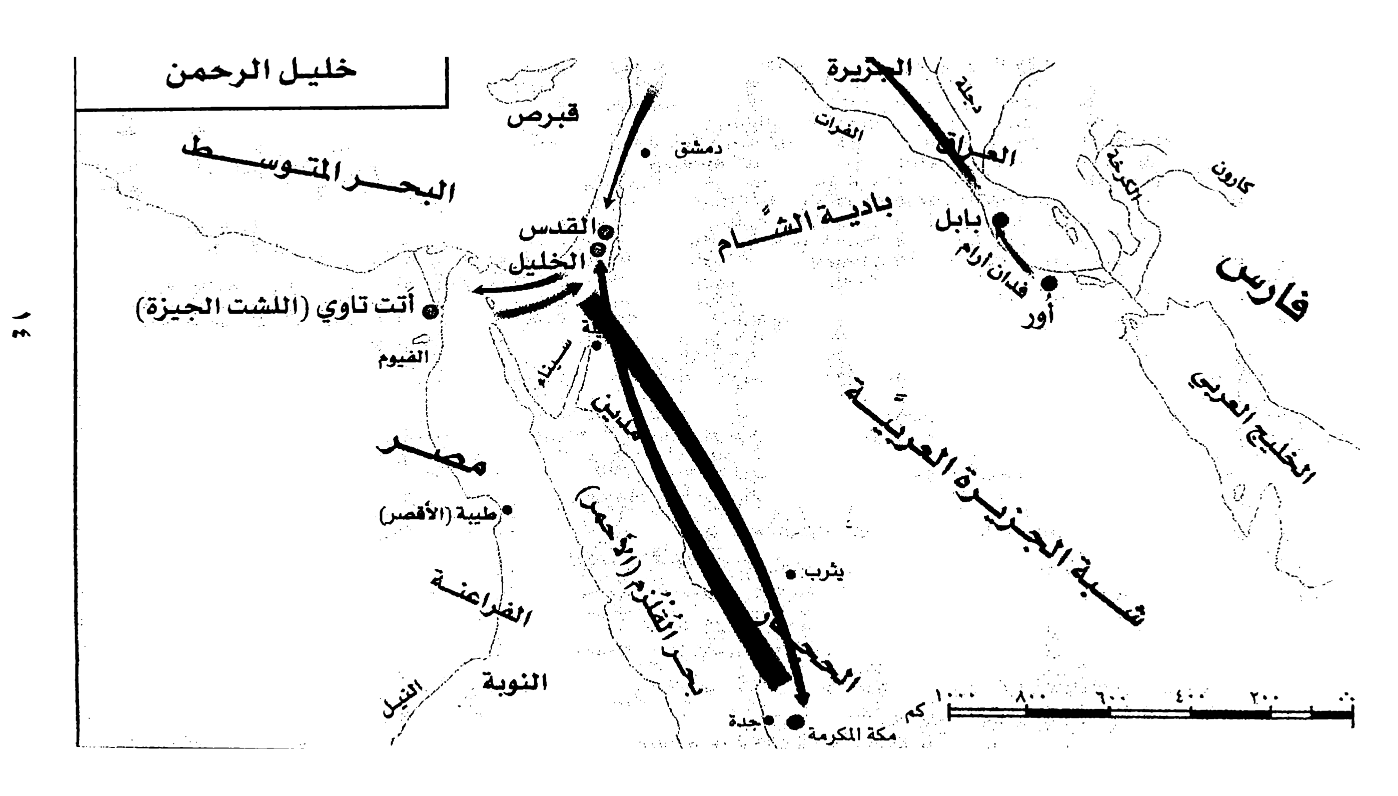
العرب وجزيرة العرب

١. أبو الأنبياء

٢. أبو العرب

٣. أمة العرب

٤. جزيرة العرب



خليل الرحمن
قبرص
البحر المتوسط
دمشق
القدس
الخليل
أتت تاوي (اللشت الجيزة)
الفيوم
سيناء
مدين
مصر
طيبة (الأقصر)
الفراعنة
النوبة
النيل
بحر القُلزم (الأحمر)
الجزيرة
دجلة
الفرات
العراق
بابل
فدان ارام
أور
الكرخة
كارون
فارس
بادية الشام
شبه الجزيرة العربية
الخليج العربي
يثرب
الحجاز
جدة
مكة المكرمة
كم
١٠٠٠
٨٠٠
٦٠٠
٤٠٠
٢٠٠
٠

أبو الأنبياء

إن الله تعالى خلق الإنسان فى أحسن تقويم؛ وخصه من بين العالمين بالتكريم؛ وكمله بالعقل والتفكير، وجمله بالنطق والتكليم. و خلق له جميع ما فى الأرض، وسخر له ما فى السماوات؛ وحمله فى البر والبحر، ورزقه من الطيّبات. وكل ذلك لاحتماله أمانة الله، والتزامه شريعة الله. فحق عليه امتثال أوامره كما وجب عليه اجتناب نواهيه حتى يخلد فى دار النعيم، وينجو عن عذاب الجحيم. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ ﴾ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾[1] ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾[2] ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ ﴾.[3]

فتذكيرا لهذه الأمانة وتوقيفا على هذه الشريعة أرسل الله تعالى بواسع رحمته رسلا مبشرين بجنته ومنذرين بنقمته. فأول الرسل أبونا آدم عليه السلام وآخرهم نبينا محمدﷺ. وكان الناس فى عهد آدم وإدريس أمة واحدة متمسكين بعقيدة واحدة. ثم تسرب إليهم الكفر والشرك فى العقيدة والعبادة. فحل الاختلاف بين الأمة مكان الوحدة؛ وعبدت الأصنام من دون رب الأنام. فأرسل الله إليهم نبيه نوحا عليه السلام[4]. فهو أول نبيّ أرسل إلى الكفار والمشركين.[5] قال الله تعالى: ﴿ وَمَا

---

(١) سورة الزلزلة: ٧،٨

(٢) الملك: ١،٢

(٣) المؤمنون: ١١٥

(٤) راجع طبقات ابن سعد(ج١ ص٤٢) وتفسير الطبرىَ(ج٢ ص٣٤٧) والبداية والنهاية(ج١ ص١٣٨).

(٥) النبراس لمحمد الفرهارى حاشية شرح العقائد النسفية للتفتازانىَ(ص٢٧٥).

كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ ﴾.[1] ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾.[2]

قام نبيّ الله نوح عليه السلام بوظيفة الدعوة مدة مديدة، ولكن لم يجبه إلا قلة قليلة. فدعا الله تعالى باستئصال أمته. ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾[3] فأغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان. ولم ينج منه إلا من ركب فلكه، ولم يركبه إلا من آمن معه، وما آمن معه إلا قليل. وجميع من فى الفلك كانوا ثمانين ـــ نوح و أبناؤه الثلاثة، سام وحام ويافث، وأزواجهم[4]؛ فهؤلاء ثمانية؛ ثم اثنان وسبعون من أمته، نصفهم رجال ونصفهم نساء. فتم بذلك الثمانون ـــ ولم يبق لهم نسل إلا لأولاد نوح الثلاثة. فجميع من فى الأرض ذرية نوح عليه السلام.[5] قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ ﴿ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[6]

وجميع الأنبياء من بعد الطوفان من ذرية سام بن نوح عليه السلام[7]. ومنهم إبراهيم الخليل عليه السلام. ولد وبعث ببابل من بلاد العراق. فآذاه قومه المشركون حتى ألقوه فى

---

(١) يونس: ١٩
(٢) البقرة: ٢١٣
(٣) سورة نوح: ٢٦
(٤) أى زوج نوح – وهي غير التى عوقبت – وأزواج أبنائه الثلاثة. راجع تفسير القرطبيّ(ج٩ ص٣٣). وأما ابنه كنعان فغرق في الطوفان وابنه عابَر مات قبل الطوفان (تاريخ الطبرى:ج١ ص١٣٢). وامرأته واعلة كانت كافرة. فهي التى عوقبت بالطوفان. أما التى كانت معه في السفينة فكانت مؤمنة. راجع تفسير القرطبيّ(ج٩ ص٣٣).
(٥) راجع البداية والنهاية(ج١ ص١٥٥-١٦١)وتفسير القرطبى (ج٩ ص٣٣) وتفسير الجلالين (آية: ٤٠ من سورة هود).
(٦) الصافات: ٧٥-٧٧
(٧) راجع تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبرى (ج١ ص١٤١).

النار. فصارت عليه بردا وسلاما بأمر ربه. فلما ضاق به المقام بمسقط رأسه هاجر إلى فلسطين، ومنها إلى مصر.ثم عاد منها إلى فلسطين. إنما ترك بلاده وأقرباءه وقومه لرضا ربه؛ فأكرمه بمزيد رحمته، وحصر النبوة من بعده فى ذريته؛ فلم يبعث نبيّ من بعده إلا من نسله ولم ينـــزل كتاب من بعده إلا على عقبه.[1] فهو أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾.[2]

أبو العرب

وهب الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام على الكبر ثلاثة عشر ولدا – إسماعيل مِن هاجر[3] ثم إسحاق[4] من سارة ثم مدين واخوته الخمسة من قنطورا ثم خمسة من حجون.[5] وأشهرهم ثلاثة – إسماعيل وإسحاق ومدين. فإسماعيل عليه السلام نبيّ مرسل؛ من نسله سيد الورى وخاتم الأنبياء محمدﷺ. وإسحاق عليه السلام أيضا نبيّ مرسل؛ من نسله جميع الرسل من بعده سوى محمد وشعيب عليهما الصلاة والسلام. وأما مدين فمن نسله شعيب عليه السلام. وأكبر أولاد إبراهيم وأجلهم هو إسماعيل جد المصطفى عليهم الصلاة و السلام.

فحينما كان إسماعيل طفلا رضيعا عند أمه تلقى إبراهيم أمرا من ربه. فأسكنهما بوادى مكة، حيث لا كلأ ولا ماء، ولا زرع ولا ضرع، ولا أنيس ولا جليس. ولم يترك عندهما إلا جرابا[6] فيه تمر، وسقاء فيه ماء. وعاد إبراهيم أدراجه

---

(١) راجع البداية والنهاية (ج١ ص٢١٤).
(٢) الحديد: ٢٦
(٣) هاجر: القبطية المصرية التى أهدتها سارة لإبراهيم؛ وسارة: بنت عم الخليل ـــ بنت يقطن، وهي كنعانية وحجون بنت أمين.
(٤) ولد بعد ولادة إسماعيل بثلاثة عشر سنة.
(٥) 'التعريف والإعلام' للسهيلي (البداية والنهاية لابن كثير: ج١ ص٢٥٢).
(٦) الجراب والسقاء كلاهما وعاد من جلد .

من حيث أتى. حتى إذا وصل الثنية[1] دعا الله مستقبل البيت: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.[2]

رضيت هاجر بأمر الله ووثقت لذلك بعناية الله. ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ . نفد ما فى السقاء من الماء، واشتد بهما العطش، وجعل الولد يتلوى[3] على الأرض. فصعدت على الصفا ثم على المروة مرارا؛ وسعت فيما بينهما سبعا. فبينما هي فى السابعة على المروة إذ سمعت صوتا. فإذا هي بملك يبحث فى الأرض بعقبيه أو جناحه عند أقدام هذا الطفل المبارك. فإذا الماء يفور. فذلك هو زمزم ـــ ماء الرحمة والبركة؛ ماء فيه شراب و طعام وشفاء.

أقبل أهل بيت من جرهم؛ فرأوا بوادى مكة ماء. فاستأذنوا صاحبة هذا الماء؛ وأقاموا بمكة بجوارها[4] ثم وصلت بهم بيوت أخرى من جرهم. فاستأنست بهم هاجر. وشب إسماعيل واتصل بالجرهم. فتعلم العربية منهم[5] فهو أبو العرب المستعربة[6]. وكان إبراهيم عليه السلام يتردد إلى أهله بوادى مكة حينا بعد حين.[7] فلما نشأ إسماعيل وبلغ معه السعي أمره الله بذبح ابنه البكر الوحيد. فلما أسلما وتلّه للجبين ناداه الله تعالى أن قد صدقت الرؤيا. وفداه بذبح عظيم.[8] فالذبيح هو

---

(١) الثنية: أي ثنية كَدَاء بأعلى مكة. وذلك عند الحجون وهي المعلي مقبرة أهل مكة. (راجع الفتح البارى(ج٣ ص٤٣٧). والأدراج جمع درج وهو الطريق؛ عاد أدراجه: ذهب فى الطريق الذى جاء منه.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٧

(٣) يتلوى على الأرض: يتمرغ عليها.

(٤) على أن لا حق لهم في الماء إلا ما يشربون وينتفعون به. (البداية والنهاية ج٢ ص٢٥١)

(٥) راجع صحيح البخارى(٦٠/٩/٣٣٦٤-٣٣٦٥).

(٦) راجع البداية والنهاية(ج١ ص١٦٩) والطبرىّ (ج١ ص١٤١). وإنما سموا بالعرب المستعربة لتعلمهم العربية من جرهم الذين هم من العرب العاربة.

(٧) راجع البداية والنهاية(ج١ ص٢٢٩ وج٢ ص٢٥١).

(٨) راجع سورة الصافات(الآيات:١٠٢-١٠٨)

إسماعيل عليه السلام كما دل عليه ظاهر القرآن[1]. وزعمت اليهود أنه أبوهم إسحاق. وتوراتهم تكذبهم في هذا التحريف حيث نصت أن إبراهيم ذبح ابنه الوحيد وأن إسحاق ولد بعد ثلاث عشرة سنة من ولادة إسماعيل.[2]

ثم أمرهما الله تعالى برفع القواعد من البيت وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود. فطفقا يبنيانه وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ وكان إسماعيل قد بعث إلى العرب حينما بلغ مبلغ النبوة؛ وكان قد تزوج حينما شب فتاة من جرهم. فأمره أبوه بفراقها ثم تزوج منهم أخرى.[3] فأمره بإمساكها[4]. فولدت له اثني عشر ولدا. أشهرهم نابت وقيذر.[5] وأكرمهما نابت.[6] فمن نسله محمد سيد المرسلين ﷺ[7] فهو ابن الذبيح إسماعيل.

---

(١) لأنه ذ كر في سورة الصافات قصة الذبح أولا. ثم ذكر بعده 'وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين' (انظر الصافات:٩٩ – ١١٣). وفي سورة هود (٧١) 'فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب'. وظاهر انه لا يؤمر بذبح إسحاق صغيرا وقد بشر الله تعالى بحياته حتى يولد له ابنه يعقوب.

ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل ما روي أن قرن هذا الكبش الذى ذبح بدلا عن إسماعيل لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة حتى عهد رسول الله ﷺ. وإسماعيل هو الذى سكن مكة. وكذا ماروي أن النبيّ ﷺ ضحك حين ناداه رجل: يا ابن الذبيحين. انظر البداية والنهاية (ج١ ص٢٢٧-٢٢٩).

(٢) ففي سفر التكوين: وكان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل (الأصحاح:١٦، الآية: ١٦) وكان إبراهيم ابن مائة حين ولد له إسحاق (الأصحاح:٢١، الآية:٥) فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذى تحبه – إسحاق (الأصحاح: ٢٢ الآية ٢) فلفظة إسحاق مقحمة مكذوبة مفتراة لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر. ذاك إسماعيل عليه السلام (البداية والنهاية ج١ ص ٢٢٨). وإسحاق لم نجده وحيدا لإبراهيم في يوم من الأيام لأن إسحاق ولد ولإسماعيل نحو أربع عشرة سنة كما هو صريح التوراة وبقي إسماعيل إلى أن حضر وفاة أبيه ودفنه (انظر قصص النجار: ص١٠٣).

(٣) وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهميّ (ابن كثير: ج٢ ص٢٥١).

(٤) راجع صحيح البخاريّ (٣٣٦٤/٩/٦٠).

(٥) وإليهما يرجع جميع عرب الحجاز في أنسابهم (البداية والنهاية: ج٢ ص٢٥١).

(٦) فكان الحاكم بمكة بعد أبيه (البداية: ج٢ ص٢٥١).

(٧) راجع ابن هشام (ج١ ص١،٢).

أمة العرب



العرب أمة من الأمم السامية(١). وامتهدت الأمم السامية فى الأصل مهدا واحدا.(٢) ثم نزحوا منه إلى شتى البلاد. فالبابليون والأشوريون والآراميون سكنوا العراق؛ والفينيقيون سواحل سورية؛ والعبرانيون فلسطين؛ والأحباش الحبشة؛ والعرب جزيرة العرب.

والعرب ثلاث طبقات: بائدة، وعاربة، ومستعربة. والبائدة هم العرب الأُول مثل عاد وثمود. قد انقرضوا فى غابر الأزمان. ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ ﴾ ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ ﴾(٣) والعاربة هم القحطانيون(٤)

---

(١) هم الأمم المنتمون إلى سام بن نوح عليه السلام. وهم البابلية والأشورية والعبرانية والفينيقية والآرامية والحبشية والعرب.

(٢) قيل هو العراق وقيل جزيرة العرب وقيل الحبشة.

(٣) سورة الحاقة: ٥،٦. الطاغية: الصيحة المجاوزة للحد في الشدة؛ والصرصرة: شديدة الصوت؛ والعاتية: قوية شديدة. ومن العرب البائدة أيضا طسم، وجديس وجرهم الأولي

(٤) هم الذين ينتمون إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

اليمنيون[١]. والمستعربة هم أولاد إسماعيل عليه السلام. اتصلوا بجرهم فتعلموا العربية منهم.

والعرب قبائل شتى. ترجع هذه القبائل إلى شَعبين عظيمين ـــ شعب قحطان[٢] وشعب عدنان. فأما القحطانيون فسكنوا اليمن، ثم بعد خراب[٣] سد مأرب بقي بها من بقي وخرج منها من خرج. فممن بقي بها مَذحج وكندة وحمير والأشعريون وبُجيلة وأنمار. وممن خرج منها الأزد. بعضهم اتجه إلى عمان[٤] وبعضهم إلى تهامة.[٥] ومنهم الغساسنة[٦] الذين سكنوا الشام، والمناذرة[٧] الذين أقاموا بالعراق، وثعلبة التي بيثرب[٨]، وخزاعة التي حلت بمكة محل جرهم.

وأما العدنانيون فمهدهم الحجاز وتهامة وما جاورهما[٩]. فأقامت قريش بمكة وضواحيها. وكنانة فى تهامة، وذبيان فيما بين تيماء وحوران، وثقيف فى الطائف، وهوازن شرقىّ مكة، وبنو أسد شرقىّ تيماء وغربىّ الكوفة، وعبد القيس بالبحرين. وبنو حنيفة فى اليمامة، وتغلب فى الجزيرة، وبنو تميم فى بادية البصرة، وبنو سليم فيما بين وادى القرى وخيبر. وكانت الكثرة الكثيرة من العرب الوثنية، وأما القلة القليلة فكان بعضهم على اليهودية[١٠] وبعضهم على النصرانية[١١].*

---

(١) ممن سكنوا اليمن وممن نزحوا منها كما سيأتي. كان منهم جرهم الثانية. فهم من ولد قحطـــان. وبهم اتصل إسماعيل عليه السلام حين وردوا عليه بمكة. وأما جرهم الأولي فكانت لغتهم عبرانية. وأما العدنانيون جميعا من المستعربة فإنهم من أولاد إسماعيل عليه السلام.

(٢) قحطان بن عاد من نسل سام بن نوح عليه السلام. ومن القحطانيين قبيلة جرهم التى أقامت قديما بمكة وصاهرت إسماعيل عليه السلام . وعدنان من ولد إسماعيل عليه السلام بالاتفاق.

(٣) وكان تصدع سد مأرب سنة ١٢٠ قبل الميلاد.

(٤) وهم أزد عمان.

(٥) وهم أزد شنوئة.

(٦) أبوهم حفنة بن عمرو نسبوا إلى ماء غسان الذى نزلوا عليه.

(٧) أبوهم نصر بن ربيعة نزل هو مع قبيلة لخم بالحيرة من بلاد العراق.

(٨) ومن أعقاب ثعلبة الأوس والخزرج.

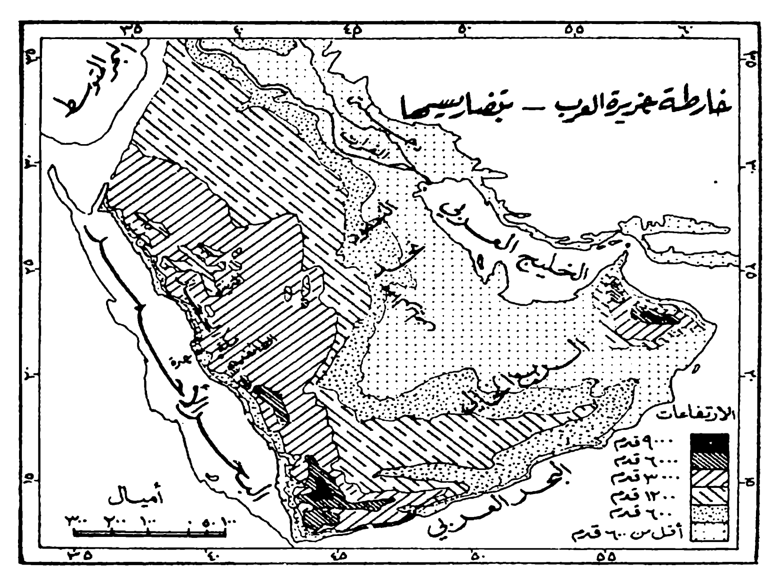
(٩) إلى ريف العراق.

(١٠) في اليمن وفي يثرب و خيبر وتيماء.

(١١) في نجران و الحيرة وطيّء والشام.

* راجع النقاط المتقدمة في تاريخ الأدب العربيّ لأحمد حسن الزيات(ص٩ـــ١٧) والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر (ج١ ص٢٩-٩٨) والباب الأول من تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن (ج١ ص١-٦٩) والمحاضرة الأولي من محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (ج١ ص٣-٢٤).

جزيرة العرب



سمى العرب بلادهم جزيرة العرب. تقع جزيرة العرب فى الجنوب الغربىّ من قارة آسيا؛ وتحيط بها المياه من أطرافها الثلاثة. فهي فى الحقيقة شبه جزيرة يحدها شرقا الخليج العربىّ[١] ودجلة والفرات، وغربا البحر الأحمر[٢]، وجنوبا بحر عمان والمحيط الهندىّ وخليج عدن، وشمالا الجزيرة[٣] والشام وفلسطين.[٤]

قسم العرب جزيرتهم بحسب طبيعتها إلى خمسة أقسام: تهامة والحجاز ونجد

---

(١) المعروف عند اليونان بالخليج الفارسىّ.

(٢) وهو بحر القلزم.

(٣) هي القسم الشماليّ الغربيّ مما بين دجلة والفرات. وأما القسم الجنوبيّ الشرقيّ يقال له العراق العربىّ.

(٤) تضم جزيرة العرب اليوم: السعودية واليمن وعمان والإمارات العربية المتحدة وقطر والكويت والبحرين. ومجموع مساحة جزيرة العرب ٣,١٣٩,٠٤٨ كم٢ [السعودية ٢,٢٤٨,٠٠٠ كم٢، ويمن: ٤,٧٢,٠٩٩ كم٢، وعُمان ٣٠٦,٠٠٠ كم٢، والإمارات العربيّة المتحدة ٨٣,٠٠٠ كم٢، وكويت ١٧,٨١٨ كم٢، وقطر ١١,٤٣٧ كم٢، والبحرين ٦٩٤ كم٢]

واليمن والعروض[١]. وأشهر هذه الأقسام الحجاز. وأهم مدنها مكة المكرمة حيث ولد بها نبينا محمدﷺ والمدينة المنورة حيث توفي بها رسول الله ﷺ. وهذه الجزيرة كانت منذ أقدم العصور مأهولة. ولكنها كانت عند أكثر الناس مجهولة لقلّة مرافقها وكثرة مخاطرها. ثم اشتهرت بمبعث النبيّﷺ حتى صارت متجه نظر العالم على توالي القرون. وهي ممتازة فى الماضى والحاضر بوحدة اللغة[٢] على ترامى أطرافها وتشتت قبائلها. فالعربية الفصحى كانت رابطة تربط هذه القبائل المُنْتشرة. وهذه الرابطة ساعدت سرعة انتشار دعوة الإسلام فى بلاد العرب. فانبعث دعاهم بهذا النور الإلهي إلى أنحاء العالم.

وكانت بلاد العرب مهد نبوات سابقة. فمن الأنبياء الذين بعثوا بها هود عليه السلام، أرسل إلى عاد بالأحقاف[٣]؛ وصالح عليه السلام، أرسل إلى ثمود بالحجر[٤]، وإسماعيل عليه السلام، أرسل إلى العرب بمكة المكرمة وما حولها؛ وشعيب عليه السلام أرسل إلى قومه ببلاد مدين[٥]. كما كانت جزيرة العرب مأوى لبعض المضطهدين. فهاجر كثير من اليهود إلى اليمن ويثرب حينما لقوا اضطهادا من الرومان؛ وكثير من النصارى إلى أرض نجران من ظلم قياصرة الحكام. وكانت فى الجزيرة مدن عديدة.[٦] كما كانت فيها بَواد كثيرة.فسكان المدينة هم الحضر. ومقيمو البادية هم البدوُ والأعراب.[٧] *

---

(١) تهامة: هي الأرض المنخفضة على طول شاطئ البحر الأحمر؛ تمتد من يَنْبُع شمالا، إلى نجران جنوبا. وسميت بذلك لشدة حرها وركود ريحها من التَهم وهو شدة الحرّ وركود الريح. والحجاز سلسلة جبال تمتد من أيلة إلى اليمن، وسميت حجازا لأنه بحجز بين تهامة ونجد. ونجد مرتفع فسيح من جبال الحجاز إلى صحراء البحرين؛ وسميت نجد لإرتفاع أرضها. والعروض: ما بين نجد واليمن. وسميت به لاعتراضها بينهما، وتشمل اليمامة، وعُمان، والبحرين.

(٢) وإن اختلفت لهجاتها.

(٣) الأحقاف: في جنوب الجزيرة قريبا من حضر موت وفي شرقها عمان وشمالها الربع الخالي.

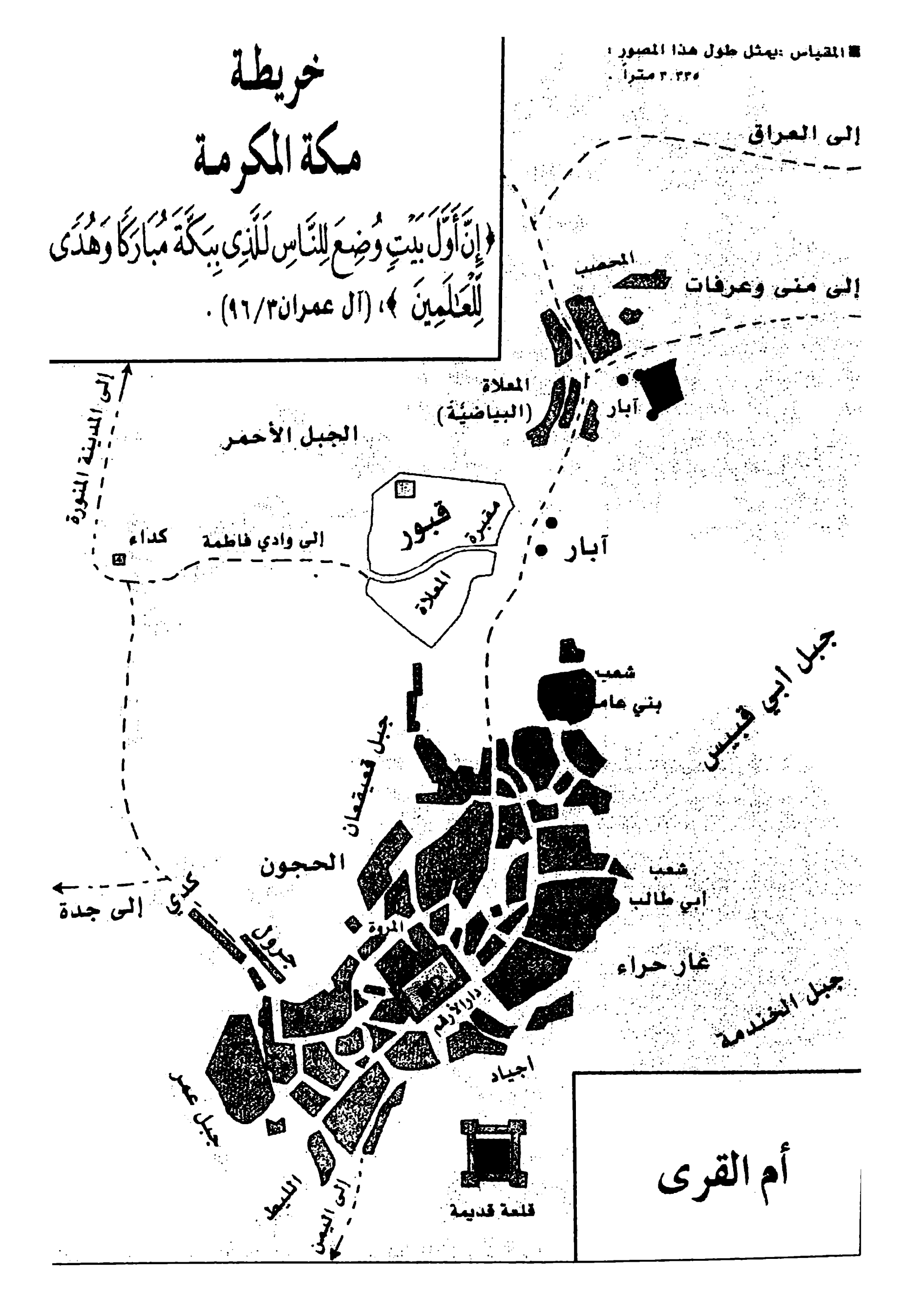
(٤) الحجر: موضع بين الحجاز وتبوك.

(٥) المدين: مدينة بناها مدين بن إبراهيم عليه السلام على ساحل البحر الأحمر محاذية للتبوك على ست مراحل منها في المنطقة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية.

(٦) كصنعاء وعدن ومكة والطائف والمدينة وخيبر.

(٧) أي يقال لهم الأعراب كما يقال لهم البدو.

* راجع النقاط المتقدمة في المصادر المذكورة في حاشية الموضوع السابق تحت عنوان أمة العرب.


خريطة
مكة المكرمة
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، (آل عمران٣/٩٦) .
المقياس :يمثل طول هذا المصور ٣.٣٣٥ متراً .
إلى العراق
المحصب
إلى منى وعرفات
المعلاة
(البياضية)
آبار
الجبل الأحمر
إلى المدينة المنورة
قبور
مقبرة
المعلاة
إلى وادي فاطمة
كداء
آبار
جبل أبي قبيس
شعب
بني عامر
جبل قعيقعان
الحجون
شعب
أبي طالب
إلى جدة
كدي
جرول
المروة
غار حراء
جبل الخندمة
دار الأرقم
أجياد
جبل عمر
أم القرى
قلعة قديمة
الليط
إلى اليمن

النسب الشريف والبلد الطيب

١. ولد عدنان

٢. النسب الشريف

٣. عبد المطلب

٤. نسب عبد المطلب

٥. عبد الله بن عبد المطلب

٦. أم القرى

٧. حادثة الفيل

ولد عدنان

وَلَدَ (عدنان) رجلين	: معدّ و علكّ[1]
فولد (معدّ) أربعة	: نزار وقضاعة وقفص وإياد.
فولد (نزار) ثلاثة	: مضر وربيعة وأنمار.[2]
فولد (مضر) رجلين	: إلياس وعيلان.
فولد (إلياس) ثلاثة	: مدركة وطابخة وقَمعَة.
فولد (مدركة) رجلين	: خزيمة وهذيل.
فولد (خزيمة) أربعة	: كنانة وأَسَد وأسَدة والهُون.
فولد (كنانة) أربعة	: النضر ومالك وعبد مناة ومِلكان.
فولد (النضر) رجلين	: مالك ويخلد.[3]
فولد (مالك) واحدا	: فهر.
فولد (فهر) أربعة	: غالب ومحارب والحارث وأسد.
فولد (غالب) رجلين	: لُؤَىّ وتَيْم.
فولد (لؤىّ)أربعة	: كعب وعامر وسامة وعوف.
فولد (كعب) ثلاثة	: مرّة وعدىّ وهُصيص.
فولد (مرة) ثلاثة	: كلاب وتيم ويقظة
فولد (كلاب) رجلين	: قصيّ وزهرة
فولد (قصيّ) أربعة	: عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى و
فولد (عبد مناف) أربعة	: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل
فولد (هاشم) خمسة	: عبد المطلب وأسد وفضلة وصيفيّ وأبو

---

(١) زاد السهيلي الحارث والمذهب؛ فأبناء عدنان على هذا أربعة. (انظر البداية ج١ ص٢٦٨)
(٢) زاد ابن هشام رابعا. وهو إياد بن نزار.
(٣) وهكذا في أكثر كتب السير والتاريخ. وفي البداية (ج٢ ص٢٧٢) مخلد بدل يخلد. والنضر هــو المسمى قريشا كما سيأتي.

فولد (عبد المطلب) تسعة عشر ولدا-ثلاثة عشر ذكرا وست إناث؛ ومنهم عبد الله كما سيأتي.

فولد (عبد الله) بن عبد المطلب سيد ولد آدم رسول الثقلين خاتم النبيين محمدا صلي الله عليه وسلم.[1]

عدنان

الحارث المذهب معد عك

إياد قفص نزار قضاعة

ربيعة أنمار مضر اياد

إلياس غيلان

طابخة مدركة قمعة

خزيمة هذيل

الهون كنانة أسد أسدة

مالك النضر(قريش) عبد مناة مِلكان

النسب الشريف

النضر بن كنانة هو الذى اشتهر بقريش لأنه كان يقرّش أي يفتش عن حاجة المحتاج فيسدها بماله[2]. وإليه تنتهي بطون قريش فمن كان من ولده فهو قرشـــيّ، ومن لم يكن فليس بقرشيّ[3]. واشتهرت من قريش اثنا عشر بطنا: بنو عبد مناف،

---

(١) راجع ابن هشام (ج١ ص٥-١٢٠).

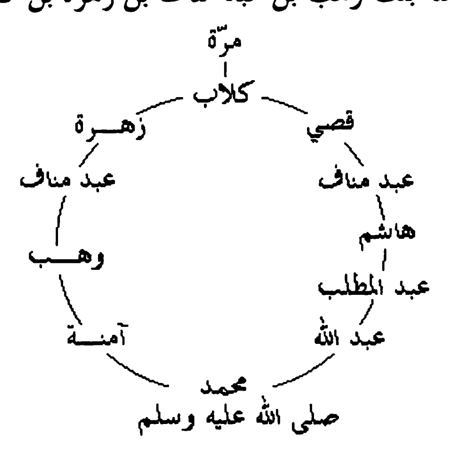
(٢) البداية والنهاية(ج٢ ص٢٧١).

(٣) هذا الذى رجحه بل صححه طائفة من المورخين؛ وعليه الفقهاء. وصحح طائفة أخرى أن قريشا هو فهر بن مالك، فمن فوقه ليس بقرشيّ. وجمع بعضهم بين القولين بأن فهرا هو جماع قريش. ثم إن أباه مالكا ما أعقب غيره. فقريش ينتهي نسبها كلها إلى مالك بن النضر. وكذلك النضر ليس له عقب إلا من مالك. فاتفق القولان بحمد الله. راجع البداية والنهاية (ج٢ ص٢٦٩) والسيرة الحلبية(ج١ ص١٦) والمواهب اللدنية(ج١ ص٩٣) وشرح المواهب للزرقانى(ج١ ص١٤٤) وسيرة زينى دحلان (ج١ ص١٢) وابن هشام(ج١ ص١٠٢).

وبنو عبد الدار، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو مخزوم، وبنو تيم، وبنو عدىّ، وبنو سهم، وبنو عامر، وبنو جمح، وبنو الحارث، وبنو محارب. وكان من بطن عبد مناف أربعة بيوت: بنو هاشم، وبنو عبد شمس، وبنو المطلب، وبنو نوفل.

أشرف قبائل العرب هي قريش - قبيلة رسول الله ﷺ؛ وأكرم بطون قريش هو بنو عبد مناف بطن رسول الله ﷺ؛ وأفضل بيوت عبد مناف هو بنو هاشم - بيت رسول الله ﷺ. فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.[1]

وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.



فيلتقى نسبه من جهة أبيه وأمه فى كلاب بن مرة من بنى عدنان. وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام بالاتفاق[2] آباء كرام طـاهرون!

---

(١) هذا هو النسب المتفق على صحته. وأما ما ذكر بعضهم من تسلسل نسبه إلى إسماعيل ومنه إلى آدم عليه السلام مع تسمية كل أب ففيه ضعف وخلاف كثير. وقال عليّ بن برهـان الـدين الحلبي في سيرته (ج١ ص١٧) إن من فوق عدنان لا يصح فيه شيء.

(٢) وإن اختلفوا في عدة الآباء بينه وبين إسماعيل عليهما الصلاة والسلام. انظر البداية والنهايـة (ج٢ ص٢٦٢).

وأمهات كريمات طاهرات! فسيدنا محمد النبيّ العربىّ القرشيّ الهاشمىّ عليه الصلاة والسلام أشرف ولد آدم ﷺ نسبا وأفضلهم حسبا من جهة أبيه وأمه جميعا. روى مسلم فى صحيحه عن واثلة بن الأسقع ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: 'إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل؛ واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة؛ واصطفى من بنى كنانة قريشا؛ واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم.'[1]

عبد المطلب

كان هاشم بن عبد مناف قد تزوج بامرأة شريفة من بنى عدىّ بن النجار بيثرب. وهي سلمى بنت عمرو. ثم مات هاشم بغزة من بلاد الشام. وهي حامل منه بولد. فلما وضعته سمته شيبة.[2] وتربّى شيبة بيثرب فى أخواله مكرما سبع سنين. ثم أتى به عمه المطلب إلى مكة. فكان يقول لمن يسأل عنه: 'عبد لى'. فلما دخل به مكة قال: 'إنما هو شيبة ابن أخى هاشم'.[3] ولكن غلب عليه اسم عبد المطلب كما سموه بشيبة الحمد لكثرة جوده وكرمه.[4]

صار عبد المطلب سيد قريش وانتهت إليه الرياسة بعد المطلب، كما كانت إليه السقاية والرفادة بعده. وهو الذى حفر زمزم، بئر أبيهم إسماعيل عليه السلام بعد أن كانت مطمومة من عهد جرهم. وهو أول من طلي الكعبة بذهب[5]. وكان مفزع قريش فى النوائب وملجئهم فى المصائب كما كان رفيقا بالحيوان. يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤوس الجبال[6].

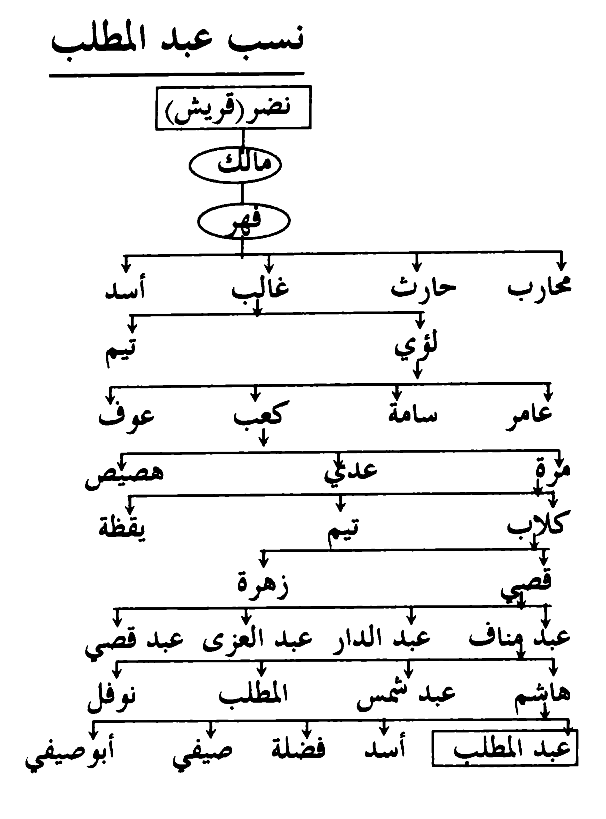
كان عبد المطلب مديد القامة أبيض اللون حسن الوجه وفى جبينه نور النبوة

---

(١) البداية والنهاية (ج٢ ص٣٣٤).
(٢) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٧٩).
(٣) راجع الكامل لابن الأثير(ج٢ ص٦) وتاريخ الطبرى (ج٢ ص٩).
(٤) السيرة الحلبية (ج١ ص٤).
(٥) البداية والنهاية(ج٢ ص٣٣٠) والكامل(ج٢ ص٧).
(٦) السيرة الحلبية(ج١ ص٤).

وعز الملك[1] ومعمرا عاش مائة وأربعين سنة. وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية؛ كما أنه كان ممن رفض عبادة الأوثان.[2]

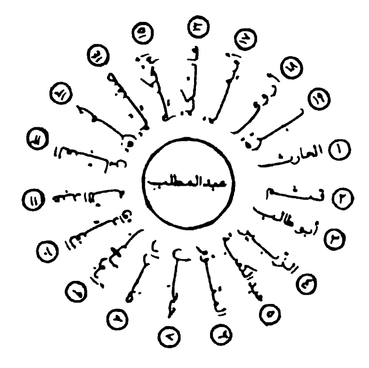
نسب عبد المطلب



(١) محمد رسول الله لمحمد رضا(ص١٧).

(٢) السيرة الحلبية(ج١ ص٤).

عبد الله بن عبد المطلب



كان لعبد المطلب تسعة عشر ولدا[1]- ثلاثة عشر ذكــرا وســت بنــات. فالذكور هم الحارث، وقثم،[2] وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبــة، والمُقــوّم،[3] وحَجْل[4]، وضرار، وأبو لهب،[5] والغَيْداق، وعبد الله، وعباس، وحمزة رضــي الله

---

(١) كما ذكره علي بن برهان الدين الحلبيّ في سيرته (ج٣ ص٣١٣). ونقله زيني دحلان في ســيرته (ج١ ص٢٩) عن بعض المورخين. وقال بعضهم: إن أولاد عبد المطلب عشرة. وعــدوا مــن العشرة حمزة والعباس رضي الله عنهما. ثم انهم قالوا: إن عبد الله هو أصغر أبنائه مع مــا ثبــت عندهم أن حمزة وكذا العباس أصغر من عبد الله. فهذا تناقض ظاهر. وما أجاب به البعض مــن أن المعنى أنه أصغر أولاده عند قصة الذبح لا يجدى نفعا لما تقدم عنهم من أن حمزة والعباس من العشرة، والعاشر هو عبد الله. فالأصوب أن أبناء عبد المطلب ثلاثة عشر. ومات منهم قثم بــن عبد المطلب صغيرا. فبقي عبد الله عاشرا عند الذبح كما كان أصغر عنــده. ثم كانــت ولادة العباس ثم حمزة رضي الله عنهما. وأما قول الزرقاني (ج١ ص١٧٦): "يحتمل أن المراد بحمــزة والعباس هنا (حيث عُدًّا من العشرة) اثنان من ولد ولده موافقا اسم ابنيه" فبعيد جدًا عَلى أنه حين ذكر أسماء أولاد أعمامه مفصلا (ج٤ ص٤٦٤-٤٦٦)لم يذكر أحدا اسمه العباس أو حمزة.

(٢) قُثَمُ: كعُمَرَ غير منصرف للعلمية والعدل لأنه معدول عن قاثم [الزرقاني ج٤ ص٤٦٥]. مــات صغيرا وهو ابن تسع سنين قبل حادثة الذبح فان وفاته كانت قبل مولد النبيّ ﷺ بثلاث ســنين كما نقله الحلبيّ عن الإمتاع (السيرة الحلبية: ج١ ص٨٠).

(٣) بكسر الواو وفتحها. تركه الإمام النووىّ حيث عد أعمامه ﷺ أحد عشر في كتابــه تهــذيب الأسماء واللغات (ج١ ص٥٣).

(٤) وفي رواية جحل بتقديم الجيم على الحاء. وقال بعضُ من قال بالعشرة: إن عبد الكعبة هو المقوم والغيداق هو حجل وقثم لا وجود له. انظر السيرة النبوية لزيني دحلان (ج١ ص٢٩) وشرح المواهب (ج١ ص١٨٨).

(٥) اسمه عبد العزى. (الحلبية ج٣ ص٣١٣)

عنهما.[1] فعبد الله أبو رسول الله ﷺ، والباقون أعمامه. أكبرهم الحارث وأصغرهم حمزة رضي الله عنه[2]. والإناث هن صفية، وأم حكيم، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرة. فهؤلاء عمّاته ﷺ [3]

كان عبد الله أحب إلى عبد المطلب من سائر بنيه كما كان أجمل رجال قريش. وأمه فاطمة بنت عمرو المخزومية. وهو الذبيح الثاني كما كان إسماعيل عليه السلام الذبيح الأول. وذلك أن عبد المطلب لقي من قومه بعض الضرر حينما حفر بئر زمزم. ولم يكن معه حينذاك إلا ابنه الحارث. فنذر لله نذرا كما شرط لنذره شرطا. قال: لئن ولد لى عشرة نفر ثم بلغوا معى حتى يمنعوننى لأنحرن أحدهم لله عند الكعبة.

ثم لما توافى له عشرة بنين أقرع بينهم أيهم ينحر.فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إليه؛ فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل ثم أقرع بينه وبين الإبل فطارت القرعة على المائة من الإبل. فنحرت جميعا وتركت للجميع لا يصدّ عنها إنسان ولا سبع[4]. ومن أجل ذلك لقب عبد الله بالذبيح كما لقب ابنه محمد رسول الله ﷺ بابن الذبيحين.

---

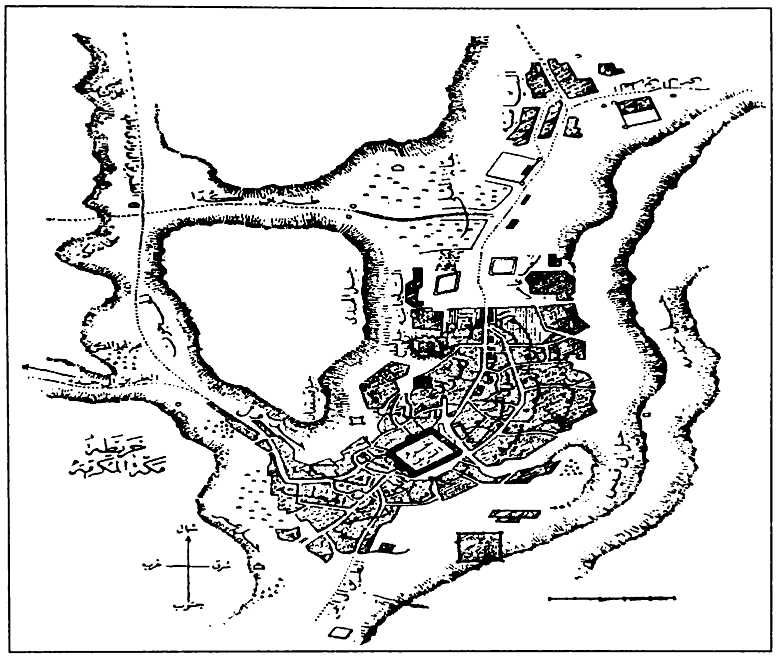
(١) لم يدرك الإسلام من هؤلاء الأعمام إلا أربعة: فَأَسْلَمَ منهم اثنان: العباس وحمزة رضي الله عنهما، وأبى اثنان: أبو طالب وأبو لهب. [شرح المواهب للعلامة الزرقاني ج٤ ص٤٨٨] وأولاد أعمامه ﷺ (وجملتهم خمسة وعشرون) أسلموا كلهم وصحبوا رسول الله ﷺ إلاّ طالب بن أبي طالب، وعُتَيْبَة بن أبي لهب. فإنهما لم يسلما، والله يهدي من يشاء. [المصدر المذكور ج ٤ ص٤٦٦].

(٢) لان حمزة رضيع رسول الله ﷺ أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب. وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بسنتين على الأصح. وكان العباس أكبر منه ﷺ بثلاث سنين. انظر تهذيب الأسماء للنووىّ (ج١ ص٥٣) وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزرىّ (ج١ص٦٠٤).

(٣) أسلمت منهن صفية أم الزبير بن العوام بالاتفاق وفي إسلام عاتكة وأروى خلاف.

(٤) تاريخ الطبرى (ج٢ ص٢). وكانت حادثة الذبح بعد حفر عبد المطلب بئر زمزم بثلاثين سنة. (سيرة زينى دحلان: ج١ ص٢٧ وشرح المواهب: ج١ ص١٧٥).

أم القرى



مكة المكرمة هي أم القرى. فيها الكعبة المشرفة. والكعبة قبلة العباد ومثابة[١] الحجاج وأول بيت وضع للناس وبيت حرام انتقم الله كل من هتك[٢] حرمته أو أساء الأدب به. وبمكة المكرمة بئر زمزم، بئر مباركة، تفجر ماؤها تحت أقدام إسماعيل عليه السلام. كانت ولاية مكة ونظارة البيت وماء زمزم فى ولد إسماعيل عليه السلام ثم فى جرهم ثم فى خزاعة[٣]. ثم عادت إلى قريش، بنى إسماعيل عليه السلام.

---

(١) مرجع يثوبون إليه من كل جانب.

(٢) هتك: خرق.

(٣) خزاعة: طائفة من ولد عمرو بن عامر. خرجوا مع قومهم من اليمن عند اقتراب سيل العرم. خرجوا إلى الشام لكنهم تخزعوا أي تأخروا عن قومهم فنزلوا بمرّ الظهران قرب مكة. فسمَّوا بخزاعة. (البداية والنهاية ج٢ ص٢٥٤)

فكان نابت والي مكة من بعد أبيه إسماعيل عليه السلام ثم وليها مضاض[1] الجرهميّ ثم ابنه الحارث بن مضاض ثم حفيده عمرو بن الحارث بن مضاض[2]. ثم لما طغت جرهم حاربتهم خزاعة وانتزعوا منهم الولاية. فعمد سيدهم عمرو بن الحارث الجرهميّ إلى نفائس[3] الكعبة فدفنها فى زمزم ثم طمها وارتحل بقومه إلى اليمن.[4] ولما صار قصيّ سيد قريش جمع قبائلهم[5] وأجلي خزاعة وقام بولاية الكعبة المكرمة.[6] وقريش هم أحق بها فإنها وراثة جدهم إسماعيل عليه السلام.[7]

فكانت زمزم مطمومة منذ عهد جرهم. ثم لما قرب ميلاد النبيّ ﷺ أرى الله مكانها جده عبد المطلب. أراه ذلك فى المنام. فبينما هو نائم فى حجر الكعبة إذ أتاه آت. أتاه أربعة أيام متوالية. ففي اليوم الأول قال: 'احفر طيبة'؛ وفى الثاني: 'احفر برّة'؛ وفى الثالث: 'احفر المضنونة'؛ وفى الرابع 'احفر زمزم، لا تُنْزَفُ أبدا ولا تذمّ،[8] تسقى الحجيج الأعظم؛ وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم،[9] عند قرية النمل.[10] فغدا عبد المطلب بمعوله فحفر زمزم[11] وأقام سقايتها للحجاج.[12]

---

(١) مضاض: (بضم الميم وكسرها) هو أبو أم نابت.

(٢) ولم ينازع بنو إسماعيل الجرهميين في ذلك لخؤولتهم ولحرمة البيت الحرام لا لزهادتهم في أمر البيت الحرام.

(٣) من ذهب وسلاح ونحوهما.

(٤) راجع البداية والنهاية (ج٢ ص٢٥٢).

(٥) جمعهم بأبطح مكة بعد ما تفرقوا في الشعاب والجبال.

(٦) وكان قصيّ قد تزوج بنت حليل الخزاعيّ، آخر ولاة خزاعة بمكة. فأوصى إلى قصيّ بالولاية من بعده؛ ولكن خزاعة نازعوه في ذلك. فقاتلهم قصيّ وأجلاهم عن مكة.

(٧) راجع السيرة الحلبية(ج١ ص٨،٧).

(٨) لا تذم: لا توجد قليلة الماء.

(٩) الذى في جناحيه بياض.

(١٠) فحينما أتى عبد المطلب الموضع الموسوم رأى قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم. فبينما هو كذلك فرّتْ بقرة من جازرِها. فلم يدركها حتى دخل الحرم فنحرها في الموضع المذكور. فسال هناك الفرث والدم. فحفر عبد المطلب حيث رسم له.

(١١) وكان معه ابنه الحارث ولم يكن له يومئذ ولد سواه.

(١٢) راجع ابن هشام(ج١ ص١٥٤) وابن كثير(ج٢ ص٣٢١، ٣٢٢).

حادثة الفيل

كانت اليمن أخصب أرض ببلاد العرب، وكانت صنعاء أشهر مدينة من مدن اليمن. فبنى بها ملكهم أبرهة كنيسة عظيمة رائعة. شيدها ليصرف إليها حج العرب[١]. ولكن العرب لم يرضوا بذلك؛ بل ثار بعضهم من الغضب حتى تغوط بهذه الكنيسة رجل كنانيّ[٢] ذات ليلة. فأقسم أبرهة ليهدمن الكعبة. فخرج بجنوده وفيله[٣] وهزم كل من تعرض له فى طريقه[٤].

فلما نزل المُغَمّس[٥] أمر بالغارة[٦] على أموال مكة. فكانت فيما انتهبوا مائتا بعير لعبد المطلب. ثم بعث رسوله[٧] إلى سيد قريش؛ فأتى عبد المطلب فقال له: 'إن الملك يدعوك إليه، إن لم ترد حربه؛ فإنه لم يأت لحربكم. وإنما أتى لهدم هذا البيت'. فقال عبد المطلب: 'والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة. هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام؛ فإن يمنعه فهو بيته وحرمه؛ وإن يُخَلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه.

فانطلق به الرسول إلى ملكه؛ فاكرمه وأجلسه معه على بساطه؛[٨] ثم سأله عن حاجته. فكلمه فى رد إبله دون أمر الكعبة. فلما عابه أبرهة بذلك قال: انا رب الإبل، و إن للبيت ربا سيمنعه. قال أبرهة: ماكان ليمتنع منى. فقال: أنت وذاك. ثم

---

(١) وكانت اليمن بأيدى النجاشيّ ملك الحبشة بعد حمير. وكان أبرهة واليا عليها من جانب النجاشيّ. وكان اسم الكنيسة التى بناها 'القُلّيس'.

(٢) من بنى كنانة.

(٣) وكان اسم فيله 'محمودا'. وكان أعظم فيل رأته العرب. وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا. وأعظمها 'محمود'. انظر تاريخ الطبرى (ج١ ص٥٥٦-٥٥٧).

(٤) منهم ذو نفر اليمنيّ وأصحابه، ونفيل بن حبيب الخثعميّ وقومه. فهُزموا وأسِر ذو نفر ونفيل.

(٥) المغمس (بكسر الميم المشددة وفتحها): موضع قرب مكة في طريق الطائف.

(٦) الغارة: النهب.والأسود بن مقصود(بالقاف وقيل بالفاء) الحبشيّ هو الذيتولي هذه الغارة.

(٧) وهو حناطة الحميرىّ.

(٨) وإنما لم يجلسه على سرير ملكه كراهة أن يراه الناس يكرمه بهذا القدر فنزل عن سريره وجلس معه على بساطه إكراما له أن يجلسه تحته.

عاد عبد المطلب إلى قريش بإبله.[1] وحذرهم من جيش أبرهة وفيله وأمرهم بالتحرز[2] فى الجبال والشعاب. ثم استنصروا الله على أصحاب الفيل، وعبد المطلب آخذ بحلقة باب البيت الحرام.

وأما أبرهة فقد أجمع على هدم الكعبة؛ وتهيأ بجيشه لدخول مكة. ولكن فيله قد أتى بأمر عجاب. كلما وجهوه إلى مكة تربض[3] وامتنع، وإذا وجهوه إلى سائر الجهات قام يهرول. فبينماهم على ذلك صفت على رؤوسهم طير أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل.[4] وكان مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجر فى منقاره وحجران فى رجليه. لا يصيب حجر أحدا إلا هلك من أثره؛ ولا يقع على رأس أحد إلا خرج من دبره. قنابل سماوية! تقذفها أبابيل إلهية!! قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾ ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ (الفيل ١ – ٥).

وقد أبقى الله تعالى منهم نفرا حتى أخبروا أهلهم بما وقع. وهذا النفر هرب مع أبرهة إلى اليمن وهو خائف وجل يتساقط أعضاءه؛ حتى وصلوا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر. فما مات حتى انصدع صدره. وكانت هذه الحادثة فى المحرم سنة ٥٧١م.[5] و ما كانت هذه الحادثة نصرة لقريش المشركين على الحبشة النصارى، بل كانت نصرة للبيت الحرام وتوطئة لبعثة النبيﷺ.[6]

---

(١) فجعلها هديا للبيت وبثها في الحرم.

(٢) التحرّز: التحصّن. الشعاب: المواضع الخفية بين الجبال.

(٣) تربض: لزم مكانه ولم يبرح.

(٤) السجيل: طين مطبوخ: والطير كانت أمثال الخطاطيف والبلسان. والخطاطيف: جمع خطاف، طائر أسود. والبلسان: الزرازير (STARLINGS) وفي رواية البلَشون (HERON). والحجارة كانت أمثال الحمص والعدس، كما في كتب التواريخ والتفاسير.

(٥) راجع قصة أصحاب الفيل في ابن هشام(ج١ ص٤٣-٥٩) وابن كثير(ج٢ ص٢٣٤-٢٤٠).

(٦) راجع ابن كثير(ج٢ ص٢٤٠).

الولادة والطفولة

١. أسعد الأيام

٢. خوارق المولد

٣. في بنى سعد

٤. جراحة الصدر

٥. من وفاة الأم إلى كفالة العم

٦. الرحلة الأولى إلى الشام

أسعد الأيام

تزوج عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي، أكرم فتى من قريش بآمنة بنت وهب الزهرية، أكرم فتاة من قريش. فحملت منه برسول الله ﷺ. فبعد الحمل بشهرين توفي عبد الله[١] بالمدينة عند أخوال أبيه من بنى النجار. وكان ذلك عند أوبته من الشام بتجارته. وتقدمت بآمنة أشهر الحمل. فلما تمت تسعة أشهر وضعته صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول[٢]، بعد خمسين يوما من حادثة الفيل، ولعشرين من نَيْسان سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام، ولأربعين سنة من ملك كسرى أنو شروان[٣] ولإثنتين وثمانين وثمانمائة من وفاة ذي القرنين الثاني[٤].

---

(١) وكان قد ذهب إلى الشام فى عير من عيرات قريش للتجارة فعند عودهم مروا بالمدينة، وعبد الله مريض. فتخلف بها عند بنى النجار أخوال أبيه، فتوفي بمرضه بعد شهر. فدفن بالمدينة. وكان ابن ثماني عشرة سنة عند زواجه، وابن خمس وعشرين سنة عند وفاته. ولم يترك إلاّ جاريته أم أيمن بركة وخمسة جمال وقطعة من غنم. راجع السيرة الحلبية (ج١ ص٣٩، ٥٠، ٥٢) وشرح المواهب للزرقاني (ج١ ص٢٠٤) والبداية والنهاية (ج٢ ص٣٤٢). وقيل توفي عن ٣٠ سنة وقيل عن ٢٨ سنة وقيل عن ١٨ سنة (راجع الزرقاني ج١ ص٢٠٤)

(٢) على المشهور. وحقق محمود باشا الفلكي المصري: أن ولادته ﷺ كانت يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول لأول عام من حادثة الفيل الموافق لعشرين من أبريل سنة ٥٧١ من الميلاد. (تاريخ الأمم الإسلامية، لمحمد الخضري بك: ج١ ص٦٢) وإنما حققه فى رسالته باللغة الفرنسية فى تقويم العرب قبل الإسلام؛ وقد ترجم هذه الرسالة إلى اللغة العربية أحمد زكي باشا سنة ١٣٠٥هـ باسم نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام (مقالات الكوثري: ص٤٣٧). ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوا القول بأنه ﷺ ولد لثمان خلون من ربيع الأول. وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي. ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه 'التنوير فى مولد البشير النذير' (البداية والنهاية: ج٢ ص٣٣٨). وقال ابن دحية: 'وهو الذى لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ'. وقال القطب القسطلاني: هو اختيار أكثر أهل الحديث (السيرة الحلبية: ج١ ص٥٧) وابن دحية هو الذى ألّف كتاب التنوير فى مولد البشير النذير. فأجازه الملك المظفر صاحب إربل بألف دينار. والمظفر هو الذى أحدث احتفال عمل المولد النبويّ أولا. وتوفي سنة ثلاثين وستمائة [٦٣٠هـ] (السيرة النبوية لزيني دحلان: ج١ ص٤٦). وكان الملك المظفر يحتفل بالمولد الشريف فى الليلة الثامنة من شهر ربيع الأول فى عام وفي الليلة الثانية عشرة منه فى عام آخر عملا بالروايتين (ابن خلكان: ج٤ ص١١٨).

(٣) خَسْرُو بن قباذ بن فيروز.

(٤) هو الإسكندر الثاني اليوناني الذى عاش قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة. وليس هو ذا القرنين المذكور فى القرآن. وهو الإسكندر الأول الروميّ (البداية والنهاية: ج٢ ص١٥٦)

وهذا اليوم أسعد الأيام. فقد منّ الله تعالى فيه بأعظم نعمة منه على العـــالمين. وهو ولادة نبينا محمد ﷺ أشرف المخلوقين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وحبيب رب العالمين، وخاتم النبيين أجمعين. فلذلك يحتفل المسلمون بهذا اليوم المبـــارك فى جميـــع الأقطار، يذكرون مناقبه، وينشدون مدائحه، ويقرؤون سيرته، وينشرون سنته، كما يكثرون فيه الصلاة عليه وعلى عترته، والتصدق على أهل الخير والحاجة من أمته، ذاكرين لهذه الرحمة وشاكرين على هذه النعمة.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾[1] وأي نعمة أحق بالذكر وأجدر بالشكر من ولادة نبيّ بعث رحمة للعالمين. فشكرا على هذه النعمة العظمى شرع الصيام فى يوم الاثنين. فقد روى مسلم عن أبي قتادة الأنصاريّ ﷺ: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين. فقال: 'فيه ولدت وفيه أنزل عليّ'[2] كما شرعت الجمعة فى يوم خلق فيه أبو البشر آدم عليه السلام. فقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة.[3]

خوارق المولد

كان رسول الله ﷺ خير مولود ولد على الأرض. ولد مختونا[4] مســـرورا[5] مكحولا نظيفا فى دار أبي طالب[6] بشعب بنى هاشم بمكة. وكانت قابلته الشفاء[7]

---

(١) الضحى: ١١

(٢) صحيح مسلم (١٣/٣٦/١٩٨).

(٣) صحيح مسلم (٧/٥/١٨).

(٤) كما اشتهر فى أحاديث غير موضوعة. منها ما رواه الحافظ ابن عساكر عن أنس ﷺ قال: قال رســـول الله ﷺ: من كرامتي على الله إنى ولدت مختونا ولم ير سوءتي أحد. (البدايـــة والنهايـــة ج٢ ص٣٤٤؛ والسيرة الحلبية ج١ ص٥٣).

(٥) مسرورا: مقطوع السرّ (السر: Umbilical cord).

(٦) صارت بيد عقيل بن أبي طالب وبيد أولاده بعد وفاته إلى أن باعوها لمحمد بن يوسف أخـــي الحجـــاج بمائة ألف دينار فأدخلها فى داره فعرفت بدار ابن يوسف. ولذلك قال بعضهم ولد بدار ابن يوســـف. راجع السيرة الحلبية (ج١ ص٦٢).

(٧) أم عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

وحاضنته أم أيمن[1]. ولم تجد آمنة عند حمله ووضعه ثقلا ولا ألما. وكان جده عبد المطلب يطوف بالكعبة، إذ أرسلت إليه آمنة. فأسرع مستبشرا. فقالت: 'يا أبا الحارث، ولد لك مولود، له أمر عجيب'. فقال: أليس بشرا سويا؟ قالت: 'نعم، ولكن سقط ساجدا، ثم رفع رأسه وإصبعيه إلى السماء'. فدخل به عبد المطلب الكعبة ودعا له، ثم رجع به[2] وسماه محمدا[3].

ووقعت وقت ولادته ﷺ خوارق وعجائب. منها: بشرى الهواتف وأخبار الكهان والأحبار والرهبان[4] بولادة المصطفى المختار.

ومنها: تنكس الأصنام على رؤوسها إشارة إلى ولادة نبيّ يخرج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن[5].

ومنها: نور خرج من آمنة فأضاءت له قصور بصرى من أرض الشام. رأته عند وضعه عيانا كما رأته عند حمله مناما[6]. وكانت بصرى إذ ذاك قصبة البلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان. وهي أول مدينة فتحت فى الإسلام من أرض الشام. وسافر إليها رسول الله ﷺ مرتين – مرة مع عمه أبي طالب ومرة مع ميسرة، غلام خديجة رضي الله عنها. فكأن فى خروج النور مرتين إشارة إلى هاتين الرحلتين.

ومنها: الحوادث المنذرة لعبدة النيران. وهي ارتجاس إيوان كسرى، وسقوط

---

(١) اسمها بركة كانت جارية أبيه. أعتقها رسول الله ﷺ. فزوجها قبل النبوة عبيد الحبشي فولدت له أيمن. وزوجها بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة. فولدت له أسامة بن زيد. وكانت أم أيمن وولدها أيمن ممن أسلموا قديما. راجع السيرة الحلبية (ج١ ص ٥٢، ٦٢).

(٢) راجع السيرة الحلبية (ج١ ص٦٧) وطبقات ابن سعد (ج١ ص١٠٣).

(٣) ولا ينافيه ما سيأتي أنه سماه سابع ولادته. فإن المراد به إظهار اسمه للناس. (السيرة الحلبية: ج١ ص٧٩).

(٤) الكهان: خدم الجن؛ والأحبار: علماء اليهود؛ والرهبان: علماء النصارى.

(٥) راجع البداية والنهاية (ج٢ ص٤٢٢-٤٤٩).

(٦) البداية والنهاية (ج٢ ص٣٤٢).

أربع عشرة شرفة منه، وخمود نارهم التي لم تخمد منذ ألف عام، ومغاض بحيرة ساوة وبحيرة طبرية، ورؤيا الموبذان؛ وهو رئيس حكام الفرس. فإنه رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها[١].

وكل ذلك كان إشارة منذرة بأن الإسلام يستولي على هذه البلاد. فيمحو مراكز الكفر وممالك الجور. فقد افتتحت المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية فى عهد الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة ست عشرة من الهجرة على يد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. ولم يملك منهم بعد ميلاد المصطفى ﷺ إلا أربعة عشر ملكا بعدد الشرفات الساقطة. آخرهم يزدجرد[٢]. قتل فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، سنة إحدى وثلاثين من الهجرة (٣١هـ) بعد أن مضى على ملكهم ثلاثة آلاف ومائة وأربعة وستون سنة (٣١٦٤ سنة)،[٣] وبعد أن استمرت دولتهم زاهرة على الممالك الوسيعة نحو تسع وعشرين وثلاثمائة (٣٢٩) سنة.[٤]

فى بنى سعد

ولد نبينا ﷺ يتيما فى حجر[٥] جده عبد المطلب. فعق عنه بكبش فى اليوم السابع من ولادته، ودعا له رجالا من قريش. فلما طعموا سألوه عن اسمه؛ فقال: سميته محمدا. فأعجبهم هذا الإسم الغريب فى العرب. فقال: أردت أن يحمده الله فى السماء وخلقه فى الأرض.[٦] ومكث الغلام المبارك رضيعا بمكة، ثم فى بادية بنى

---

(١) راجع البداية والنهاية (ج٢ ص٣٤٧-٣٥٢).الشرفة Balcony؛ والصِعاب جمع صَعب : ضدّ سهل؛ والعِراب : السالمة من العيوب.

(٢) يزدجرد بن شهريار بن إبرويز بن هرمز بن أنوشروان. وفي عهد أنوشروان وقع ارتجاس الإيوان. الإمبراطوريّة : Empire

(٣) انظر البداية والنهاية (ج٢ ص٣٤٩).

(٤) الخلفاء الراشدون لعبد الوهاب النجار (ص٢٦٨).

(٥) فى حجره : فى حضنه وكنفه ومنعته.

(٦) البداية والنهاية (ج٢ ص٣٤٥) والسيرة الحلبية (ج١ ص٧٨).

سعد[1] أعواما. فإن العرب كانوا يؤثرون البادية[2] لرضاعة أطفالهم لصفاء هوائها وسلامة طبيعتها وأصالة كلامها وفصاحة لسانها. وكـان رسـول الله ﷺ يقـول لأصحابه: 'أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت فى بنى سعد بن بكر'.[3]

أرضعته ﷺ نساء. أولاهن أمه آمنة. ثم أرضعته ثويبة الأسلمية[4] أياما. وهي الجارية التي أعتقها عمه أبو لهب حين بشرته بولادته.[5] وأكثرهن إرضاعا له حليمة السعدية.[6] قدمت حليمة مكة مع عشر نسوة من بنى سعد يلتمسن الرضـعاء؛ ومعها زوجها[7] وابنها الرضيع. وكانت لقبيلة بـنى سـعد شـهرة فى الرضـاعة والفصاحة فما بقيت منهن امرأة إلا أخذت رضيعا ولم تقبل أحد منهن يتيم آمنـة. ولكن حليمة لما لم تظفر بغيره استشارت زوجها فى أخذه فقال: 'عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة'. فكان هذا الرضيع المبارك نصيب حليمة.

فلما أخذته در لبنها ولبن شارفها.[8] فباتوا بخير ليلة. فلما أصـبحوا قـال زوجها: 'لقد أخذت نسمة مباركة'. فلما قفلوا سبقت أتانها سائر المراكب حـتى حسدتها صواحبها. ثم لما وصلوا به ديارهم ظهرت البركات دَارَّةً عليها فى نفسـها

---

(١) هم بنو سعد بن بكر بن هوازن. وكانت ديارهم وراء الطائف.

(٢) البادية : خلاف الحاضرة.

(٣) ابن هشام (ج١ ص١٧٢) والحلبي (ج١ ص٨٩) والبداية والنهاية (ج٢ ص٣٥٨).

(٤) وفي إدراكها البعثة وإسلامها خلاف بين أهل التاريخ.

(٥) فجوزي أبو لهب بما أخبره أخاه العباس فى منامه، بعد سنة من موته: أنه يسقى من نقرة بـين إبهامه وسبابته. وأنه يخفف عليه فى مثل يوم الاثنين. راجع صحيح البخاري (٥١٠١/٢١/٦٨) وفتح الباري (ج٩ ص١٤٥) والبداية (ج٢ ص٣٥٣). وسبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما يسقاه تلك الليلة (الحلبية : ج١ ص٨٤).

(٦) وهي بنت عبد الله بن الحارث من سعد بن بكر بن هوازن. يكنى بأبي الذؤيب.

(٧) وهو الحارث بن عبد العزى من بنى سعد بن بكر بن هوازن. يكنى بأبي كبشة كما تكنى حليمـة بـأم كبشة. وكبشة ابنتهما. والرضيع الذى كان معها فى هذا السفر هو عبد الله.

(٨) الشارف: الناقة المسنة.

وأهلها ودوابها وأموالها. ولم يزل الغلام المبارك يشب شبابا لا يشبه الغلمان.[١] فكان قبل أوان المشي يمشي على الأقدام، وقبل وقت الكلام يتكلم بفصيح الكلام، وقبل سنّ الرمي يرمي بالسهام. وكان بنو سعد قد أعجبوا بهذا الغلام حتى إذا اشتكى منهم أحد وضع كفه على موضع السقام. فيبرأ بإذن الله من الآلام. وكان ﷺ لا يشرب إلا من الثدي الأيمن من حليمة؛ويترك الأيسر لأخيه عبد الله.[٢]

جراحة الصدر

بلغ الغلام مبلغ الفطام. فأتت به حليمة وأهلها إلى أمه بمكة، وهم يحرصون عليه لما وجدوا فيه من البركة. فلم يزالوا بأمه حتى ردته إليهم خشية أن يصيبه وباء مكة[٣]. وفي هذه الفترة وقعت به ﷺ حادثة شق الصدر لتنقيته من حظ الشيطان فحين كان الغلام المبارك وأخوه فى بَهْم[٤] لهم خلف بيوتهم، إذ أتاه ملكان – جبريل وميكائيل – عليهما السلام فشقا بطنه واستخرجا قلبه وأخذا من قلبه شيئا[٥]، فطرحاه؛ ثم رداه كما كان[٦]. ولكنه لم يجد حسا ولا ألما.

---

(١) راجع البداية والنهاية (ج١ ص٣٥٤، ٣٥٥).

(٢) انظر السيرة النبوية لزيني دحلان (ج١ ص٤٨-٤٩). وعبد الله هذا يعرف بضمرة لقب به لخفة جسمه (راجع السيرة الحلبية ج١ ص٩٤)

(٣) حيث أنذروها بأن يصيبه الوباء. وكان الوقت وقت وباء مكة.

(٤) البهم: أولاد الضأن.

(٥) وهذا الشيء قد عبر عنه فى بعض الروايات بحظ الشيطان وفي بعضها بمغمز الشيطان وفي بعضها بعلقة سوداء. وهذه العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها. ولذا سمي بمغمز الشيطان. فأزيلت من قلبه ﷺ. فلم يكن للشيطان فيه حظ. خلقت هذه العلقة فيه تكملة للخلق الإنساني ثم نزعت منه تكرمة له، بخلاف القلفة؛ فإنها مما طلبت إزالتها من كل أحد. مع ما يلزم على إزالتها من كشف العورة. فلذا ولد ﷺ مختونا بلا قلفة. وهذا هو عين الكمال. انظر السيرة الحلبية (ج١ ص٩٦).

(٦) انظر ابن هشام (ج١ ص ١٧٥) وابن كثير (ج٢ ص٣٥٥). وقال أنس ؓ: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره (مسلم: ٢٦١/٧٤/١) المخيط: الإبرة (شرح مسلم). وذلك بين عالم المثال والشهادة فلذلك لم يكن الشق عن القلب إهلاكا وقد بقي منه أثر المخيط. وكذلك كل ما اختلط فيه

أتى أخوه عبد الله يعدو إلى والديه. فقال: ذاك أخي القرشيّ قد أخذه رجلان، عليهما ثياب بيض؛ فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه[1]. فأسرعت حليمة وزوجها إليه. فوجداه منتقعا[2] لونه. فالتزماه فقالا: ما لك يا بنيّ؟ فقص عليهما ما حدث. فخافا أن يصيبه شيء مما وقع. فقدما به على أمه بمكة. ولم يفهما أن اللذين شقا قلبه هما ملكان مكرّمان، ما فعلا به إلا خيرا. فخافا عليه الشيطان وردّاه إلى أمه. فقالت: 'كلاّ، والله ما للشيطان عليه من سبيل'. ثم قصت عليهما ما رأت عند حمله ووضعه من العجائب. ثم قالت لحليمة: 'دعيه وانطلقي راشدة'.

مكث رسول الله ﷺ عند حليمة أربع سنوات. وأثناء هذه السنوات قدمت به حليمة على أمه غير مرة[3]. كما كان جده عبد المطلب يزوره كل عام[4]. وببركة خدمته هدى الله تعالى حليمة وزوجها وبنيها فيما بعد إلى الإسلام. حتى ظفروا منه بسعادة الدارين[5]. وإلى ذلك يشير الإمام البوصوري فى همزيته:

وإذا سخَّرَ الإله أُناسا لسعيد فإنهم سعداء.

عالم المثال والشهادة. (حجة الله البالغة: ج٢ ص٢٠٥).

(١) يسطوانه: يحركانه.

(٢) منتقعا: متغيرا بلون النقع أي الغبار. وهذه الدهشة إنما كانت من رؤية الملائكة.

(٣) الأولى عند فطامه والثانية قبيل شق الصدر والثالثة – وهي الأخيرة – بعد شق الصدر. انظر السيرة الحلبية (ج١ ص١٠٣).

(٤) انظر البداية والنهاية (ج٢ ص٣٥٨).

(٥) وفدت عليه حليمة بعد تزوجه ﷺ بخديجة رضي الله عنها. فأعطتها خديجة بأمره ﷺ أربعين رأسا من الشاة والإبل. ثم وفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه. وفي رواية قدمت مع زوجها وولدها فبسط لها رداءه. وفي رواية قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه. وهي ممن هاجرت إلى المدينة وقبرها يزار بالبقيع. انظر سيرة زيني دحلان (ج١ ص٥٦).

من وفاة الأم إلى كفالة العم

عاد الغلام المبارك من ديار بنى سعد إلى موطنه. فتربى فى حضانة أمه، ورعاية جده. ولما بلغ ست سنين زارت به أمه خؤولة جده - بنى النجار[1] وقبر أبيه - عبد الله بالمدينة. فمكثت به عندهم مدة شهر. وفي هذه الفترة أحسن ﷺ العوم فى ماء بنى عديّ بن النجار[2]. ورآه رجلان من يهود المدينة فقال أحدهما للآخر: 'هذا نبيّ هذه الأمة، وهذه دار هجرته؛ وسيكون بها من القتل والسبي أمر عظيم'. فلما سمعت ذلك أمه آمنة، خافت عليه وعادت به إلى مكة[3]. ففي الطريق مرضت فتوفيت ودفنت بالأبواء[4] وعمرها نحو عشرين سنة فأتت به أم أيمن[5] إلى مكة بعد خمسة أيام.

صار الغلام الشريف بهذا فقيد الوالدين جميعا. فارقه أبوه قبل ولادته وفارقته أمه قبل سابعته. ولكن الله تعالى آواه بحضانة أم أيمن وكفالة عبد المطلب. وكان عبد المطلب يحبه ويكرمه ويلاطفه ويوثره بأطيب طعامه ويجلسه على فراشه فى ظل الكعبة. ولا يجلس عليه أحد من أهله ولا من قومه. فإذا أرادوا منعه قال عبد المطلب: 'دعوا ابني؛ فإن له لشأنا'. ولم يمكث فى كفالة عبد المطلب إلا سنتين حتى توفي، وهو ابن مائة وأربعين سنة،[6] تاركا حفيده المبارك ابن ثمان. فحزن لذلك وبكى خلف سريره.

---

(١) فإن أم عبد المطلب من بنى عدي بن النجار.

(٢) انظر السيرة الحلبية (ج١ص٥٠).

(٣) البداية والنهاية (ج٢ ص٣٦٠).

(٤) موضع بين مكة والمدينة. وهو أقرب إلى المدينة وعمرها نحو عشرين سنة (سيرة زيني دحلان ج١ ص٥٧).

(٥) وكانت معهما فى رحلتهما وفي عودهما.

(٦) المواهب اللدنية (ج١ ص٩١).

ثم كفله عمه أبو طالب كما أوصى به عبد المطلب[١]. فكان يـوثره علـى أولاده؛ حتى كان معه حضرا وسفرا، يقظة ونوما. وكان أبو طالب مقلا من المال. فكان عياله إذا أكلوا لم يشبعوا؛ وإذا أكل معهم النبي ﷺ شبعوا. فكـان يقـول: 'إنك لمبارك'. وربما كان الأطفال ينتهبون الطعام فيبتعد عنهم وعن الطعام. فيعزل له أبو طالب طعامه على حدة.[٢] وقالت أم أيمن: ما رأيت رسول الله ﷺ يشـكو جوعا قط ولا عطشا، لا فى صغره ولا فى كبره.[٣] وشكت قـريش ذات يـوم إلى سيدهم أبي طالب من القحط. فاستسقى بالنبي ﷺ عند البيت الحرام. فأمطر السماء حتى انفجر لذلك الوادي. وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثِمال[٤] اليتامى عصمة للأرامل.[٥]

---

(١) حيث كان شقيق أبيه. فإن أمهما فاطمة بنت عمرو.

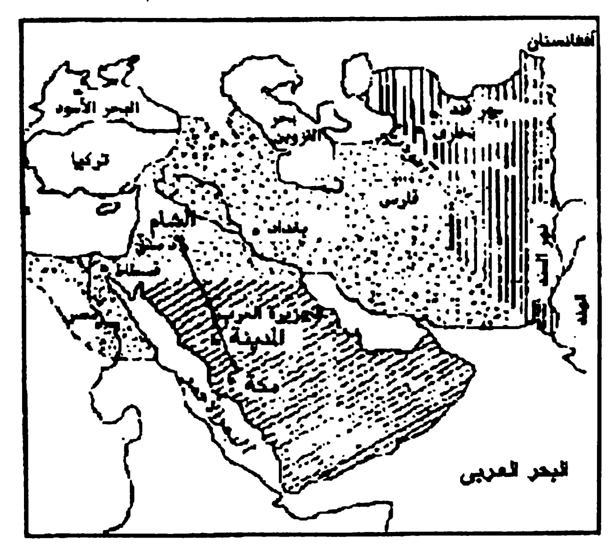
(٢) انظر البداية والنهاية (ج٢ ص٣٦٤).

(٣) السيرة الحلبية (ج١ ص١١٦).

(٤) الثمال: الملجأ؛ الأرامل: المساكين.

(٥) المصدر المذكور (ج١ ص١١٦)

الرحلة الأولى إلى الشام



نشأ رسول الله ﷺ فى كفالة عمه أبي طالب. فلما بلغ من عمره اثنتي عشرة سنة خرج أبو طالب بتجارة إلى الشام. فشق عليه فراق عمه. فرقّ له أبو طالب وأخذه معه. ونزل الركب فى طريقه ببصرى من أرض الشام. وكان بها راهب نصراني[١] فى صومعته يقال له بحيرا.[٢] وكان عنده علم متوارث عن النبي المنتظر. فلفتت نظره إلى هذا الغلام غَمَامَةٌ تظله من بين القوم. فصنع لهم طعاما ودعاهم إليه.

---

(١) وقيل يهوديّ، ولا منافاة كما قال العلامة الحلبيّ (ج١ ص١١٨). فلعله تهود أولا ثم تنصر كورقة بن نوفل.

(٢) بفتح الباء وكسر الحاء وسكون الياء، آخره ألف مقصورة كما ضبطه العلامة الحلبيّ فى سيرته (ج١ ص١١٨). ورأينا هذا الاسم فى كتب السير والتواريخ يكتب بأربع صور. الأول: بَحيرًا (كما تقدم) والثاني بُحَيرا (بضم الباء) والثالث: بَحيرَى والرابع بَحيراء (بالمد) واسم هذا الراهب جريس وقيل جرسيّ. فالبحيرا لقب له. وقال العلامة الحلبيّ: وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذى هو أحد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة (السيرة الحلبية: ج١ ص١٢١).

حضر الركب ضيافة بحيرا. ولكنه لم ير فيهم الغلام المنشود. فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي. فقالوا: يا بحيرا، ما تخلف أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام؛ وهو أحدثنا سنا، فتخلف فى رحالنا. قال: لا تفعلوا. دعوه فليحضر هذا الطعام معكم. فلما حضر جعل يلحظه شديدا.

حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام الراهب إلى الغلام وكلمه. كلمه باسم آلهة قريش، اللات والعزى. فأبى أن يجيب. فسأله باسم الله تعالى عن أشياء فجعل يجيبه ما يوافق ما عنده من العلم. ثم كشف بحيرا عن خاتم النبوة بين كتفيه حتى تبين له شأنه. ثم حاور أبا طالب بعض الحوار:

- من هذا الغلام منك؟

ابني.

- ما هو بابنك. وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا.

فإنه ابن أخي.

- فما فعل أبوه؟

مات، وأمه حبلى به.

- صدقت. فارجع بابن أخيك، واحذر عليه اليهود. فوالله، لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيبغُنَّه شرّا؛ فإنه كائن له شأن عظيم. فأسرع به أبو طالب إلى مكة حين فرغ من تجارته بالشام.[1]

---

(١) انظر ابن هشام (ج١ ص١٩٤-١٩٦) وابن كيثر (ج٢ ص٣٦٥،٣٦٦) ودلائل النبوة للبيهقي (ج٢ ص٢٦-٢٩) وقصة بحيرا مشهورة عند أهل المغازي كما قال البيهقي ج٢ ص٢٦). وأطبق عليها جميع المورخين كما قال محمد الخضري بك فى محاضراته (ج١ ص٦٣). وذكرها جميع من دون سيرة الرسول ﷺ كما أقر بذلك مستر ويليم موير (WILLIAM MUIR) على الرغم من إنكاره هذه الحادثة فى كتابه حياة محمد (كما قال محمد الرضا: ص٤١). فإنكار بعضهم لهذه الحادثة من أصلها لكون رواياتها مرسلة ولما فى بعض رواياتها الأخرى من بعض النكارة ليس بسديد. ومراسيل الصحابة ﷺ حجة عند أكثر المحدثين والفقهاء.

السيرة قبل البعثة

١. الأمين الشهير

٢. الرحلة الثانية إلى الشام

٣. الزواج من خديجة رضي الله عنها

٤. بناء الكعبة

٥. الترشيح للنبوة والرسالة

٦. أبرز الناس

الأمين الشهير

اشتهر رسول الله ﷺ منذ صغره بأمانته بين قومه، فكان أمينا فى قوله وعمله وفي سره وعلنه. وكان أمينا فى كل شيء وعلى كل شيء حتى أجمعوا على منحه[1] لقب الأمين. فكانوا يستأمنونه على أماناهم حتى بعد البعثة والدعوة، حينما قابلو بأشد العداوة والخصومة. فكانت عنده ودائعهم النفيسة إلى أن هاجر إلى المدينة فترك بمكة عليا ﷺ ليرد هذه الودائع إلى أهلها قبل أن يهاجر.[2]

الأمين مشتق من الأمانة باتفاق أهل اللغة، وسمي بهذا الاسم لاشتهاره بأمانات باتفاق أهل التاريخ. حتى اعترف به أعداء الإسلام من المورخين. فهذا وليم مور[3] المورخ الشهير المستشرق الإسكتلنديّ[4] يقول فى كتابه حياة محمد: 'إنه لقب بالأمين بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه.[5] فما جاء فى دائرة المعارف البريطانية فى ترجمة حياته ﷺ أن تسميته بالأمين مأخوذة من اسم أمه آمنة[6] يعني به الكاتب أن العرب لم يسموه أمينا لأمانته بل لكونه ابن آمنة فهذه كلمة حمقاء وطريقة عوجا ودعوى باطلة وفرية فاضحة، يمجها العقل كما يدحضها[7] النقل، وباعثها الحسد والحقد.

---

(١) أي على إعطائه.

(٢) ابن هشام (ج٢ ص٩٨).

(٣) William Muir (١٨١٩-١٩٠٥).

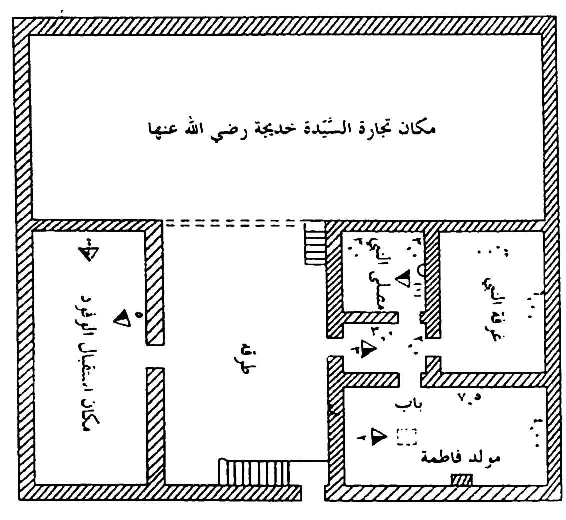
(٤) نسبة إلى إسكُتلندا (Scotland).

(٥) Life of Muhammad P:٢٠ وقد ترجم 'موير' لفظ الأمين بكلمة 'Faithful' (محمد رضا ص٥٢).

(٦) محمد رضا (ص٥٢). ولكنه قد طرح من النسخ الجديدة للدائرة البريطانية فللّه الحمد.

(٧) يدحضها : يبطلها

الرحلة الثانية إلى الشام



رسم تقريبي لبيت السيدة خديجة المشهور بمولد السيدة فاطمة (بمكة)

كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها سيدة تاجرة ذات شرف ومال. تستأجر الرجال للتجارة فى مالها. فأرسلت إلى السيد الأمين تستأجره لما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه. ووعدته أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار.(١) وكان أبو طالب فى ضيق وفقر من قلة المال وكثرة العيال. فأراد ﷺ أن يفرّج شيئا من كربة عمه. وخرج بتجارة خديجة مع غلامها ميسرة فى عير إلى الشام. وكان عمره ﷺ إذ ذاك خمسا وعشرين سنة.(٢)

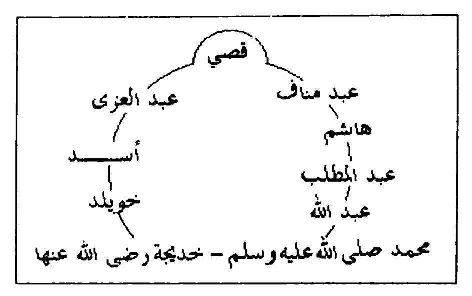
فلما وصلا سوق بصرى نزلا تحت شجرة. وبقربها صومعة راهب نصراني، اسمه نسطورا. فقال الراهب لميسرة: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبيّ.(٣) ثم قال:

---

(١) ابن هشام (ج١ ص٢٠٣).
(٢) السيرة الحلبية (ج١ ص١٣٢).
(٣) ابن هشام (ج١ ص٢٠٣).

أفي عينيه حمرة؟[١] قال: نعم؛ لا تفارقه. قال الراهب: هو هو؛ وهو أخر الأنبياء.[٢] ثم انتقلا إلى السوق فباعا واشتريا فربحا ربحا عظيما. ثم عادا إلى مكة. وقد رأى ميسرة فى هذه الرحلة بركات وخوارق. منها تظليل الغمامة[٣] له ﷺ فى ميسره؛ ومنها مقالة الراهب النصراني؛ ومنها ما حصل فى التجارة من الربح العظيم.

الزواج من خديجة رضي الله عنها



قص ميسرة على سيدته ما رأى وما سمع حتى أيقنت خديجة أن لهذا الشاب لشأنا عظيما، فأرادت أن تجعله شريك حياتها. وكانت قد تزوجت من قبل برجلين فولدت لهما أولادا.[٤] ثم لما توفي زوجها الأول عُتَيِّق وزوجها الثاني أبو هالة خطبها كثير من أشراف قريش. فإنها كانت يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن

---

(١) هذه الحمرة كانت فى بياض عينيه. وهي الشكلة. فقد كان ﷺ أشكل العينين (السيرة الحلبية ج١ ص١٣٣).

(٢) المصدر المذكور.

(٣) وفي بعض الروايات أنه أظله ملكان. وفي كلام صاحب الهمزية ما يدل على أن الملكين هما الغمامة. راجع السيرة الحلبية (ج١ص١٣٣-١٣٦).

(٤) ولدت لزوجها الأول (عُتيق) بن عابد أو عايد) ولدا وبنتا: عبد الله وهند، وولدت للثاني (أبي هالة) ولدين وبنتا: هالة وهند وزينب. فهند هندان: هند بنت عتيق وهند بن أبي هالة. فالأولى أنثى والثاني ذكر. وكان اسم أبي هالة هندا أيضا. راجع السيرة الحلبية (ج١ ص١٤٠) وابن هشام (ج٤ ص٣٢١).

شرفا، وأكثرهن مالا، وأحسنهن جمالا.[1] ولكنها رفضت كل خطبة ورضيت أن تعيش وحيدة أرملة.

ثم لما بلغها خوارقه ﷺ فى هذه الرحلة بالإضافة إلى مكارمه السابقة أرسلت إليه تخطبه لنفسها. فقالت: إنى قد رغبت فيك لقرابتك، وسِطتك[2] فى قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك.[3] فقبل السيد الأمين خطبة خديجة الكريمة. فحضر مع أعمامه. وألقى أبو طالب خطبة. فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وإسماعيل وضئضئ[4] معد وعنصر[5] مضر؛ وجعلنا حضنة بيته وسوّاس[6] حرمه؛ وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله، لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا، وإن كان فى المال قل. فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة. وهو، والله، بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل. وقد خطب إليكم رغبة فى كريمتكم خديجة. وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشٌّ.[7]

فزوجها منه ﷺ عمها عمرو بن أسد.[8] وشهد على ذلك صناديد قريش.

---

(١) ابن هشام (ج١ ص٢٠٥) والحلبي (ج١ ص١٣٧).

(٢) السطة: الشرف مصدر وسَط يسِط.

(٣) ابن هشام (ج١ ص٢٠٥).

(٤) ضئضئ: معدن.

(٥) عنصر: أصل.

(٦) حضنة بيته: ولاة شأنه. سواس حرمه: القائمين بخدمته.

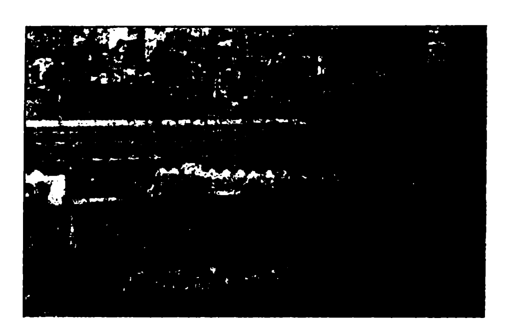
(٧) النش: النصف. والأوقية أربعون درهما. فجملة الصداق: خمسمائة درهم. وفي بعض الروايات: أنه أصدقها عشرين بكرة، ولا منافاة لجواز أن تكون البكرات عوضا عن الأواقي أو كون الأواقي صداقا والبكرات هدية أو زيادته ﷺ. هذه البكرات على أواقي أبي طالب فالكل صداق. والأواقي كانت من الذهب. انظر السيرة الحلبية (ج١ ص١٣٩) وابن هشام مع تقرير محمد محي الدين عبد الحميد (ج١ س٢٠٥) وشرح المواهب (ج٤ ص٣٦٦). والبَكْرَة: الفَتِيَّةُ من الإبل

(٨) البداية والنهاية (ج٢ ص٣٨٠).

وكان ذلك بعد عودته من الشام بشهرين.[1] وهو إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة وخديجة بنت أربعين سنة. وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت. وولدت له جميع أولاده إلا إبراهيم. فهو من سُرِّيته مارية القبطية.[2]

بناء الكعبة

(بعد الولادة بخمس وثلاثين سنة)



قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[3] بناه أولا ملائكة الله فى الأرض، تمثال البيت المعمور ليطوفه من فى الأرض كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.[4] ثم بناه آدم عليه السلام. وطاف به بأمر الله تعالى وقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت.[5] ثم طاف به الأنبياء بعده. ثم

---

(١) السيرة الحلبية (ج١ ص١٤٠).

(٢) راجع ابن هشام (ج١ ص٢٠٦ و ج١ص٤).

(٣) أل عمران: ٩٦.

(٤) كما رواه أبو الوليد الأزرقي فى كتابه مكة. راجع الإيضاح للإمام النووي رحمه الله الباب الخامس(ص٤٢٥).

(٥) رواه البيهقي مرفوعا عن عبد الله بن عمرو فى دلائله (ج٢ ص٤٥). وقال ابن كثير فى بدايته (ج٢ ص٣٨٣): وقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت.

استتم بناءه إبراهيم عليه السلام.[1] قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2]

رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعد البيت تسع أذرع.[3] فبقيت على هيئتها إلى زمن النبي ﷺ.[4] فأصابها حريق أوهنها ثم سيل صدعها.[5] فأرادت قريش هدمها لإعادة بنائها وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها ربا ولا مهر بغي ولا مظلمة أحد من الناس.[6] فزادوا فيها تسع أذرع حتى صار ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الأرض حتى لا يصعد إليها إلا فى درج.[7] وضاقت عليهم النفقة الطيبة عن إتمامه على قواعد إبراهيم. فأخرجوا منها الحجر. فعلامة على أنه من الكعبة بنوا عليه جدارا قصيرا يسمى الحطيم.[8] وكان البحر قد رمى سفينة لبعض تجار الروم إلى ساحل جدة. وكان فيها نجار رومي، اسمه باقوم فاشترت قريش خشبها لسقف الكعبة واستخدموا باقوم فى بنائها.[9]

---

(١) أخرجه القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن عن علي رضي الله عنه (ج٤ ص١٣٠).

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) السيرة الحلبية (ج١ ص١٤٤).

(٤) فإنها وإن وقع فيها بعض التعمير والترميم عدة مرات لكنها لم تبن جميعا بعد إبراهيم عليه السلام إلا فى عهد رسول الله ﷺ وكان بين البنائين – بناء إبراهيم عليه السلام وبناء قريش – ألفا سنة وسبعمائة وخمس وسبعون سنة. راجع السيرة الحلبية (ج١ ص١٧٢) ويستأنس لهذه المدة بما فى فتح الباري لابن حجر العسقلاني (ج٦ ص٣٨٢): "إن بين إبراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة" وبما فى حاشية الجمل على الجلالين (ج٢ ص٥٧) أن بين هجرة النبي ﷺ وميلاد عيسى ستمائة وإحدى وثلاثون سنة. وقيل ستمائة وإحدى وعشرون سنة.

(٥) راجع البداية والنهاية (ج٢ ص٣٨٤–٣٨٥) والسيرة الحلبية (ج٢ ص١٤١).

(٦) راجع البداية والنهاية (ج٢ ص٣٨٦).

(٧) السيرة الحلبية (ج١ ص١٤٤) فارتفاع الكعبة ١٥ مترا وارتفاع بابها عن الأرض نحو مترين (مرآة الحرمين ج١ ص٢٦٣).

(٨) الحطيم: جدار حجر الكعبة قبالة الميزاب سمي به لانحطام الناس عليه أي لازدحامهم.

(٩) راجع السيرة الحلبية (ج١ ض١٤١،١٤٣) وابن كثير (ج٢ ص٣٨٥) ودلائل النبوة للبيهقي (ج٢ ص٥٤) ومصنف عبد الرزاق (ج٥ ص١٠٢).

كانوا قد عينوا لكل ركن جماعة ينقلون إليه الحجارة.[١] وكان رسول الله ﷺ ممن ينقل.[٢] وكان عمره إذ ذاك خمسا وثلاثين سنة.[٣] ولما أرادوا وضع الحجر الأسود موضعه اختلفوا فيمن يضعه. وتنافسوا فى ذلك حتى كادت نار الحرب تشبّ بينهم فأشار عليهم أسنهم أبو أمية:[٤] أن يحكموا أول من يدخل عليهم من باب بنى شيبة.[٥] فكان هذا الداخل هو رسول الله ﷺ فقالوا: 'هذا الأمين رضينا؛ هذا محمد' فالْحَكَم الحكيم الأمين وضع الحجر فى ثوب. ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب[٦] 'ثم ارفعوه جميعا. فلما رفعوه وضعه بيده الشريف مكانه. فانحلت هذه المشكلة ووضع الحجر الشريف بيد خاتم النبيين ﷺ.[٧]

الترشيح للنبوة والرسالة

رشّح[٨] الله محمدا ﷺ لتسلم نبوته وتحمل رسالته بالخصال الحميدة والفعال السديدة؛ فشب فى عصمته تعالى محفوظا من كل شر، ومحظوظا[٩] بكل خير. فكان يكسب المعدوم[١٠] ويصل الرحم ويحمل الكل[١١] ويقري الضيف ويعين على

---

(١) راجع دلائل البيهقي (ج٢ ص٥٩،٦٠) والسيرة الحلبية (ج١ ص١٤٣-١٤٤).

(٢) دلائل البيهقي (ج٢ ص٥٥).

(٣) البداية والنهاية ج٢ ص٣٨٤).

(٤) أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (البداية والنهاية ج٢ ص٣٨٨). واسم أبي أمية حذيفة. وهو والد أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها. وهو أحد أجواد قريش ومات على دينه. (السيرة الحلبية ج١ ص١٤٤).

(٥) وكان يقال له فى الجاهلية باب بنى عبد شمس ويقال له الآن باب السلام (الحلبية: ج١ ص١٤٥)؛ وهذا الباب يدخل منه الحجاج لطواف القدوم (مرآة الحرمين لرفعت باشا: ج١ س٢٣٠).

(٦) أي ليأخذ سيد كل بطن من بطون قريش بطرف من أطراف الثوب. راجع البداية (ج٢ ص٣٨٨) ودلائل النبوة للبيهقي (ج٢ ص٥٦،٥٧،٦٠،).

(٧) يرتفع الحجر الأسود عن الأرض مترا ونصفا (مرآة الحرمين ج١ ص٢٦٤).

(٨) رشحه: أهّله وأعده.

(٩) المحظوظ: من حسن حظه ونصيبه.

(١٠) أي يكسبه مالا أي يعطيه إياه. والمعدوم: الفقير.

(١١) أي يحمل مؤنة الكل. والكل: من لا يستقل بأمره من ضعيف ويتيم وأزملة.

نوائب الحق.[١] وبغضت إليه الأوثان والأزلام[٢] كما بغضت إليه الخمر والشعر والقمار. فلم يباشر شيئا من هذه الأمور أبدا. فلم يعبد صنما، ولم يضرب زلما، ولم يشرب خمرا، ولم ينشئ شعرا، ولم يلعب ميسرا؛ كما لم يأكل قط ميتة ولا ما ذُبح على الأصنام. ولم يحلف بها ولم يحضر لها عيدا.[٣]

كذلك أكرمه الله تعالى بكل ما يزينه، وأبعده عن كل ما يشينه. خرج ذات ليلة ليسمر[٤] كما يسمر الفتيان. فسمع من دار بمكة صوتَ المزامير. وكان ذلك بمناسبة زواج بتلك الدار. فلما جلس ينظر إليها ألقى الله عليه النوم. فما أيقظه إلا حر الشمس. وقع له مثل ذلك مرة أخرى. كل ذلك حال الله بينه وبين هذا اللغو[٥] حتى ينشأ مثالا أسمى. وكان ﷺ حييا شديد الحياء. فكان يلتزم ستر العورة صغيرا وكبيرا، وهو فى قوم لا يبالون بكشفها ليلا ولا نهارا. ورآه عمه العباس ﷺ يعمل مع الناس فى بناء الكعبة. فكان ﷺ ينقل الحجارة على منكبيه فأشار عليه أن يجعل إزاره على المنكبين، ففعل حسب إشارة عمه. فخر مغشيا عليه.[٦]

وكان ﷺ يشارك قومه فى كل خير ويباعد عنهم عند كل شر. شهد مع أعمامه حرب الفجار؛[٧] فكان يناولهم السهام. كما شهد ﷺ حلف الفضول. وهو

---

(١) راجع صحيح البخاري أول كتاب الوحي. ونوائب الحق: هي الحوادث التى تجري على الخلق بتقدير الحق أو النائبات التى تصيب الخلق على الأمر الحق.

(٢) جمع زلم وهو سهم الاستقسام.

(٣) راجع دلائل البيهقيّ (ج٢ ص٣٠-٣٥) والسيرة الحلبية (ج١ ص١٢٢-١٢٥).

(٤) سَمَر: تحدث مع جليسه ليلا.

(٥) راجع دلائل النبوة للبيهقي (ج٢ ص٣٣،٣٤) ودلائل النبوة لأبي نعيم (ص١٤٣).

(٦) راجع صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كراهية التعري فى الصلاة وغيرها.

(٧) حرب الفجار: وقعت بين كنانة وبين قيس (قيس بن هوازن) وكانت قريش مع كنانة، فى شعبان سنة عشرين من ميلاده ﷺ؛ وقيل سنة أربع عشرة أو خمس عشرة من ميلاده. وسببها قتل البرّاض الكنانيّ عروة القيسيّ. فحاربت قيس كنانة. وكان البرّاض فاتكا خليعا خلعه قومه لكثرة شرّه فلا تبعة فى قتله على كنانة. فهم مظلومون فى هذه الموقعة. وسميت بالفجار لكون سببها فى الشهر الحرام. وهذا الفجار - فجار البرّاض - آخر الفجارات الأربع التى وقعت فى العرب. انظر البداية والنهاية (ج٢

حلف عقده أشراف قريش على أن يكونوا يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه.[1] فكان يغتبط به بعد البعثة حتى قال: 'لو دعيت به فى الإسلام لأجبت'.

وكان ﷺ قبل البعثة يأكل من عمل يديه. فلما بلغ مبلغ العمل أرشده الله تعالى إلى رعي الغنم لأهل مكة - لأهله بلا أجرة، ولغيرهم بأجرة.[2] فأتاح الله له بذلك كسبا للمعيشة وتربية للنفس وتقوية للجسم وقدوة للأنبياء. 'ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم'[3] ثم لما شب كان يتجر. فكان شريكه فى التجارة السائب بن أبي السائب. ومن الجدير بالذكر تجارته فى مال السيدة خديجة رضي الله عنها. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾.[4]

ص٣٧٢-٣٧٤) وابن هشام (ج١ ص١٩٨-٢٠٢) والسيرة الحلبية (ج١ ص١٢٧-١٢٩).

(١) وكان هذا الحلف فى ذي القعدة سنة عشرين من ميلاده ﷺ بعد حرب الفجار بأربعة أشهر. وسببه أن العاص بن وائل القرشي ماطل بثمن بضاعة اشتراها من زبيدي. فاستعان عليه الزبيدي رؤساء قريش. فأبوا أن ينصروه. فاستغاث بكل ذي مروءة من قريش فعقد بعضهم هذا الحلف. وردوا على الزبيدي سلعته. وسمي بحلف الفضول؛ قيل لدخولهم بذلك فى فضل من الأمر وقيل لشبهه حلفا جرى بين جرهم دعا إليها ثلاثة من أشرافهم كل واحد منهم اسمه فضل. انظر البداية والنهاية (ج٢ ص٣٧٤-٣٧٦). وقيل لحلفهم على رد الفضول على أهلها. والفضول هو ما يؤخذ ظلما. وقيل لكون هؤلاء المتحالفين كانوا قد أخرجوا فضول أموالهم للأضياف. راجع السيرة الحلبية (ج١ ص١٣١).

(٢) انظر فتح الباري (ج٤ ص٤٤١).

(٣) ما بعث الله الخ. رواه البخاري فى صحيحه (٣٧/٢/٢٢٦٢).

(٤) سورة الضحى.

أبرز الناس

سيدنا محمد ﷺ هو النبي العربي القرشي الهاشمي المكي الأمين. فهو أشرف الناس شعبا[١] ونسبا، وأكرمهم محتدا[٢] ومولدا. وكان مربوع[٣] القامة، أبيض اللون، مشوب الحمرة، مليح الوجه. فكان أجمل الناس خلقا كما كان أحسن الناس خلقا، ولد فى يتم ونشأ فى عدم.[٤] وتربى بين قادة الكفرة وسادة الفجرة،[٥] فى ظلام الضلالة، وغمام[٦] الجهالة. ولكنه نشأ بعناية الله مهذبا بلا مهذب، ومؤدبا بلا مؤدب؛ وتربى برعاية الله ممتازا بكمال خلقه كما امتاز بجمال خلقه.

كان ﷺ أوفر الناس فهما وعقلا، أشهرهم صدقا وعدلا، وأفضلهم زهدا وجودا، وأشدهم حلما وصبرا، وأعظمهم عفة ومروءة، وأشرفهم شجاعة وأمانة، وأبرزهم هيبة ووقارا، وأميزهم سماحة وطلاقة وأكرمهم أدبا وتواضعا وأمثلهم رأفة ورحمة، وأكملهم حياء ووفاء، كان قليل الكلام، فلا يكلم إلا لحاجة؛ وجميل الإنصات، فلا يقطع على أحد كلامه؛ وميالا للجد فلا يمازح إلا لفائدة. وإذا مازح لا يقول إلا حقا؛ وما كان فظا[٧] ولا غليظا ولا صخابا[٨] ولا عيابا ولا مداحا ولا فاحشا؛ بل كان أبعد الناس عن الأقذار والأكدار،[٩] وأطهرهم عن الأدناس

---

(١) شعب: قوم.
(٢) محتد: أصل. مولد: موضع الولادة.
(٣) مربوع القامة: مستوى القامة، ليس بطويل ولا قصير.
(٤) يُتم: فقد الأب؛ عدم: فقر.
(٥) القادة: جمع قائد؛ والسادة: جمع سيد.
(٦) غمام: سحاب.
(٧) فظ: سيّئ الخلق.
(٨) صخاب: شديد الصياح.
(٩) أكدار: جمع كدر.

والأرجاس،[1] وأرفعهم عن الخسائس والسفاسف.[2] حتى صار عند الناس قرة الأعين وفلذة الأكباد.

قال الإمام محمد البوصيري رحمه الله:

أكرم بخلق نبي زانه خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسم[3]

كالزهر في ترف والبدر في شرف والبحر في كرم والدهر في همم.[4]

---

(١) أرجاس: جمع رجس: الفعل القبيح.

(٢) الخسائس: جمع خسيسة وهي الخصلة الرذيلة؛ والسفاسف جمع سفساف وهو الأمر الحقير.

(٣) أكرم بخلق: فعل تعجب؛ والبشر: طلاقة الوجه.

(٤) الزهر: نور النبات. والترف: اللطافة والنعومة، والشرف: العلو. والهمم جع همة: العزم والإرادة.

البعثة والدعوة

بدأة الوحي

الدعوة إلى الإسلام

الجهر بالدعوة

الاضطهاد والفتنة

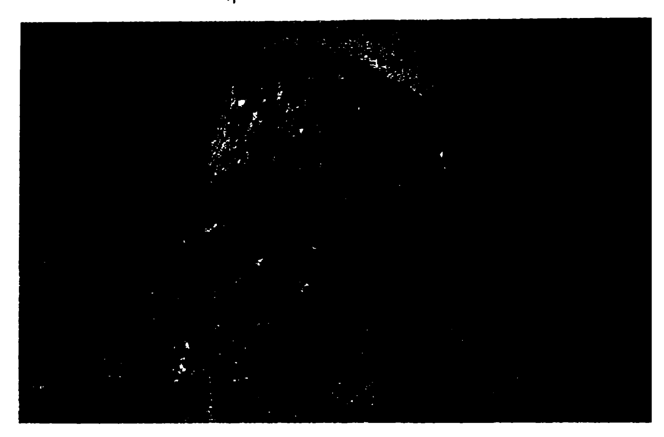
إسلام أبى ذر رضي الله عنه

إسلام ضماد الأزدي رضي الله عنه

إسلام خالد بن سعيد رضي الله عنه

بدأة الوحي

الإثنين، السابع عشر من رمضان قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة هـ /٦ أغسطس سنة ٦١٠ م)



سيد الأمين من العمر أربعين سنة. وآن أوان البعثة. فظهرت له تباش
يقظة حتى يتمرن لحمل أعباء الرسالة. فكان لا يمر بشجر ولا حجـ
يحيّيه بتحية النبوة: السلام عليك يا رسول الله. فإذا التفت لا يـر
سمع على ﷺهذا السلام(٢) فى بعض الأحيان.(٣) وقال رسول الله ﷺ
حجرا بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث، إنى لأعرفه الآن(٤). وكان
جاءت مثل فلق(٥) الصبح.(٦) وكانت هذه الرؤيـا الصـادقة مـ
ي. امتدت ستة أشهر.(٧)

ئل النبوة للبيهقى (ج٢ ص١٤٦).
الأحجار والأشجار عليه ﷺ.
ن الترمذي (٣٦٢٦/٦/٥٠) ودلائل البيهقى (ج٢ ص١٥٤،١٥٣).
سلم (٤٣ /٢/١/[٢٢٧٧]) والترمذي (٣٦٢٤/٥/٥٠).
ح: أي ضيائه (شرح مسلم: ج١ ص٤٧٨، وفتح الباري: ج١ ص٢٣).
بخاري (١/٣ / ٣) ومسلم (٢٥٢/٧٣/١[١٦٠]).
اله بعض أهل العلم. وقَبِله جماعة من الأئمة فإن ابتداء الوحي كان على رأس الأربع

ثم حبب إليه الخلاء[١]. فكان يخلو بغار حراء[٢] يتعبد فيه ليالي ثم يعود إلى خديجة فيتزوّد لمثلها[٣]؛ حتى أتاه جبريل عليه السلام وهو فى غار حراء يوم الاثنين السابع عشر من رمضان.[٤] فقال له اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. فأخذه فغطه[٥] حتى بلغ منه الجهد.[٦] ثم أرسله فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. فأخذه فغطه الثانية حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ. فأخذه فغطه الثالثة. ثم أرسله فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ ﴾ ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[٧]

فرجع رسول الله ﷺ بهذه الآيات يرجف[٨] فؤاده فدخل على خديجة قائلا: زمّلوني، زمّلوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقص على خديجة القصة فقال: لقد خشيت على نفسي[٩]. فقالت: "كلا؛ أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا. والله، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم؛ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق". فأتت به خديجة ورقة بن نوفل، ابن عمها. كان قد تنصر فى الجاهلية. وكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية والعربية. وكان شيخا كبيرا قد

من عمره كما جزم به ابن إسحاق وغيره وذلك فى ربيع الأول. ونزول جبريل عليه السلام وهو فى غار حراء كان فى رمضان. وبينهما ستة أشهر (فتح الباري: ج١ص٢٧ و ج١٢ ص٣٦٤؛ وحاشية الباجوري على الجوهرة: ص٨).

(١) الخلاء: الخلوة.

(٢) حراء: جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها، عن يسار المار إلى مني، له قُلة مشرفة على الكعبة منحنية. والغار فى تلك الحنية (ابن كثير: ج٣ ص٨) وارتفاعه حوالي مائتي متر (مرآة الحرمين: ج١ ص٥٨). والقلّة : القمّة.

(٣) أي يأخذ الزاد لمثل تلك الليالى.

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (ج٢ ص١٣٣-١٣٤).

(٥) فغطه: فضمه وعصره وضغطه.

(٦) الجهد: غاية الوسع والمشقة.

(٧) سورة العلق: ١-٥

(٨) يرجف فؤاده: يضطرب ويرتعد قلبه.

(٩) من العجز عن حمل أعباء النبوة أو من الموت أو من المرض. راجع شرح مسلم (ج١ ص٤٨٠) وفتح الباري (ج١ ص٢٤).

عَمِيَ. قال: هذا الناموس[1] الذى نزّل الله على موسى.[2] يا ليتني فيها جذعا[3]. يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك! قالﷺ: أومخرجيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مـؤزرا[4] ثم لم يلبث ورقة أن توفي.[5]

وكان ذلك بداية وحيهﷺ. وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة وستة أشهر وخمسة أيام.

الدعوة إلى الإسلام

إن السيد الأمين قد استيقن أن من لقيه بحراء هو رسول ربه، وأن ما آتى به هو وحي ربه. ولكنه خاف على نفسه العجز عن القيام بأعباء النبوة فسلاه كلام خديجة رضي الله عنها كما شجّعه مقال ورقة حتى هدأ منه الفؤاد، وزال عنه الروع والارتعاد. ولكن الوحي فتر مدة من الزمان. فلم ينْزل فيها شيء من القرآن. فاشتدّ شوقه إلى عوده، كما اشتد حزنه من خوف فقده. وهذه الفترة امتدت أربعين يوما.[6] فبينما هو على ذلك إذ رأى جبريلعليه السلام جالسا على كرسيّ بين السماء والأرض. فأسرع خائفا إلى أهله. فقال: دثّروني، دثروني. فأنزل الله تعالى

---

(١) الناموس: هو جبريل، وأصل معناه صاحب السر.

(٢) وفي دلائل النبوة لأبي نعيم أنه قال لخديجة: 'لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذى لا يعلمه بنو إسرائيل أبنائهم'. فلما كلم خديجة قال 'ناموس عيسى' بحسب دينه النصرانية وحينما كلم النبيّ ﷺ قال: 'ناموس موسى' لأن كتاب موسى ككتابه مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى، ولأن موسى بعث بالنقمة على فرعون وقومه كما وقعت على يد النبي ﷺعلى فرعون هذه الأمة -وهو أبو جهل وأصحابه ببدر، ولأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب بخلاف عيسى،فإن كثيرا من اليهود ينكرون نبوته.راجع فتح الباري (ج١ ص٢٦).

(٣) يا ليتني فى أيام الدعوة شابا قويا حتى أبالغ فى نصرتك.

(٤) مؤزرا: قويّا، والأزر: القوة.

(٥) راجع صحيح البخاري (١/٣/٣) و(٤٩٥٣/١/٦٥) وصحيح مسلم (١/٧٣/ ٢٥٢[١٦٠]).

(٦) السيرة الحلبية (ج١ ص٢٦١).

عليه هذه الآيات:[1] ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾ ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾ ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾[2]

فقام رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى دين الله. فبشرهم سرا وأنذرهم سرا. فكان لا يدعو إلا من يثق به من أهل بيته وأقربائه وأصدقائه حتى أجابه أفراد من الناس. فأول من آمن به من الرجال صديقه أبو بكر رضي الله عنه؛ ومن النساء زوجه خديجة رضي الله عنها؛ ومن الغلمان ابن عمه عليّ رضي الله عنه؛ ومن الموالى مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه[3]. وهؤلاء هم أعرف الناس بسره وعلانيته وأعلمهم بصدقه وأمانته حتى توسموا من شمائله أن له نبأً كريما وتفرسوا من خوارقه أن له شأنا عظيما. فلم يشكوا فى نبوته ورسالته ولم يلبثوا عن تلبيته عند دعوته. وكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو من يثق به من أصحابه وأحبابه. فممن أسلم على يديه الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.[4] وهؤلاء من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرة بالجنة[5].

الجهر بالدعوة

جعل الناس يدخلون فى دين الإسلام، تاركين الشرك والأصنام، فيهم الصغار والكبار، والعبيد والأحرار، والفقراء والأغنياء، والرجال والنساء، والأشراف والضعفاء. فعاداهم الكفرة، وآذاهم الفجرة حتى لم يتمكنوا من عبادة ربهم جهارا. فكانوا يصلون فى شعاب مكة خائفين مستخفين. ثم لم يلبث أن بلغ أذاهم تلك

---

(١) راجع صحيح البخاري (٤/٣/١).
(٢) المدثر ١–٧
(٣) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٢ و ج٣ ص٣٥).
(٤) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٥).
(٥) وذكر بعضهم أيضا فيمن أسلم على يدي أبي بكر رضي الله عنه عثمان بن مظعون وأبا عبيدة بن الجراح وأباسلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم. راجع البداية والنهاية(ج٣ ص٣٦).

الشعاب.[1] فاستخفى بهم رسول الله ﷺ فى دار الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ؛ يصلي بهم ويرشدهم ويعلمهم دينهم.[2]

استمرت دعوة السر ثلاث سنين[3] حتى دخل الإسلام فى جميع بطون قريش وفشا ذكره فى أطراف مكة. ثم أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة. فقال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[4] وقال: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[5] فدعا النبيّ ﷺ قريشا، فاجتمعوا؛ فعم وخص، فقال: 'يا بنى كعب بن لؤيّ أنقذوا أنفسكم من النار؛ يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار؛ يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار؛ يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار؛ يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار؛ يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار؛ يا فاطمة أنقذى نفسك من النار. فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها'.[6]

ثم جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فخطبهم فقال: "إن الرائد لا يكذب أهله؛ والله، لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم؛ والله الذى لا إله إلا هو، إنى لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة؛ والله، لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا. وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا. والله، يابني عبد المطلب، ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به؛ إنى قد جئتكم بأمر الدنيا

---

(١) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٤٥).
(٢) السيرة الحلبية (ج١ ص٢٨٣).
(٣) ابن سعد (ج١ ص١٩٩). فهذه المدة بعضها قبل دخوله دار الأرقم وبعضها بعده. ثم لما أظهر الدعوة لم يظهر المسلمون جميعا إسلامهم ولم يخرج بهم ﷺ من دار الأرقم كما وهمه بعضهم. فإنه ﷺ كان مستخفيا بهم فيها حتى أسلم عمرﷺ وكان إسلامه فى أواخر سنة ست من النبوة على أرجح الأقوال.
(٤) سورة الحجر: ٩٤. ومعنى فاصدع بما تؤمر: أعلن به كما فسرها به ابن عباس رضي الله عنهما. الدر المنثور(ج٤ ص١٩٩).
(٥) سورة الشعراء: ٢١٤
(٦) راجع صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب قوله تعالى، وأنذر عشيرتك الأقربين (٣٤٨/٨٩/١).

والآخرة". فتكلم القوم كلاما لينا غير أبي لهب فإنه قال: يا بني عبد المطلب، هذه، والله، السوءة؛ خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يديه غيركم. فإن أسلمتموه حينئذ ذللتم؛ وإن منعتموه قُتِلتم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا[1]

ثم صعد ﷺ ذات يوم على الصفا فهتف: يا صباحاه. فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه؛ فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تبا لك؛ ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: تبت يدا أبي لهب.[2]

الاضطهاد والفتنة

كان السابقون إلى الإسلام قلة قليلة؛ فأوذوا بأفظع فتنة وأبشع محنة، وخاصة المستضعفين الذين ليس لهم عشيرة مانعة. فالمشركون كانوا يسومونهم ضروب العذاب من الضرب والحبس والجوع والعطش والنار والرمضاء. ولكن حلاوة الإيمان هوّنت عليهم مرارة العذاب. فتصبروا على الآلام وتمسكوا بالنواجذ على الإسلام. وسنتلو عليك أمثلة مما قاسوا من الاضطهاد.

١) لما أسلم أبو بكر الصديق ﷺ أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله. فكان ممن أسلم على يديه طلحة بن عبيد الله فأخذهما نوفل بن خويلد فشدهما فى حبل واحد حتى سمي أبو بكر وطلحة القرينين.[3] وذات يوم قام أبو بكر فى الناس خطيبا يدعو إلى الإسلام فثاروا عليه وضربوه حتى أوقعوه على الأرض فلم يفق إلا آخر النهار فهو أول خطيب فى الإسلام.[4]

ثم لما اشتد على أبي بكرﷺ إيذاء المشركين خرج يهاجر إلى الحبشة فلقيه ابن الدغنة سيد القارة.[5] فأجاره على قريش وقال له: 'مثلك لا يخرج ولا يخرج

---

(١) راجع السيرة الحلبية (ج١ ص٢٨٥).

(٢) راجع صحيح البخاري (٤٩٧١/١١١/٦٥-٤٩٧٣).

(٣) دلائل النبوة (ج٢ ص١٦٦).

(٤) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٦-٣٧).

(٥) وابن الدغنة: بضمتين وتشديد النون أو بفتح فكسر وتخفيف النون؛ وهو سيد القارة وهي بتخفيف الراء قبيلة مشهورة من بني الهون (فتح الباري: ج٧ ص٢٣٣). والقَارَةُ لقب أبي القبيلة، واسمه أُثَيْعُ بن مُلَيحِ بن الْهُون بن خُزَيْمة (فتح البارى ج٩ ص٢٥)

إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق' وقد أجازت قريش جواره على أن لا يستعلن بصلاته وقراءته. فلبث على ذلك أياما. ثم اتخذ مسجدا بفناء داره يصلي فيه ويقرأ القرآن.كان رقيق القلب بَكَّاءً من خشية الله. فجعل نساء المشركين وصبياهم يسقطون إليه ويعجبون منه فشكاه قريش إلى ابن الدغنة. فرد عليه أبو بكر جواره راضيا بجوار الله.(١)

٢) جهر عبد الله بن مسعودﷺ بسورة الرحمن عند الكعبة فجعلت قريش يضربونه حتى أثروا فى وجهه. فهو أول من جهر بالقرآن.(٢)

٣) عُذِّب آل ياسر وهم عمار وأبوه ياسر وأمه سمية. عذبوا حيث أسلموا بحر الرمضاء(٣) فمر بهم النبيّ ﷺ فقال: صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة. فأما سمية فطعنها أبو جهل فى فرجها بحربة فماتت. فهي أول شهيد فى الإسلام. وأما ياسر فألبسه أبو جهل دروعا من حديد فى يوم صائف فمات فى العذاب. وأما عمار فشدّدوا العذاب عليه حتى تلفظ من شدة العذاب بكلمة الكفر فتركوه. فأتى رسول اللهﷺ باكيا فأنزل الله تعالى فى حقه 'إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان'.(٤)

٤) لما أسلم بلال بن رباح الحبشي ألقاه سيده أمية بن خلف فى الرمضاء وقت الظهيرة ثم وضع على صدره صخرة عظيمة وهو يقول: لا تزال تعذب هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وبلال يقول: أحد، أحد. فلم يزل بلال يعذب حتى اشتراه أبو بكرﷺ من أمية بغلامه فأعتقه.(٥)

٥) لما أسلم عثمان بن عفان ﷺعلم بإسلامه عمه الحكم بن أبي العاص فأوثقه رباطا وقال: ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ فقال: والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه. فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه.(٦)

---

(١) راجع صحيح البخاري:كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبيﷺ (٣٩٠٥/٤٥/٦٣).
(٢) ابن هشام (ج١ ص٣٣٦-٣٣٧).
(٣) كان ياسر حليفا لبنى مخزوم فعذبهم بنو مخزوم.
(٤) الكامل لابن الأثير (ج٢ ص٤٥) ودلائل النبوة للبيهقى (ج٢ ص٢٨٢).
(٥) راجع الكامل (ج٢ ص٤٦).
(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطيّ (ص١٥٠)

٦) وعذبت زنّيرة حتى عميت،[١] وخالد بن سعيد بالضرب ومنع القوت،[٢] وخبّاب بن الأرت بالرمضاء وبالرضف،[٣] وأبو فكيهة بالجرّ فى الرمضاء والخنق،[٤] ومُصْعب بن عمير بالحبس،[٥] والزبير بن العوام بالحبس والدخان.[٦] رضي الله عنهم أجمعين. فقاسى المسلمون أمثال هذه الآلام وثبتوا بلا قلق على دين الإسلام.

إسلام أبي ذر رضي الله عنه

بلغ أبا ذر الغفاري رضي الله عنه مبعث رسول الله ﷺ؛ فأرسل إليه أخاه (أنَيْسا): ليأتيه بخبره. فلما عاد قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ويقول كلاما ما هو بالشعر . فقال أبو ذر: ما شفيتنى مما أردت. ثم تزود حتى قدم مكة. فالتمس النبيّ ﷺ وهو لا يعرفه، وكره أن يسأل عنه. فاستضافه على بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاث ليال حيث رآه غريبا. ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء. ففي اليوم الثالث سأله على: ما الذى أقدمك هذا البلد؟ فأخبره بمرامه بعد ما أخذ الميثاق منه على إرشاده. فقال عليّ رضي الله عنه: فإنه حق؛ وهو رسول الله ﷺ. فإذا أصبحت فاتبعني. فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك، قمت كأني أريق الماء.[٧] فانطلق يقفوه حتى دخل على النبيّ ﷺ فسمع من قوله. وأسلم مكانه.

فقال له النبيّ ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري. فقال: 'والذي نفسي بيده، لأصرخن بها[٨] بين ظهرانيهم'. فخرج حتى أتى المسجد[٩] فنادى بأعلى صوته: 'أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله'. فثار القوم فضربوه حتى أضجعوه. فأكب العباس عليه فقال: 'ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفار؛ وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم' فأنقذه منهم. ثم عاد أبو ذر من الغد بمثلها. فوقع كل ما وقع بالأمس.[١٠] ولما انصرف إلى أخيه أنيس أسلم ثم أسلمت

---

(١) دلائل البيهقى (ج٢ ص٢٨٣).
(٢) دلائل البيهقى (ج٢ ص١٧٣).
(٣) الكامل لابن الأثير (ج٢ ص٤٦). والرضف: جمع رضفة، وهي الحجارة المحماة بالنار.
(٤) الكامل (ج٢ ص٤٦).
(٥) أسد الغابة (ج٤ ص٣٨٧).
(٦) شرح المواهب (ج١ ص٤٥٧).
(٧) يعنى البول.
(٨) أي بكلمة التوحيد.
(٩) أي المسجد الحرام.
(١٠) راجع حديث ابن عباس فى صحيح البخاري (٣٨٦١/٣٣/٦٣) وفى صحيح

أمهما. ثم لم يزل يدعو قومه حتى أسلم نصفهم ثم أسلم باقيهم بعد مقدمه ﷺ المدينة.[1]

إسلام ضماد الأزدي رضي الله عنه

قدم ضماد الأزدي[2] مكة. وكان يرقي من الريح.[3] فسمع ضماد سفهاء مكة يقولون: إن محمدا مجنون. فقال: 'آتي هذا الرجل، لعل الله أن يشفيه على يدي'. فلما أتى رسول الله ﷺ قال: 'إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله؛ أما بعد'. فقال ضماد: 'أعِدْ على كلماتك هؤلاء'. فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات. فقال: والله، لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء؛ فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات؛ ولقد بلغن قاموس البحر[4] فهلم يدك أبايعك على الإسلام.[5]

إسلام خالد بن سعيد رضي الله عنه

رأى خالد بن سعيد رضي الله عنه فى المنام نفسه على شفير النار. فكأن أباه يدفعه فيها ورسول الله ﷺ يأخذ بحِقَوَيه حتى لايقع فيها. فذكر ذلك لأبي بكر رضي الله عنه. فقال: أريدَ بك خير. هذا رسول الله ﷺ فاتبعه والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها. فلقي رسول الله ﷺ بأجياد. فقال: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله؛ وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ولا يدرى مَن عبَده ممن لا يعبده. فتشهد وأسلم. فلما علم أبوه بإسلامه أنّبه وضربه بمقرعة حتى كسرها على رأسه. وقال والله لأمنعنك القوت. فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به.[6]

مسلم(٤٤/٢٨/١٣٣[٢٤٧٤].

(١) راجع آخر حديث عبد الله بن الصامت الطويل فى صحيح مسلم (٤٤/٢٨/١٣٢[٢٤٧٣]).

(٢) ضماد: (بكسر الضاد) هو من أزد شنوءة.

(٣) الريح: الجنون ومس الجن. (شرح مسلم: ج٣ ص٤٢٤).

(٤) قاموس البحر: لجته وقعره الأقصى.

(٥) راجع صحيح مسلم (٧/١٣/٤٦[٨٦٨]).

(٦) دلائل البيهقى (ج٢ ص١٧٢-١٧٣) والبداية والنهاية (ج٣ ص٣٩).

العراقيل فى مسير الدعوة

١. موقف أبى طالب

٢. سفارة عتبة

٣. تشاور قريش فى موسم الحج

٤. الهجرة الأولى إلى الحبشة

٥. الهجرة الثانية إلى الحبشة

٦. إسلام حمزة رضي الله عنه

٧. إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

٨. صحيفة المقاطعة

موقف أبي طالب

فلما بادى[1] رسول الله ﷺ قومه بالإسلام لم يبعدوا عنه ولم يردوا عليه حـ
ذكر آلهتهم وعاب أوثانهم. فأجمعوا خلافه وعداوته إلا مـــن عصـــمهم الله تعـا
بالإسلام. ولكن عمه أبا طالب، مع كونه على دين قومه، حدِب[2] على رسول ا
ﷺ وقام دونه. فمشى إليه رجال من أشراف قريش فقالوا: يا أبا طالب، إن ابـ
أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلل آباءنا؛ فإما أن تكفه عنـ
وإما أن تخلي بينه وبيننا. فقال لهم قولا رفيقا؛ وردهم ردا جميلا.[3]

ثم لم يروا إلا تقدم دعوة الإسلام وتفوّق كلمة التوحيد. فازداد مقتهم كـ
وقت حتى مشوا إلى أبي طالب مرة ثانية. فقالوا: يا أبا طالب، إن لك سنا وشـر
ومنْزلة فينا؛ وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنا. وإنـا والله، لا نصـ
على هذا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. فعظـ
على أبي طالب فراق قومه. ولكنه لم يخذل ابن أخيه بل بعث إليه. فقال له: 'يا ا
أخى إن قومك قالوا كذا وكذا. فأبقِ عليّ و على نفسك؛ ولا تحملنى من الأمر
لا أطيق'.

فأجابه رسول الله ﷺ بمقالته الشهيرة الخالدة: 'يا عم، والله، لـو وضـع
الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمـر حـتى يظهـره ا
أوأهلَك فيه ما تركته'. ثم ولّى باكيا مستعبرا[4]. فدعاه أبو طالب حتى أقبل. فقا
له: 'اذهب يا ابن أخى، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيئ أبدا'.[5] فحينمـ
عرفت قريش أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ مشوا إليـه بعمـارة بـ

---

(١) بادى به: جاهر به.

(٢) حدِب عليه: عطف ورق عليه ومنعه من العدو.

(٣) ابن هشام (ج١ ص٢٧٥-٢٧٧).

(٤) مستعبرا: سائل العبرات من العينين. والعبرات: الدموع.

(٥) راجع ابن هشام (ج١ ص٢٧٨).

الوليد.[1] فقالوا: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنْهَد فتى فى قريش وأجمله. فاتخذه ولدا لك؛ وأسلم إلينا ابن أخيك. فإنما هو رجل برجل. قال: والله، لبئس ما تسومونى[2]. أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبدا.[3] ثم دعا أبو طالب بنى عبد مناف إلى منع ابن أخيه الأمين من كل عدو. فأجابه منهم بنو هاشم وبنو المطلب. وانحاز أبو لهب الهاشميّ وبنو عبد شمس وبنو نوفل إلى حزب قريش.[4] حتى قال أبو طالب فيما أنشد حزينا فى هذا الأمر:

أخُصّ خصوصا عبد شمس ونوفلا   هما نبذانا مثل ما يُنبذ الجمر.[5]

سِفارة عُتُبة

ازداد المسلمون كل يوم قوة وعدة. فضاقت قريش بذلك ذرعا. فرجوا أن يتخلصوا من النبيّ ﷺ بإرضاء مطامعه. كأنهم جهلوا أو تجاهلوا وكأنهم نسوا أو تناسوا أنه ليس برجل يمشى من وراء المطامع الدنيوية والمطالب الشهوية. فأوفدوا إليه عتبة بن ربيعة ليعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها. فقال له رسول الله ﷺ. قل، يا أبا الوليد، أسمع. قال: يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا؛ وإن كنت إنما تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك؛ وإن كنت تريد به مُلكا ملكناك علينا؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًا[6] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه؛ فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.

---

(١) ابن المغيرة.

(٢) تسومونى: تكلفوني. وأَنْهَدُ : أحْسَنُ

(٣) راجع ابن هشام (ج١ ص٢٧٩).

(٤) راجع السيرة الحلبية (ج١ ص٣٣٧).

(٥) راجع ابن هشام (ج١ ص٢٨٠).

(٦) رئيا: جِنيا. وهو المراد بالتابع الآتي.

حتى إذا فرغ عتبة قال رسول الله ﷺ: 'فاستمع منى'. ثم جعل يتلو عليه من القرآن سورة فصلت: ﴿ حمٓ ۝١ ﴾ ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾ ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ ﴾. فألقى عتبة يديه خلف ظهره فاعتمد عليهما ينصت إلى القرآن. حتى إذا انتهى رسول الله ﷺ إلى قوله تعالى: 'ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر؛ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر؛ واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون' سجد ﷺ. ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك.

انصرف عتبة إلى أصحابه مأخوذا بما فى هذا الكلام من الطلاوة[1] والحلاوة. فقال لهم: 'إنى سمعت قولا، والله ما سمعت مثله قط؛ والله، ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة؛ يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بى، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه؛ فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم. فإن تصبه العرب فقد كُفيتُموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس'. قالوا: سحرك، والله، يا أبا الوليد بلسانه. قال عتبة: هذا رَأْيِى، فاصنعوا ما بدا لكم.[2]

تشاور قريش فى موسم الحج

لما حضر موسم الحج أشار الوليد بن المغيرة على أشراف قريش أن يجمعوا فى أمره ﷺ رأيا واحدا يقدمونه إلى من يفد مكة من وفود العرب. وكان الوليد ذا سن فى قريش. فقالوا: نقول كاهن. قال: لا، والله ما هو بكاهن؛ لقد رأينا الكهان. قالوا: نقول مجنون. قال: ما هو بمجنون؛ لقد رأينا الجنون. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر؛ لقد عرفنا الشعر كله. قالوا فنقول: ساحر. قال: ما هو

---

(١) الطلاوة (بتثليث الطاء): الحسن والبهجة.

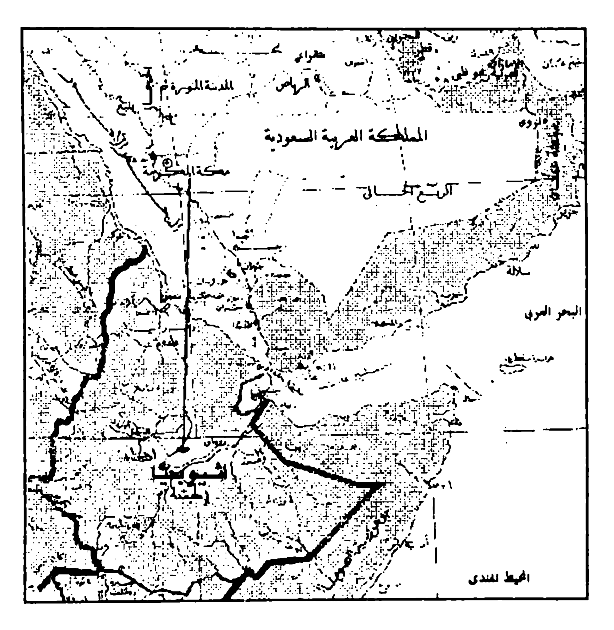
(٢) راجع ابن هشام (ج١ ص٣١٣،٣١٤) والبداية والنهاية (ج٣ ص٧٥،٧٦).

بساحر؛ لقد رأينا السُحّار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم.[١]

قالوا: فما نقول؟ قال: 'والله، إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق[٢] وإن فرعه لجناة[٣] وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر؛ جاء بقول يفرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته'. فأجمعوا على هذا الرأي. وتفرقوا فجلسوا فى سبيل الحجاج يحذرونهم من 'هذا الساحر'. فاشتهر بذلك أمره فى القبائل وانتشر بذلك ذكره فى البلاد.[٤]

الهجرة الأولى إلى الحبشة

(رجب، سنة خمس من النبوة)



---

(١) الساحر يعقد فى الخيط وينفث فيه. ومن ذلك قوله تعالى 'ومن شر النفاثات فى العقد'.

(٢) العذق: النخلة.

(٣) الجناة: ثمر يجنى.

(٤) راجع ابن هشام (ج١ ص٢٨٣-٢٨٦).

كان رسول الله ﷺ فى منعة من عدوه، بحماية عمه ورهطه[1] ولكنه ﷺ لم يستطع أن يدفع عن أصحابه ما تفاقمت[2] عليهم من الفتنة. فقال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة[3] فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد؛ وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه. فهاجر إليها عشرة رجال وأربع نسوة فى رجب سنة خمس من البعثة. فكان أول هجرة فى الإسلام.[4]

أما الرجال فهم عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وأبو حذيفة بن عتبة، ومصعب بن عمير، وأبو سلمة بن عبد الأسود، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وسهيل بن بيضاء، وأبو سبرة بن أبي رهم رضي الله عنهم أجمعين. وأما النسوة فهن رقية بنت رسول الله ﷺ زوج عثمان بن عفان، وسهلة بنت سهل امرأة أبي حذيفة، وأم سلمة امرأة أبي سلمة، وليلى بنت أبي حثمة امرأة عامر بن ربيعة رضي الله عنهن أجمعين.[5] خرجوا من مكة متسللين، منهم الراكب ومنهم الماشى حتى انتهوا إلى البحر. فظفروا، بحمد الله، بسفينتين للتجار، حملوهم فيهما بنصف دينار، فلما وصلوا إلى أرض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار.[6] وكان أميرهم عثمان بن مظعون رضي الله عنه.[7]

الهجرة الثانية إلى الحبشة

(سنة خمس من البعثة)

لم يمض على هجرة المسلمين إلا ثلاثة أشهر حتى بلغهم بالحبشة أن أهل مكة

---

(١) وهم بنو هاشم وبنو المطلب غير أبي لهب من بنى هاشم. والرَّهْطُ: القوم والقبيلة.

(٢) تفاقمت: عظمت واشتدّت

(٣) الحبشة: (Abyssinia) أوأثيوبيا (Ethiopia) بلاد فى الشرق الشمالى من أفريقيا؛ فى الجنوب الغربي من البحر الأحمر، بالجانب الغربي من بلاد اليمن. وكان ملكهم يسمى بالنجاشي.

(٤) ابن هشام (ج١ ص٣٤٣) وابن الأثير (ج٢ ص٥١-٥٢) وفتح الباري (ج٧ ص١٨٨).

(٥) فتح الباري (ج٧ ص١٨٨-١٨٩).

(٦) السيرة الحلبية (ج١ ص٣٢٤).

(٧) ابن هشام (ج١ ص٣٤٥).

قد أسلموا. فأقبلوا إلى مكة فى شوال سنة خمس من البعثة. حتى إذا دنوا من مكة تبين لهم أن الخبر باطل. فلم يستطع أحد منهم أن يدخل مكة إلا بجوار أو مستخفيا.[١] فلم تأت الأيام إلا بتفاقم الفتنة وتضاعف المحنة حتى ضاقت أرض مكة على المسلمين. فهاجر معظمهم إلى الحبشة- الهجرة الثانية – ثلاثة وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة.[٢]وكان أميرهم جعفر بن أبى طالبﷺ.[٣]

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول اللهﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا[٤] أرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا للنجاشي، سفيرين إليه، ليردهم الملك إلى قريش حتى يفتنوهم فى دينهم، كما حملا هدايا إلى بطارقته[٥] ليشفعوا لهم. ولكنه لم يكترث بسفارة هؤلاء ولا بشفاعة أولئك؛ بل بعث إلى أصحاب رسول الله ﷺ. فقال جعفر بن أبي طالب ﷺ: أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيِءُ الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيفَ.

ثم قال جعفر: فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان؛ وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم[٦] والدماء؛ ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة؛ وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا؛ وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فصدقناه وآمنا به. فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث. فلما قهرونا وظلمونا خرجنا إلى بلادك ورغبنا فى جوارك

---

(١) ابن هشام (ج١ ص ٣٨٨).
(٢) راجع فتح الباري (ج٧ ص١٨٩) والمواهب اللدنية (ج١ ص٢٥٩).
(٣) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٠٨) وابن هشام (ج١ ص٣٥٨).
(٤) القرار: الاستقرار والثبات
(٥) البطارقة هم خواص الدولة، وهو جمع بطريق ويطلق البطريق أيضا على القائد الروميّ.
(٦) المحارم: جمع محرمة: ما لا يحل انتهاكه أي المُقَدَّس

ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: 'هل معك مما جاء به من شيء؟' فقرأ عليه جعفر صدرا من سورة مريم. فبكى النجاشي وبكت أساقفته[١] وقال النجاشي: 'إن هذا والذي جاء به عيسى لَيَخْرُجُ من مشكاة[٢] واحدة. انطلقا، فلا، والله، لا أسلمهم إليكما'. ورد عليهما هداياهما. فرجعا إلى مكة خائبين.[٣] وأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي بأحسن جوار. فلما سمعوا بمُهاجَر[٤] رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا، وثماني نسوة.[٥] فلما كان شهر ربيع الأول سنة سبع من هجرة النبيّ ﷺ كتب إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام ويطلبه أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ﷺ. فحملهم النجاشي فى سفينتين حتى وصلوا إليه ﷺ حين فتح خيبر.[٦] وكان فيهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وأصحابه. كانوا قد خرجوا من اليمن حينما بلغهم مخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، يريدون المدينة. فألقتهم السفينة إلى النجاشي بأرض الحبشة، فأقاموا بها مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قدموا جميعا إلى النبيّ ﷺ بخيبر.[٧]

---

(١) الأساقفة جمع أُسْقُفّ: حبر نصراني فوق القسّيس ودون المطران **Bishop**.

(٢) المشكاة : المصباح أو موضع المصباح **Niche**

(٣) راجع ابن هشام (ج١ص٣٥٦-٣٦١) والسيرة الحلبية (ج١ ص٣٣٨-٣٤١). واختلف المؤرخون لاختلاف الروايات فى أن وفادة عمرو بن العاص وصاحبه إلى النجاشي هل كانت عقب الهجرة الاولى أو بعد الثانية ؟ والأوجه أنها كانت بعد الثانية فإن خطيبهم أمام النجاشي كان هو جعفر بن أبي طالب وهو لم يكن فى الرحيل الأول؛ وإنما كانت هجرته فى ما بعد. ومن المؤرخين من جعل الهجرة إلى الحبشة هجرة واحدة. فتوالى المهاجرون حتى صاروا ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة .

(٤) مهاجر: بمعني الهجرة.

(٥) فمات منهم رجلان بمكة، وحبس بمكة سبعة نفر، وشهد بدرا منهم أربعة وعشرون رجلا (طبقات ابن سعد: ج١ ص٢٠٧).

(٦) راجع المصدر المذكور.

(٧) راجع صحيح البخاري (٣٨٧٦/٣٧/٦٣) مع فتح الباري (ج٧ ص١٨٩) وكان الأشعريون،

إسلام حمزة رضي الله عنه

(سنة ست من النبوة)

مر أبو جهل ذات يوم برسول اللهﷺ عند الصفا فآذاه أذى شديدا وسبه سبا قبيحا. وبلغ ذلك عَمَّهُ حمزةَ بن عبد المطلب وكان حمزة أعز فتيان قريش وأشدهم شكيمة[1]. فأسرع مغضبا إلى أبي جهل وهو جالس فى القوم فى الحرم. فعلا رأسه[2] بقوسه حتى شجه شجة منكرة. ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه؟ ديني دين محمد إن كنتم صادقين فامنعوني. ثم أنشد:

حمدت الله حين هدى فؤادى إلى الإسلام والدين الحنيف

فعز بإسلامه رسول الله ﷺ وكفّت عنه قريش قليلا. وكان إسلام حمزةﷺ سنة ست من النبوة.[3]

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(سنة ست من النبوة)

بعد إسلام حمزةﷺ بثلاثة أيام، كان إسلام عمر بن الخطابﷺ. وذلك أن عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام كانا من أشجع شجعان مكة. فرغب رسول اللهﷺ أن يعتزّ المسلمون بأحدهما حتى يدافع عنهم أذى المشركين. فدعا الله: 'اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك - عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام' وكان أحبهما إليه عمر، فاستجاب الله دعوته فى حقه.

كان عمر ﷺمن أشد الناس على رسول اللهﷺ. فخرج ذات يوم متقلدا سيفه يريد قتله. فلقيه فى الطريق نُعيم بن عبد الله. فقال له: أفلا أدلك على

أصحاب أبي موسى بضعا وخمسين رجلا.(دلائل البيهقى: ج٢ ص٣٠٠).

(١) الشكيمة: الأنفة أو الانتصار من الظلم.

(٢) علا رأسه بقوسه: ضربه به. والشجة: الجراحة فى الرأس. والمنكرة: القبيحة والفظيعة.

(٣) راجع ابن هشام (ج١ ص٣١٢، ٣١٣)والمواهب مع شرح الزرقاني (ج١ ص٤٧٧، ٤٧٨).

العجب: أن ختنك[1] سعيد بن زيد وأختك فاطمة بنت الخطاب قد أسلما. فأسرع مغضبا إليهما، حتى قرع الباب. وعندهما خباب بن الأرت. وكانوا يقرؤون القرآن.

اختفى خباب فى البيت. وأخفت فاطمة صحيفة القرآن ثم تقدمت ففتحت الباب. فلما دخل عمر سأل عن صوت سمعه. فقالا: إنه حديث تحدثوا به فيما بينهم. فقال: 'فلعلكما قد صبئتما ووطئ سعيدا وطأ شديدا. فقامت إليه فاطمة تدفعه عن زوجها. فضربها عمر ودمّى وجهها. فقالا مغضبين: 'نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك'

ندم عمر على ما صنع، لما رأى دم أخته وصلابتها فى الإسلام. قال: أروني هذا الكتاب. قالت: لا يمسه إلا المطهرون. فذهب واغتسل ثم تناول الصحيفة. فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم، طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى؛ إلى قوله له الأسماء الحسني.

فلما قرأها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فخرج إليه خباب وبشره بدعوة النبيّ ﷺ وهداه إلى رسول الله ﷺ. وكان مختفيا مع أصحابه فى دار الأرقم. فلما قرع الباب لم يجترئ أحد أن يفتح الباب حتى قال رسول الله ﷺ: افتحوا له. فأخذ رجلان بعضديه حتى أتيا به النبيّ ﷺ. فقال: 'خلّوا عنه' وجذبه إليه بمجامع قميصه وحمائل[2] سيفه. ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب. فتشهد عمر. فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة.

ثم سأل عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ: ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: ففيم الإخفاء؟ فخرجوا صفين، عمر فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلوا المسجد الحرام. فلما رآهما قريش أصابتهم كآبة شديدة. فسماه رسول الله ﷺ الفاروق

---

(١) الختن هنا زوج الأخت, ويقال أيضا لزوج الابنة.

(٢) الحمائل: جمع حمالة، وهي علاقة السيف.

حيث فرق بين الحق والباطل فأظهر الإسلام. وكان إسلامه فى ذى الحجة سنة ست من النبوة. وبإسلامه عز المسلمون فى أنفسهم حتى استطاعوا أن يصلوا عند البيت الحرام نهارا وجهارا.[1]

صحيفة المقاطعة

(محرم، سنة سبع من البعثة)

هاجر من هاجر من المسلمين إلى الحبشة. فوجدوا بها أمنا وقـــرارا واعتـــز الباقون بمكة بإسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما. فقد كانا من أبطالهم وأشبالهم[2]. والنبيّ ﷺ مثابر على دعوته. وعمه أبو طالب متحمس على حمايته، وبنو هاشم وبنو المطلب كلاهما متفق على وجهته[3] حتى أدخلوا بأمره رسول الله ﷺ فى شـــعب[4] أبى طالب يمنعونه من قريش. فاجتمعت قريش وائتمروا على منابذة بني هاشم وبني المطلب جميعا. فتعاهدوا على أن لا يناكحوهم ولا يبـــايعوهم ولا يجالســـوهم ولا يصالحوهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل والإعدام. وكتبوا بذلك صـــحيفة ثم علقوها فى جوف الكعبة.[5]

كان تَقَاسُمُ قريش على هذه المقاطعة أول يوم من المحرم ســـنة ســـبع مـــن

---

(١) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٧ ،٣٨ و ج٣ ص٩٢-٩٥) وابن هشام (ج١ ص٣٦٤-٣٦٨) وشرح المواهب (ج٢ ص٣-١١).

(٢) الأبطال والأشبال: جمع بطل وشبل.والبطل: الشجاع؛ والشبل: ولد الأسد.والمقاطعة:Boycott

(٣) على وجهته: على رأيه وقصده. والمتحمس: المتحرص والمتشدّد.

(٤) شعب أبى طالب بكسر الشين.

(٥) السيرة الحلبية (ج١ ص٣٣٧) والبداية والنهاية (ج٣ ص٩٨-١٠١) ودلائل البيهقـــى (ج٢ ص٣١١) وابن هشام (ج١ ص٣٧٢) والمواهب اللدنية (ج١ ص٢٤٧) وطبقات ابن سعد(ج١ ص٢٠٨).

البعثة.[١] فحُصِرَ بالشعب بنو هاشم وبنو المطلب جميعا[٢] إلا اللعين أبا لهب. فكان مع قريش وأما سائر المؤمنين[٣] فكانوا قد ذهبوا كلهم إلى الحبشة[٤] ومكث أهل الشعب بالشعب طيلة ثلاث سنين حتى جُهدوا واشتد عليهم البلاء حيث منعوهم الطعام وقطعوا عنهم الأسواق.[٥] فكان لا يصل إليهم شيء إلا سرا. فلقي أبو جهل ذات يوم حكيم بن حزام يذهب بطعام إلى عمته خديجة رضي الله عنها بالشعب فمنعه عن ذلك.[٦] وكانوا من شدة الجهد يأكلون ورق الشجر.[٧] وكان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من الجوع من وراء الشعب حتى كره عامة قريش هذه الصحيفة. فقام خمسة من أشراف قريش فنقضوا هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فوجدوا الأرضة قد أكلتها إلا 'باسمك اللهم'.[٨] وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده.[٩] وكان نقض الصحيفة فى السنة العاشرة من البعثة.[١٠]

---

(١) فتح الباري (ج٧ ص١٩٢) وكان سنه ﷺ وقتئذ ستة وأربعين سنة. (السيرة الحلبية: ج١ ص٣٣٧).

(٢) مؤمنهم و كافرهم فيه سواء فالمؤمن لدينه والكافر لحميته إلا المؤمنين منهم الذين هاجروا إلى الحبشة مع سائر المؤمنين.

(٣) أي من غير بني هاشم والمطلب.

(٤) شرح المواهب(ج٢ ص١٤).

(٥) راجع دلائل البيهقى (ج٢ ص٣١٢).

(٦) راجع ابن هشام (ج١ ص٣٧٥، ٣٧٦).

(٧) السيرة الحلبية (ج١ ص٣٣٧). والجَهْدُ: المشقة.

(٨) راجع دلائل البيهقى (ج٢ ص٣١٥) وابن هشام (ج١ ص٣٩٩).

(٩) ابن هشام (ج١ ص٣٧٢، ٣٩٩).

(١٠) المواهب اللدنية (ج١ ص٢٦١) وفتح الباري (ج٧ ص١٩٢). واختلف المورخون كما اختلفت الروايات فى أن خروج بني هاشم وبني المطلب إلى الشعب هل كان بإخراج قريش أو كانوا قد خرجوا بالنبيّ ﷺ إلى الشعب خوف القتل عليه. فعلى الأول كانت الهجرة الثانية بعد دخولهم الشعب وعلى الثاني كانت كالأولى قبل دخولهم الشعب. ولكل وجه. ولكن الأوجه هو الثاني لأنه لا معني لإخراجهم هؤلاء الأشراف من مكة مع أن أبا طالب سيدهم ولأن دخول الشعب كان فى محرم سنة سبع والهجرة الأولى فى رجب سنة خمس ولم يقيموا بالحبشة إلا ثلاثة أشهر حتى رجعوا إلى مكة فى رمضان من هذه السنة وما كانت بيئة مكة تأذن للمسلمين أكثر من سنة من ذلك. فطالع واستزد فاستفد ولا تكن من القاصرين.

عام الحزن وهجرة الطائف

١. عام الحزن

٢. تفاقم المصائب

٣. طلب النصرة من ثقيف الطائف

٤. شهادة عداس

٥. وفادة الجن

٦. العودة إلى مكة

٧. أدوار التكذيب وأطوار التعذيب

٨. مواقف قريش

٩. التنفير والتحذير

١٠. اقتراح الآيات

عام الحزن

(سنة عشر من النبوة)

بعد ما خرج رسول الله ﷺ من الشعب قدم عليه وفد من نصارى نجـــرا
بلغهم خبره من الحبشة، وكانوا نحوا من عشرين رجلا . فلما سمعوا القرآن بكـ
وآمنوا بعد ما استوثقوا واستيقنوا أنه النبيّ المبشر فى كتابهم. فعاتبهم أبو جهـــل
نفر من قريش لاستعجالهم بالإيمان؛ وقد بعثهم قومهم ليأتوهم بخبر الرجل. فقـــا
لهم: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم. سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.[1]

وفى ثانى عشر رمضان، سنة عشر من البعثة توفي عمه أبو طالـــب، ثم بعـ
بثلاثة أيام توفيت زوجه السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. وذلـــك قبـ
الهجرة بثلاث سنين. وعمره ﷺ إذ ذاك تسع وأربعون سنة وستة أشهر.[2] فأورث
موقهما حزنا شديدا حتى سمّيﷺ هذا العام 'عام الحزن'.[3] فقد كانت خديجة ر
الله عنها أول أزواجه وأم أولاده إلا إبراهيم ﷺ، وأول الناس إسلاما. آمنت بـ
فأمنته ونصرته بالنفس والنفيس وكانت وزير صدق على الإسلام.[4] وأمـــا أبـ
طالب فهو مع كونه على دين قومه كان ظلا ظليلا له فى دعوة الإسلام. فقد ـ
يحبه من صميم قلبه؛[5] كما كان يمنعه من جميع عدوه حتى قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسّد فى التراب دفينا.[6]

---

(١) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٢ ص٣٠٦).

(٢) وهذا الذى ذكرناه، أن أبا طالب مات قبل خديجة بثلاثة أيام، هو المشهور الراجح الذى مشـ
عليه الحافظ ابن كـــثير (ج٣ ص١٤٢، ١٤٨) والعلامـــة الحلـــبي (ج١ ص٣٤٦) والعلامـ
القسطلاني فى مواهبه (ج١ ص٢٦٢ ،٢٦٦) والعلامـــة الزرقـــاني فى شـــرح المواهـــب (
ص٣٨،٤٨) والبيهقى فى دلائله (ج٢ ص٣٥٢) خلافا لابن الأثير فى كامله (ج٢ ص٦٣) ـ
جرى مجراه من قبله ومن بعده من أن خديجة ماتت قبل أبى طالب.

(٣) راجع المواهب (ج١ ص٢٦٦).

(٤) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٥).

(٥) ظليلا: شديدًا أودائما؛ من صميم قلبه: من أصل قلبه.

(٦) فتح الباري (ج٧ ص١٩٤).

تفاقم المصائب وتتابع المتاعب

إن رسول الله ﷺ تقدم بدعوته صابرا مثابرا؛ فكان يتبع الناس بنصيحته بشيرا ونذيرا، ليلا ونهارا، سرا وجهرا، فى مجامعهم ومحافلهم، ومواسمهم[١] ومنازلهم. فنصبت[٢] قريش له ولأصحابه كل عداوة، وأطلقوا عليهم كل فتنة. فكان من أشد الناس عداوة أبو لهب. فهذا رسول الله ﷺ يقوم فى سوق ذى المجاز. وهو يقول: 'أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا'؛ والناس مجتمعون عليه فيقول من وراءه أبو لهب 'إنه صابئ كاذب'؛ يتبعه حيث ذهب.[٣]

وبعد أبي طالب تفاقمت عليه ﷺ المصائب وتتابعت عليه المتاعب. فنالت منه سفهاء قريش ما لم ينالوا فى حياته حتى نثر بعضهم التراب على رأسه. فدخل بيته والتراب على رأسه، فجعلت إحدى بناته تغسله، وهي تبكى، عن رأسه.[٤] وطرح بعضهم الأذى فى برمته.[٥] وأقبل عقبة بن أبي مُعيط ورسول الله ﷺ يصلى عند البيت، فلوى ثوبه فى عنقه، فخنقه خنقا شديدا. فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبيه فدفعه عن رسول الله ﷺ. ثم قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم.[٦] وأقبل أبو جهل يطأ فى عنق رسول الله ﷺ، وهو فى صلاته، فَحِيلَ بينه وبين ذلك.[٧]

وبينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس، وثم سَلَى[٨] بعير نحرت بالأمس. فندب أبو جهل من يأخذ هذا السَلَى فيضعه على

---

(١) التفاقم: الاشتداد؛ المجامع والمحافل كلاهما المجلس والمجتمع؛ والمواسم: الأعياد أو أوقات اجتماعهم للحج والسوق

(٢) نصبت: أظهرت وأعلنت

(٣) رواه أحمد والبيهقى (البداية والنهاية: ج٣ ص٤٩).

(٤) البداية والنهاية (ج٣ ص١٥٥). نالت منه: أضرت به، وأساءت به.

(٥) البداية والنهاية (ج٣ ص١٥٦) والبرمة: قدر من حجارة.

(٦) صحيح البخاري (٣٦٧٨/٥/٦٢).

(٧) البداية والنهاية (ج٣ ص١٥٦).

(٨) السلَي: غشاء الجنين **Amnion** ، وهو للبهيمة بمنزلة المشيمة للإنسان. هو لفافة يكون فيها الولد فى بطن أمه وتخرج مع الولد عند الولادة. **Placenta**

كتف رسول الله ﷺ إذا سجد. فانتدب لذلك أشقى القوم: عقبة بن أبي معيط. فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض. والنبيّ ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فطرحته عنه. فلما قضى النبيّ ﷺ صلاته رفع رأسه ثم دعا عليهم ثلاثا، "اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد". فهؤلاء السبعة هلكوا جميعا بالخزي والهوان. فأبو جهل وعتبة وشيبة والوليد قتلوا ببدر، وألقوا فى القليب، وأمية قتل ببدر فانتفخ وتقطع فألقوا عليه التراب. وعقبة قتل صَبْرًا بأمره ﷺ عند مرجعهم من بدر، وعمارة هلك بأرض الحبشة طريدا وحيدا.[1]

طلب النصرة من ثقيف الطائف

(شوال، سنة عشر من البعثة[2])

لما رأى رسول الله ﷺ من قومه ما رأى بعد عمه خرج إلى ثقيف بالطائف يدعوهم إلى الإسلام ويلتمس منهم النصرة والمنعة حتى يؤدي رسالة رب العالمين.[3] فكلم فى ذلك سادتهم. وهم ثلاثة؛ عبد يَالِيل ومسعود وحبيب أبناء عمروبن عمير. فلم يؤمنوا ولم يُأَمِّنُوا بل سخروا منه واستهزئوا به. فطلب منهم رسول الله ﷺ

---

(١) وذلك أنه تعرض لامرأة النجاشي فأمر ساحرا فنفخ فى احليله من سحره عقوبة له. فصار مع البهائم متوحشا إلى أن هلك فى خلافة عمر رضي الله عنه. راجع صحيح البخاري ٢٤٠ مع فتح الباري ج١ ص٣٥٠-٣٥٣ وإرشاد الساري للقسطلاني ج١ ص٥٥٣ وصحيح مسلم ١٧٩٤ مع شرح النووي ج٦ ص٣٩٥, ومشكاة المصابيح ٥٨٤٧ مع شرح الطيبي ج١٢ ص٣٧٢٥. تنبيه: اعلم أن طرح سلَى الجزور والخنق به وعزم أبي جهل على وطئه وما أشبه ذلك من الإيذاء كان بعد وفاة أبي طالب (راجع البداية: ج٣ ص١٥٦، ١٥٧) ويدل عليه قوله ﷺ حين نثروا التراب على رأسه: ما نالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب.راجع المصدر المذكور (ج٣ ص١٥٥) وإن أفهم أو أوْهَم سياق بعضهم أن تلك الفتن كانت فى أوائل الدعوة.

(٢) طبقات ابن سعد (ج١ ص٢١١) وفتح الباري (ج٦ ص٣١٦) والمواهب اللدنية (ج١ص٢٦٧). وذكر ابن عقبة وابن إسحاق وغيرهما أنه ﷺ خرج إلى الطائف وحده ماشيا. وروى ابن سعد أنه كان معه زيد بن حارثة رضي الله عنه.

(٣) لأن ثقيف أقرب الناس إلى مكة ولأن أم هاشم بن عبد مناف عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف ولأن عند أحد سادتهم امرأة من قريش من جمح.

كتمان وفادته حتى لا تجترئ عليه قريش. ولكن القوم لم يفعلوا ذلك بل أغروا به سفهاءهم وغلمانهم يسبونه ويصيحون به ويرمونه حتى ألجئوه، وقد أدموه بالأحجار، إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة ثم انصرفوا راجعين.

جلس رسول الله ﷺ في ظل شجرة[1] يستريح مما أصابه من التعب والضرر. فدعا الله تعالى: اَللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَهَوَانِي على النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن؛ أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِين، وَأَنْتَ رَبي، إلى مَنْ تَكِلُني – إلى بَعِيدٍ يَتجَهَّمُني[2] أَمْ إلى عَدُوّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلاَ أُبَالى. وَلَكِنْ عَافِيَتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لى، أَعُوذُ بِنُور وَجْهِكَ الذى أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَة، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى[3] حتى تَرْضَي. وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بكَ !.[4]

شهادة عداس

(ذو القعدة، سنة عشر من البعثة[5])

كان صاحبا البستان – عتبة وشيبة – قد رأيا ما لقي رسول الله ﷺ من ثقيف. وكانا من أعدائه المشركين. ولكن غلبت منهما عواطف الرحم على عواطف الدين. فرقا له وعطفا عليه فأرسلا إليه غلامهما النصراني – عداسا – بعنب فى طَبَق. فأكل رسول الله ﷺ من هذه الهدية، بعد أن قال 'بسم الله' فأعجب الغلام هذا الكلام؛ فجرى بينهما حوار: –

عداس: والله، إن هذا الكلام ما[6] يقوله أهل هذه البلاد.

---

(١) حبلة عنب أو شجرة نخلة. وكانت هذه الشجرة فى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة.

(٢) يتجهّمني: يلقاني بغلظة.

(٣) العُتْبي: الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضى العاتب.

(٤) ابن هشام (ج٢ ص٢٨–٣٠) وابن كثير (ج٣ ص١٥٧، ١٥٨).

(٥) راجع ابن سعد (ج١ص٢١١، ٢١٢) فقد قال: إنه ﷺ خرج إلى الطائف فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة. ثم قال: 'إنه أقام بالطائف عشرة أيام' فلا بد أن يكون مخرجه من الطائف فى ذي القعدة.

(٦) ما: نافية لا موصولة.

النبيّ ﷺ: ومن أي أهل البلاد أنت، يا عداس؟ وما دينك؟

عداس : نصراني؛ وأنا رجل من أهل نينوى.[1]

النبيّ ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟

عداس : وما يدريك ما يونس بن مَتَى؟!

النبيّ ﷺ: ذاك أخي؛ كان نبيا وأنا نبيّ.

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه. ثم لما انصرف إلى سيديه قال لهما : يا سَيِّدَيَّ، ما فى الأرض شيء خير من هذا ؛ لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبيّ. قالا له: ويحك يا عداس! لا يصرفنك عن دينك؛ فإن دينك خير من دينه.[2]

وفادة الجن

(ذو القعدة، سنة عشر من البعثة)

لما بلغ رسول الله ﷺ عند منصرفه من الطائف، قرن الثعالب[3] ناداه جبريل فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداه ملك الجبال فسلم عليه ثم قال: يا محمد، ذلك فيما شئت؛ إن شِئت أن أطبق عليهم الأخشبين[4]. فقال النبيّ ﷺ: 'بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا'.[5]

---

(١) قرية بالموصل من العراق.
(٢) ابن هشام (ج٢ ص٣٠-٣١) وابن كثير (ج٣ ص١٥٨).
(٣) قرن الثعالب: موضع على يوم وليلة من مكة. ويقال له قرن المنازل. وهو ميقات أهل نجد. (فتح البارى: ج٦ ص٣١٦).
(٤) الأخشبان: هما جبلا مكة – أبو قبيس والذي يقابله.
(٥) راجع صحيح البخاري (٣٢٣١/٧/٥٩).

ولما بلغ نخلة[1] قام في جوف الليل يصلي. فمر به سبعة نفر من جن نصيبين[2]؛ فاستمعوا القرآن فآمنوا به ثم انصرفوا إلى أصحابهم منذرين.[3] قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[4]

ورسول الله ﷺ رسول الثقلين – الجن والإنس. فهو مرسل إلى الجن كما أنه مرسل إلى الإنس. وقد جاءه ﷺ وفودهم مرارا قبل الهجرة وبعدها قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج. ومنها هذا الاجتماع والاستماع.[5]

العودة إلى مكة

كان في شهادة عداس ووفادة الجن مسلاة عن مأساة[6] الطائف. ولكن ازدياد جراءة قريش أحوج رسول الله ﷺ إلى جوار شريف من أشرافهم. فلم يدخل ﷺ مكة حتى أجاره المطعم بن عديّ. فبات عنده ليلة. فلما أصبح خرج معه مطعم وبنوه متقلدي السيوف حتى طاف ﷺ البيت الحرام.[7] ونادى مطعم على راحلته: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدا فلا يَهجه أحد منكم.[8]

فلم يزل ﷺ يواصل دعوته بالصبر والثبات. فكان يوافي مواسم الحج يعرض

---

(١) موضع على ليلة من مكة.

(٢) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل من الموصل إلى الشام. من العرب من يجعله مفردا ممنوع الصرف ومنهم من يجريه مجرى الجمع. (شرح المواهب ج٢ ص٦٠)

(٣) البداية والنهاية (ج٣ ص١٥٩) والمواهب اللدنية (ج١ص٢٦٩) وتفسير القرطبي (ج١٦ص١٩٥).

(٤) الأحقاف: ٢٩

(٥) راجع فتح الباري(ج٧ ص١٧١) والمواهب (ج١ ص٢٦٩-٢٧١). وقد دلت الأحاديث على أن وفادة الجن كانت ست مرات. حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي(ج٨ ص٢٥٥).

(٦) المسلاة: ما يبعث على السُلُوّ، والسلوّ: الراحة وانكشاف الهم؛ والمأساة: ما يثير الأسيَ، والأسى: الحزن.

(٧) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص١٥٩).

(٨) طبقات ابن سعد (ج١ ص٢١٢).

نفسه على قبائل العرب[1] يدعوهم أن يعبدوا الله وحده ويسألهم أن يصدقوه ويحموه حتى يؤدى رسالة ربه. فمنهم من رده ردا جميلا كما أن منهم من رده ردا قبيحا. وشرط عليه بعض القبائل أن يجعل لهم الأمر من بعده. فقال رسول اللهﷺ: 'إن الملك لله يجعله حيث يشاء'. وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.[2]

أدوار التكذيب وأطوار التعذيب

مضت على البعثة اثنتا عشرة سنة. تتابعت فيها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. وفي هذه المدة نزلت ثلاث وثمانون سورة[3]؛ وهي معظم سور القرآن. دعت الناس إلى التوحيد ورفض الأوثان والإيمان بيوم الحساب والجزاء، كما دعتهم إلى العدل والإحسان، وإقامة الصلاة وصلة الأرحام. وهذه هي مبادئ سهلة رائعة. أرشدهم إليها رسول اللهﷺ بحجج باهرة لامعة. ولكن القوم جعلوا بينها وبينهم سدا من الأوهام. وعطلوا ما منحهم الله تعالى من الأحلام، إلا من وفقه وشرح صدره للإسلام.

فقريش مكة كذبوا وعذبوا - كذبوا رسول اللهﷺ وكتابه، وعذبوا نبيّ الله وأصحابه. فكان لتكذيبهم أدوار ولتعذيبهم أطوار. استخدموا فيها جميع ما قدروا من المكائد والحيل. وبذلوا فيها جميع ما ملكوا من الأنفس والنفائس. ولكن هذه المكائد والحيل كلها فى جميع أدوارها وأطوارها قد فشلت وأخفقت. ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ

---

(١) فعرض نفسه على بني عامر وغسان وبني فزارة وبني مرة وبني حنيفة وبني سليم وبني عبس وبني نضر بن هوازن وبني ثعلبة وكندة وكلب وبني الحارث بن كعب وبني عذرة وقيس وغيرهم. البداية والنهاية (ج٣ ص١٦٩).

(٢) ابن هشام (ج٢ ص٣١-٣٧) والبداية والنهاية (ج٣ ص١٦٠-١٦٩).

(٣) راجع تفسير الخازن (ج١ ص١٥).

أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

مواقف قريش

مواقف قريش في جميع أدوارها وأطوارها تَتَلَخَّص فيما يأتِي في هذه السطور:

١. بدأوا بالاستهزاء والازدراء ثم بادوا بالإضطهاد والإيذاء.

٢. رموا رسول الله ﷺ بالشعر والسحر والكهانة والتقول والجنون، وهم أعلم الناس بأنه ليس بشاعر ولا ساحر ولا كاهن ولا كاذب ولا مجنون بل هو أوفر الناس عقلا وأصدق الناس حديثا حتى سموه الأمين وحتى حكموه في أعظم مشكلاتهم عند وضع الحجر الأسود وحتى أودعوه أنفس ما عندهم من الودائع.

٣. نقصوا رسول الله ﷺ وعابوه: أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق مع قوله إنه رسول الله. قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾؛[2] ثم أجابهم الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[3]

٤. رموا القرآن بأنه كلام مخترع مفترى على الله. فتحداهم القرآن بأن يأتوا بكتاب مثله ثم تحدى بإتيان عشر سور مثله ثم بإتيان أقصر سورة من مثله. ثم أعلن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[4]

---

(١) سورة الصف: ٨، ٩

(٢) الفرقان: ٧

(٣) الفرقان : ٢٠

(٤) سورة الإسراء: ٨٨

٥. لما عجزوا عن معارضة القرآن منعوا الناس عن استماعه وأمروهم باللغو عند قرائته. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[١] فكانوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن يتفرقون عنه. ومن أراد أن يستمع شيئا من القرآن استرق السمع دونهم.[٢]

٦. طلبوا من أبي طالب أن يكف رسول الله ﷺ عن أعمال دعوته أو يسلمه إليهم ليقتلوه. فأبي خذلانه بل أمر رهطه بحمايته. فنابذهم قريش ليسلموه للقتل. ولكن هذه المقاطعة وإن طالت مدة ثلاث سنين، لَم تُجْدِهِم نفعا.

٧ . بعثوا إليه سفيرهم يعرض عليه أمورا من مطالب الدنيا لعله يقبل شيئا منها على أن ينتهي عن دينه ودعوته. ولكنه لم يقبل شيئا منها بل رد السفير كما تقدم معجبا مأخوذا ببلاغة القرآن.

٨. بعثوا إلى المدينة النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يطلبون من يهودها أسئلة يلزمون بها رسول الله ﷺ. فأمروهم أن يسألوه عن ثلاث – عن أصحاب الكهف، وعن ذى القرنين، وعن الروح. وقالوا: فإن أخبركم بهن فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل. فنزل عليه من القرآن ما هو جواب كاف عن أسئلتهم.[٣]

٩. قالوا: يا محمد، هلم؛ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد. فنشترك نحن وأنت فى الأمر. فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه. وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت أخذت بحظك منه. فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾

---

(١) فصلت: ٢٦

(٢) ابن هشام (ج١ ص٣٣٦).

(٣) ابن هشام (ج١ ص٣٢٠-٣٢٢).

﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ ﴾ ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ ﴾ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝ ﴾[1]

١٠. طلبوا من رسول الله ﷺ أن ينـزع من القرآن ما يغيظهم من الوعيد وذم الأوثان. فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾[2]

١١. طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد من مجلسه الفقراء والمساكين والمستضعفين مثل خبّاب وعمّار وصهيبﷺ وأمثالهم حتى يجالسوه ويستمعوا كلامه فطمع رسول الله ﷺ فى إسلامهم[3] فقال الله تعالى لرسوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ ﴾[4]

التنفير والتحذير

١٢. كانوا يُنَفِّرُون ويُحَذِّرُون كل من يقدم مكة[5] من رسول اللهﷺ، حتى إن الطفيل بن عمرو سيد دوس لما قدم مكة ما زال به أشراف قريش حتى حشا فى أذنيه قطنا فرقا[6] من أن يبلغه شيء من قولهﷺ. ولكن أبى الله إلا أن يسمعه بعض قوله. وكان رسول اللهﷺ يصلي عند الكعبة. فسمع منه صوتا حسنا دعاه إلى أن يرمي القطن من أذنيه ويقول فى نفسه: والله إنى لرجل لبيب شاعر؛ ما يَخْفي عَلَيَّ الحَسَنُ من القبيح. فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذى يأتِي به حسنا قبلته وإن قبيحا تركته.

---

(١) سورة الكافرون: ١-٦

(٢) سورة يونس: ١٥

(٣) راجع تفسير القرطبي (ج٦ ص٣٣٨) وابن هشام (ج١ ص٤٢٠).

(٤) الأنعام: ٥٢

(٥) للحج أو العمرة أو غير ذلك. التنفير: التبعيد؛ والتحذير: التخويف

(٦) فَرَقًا: خوفا

فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته تبعه الطفيل. حتى إذا دخل البيت عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليه القرآن. قال الطفيل رضي الله عنه: 'فـلا، والله، مـا سمعت قولا قط، أحسن منه ولا أمرا أعدل منه'. فأسلم وعاد إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام. ثم لما قدم عليه بعد الهجرة[١] وهو بخيبر كان معه ممن أسـلم مـن دوس سبعون أو ثمانون بيتا.[٢]

١٣. جلسوا فى الطرق فى مواسم الحج كما تقدم يحذرون القادمين من شتّى قبائل العرب فيقولون لهم: إن بمكة ساحرا يفرق بين الناس؛ فاحذروه. فما كان من ذلك إلاّ اشتهار ذكره فى البلاد.

اقتراح الآيات[٣]

١٤. كان رسول الله ﷺ رجلا ممتازا بخلقه وخلقه. وكان فى ولادته ونشأته ودأبه وأدبه آيات ظاهرة. بالإضافة إلى ما ظهر منه قبل النبوة وبعدها من خوارق عديدة علاوة وزيادة على أعظم معجزاته القرآن الكريم. ومع ما وجدوا كل ذلك سألوه انشقاق القمر آية لهم فأراهم رسول الله ﷺ هذه الآية الكبرى. فما كان منهم إلا أن قالوا: هذا سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ ابْنُ أبى كَبْشَةَ[٤]. قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾ (القمر: ١-٢) وقال العلامة الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى: 'وقد أجمع المسلمون على وقوع انشقاق القمر فى زمنه عليه الصلاة والسلام. وجائت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة'.[٥]

---

(١) وكان قدم عليه مرة بمكة فدعا رسول الله ﷺ لقومه بالهداية.
(٢) راجع ابن هشام (ج١ ص٤٠٧-٤٠٩) وابن كثير (ج٣ ص١١٥- ١١٧).
(٣) الاقتراح: السؤال بعنف من غير رويّة
(٤) أبو كبشة: زوج حليمة السعدية. فهو أبوه من الرضاعة . فكانوا إذا عابوه نسبوه إليه فيقولون: ابن أبى كبشة.
(٥) البداية والنهاية (ج٣ ص١٣٨).

ثم إنهم لم يقفوا بهذا الحد من العناد بل جاوزوه. فجعلوا يقترحون منه آيات تعصبا وتعنتا وظلما وعدوانا. وقد حكى الله تعالى منهم هذا الاقتراح منوها بمدى عنادهم:[1] ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ ﴾ ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾. (سورة الإسراء: ٩٠-٩٣)

وكان من المعلوم أنهم ما سألوه هذه الآيات إقامة للحجة ولا إزاحة للشبهة، فقد رأوا من الآيات والخوارق ما يكفيهم لو كانوا يؤمنون، بل تعصبا وتعنتا وعنادا. ومن أدل الدلائل على ذلك ما يأتي:

(١) هم الذين قالوا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾. (الأنفال: ٣٢)

(٢) إنهم لما رأوا انشقاق القمر قالوا: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة فقال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾. (القمر: ٢)

(٣) قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي[2] لرسول الله ﷺ: فوالله، لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترتقي فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك. وأيم الله إن لو فعلت ذلك ما ظننت إني أصدقك.[3]

---

(١) مُنَوِّهًا بمدى عنادهم: مُشِيدا بغاية عنادهم أي مشهّرًا بها ومعرّفا بها

(٢) هو ابن عمته ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب. أسلم هو وأبو سفيان بن الحارث عام الفتح. لقيا رسول الله ﷺ فى طريقه إلى مكة وشهد عبد الله ﷺ مسلما فتح مكة وحنينا والطائف وقتل بسهم أصابه بالطائف. راجع أسد الغابة (ج٣ ص٧١، ٧٢).

(٣) ابن هشام (ج١ ص٣١٨).

(٤) رأسهم أبو جهل قد أفصح يوما بمدى حسده الذى قد صده عن الإيمان حيث قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا. حتى إذا تجاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبيّ يأتيه الوحي من السماء. فمتى ندرك مثل هذه؟ والله، لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه.[1]

---

(١) ابن هشام (ج١ ص٣٣٨). تجاذينا: أقعينا وجثونا.

ضيافة فى عالم الملكوت

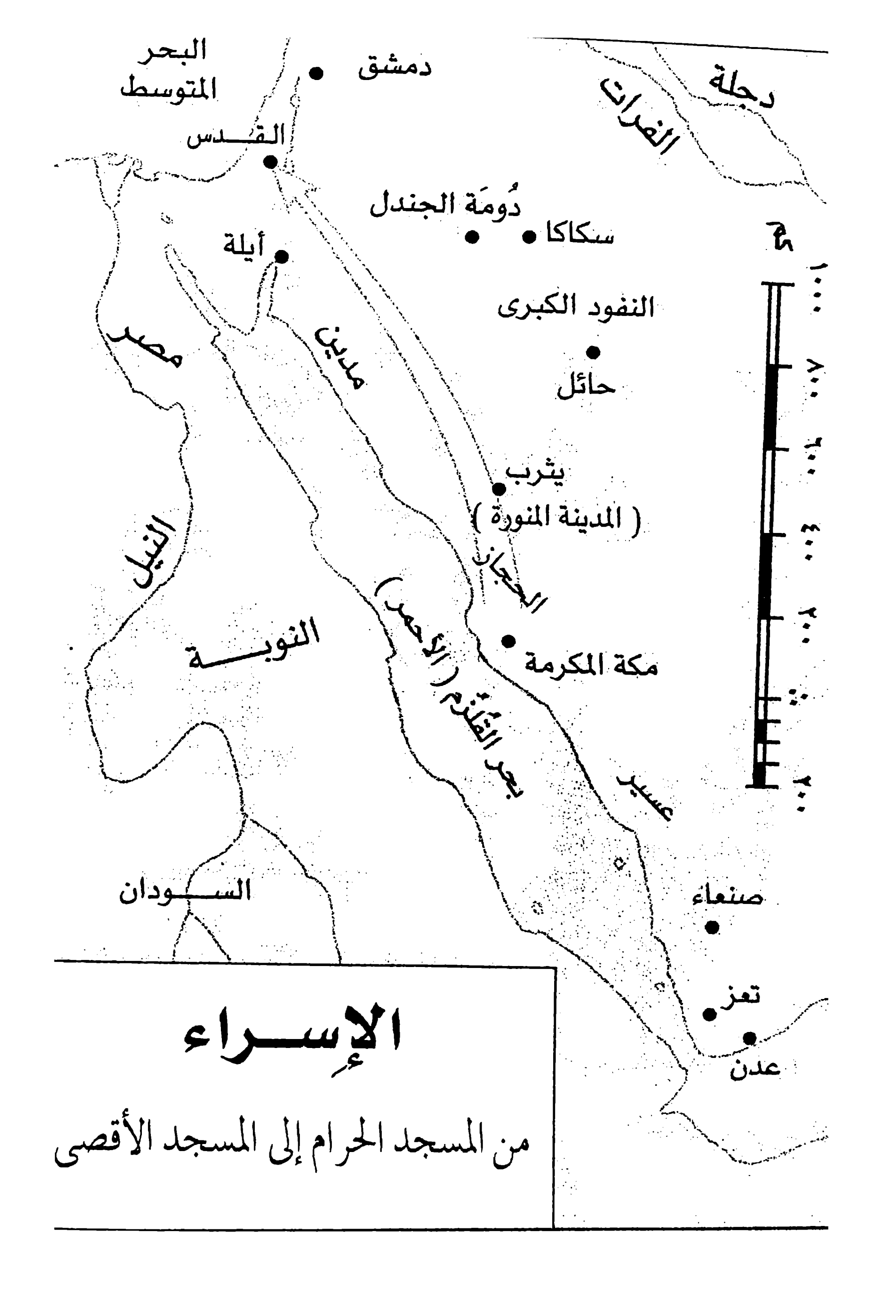
١. الإسراء والمعراج

٢. الإسراء إلى المسجد الأقصى

٣. المعراج إلى سدرة المنتهى

٤. معان دقيقة ومرام عميقة

٥. دلائل الصدق وقرائنه



الإِســراء

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

الإسراء والمعراج

(رجب، سنة احدى عشرة من النبوة)

إن الله تعالى أكرم نبيه محمداﷺ بمعجزات كثيرة. فمن أجلّها ما أكرمه الله تعالى به من الإسراء والمعراج. وكان ذلك ليلة الاثنين[1] السابع والعشرين من رجب[2] العام الحادى عشر من البعثة[3]. فرحلتهﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فذلك هو الإسراء. وعروجه من المسجد الأقصى إلى ما شاء الله فوق السماوات السبع فذلك هو المعراج. والإسراء ثابت بنص الكتاب وبالسنة وإجماع المسلمين. والمعراج ثابت بظاهرالكتاب وبالأحاديث الصحيحة المشهورة[4]. فقد

---

(١) كما قاله الحافظ أبو الخطاب عمر ابن دحية (المواهب: ج١ ص٢٧٥، والسيرة الحلبية: ج١ ص٣٦٦).

(٢) على الذى اختاره الحافظ عبد الغنيّ بن سرور المقدسيّ. (المواهب: ج١ ص٢٧٥) وعليه عمل الناس. (السيرة الحلبية: ج١ ص٣٦٦) وشرح المواهب (ج٢ ص٧١) قال بعضهم: وهو الأقوى فإن المسألة إذا كان فيها خلاف للسلف ولم يقم دليل على الترجيح واقترن العمل بأحد القولين أو الأقوال وتُلقّي بالقبول فإن ذلك مما يغلب على الظن كونه راجحا. (شرح المواهب: ج ٢ص ٧١) وفي وقت المعراج (من سنته وشهره وليلته) اختلاف كثير يزيد على عشرة أقوال (فتح البارى: ج٧ ص٢٠٣).

(٣) لأن التحقيق كما قال ابن عطية أنه كان بعد شق الصحيفة قبل بيعة العقبة (شرح المواهب: ج٢ ص٧١) ونقض الصحيفة فى العاشرة من البعثة، والعقبة الأولى فى الثانية عشرة من البعثة ولأن الراجح أن بين الإسراء وهجرة المدينة أكثر من سنة.

(٤) وإن كانت تفاصيله ثابتة بخبر الأحاد. راجع حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد(ص٨٨) وحاشية النبراس على شرح العقائد(ص٢٩٢).

روى قصة الإسراء والمعراج خمسة وأربعون من الصحابة ﷺ.[1]

والإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسد النبيّ ﷺ وروحه على ما ذهب إليه جمهور علماء الأمة وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة.[2] بل أجمع على ذلك أهل القرن الثانى فمن بعدهم من أئمة الإسلام.[3] وفي تقديم الإسراء على المعراج حكمة. وهي سأن كثيرا من المشركين كانوا قد رأوا بيت المقدس ويعلمون أنهﷺ لم يره. فإذا أقام لهم قرائن ودلائل على مسيره إلى بيت المقدس فى ليلة وهو بمسافة شهر من مكة ووصف لهم المسجد الأقصى وصفا دقيقا تحقق لمنصفهم صدقه فى ذلك. وإذا تحقق صدقه فى قطعه مسافة شهرين[4] فى ليلة لزم تصديقه فى بقية ما يذكر. فيزيد بذلك إيمان المؤمن كما يزيد بذلك عناد المعاند.[5]

الإسراء الى المسجد الأقصى

قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾[6]

---

(١) راجع شرح المواهب(ج٨ ص٢٧).

(٢) فتح البارى (ج٧ ص١٩٨).

(٣) حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد (ص٨٨) فما كان من الخلاف لبعض القرن الأول من أنه كان مناما ولبعضهم من أنه كان بالروح فقط وإن كان يقظة فقد زال واضمحل فيما بعد(راجع المصدر المذكور)؛ على أن بعض العلماء قد جمع بين الأقوال بتعدد المعراج فحملوا قول المخالفين على غير المعراج المشهور الذى وقع بالجسد والروح معا. راجع فتح البارى (ج٧ ص١٩٧).

(٤) مسافة شهر ذهابا ومسافة شهر آخر إيابا.

(٥) راجع فتح البارى (ج٧ ص٢٠١) وشرح المواهب (ج٨ ص٢٧١).

(٦) الإسراء: ١

فبينما رسول الله ﷺ نائم[1] فى تلك الليلة إذ أتاه جبريل عليه السلام فشق صدره فغسله بماء زمزم ثم أطبقه.[2] ثم أركبه على البراق. وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه.[3] فأتى به جبريل عليه السلام بيت المقدس. وقد رأى الآيات بين السماء والأرض.[4] فربط البراق بالحلقة التى يربط بها الأنبياء.[5] فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فأمهم رسول الله ﷺ فصلى بهم.[6] فجاءه جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار ﷺ اللبن. فقال: اخترت الفطرة[7].

---

(١) قال العسقلانىّ جمعا بين الروايات: كان رسول الله ﷺ نائما فى بيت أم هانئ رضي الله عنها عند شعب أبي طالب فنزل عليه جبريل من سقف البيت فأخرجه إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق (فتح الباري: ج٧ ص٢٠٤). وأم هانئ هي بنت عم النبي ﷺ وأخت على بن أبي طالب رضي الله عنه وأمها فاطمة بنت أسد وأسلمت أم هانئ رضي الله عنها عام الفتح (راجع أسد الغابة ج٦ ص٤٢٠)

(٢) كما فى البخاري (٣٤٩/١/٨). و شق صدره ﷺ وقع مرات الأولى عند مرضعته حليمة والثانية عند مجيئ جبريل له بالوحي بغار حراء والثالثة عند الإسراء وأخرى فى قصته مع عبد المطلب وهو ابن عشر كما رواه أبو نعيم فى الدلائل وأخرى رويت ولكنها لم تثبت (راجع فتح البارى ج١ ص٤٦٠).

(٣) كما فى مسلم (٢٥٩/٧٤/١). حافره: قدمه (Hoof)

(٤) ابن كثير (ج٣ ص١٢٨).

(٥) كما فى مسلم (٢٥٩/٧٤/١) وقال البيهقىّ (ج٢ ص٣٦٥): وربط الدواب عادة معهودة وإن كان الله عزوجل لقادر على حفظها.

(٦) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص١٢٩) فالأظهر كما قال ابن حجر العسقلانىّ أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج (فتح الباري: ج٧ ص٢٠٩) بخلاف ما رجحه الحافظ ابن كثير فى البداية (ج٣ ص١٣٠، ١٣٢) من أنها عند مرجعه من السماوات. وفي بعض الروايات أنه بعث له جميع الأنبياء كما سيأتى.

(٧) كما فى رواية مسلم (٢٥٩/٧٤/١) وإتيان الآنية فى بعض الروايات كان ببيت المقدس وفي بعضها عند سدرة المنتهى. ويجمع بينها بحمل 'ثم' على معنى الواو بلا إفادة ترتيب أو بوقوع عرض الآنية مرتين ـــ مرة ببيت المقدس، وسببه ما وقع له من العطش، ومرة عند سدرة المنتهى حين رأي الأنهار الأربعة التي تخرج من أصل السدرة. وذكر بعض الرواة زيادة على آنية اللبن والخمر إناء الماء وذكر بعضهم إناء العسل. فالمجموع أربعة آنية. (فتح البارى: ج٧ ص٢١٦).

المعراج إلى سدرة المنتهى

ثم عرج به جبريل عليه السلام إلى السماوات السبع.[1] فكان إذا انتهى إلى سماء استفتح؛ فقيل: من أنت؟ قال: جبريل؛ قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. فيفتح لهما[2]. وفي كل سماء تلقته الملائكة والأنبياء.[3] فالتقى فى السماء الدنيا بآدم عليه السلام وفي الثانية بعيسى ويحيى عليهما السلام. وفي الثالثة بيوسف عليه السلام وفي الرابعة بإدريس عليه السلام وفي الخامسة بهارون عليه السلام وفي السادسة بموسى عليه السلام وفي السابعة بإبراهيم عليه السلام فسلم عليهم فقابلوه بالبشر والترحيب والدعاء.[4]

رأى رسول الله ﷺ فى السماء السابعة البيت المعمور، قد استند إليه إبراهيم عليه السلام يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه. ثم ذهب به ﷺ إلى سدرة المنتهى.[5] فهناك رأى ﷺ جبريل على صورته. وقد رآه على صورته مرتين — مرة فى الأرض فى الأفق الأعلى ومرة فى هذه الليلة عند سدرة المنتهى.[6] قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾ ﴿ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ ﴾ ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ﴾ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ ﴾ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ ﴾ ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ ﴾ ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ

---

(١) فصعد من سماء إلى سماء فى المعراج وهو السلم المنصوب له؛ لا على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس. بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة. (البداية والنهاية: ج٣ ص١٣٠).

(٢) كما فى البخاري ومسلم.

(٣) البداية والنهاية (ج٣ ص١٣٠). والأنبياء صلوات الله عليهم أحياء عند ربهم كالشهداء فلا ينكر حلولهم فى أوقات فى مواضع من أرض أو سماء. راجع دلائل البيهقيّ (ج٢ ص٣٨٨).

(٤) راجع صحيح مسلم (١/٧٤/٢٥٩).

(٥) المصدر المذكور.

(٦) راجع صحيح مسلم (١/٧٧/٢٨٧) وصحيح البخاري (٦٥/٥٣/٤٨٥٥).

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ ﴾ ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ ﴾ ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ ﴾ ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ ﴾ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ ﴾ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾(١)

حتى ظهر رسول الله ﷺ لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام.(٢) فهناك رأى رسول الله ﷺ ربه بعيني رأسه على أرجح الأقوال.(٣) فأوحى إليه ما أوحى ففرض الله عليه وعلى أمته فى كل يوم خمسين صلاة(٤) فنزل ﷺ حتى انتهى إلى موسى عليه السلام فقال: 'ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك. وإني قد بلوت بني اسرائيل'. فلم يزل ﷺ يتردد بينه وبين ربه تسع مرات. ففي كل مرة حط الله عنه

---

(١) النجم (١-١٨). إذا هوى: غاب وغرب. شديد القوى: ملك شديد القوى وهو جبريل عليه السلام. ذو مرّة: ذو منظر حسن. فاستوى: فاستقام على أصل صورته؛ والضمائر فى هو ودنا وتدلّى راجعة إلى شديد القوى. 'بالأفق الأعلى': هو أفق الشمس ومطلعها. فتدلى: زاد فى الدنوّ. قاب قوسين: القاب: القدر؛ فالمعنى قدر القوسين أو القاب ما بين مقبض القوس وطرفه ولكل قوس قابان: ففيه قلب أي فكان قَابَيْ قوسٍ (جلالين مع الصاوى) ورجح العسقلانى أن معنى القوس الذراع؛ والمعنى قدر الذراعين (راجع الفتح ج٨ ص٦١٠) أو أدنى: بل أقرب من ذلك؛ إلى عبده: إلى عبد الله. نزلة أخرى: مرّة أخرى. سدرة المنتهى: شجرة فى السماء السابعة عن يمين العرش. المأوى: مأوى أرواح الشهداء والملائكة. ما زاغ البشر: ما عدل البصر عن رؤية ما أمر. وما طغى: ما جاوز ما أمر.

(٢) راجع صحيح البخاري (٢٦٣/٧٤/١) وصريف الأقلام: هو صوتها حال الكتابة. والملئكة يكتبون من أقضيته ووحيه ما أمرهم أن يكتبوا وكذلك ينسخون من اللوح المحفوظ ما أمرهم أن ينسخوه.

(٣) فالسلف قد اختلفوا: هل رأي ربه فى تلك الليلة أم لا؟ فأنكرت ذلك عائشة رضى الله عنها وطائفة. وأثبتها ابن عباس رضي الله عنهما وطائفة (فتح الباري: ج٧ ص٢١٨). ولكن اختلف فى أن الرؤية هل هو بالقلب أو بالبصر؟ راجع شرح العلامة العصام على شرح العقائد النسفيّة للتفتازانىّ (ص١٣٨). فصرح بعضهم بالرؤية بالعينين واختاره ابن جرير. ونص على ذلك آخرون من المتأخرين. وممن نص على الرؤية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعرىّ. واختاره الشيخ أبو زكريا النووىّ فى فتاويه. البداية والنهاية (ج٣ ص١٣٢). وممن نفي الرؤية ابن مسعود كعائشة رضى الله عنهما.(شرح المواهب: ج٢ ص٦٨).

(٤) راجع صحيح البخاري (٣٨٨٧/٤٢/٦٣ و ٣٤٩/١/٨).

خمسا حتى قال: هي خمس صلوات فى كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة. فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة، فإن عملها كتبت عشرا. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شَيْئًا فإن عملها كتبت واحدة. فلما انتهى إلى موسى قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف. قال: قد رجعت إلى ربى حتى استحييت.[١]

معان دقيقة ومرام عميقة

وراء هذا الحادث العظيم معان دقيقة، ومرام عميقة؛ فإسراء صاحب القبلتين كان رحلة تصل القبلة بالقبلة والحرم بالحرم والبيت الحرام بالبيت المقدس. ومعراجه كان سياحة تصل الأرض بالسماء كما كانت ضيافة من الله لحبيبه بعالم الملكوت. وسيد العالم قد ارتقى على قمة العالم حيث انتهى إلى سدرة المنتهى؛ وسيد الأنبياء قد حقق سيادته حين صلى إماما للرسل والأنبياء.[٢]

فكان فى هذه الرحلة والسياحة والضيافة والإمامة ما يسليه عما لقيه من قريش مكة من البغي والخذلان، ومن الجفاء والنكران، كما كان فيها ما يعوضه عما لقيه من ثقيف الطائف من الأذية والعدوان. ومن الذلة والهوان. فرجع رسول الله ﷺ قرير العين مسرور القلب وأصبح بمكة مع المصبحين. ولكن كيف يخبر بهذا الخبر العظيم قومه؟ وكيف لا يخبر، وقد أمره الله أن يبلغ رسالته؟

دلائل الصدق وقرائنه

فلما أصبح رسول الله ﷺ بمكة غدا على قريش فأخبرهم الخبر. فقال أكثرهم: هذا والله، الإمر[٣] البين؛ والله، إن العير لتطرد[٤] شهرا من مكة إلى الشام

---

(١) راجع صحيح مسلم (١/٧٤/٢٥٩).

(٢) فقد روي عن أنس ﷺ أنه بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة (دلائل البيهقى ج٢ ص٣٨٨).

(٣) الإمر: العجيب المنكر.

(٤) العير:القافلة؛ والطرد: الجري والاسراع.

مدبرة، وشهرا مقبلة . أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة؟![1]
فصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه متعجبا[2]. وافتتن كثير ممن آم
به حتى ارتد ناس منهم. وسعَوا بذلك إلى أبى بكر ﷺ. فقال: أو قال ذاك ؟ قالو
نعم. قال: 'لئن قال ذلك لقد صدق. إنى لأصدقه بما هو أبعد من ذلك؛ أصدا
بخبر السماء فى غدوة أو روحة' فلذلك سمّي أبو بكر 'الصديق'[3].

وجعل المشركون يختبرونه فاستوصفوه المسجد الأقصى وهو لم يره من قب
وفيهم من قد رآه فصار رسول الله ﷺ يصفه لهم[4] ويعد لهم بابا بابا[5] حتى قا
القوم: أما النعت، فوالله، لقد أصاب.[6] وقال رسول الله ﷺ : 'لما كذبنى قريش
قمت فى الحجر فجلّى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته، وأ
أنظرإليه'.[7] وأخبرهم رسول الله ﷺ عن عيرهم أنه قد مرّ بها بمكان كذا وأنه
يقدمون مكة يوم كذا وفي مقدمها جمل كذا. فلما كان ذلك اليوم أشرف النا
ينتظرون. فأقبلت العير قريبا من نصف النهار يقدمهم ذلك الجمل[8]. فبهت الذي
كفروا والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ابن هشام (ج٢ ص٤).
(٢) راجع مسند الامام أحمد (ج١ ص٣٠٩) ودلائل البيهقىّ (ج٢ ص٣٦٣).
(٣) راجع مستدرك الحاكم (ج٣ ص٦٢) ودلائل البيهقىّ (ص٢ ص٣٦١).
(٤) راجع مسند أحمد (ج١ ص٣٠٩) ودلائل البيهقىّ (٢ ص٣٦٤).
(٥) فتح الباري (ج٧ ص٢٠٠).
(٦) راجع مسند الإمام أحمد (ج١ ص٣٠٩) ودلائل البيهقىّ (ج٢ ص٣٦٤).
(٧) صحيح البخاري (٣٨٨٦/٤١/٦٣).
(٨) أخرجه البزار و الطبرانىّ والبيهقىّ فى الدلائل (ج٢ ص٣٥٧).

الهجرة إلى المدينة

بدء الإسلام بالمدينة

بيعة العقبة الأولى

بيعة العقبة الثانية

هجرة المسلمين إلى المدينة

ندوة فى دار الندوة

حصار الدار

خيبة قريش

فى غار ثور

فى خيمة أم معبد

محاولة سراقة

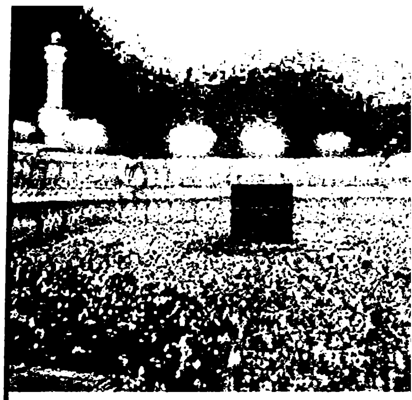
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء

أول جمعة جمعها وأول خطبة خطبها

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

فى بيت أبى أيوب الأنصارىّ

هجرة من بقي بمكة



الـهِـجْـرَة

﴿ وإذ يمكُرُ بكَ الَّذينَ كَفَرُوا ليثبتوكَ أو يقتلوكَ أو يُخرجُوكَ ويمكرونَ ويمكُرُ اللَّهُ واللَّهُ خيرُ الماكرينَ ﴾

(الأنفال ٨/ ٣٠)

﴿ إلاَّ تنصروهُ فقد نصرَهُ اللَّهُ إذ أخرجَهُ الَّذين كفروا ثانيَ اثنينِ إذ هما في الغار إذ يقولُ لصاحبهِ لا تحْزَنْ إنَّ اللَّهَ معنا فأنزل اللَّهُ سكينَتَهُ عليه وأيَّدهُ بجنودٍ لم تروها ﴾

(التوبة ٩/ ٤٠)

طريق الهجرة

طريق القوافل المطروقة

بدء الإسلام بالمدينة

(سنة احدى عشرة من النبوة)

أقام رسول الله ﷺ فى أول نبوته بمكة ثلاث سنين مستخفيا بدعوته. ثم أعلن بها منذ الرابعة من بعثته. فكان يوافي المواسم كل عام، يدعوهم إلى أن يحموه، حتى يبلغ رسالات ربه ويقول لهم: 'يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم؛ وإذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة'.(١) فلما كان موسم الحج سنة إحدى عشرة من النبوة لقي رسول اللهﷺ ستة نفر من حجاج الخزرج من المدينة.(٢) فدعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فقال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله أنه النبيّ الذى توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه.(٣)

وذلك أن يهود المدينة كانوا يتوعدون عرب يثرب من الأوس والخزرج إذا كان بينهم شيء من الحرب: 'إن نبيا يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم'. وكانت اليهود أهل كتاب وعلم؛ والعرب أهل شرك وأوثان. وهذه المقالة هدت النفر إلى الإسلام. فلما كلمهم رسول اللهﷺ لم يلبثوا أن يؤمنوا به ويصدقوه. وعادوا إلى قومهم بالمدينة يدعوهم إلى الإسلام،(٤) بعد أن واعدوا رسول الله ﷺ موسم العام المقبل.(٥)

---

(١) طبقات ابن سعد (ج١ ص٢١٦).

(٢) لأن الأوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب. (السيرة الحلبية: ج٢ ص٥).

(٣) البداية والنهاية (ج٣ ص١٧٢).

(٤) ابن الأثير (ج٢ ص٦٧) وابن هشام (ج٢ ص٣٨).

(٥) ابن سعد (ج١ ص٢١٩)وهؤلاء الستة الذين أسلموا أولا من الأنصار هم: أسعد بن زرارة (أبوأمامة) وعوف بن الحارث (ابن عفراء) ورافع بن مالك وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رئاب وبعضهم ذكر عبادة بن الصامت بدل جابر بن رئاب. رضى الله عنهم أجمعين. راجع المواهب اللدنية (ج١ ص٢٧٧).

بيعة العقبة الأولى

(سنة اثنتي عشرة من النبوة)

فشا الإسلام بالمدينة. فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ. فلما كان العام المقبل (عام اثني عشر من النبوة) لقيه ﷺ فى الموسم اثنا عشر رجلا – عشرة من الخزرج واثنان من الأوس.[١] فبايعوه بالعقبة على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولايأتوا ببهتان ولايعصوه فى معروف. وقال لهم رسول الله ﷺ: "فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غَشِيتم من ذلك شيئا فأمر كم إلى الله عزّ وجلّ؛ إن شاءغفر، وإن شاء عذب." وبعث معهم مصعب بن عميرؓ إلى المدينة يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام.[٢]

نزل مصعب بالمدينة على أسعد بن زرارة. فطفق يدعو الناس الى الإسلام. فأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار. ومنهم سعد بن معاذ و أسيد بن حضيررضى الله عنهما. وهما سيدا بنى عبدالأشهل. وبإسلامهماأسلم جميع بنى عبد الأشهل فى يوم واحد.[٣] ثم لم يزل مصعب يدعو إلى الإسلام، حتى لم يبق دارمن دورالأنصارإلا وفيهارجال مسلمون ونساء مسلمات.[٤] فلم يكن بينهم حديث إلا أمرالإسلام.

---

(١) وأما العشرة من الخزرج فخمسة منهم من الستة المذكورين فى العام الماضى سوى جابر بن عبدالله بن رناب. والخمسة الباقون من الخزرج هم معاذ بن الحارث(ابن عفراء أخو عوف المذكور) وذكوان بن عبد قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة ،والعباس بن عبادة.وأما اللذان من الأوس: أبو الهيثم بن التَيْهان وعويم بن ساعدة. رضى الله عنهم أجمعين.(المواهب اللدنية: ج١ ص٢٧٨-٢٧٩).

(٢) ابن هشام (ج٢ ص٣٩-٤٢).

(٣) إلا الأصيرم عمرو بن ثابت. فإنه لم يسلم حتى يوم أحد. فأسلم واستشهد فدخل الجنة ولم يسجد لله سجدة. (المواهب اللدنية: ج١ ص٢٨١).

(٤) إلا ما كان من أبى قيس بن الأسلت وأصحابه. كان مطاعا معظما فى قومه قوّالا بالحق مترهبا فى الجاهلية. فثبطه عن الإسلام عبد الله بن أبيّ ابن سلول. ثم ثبط أبو قيس أصحابه وأتباعه عن الإسلام. فلم يزل على ذلك حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ومضت بدر وأحد والخندق. فأسلم وحسن إسلامه وهو شيخ كبير. راجع ابن الأثير (ج٢ ص٦٨) وابن كثير (ج٣ ص١٨٠ ،١٨١) والسيرة الحلبية (ج٢ ص١٤) وسيرة زينى دحلان (ج١ ص٢٩٢) وابن هشام (ج٢ ص٤٦).

بيعة العقبة الثانية

(ذو الحجة، سنة ثلاث عشرة من النبوة)

أراد الله تعالى إعزاز دينه وإنجاز وعده . فمد إلى رسوله حِبالَ النصر وهيّأ له وسائل الأزر[١]. فلم يدبر ذاك العام بعقبته الأولى حتى أقبل هذا العام بعقبته الثانية. فكان فيمن وافي الموسم فى ذي الحجة سنة ثلاث عشرة من النبوة خمسة وسبعون مسلماـــ ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان.[٢] فواعدوا رسول اللهﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. فناموا فى تلك الليلة مع قومهم المشركين فى رحالهم حتى إذا مضى ثلث الليل خرجوا متسللين مستخفين حتى اجتمعوا عند العقبة ينتظرون رسول اللهﷺ. فجاء ﷺ ومعه العباس ﷺ، وكان يومئذ على دين قومه، ولكنه حضر متوثقا لابن أخيه ومؤكدا على أهل يثرب.[٣]

فكان العباس أول متكلم فقال: إن محمدا منا حيث قد علمتم، فى عز ومنعة. وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم.[٤] فإن كنتم ترون أنكم تفون بما دعوتموه إليه ومانعوه فأنتم وذاك. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه. فإنه فى عز ومنعة.[٥] فقال الأنصار: 'قد سمعنا ما قلت؛[٦] فتكلم يا رسول الله؛ وخذ لنفسك وربك ما أحببت'. فتكلم وتلا القرآن ورغب فى الإسلام. ثم قال:

---

(١) الأزر: القوة.

(٢) أحد عشر رجلا من الأوس واثنان وستون رجلا وامرأتان من الخزرج. والمرأتان: هما أم عمارة نسيبة بنت كعب النجارية وأم منيع أسماء بنت عمرو من بنى سَلِمَة. وفَوْا رضى الله عنهم ما عاهدوا الله ورسوله حق الوفاء. فاقتحموا المعارك لنصرته ونصرة دين الله تعالى. فقتل منهم ستة عشر صحابيا شهداء فى المعارك. (راجع ابن كثير: ج٣ ص١٩٢-١٩٤) وابن هشام(ج٢ ص٦٣-٧٥).

(٣) ابن هشام (ج٢ ص٤٧-٤٩).

(٤) وفي ابن هشام إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم.

(٥) ابن الأثير (ج٢ ص٦٩).

(٦) هذا الخطاب للعباسﷺ ثم التفتوا إلى رسول الله ﷺ فخاطبوه.

أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قالوا: فما لنا بذلك يا رسول الله؛ إن نحن وَفَيْنا؟ قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك. فبسط رسول الله ﷺ يده فبايعوه على ذلك واختار منهم اثني عشر نقيبا كفلاء عليهم؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.[1]

هجرة المسلمين إلى المدينة

تمت البيعة خفية، فى جوف الليل، على عزلة من العدو. وانصرف الأنصار إلى رحالهم، فناموا فى مضاجعهم؛ وأصحابهم المشركون لم يعلموا بشىء من ذلك.[2] فكذلك اجتهد المسلمون أن يسروا بهذه البيعة.[3] ولكن الله أبى إلا إفشاءها لمصلحة رآها وحكمة علمها. فما كان الصبح يتنفس حتى بلغ قريشا نبأ ما جرى بالعقبة. فأزعج هذا النبأ أشرافهم إلى مُخَيّم أهل المدينة. قالوا لهم: 'إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا، تستخرجونه من بين أظهرنا' فانبعث المشركون منهم يحلفون: 'ما كان من هذا شىء' وأما المسلمون منهم فقد صمتوا ينظر بعضهم إلى بعض.[4]

ثم لما ارتحل القوم واستيقنت قريش من النبأ خرجوا فى طلبهم. فلم يدركوا منهم إلا سعد بن عبادة والمنذربن عمرو. فأما المنذر فأفلت منهم.[5] وأما سعد فأخذوه وعذبوه حتى خلصه من أيديهم مطعم بن عدىّ والحارث بن أمية. وكان سعد يجيرهما بالمدينة.[6] وتضاعف بعد ذلك أذي المشركين على المسلمين. فأمرهم

---

(١) ابن هشام (ج٢ ص٥٠-٥٥) وابن كثير (ج٣ ص١٨٥-١٨٦).

(٢) وكان عدة من جاء من المدينة فى هذا الموسم من المسلمين والمشركين جميعا خمسمائة. راجع ابن سعد (ج١ ص٢٢١).

(٣) وكان العباس بن عبد المطلب قد قال لهم حين رفعوا الصوت بالعقبة: أخفوا جرسكم أي صوتكم فإن علينا عيونا. راجع ابن سعد(ج١ ص٢٢٢).

(٤) راجع ابن كثير (ج٣ ص١٨٩، ١٩٠).

(٥) أفلت منهم: أعجزهم وتخلص من قبضتهم.

(٦) دلائل النبوة (ج٢ ص٤٥٥) وطبقات ابن سعد (ج١ ص٢٢٣). وكان سعد يجير تجارتهما

رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة. فبدأ المسلمون يخرجون أفرادا وأرسالا،[١] مغادرين ديارهم وأوطانهم، مفارقين أقرباءهم وأموالهم. وتتابع المهاجرون فى هجرتهم حتى لم يبق بمكة مع رسول الله ﷺ إلا أبو بكر وعليّ وقليل من المستضعفين.[٢] فأما أبو بكر رضي الله عنه فتأخر ليصاحبه ﷺ فى هجرته، وأما عليّ فتأخر ليؤدي عنه ﷺ ودائعه[٣] بعد رحلته.[٤] وهاجر من هاجر كلهم مستخفين إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فأما عمر فلبس سلاحه وطاف بالبيت وصلى بالمقام ثم أقبل على الملأ من قريش. فقال: من أراد أن تُثكِله أمُّه أو يُوتِم ولدَه أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى ثم مضى لوجهه. فلم يتبعه أحد من المشركين.[٥]

ندوة فى دار الندوة

كان أفراد من المسلمين قد هاجروا إلى المدينة قبل بيعة العقبة الأخيرة. فكان أول من هاجر إليها أبا سلمة رضي الله عنه[٦]. ثم هاجر عامر بن ربيعة بامرأته ليلى، ثم عبد الله بن جحش بأخيه وأهله ثم تتابع المهاجرون.[٧] فلم يمض بعد العقبة الثانية إلا شهران وبضعة عشر يوما حتى لحق جمهور المسلمين بإخوانهم الأنصار بالمدينة. وأوشكت المدينة أن تكون مقرّ الإسلام. ورسول الله ﷺ فى انتظار الإذن من ربه.[٨] فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ

وتُجارهما بالمدينة، كما كان يجيرهما إذا قدما المدينة. راجع ابن كثير (ج٣ ص١٩٠-١٩١).

(١) أرسالا: جماعة إثر جماعة.

(٢) من المستضعفين: من محبوس أو مريض أو عاجز.

(٣) فقد كانت قريش يودعون عنده ﷺ ودائعهم لصدقه وأمانته.

(٤) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٢٦) والمواهب اللدنية (ج١ ص٢٨٤) وابن الأثير (ج٢ ص٧٠،٧١) ودلائل النبوة للبيهقيّ (ج٢ ص٤٦٤) والسيرة الحلبية (ج٢ ص٢٤).

(٥) راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٢١ ،٢٢).

(٦) وذلك قبل العقبة الثانية بسنة حين قدم من الحبشة لمكة. فآذاه أهلها وسمع بإسلام بعض الأنصار.

(٧) المواهب (ج١ ص٢٨٤) والكامل (ج٢ ص٧١) والسيرة الحلبية (ج٢ ص٢١)

(٨) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٤).

صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ [1]

فطنت قريش للخطر. وصاروا من خروجه ﷺعلى حذر. فاجتمعوا فى دار الندوة[2] يتشاورون فى أمره. فأشار بعضهم بحبسه حتى يموت وبعضهم بنفيه من بلادهم وبعضهم بقتله. وكان صاحب هذا الرأي أباجهل. قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا[3] نسيبا وسيطا[4] ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما حتى يضربوه ضربة رجل واحد. فيتفرق دمه فى القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فيرضون بالعقل. فانصرفت قريش مجمعين على هذا الرأي.[5]

حصار الدار

تمت مؤامرة قريش على اجتماعهم بباب رسول اللهﷺ بالليلة. فأذن الله تعالى لرسوله بالهجرة[6] فأسرع إلى صاحبه أبي بكر بالهاجرة وما كان يأتيه إلا بكرة أو عشية. فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه يقدم إلى بيته قال: ما جاء رسول الله ﷺ فى هذه الساعة إلا لأمر حدث! قال ﷺ إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة فسأله أبو بكر رضي الله عنه الصحبة فى هجرته فأذن له فى الصحبة فجعل أبو بكر يبكي فرحا[7] وكان أبوبكر رضي الله عنه قد تجهز مهاجرا. فقال له رسول الله ﷺ: على رِسْلك فإنى أرجو أن يؤذن لى.[8] فاشترى أبو بكر رضي الله عنه راحلتين بثمان مائة درهم وأعدهما للهجرة:

---

(١) سورة الإسراء: ٨٠ ؛ راجع الترمذي (٣١٣٩/١٨/٤٨)

(٢) دار الندوة: هي دار قصيّ بن كلاب؛ كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها (ابن كثير: ج٣ ص٢٠٢). وهي أول دار بنيت بمكة وكانت جهة الحجر وكان لها باب للمسجد. وكان لا يدخلها عند المشورة من ولد قصى إلا ابن أربعين سنة (الحلبية: ج٢ ص٢٥).

(٣) الجليد: القويّ الصابر.

(٤) الوسيط: الشريف

(٥) راجع دلائل البيهقيّ (ج٢ ص٤٦٦-٤٦٨) وابن كثير(ج٣ ص٢٠٢-٢٠٣)؛ العقل: الدية.

(٦) راجع دلائل النبوة للبيهقيّ (ج٢ ص٤٦٥-٤٦٩).

(٧) البداية والنهاية (ج٣ ص٢٠٥، ٢٠٦).

(٨) راجع صحيح البخاري (٣٩٠٥/٤٥/٦٣) على رِسلك أي على مهلك. والرسل السير الرفيق ويبين مراده ما فى رواية ابن حبان. فقال: اصبر. راجع فتح الباري (ج٧ ص٢٣٤).

واحدة لنفسه، وواحدة لرسول الله ﷺ.[1] فلما أذن الله تعالى لرسوله بالهجرة وأذن ﷺ لصاحبه بالصحبة استأجرا عبد الله بن أُرَيقط[2] الدؤلىّ ليدلهما على الطريق فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه بغار ثور بعد ثلاث ليال. وجهزهما آل أبي بكر أحَثَّ الجهاز فصنعوا لهما سفرة فى جراب[3]. فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت به الجراب. فبذلك سميت ذات النطاقين.[4]

فلما كانت عتمة[5] من الليل اجتمعت مائة رجال من قريش على باب رسول الله ﷺ يرصدون خروجه وينتظرون الفجر ليقتلوه جهارا قتلة رجل واحد حتى يشاهدها بنوهاشم.[6] وكان جبريل عليه السلام قد نهاه أن يبيت على فراشه الليلة. فأمرﷺ عليّ بن أبي طالب أن ينام على فراشه متسجيا ببردته وقال له: لن يخلص إليك شيء تكرهه.[7] ثم خرج رسول الله ﷺ وأخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى: يس؛ والقرآن الحكيم إلى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون. فأخذ الله تعالى على أبصارهم فجعل رسول الله ﷺ ينثر التراب على رؤوسهم وهم لا يشعرون. ثم لحق بأبي بكر رضي الله عنه فانطلقا إلى غار ثور فاختفيا فيه ثلاثة أيام.[8]

---

(١) راجع فتح الباري (ج٧ ص٢٣٥).
(٢) عبد الله بن أريقط (ويقال ابن أرقط أو أرقد هو إسم أمه) أريقط مصغر كان عبد الله هذا على دين قريش ثم أسلم بعد ذلك. السيرة الحلبية (ج٢ ص٣٤).
(٣) أحث الجهاز أي أسرعه والجهاز (بفتح الجيم وكسرها) ما يحتاج إليه فى السفر. ومعنى 'سفرة فى جراب': زادا فى جراب. وكان ذلك شاة مطبوخة. راجع فتح الباري (ج٧ ص٢٣٦).
(٤) راجع صحيح البخاري (٣٩٠٥/٤٥/٦٣) والنطاق: ما يشد به الوسط.
(٥) عتمة: الثلث الأول من الليل أو ظلمة الليلة مطلقا.
(٦) راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٦، ٢٨) وشرح المواهب (ج٢ ص٩٤).
(٧) ابن الأثير (ج٢ ص٧٢) وابن هشام (ج٢ ص٩٥).
(٨) راجع دلائل النبوة للبيهقيّ (ج٢ ص٤٧٠) وصحيح البخاري (٣٩٠٥/٤٥/٦٣) والمواهب اللدنية (ج١ ص٢٨٦-٢٨٧).

خيبة قريش

أما فتيان قريش رأوا نائما في الفراش. فحسبوه رسول الله ﷺ فباتوا ينتظرون حتى انبلج[1] الصبح وقام عليّ عن الفراش. فعلموا أن النبيّ ﷺ قد نجا وأن مكرهم قد فسد. فانقلبوا خائبين.[2] أرادوا أن يئدوا الإسلام في مولده[3] ويجعل لحده في مهده، فاجتهدوا لذلك إلى آخر لحظة حتى بآخر حيلة. ولكن لم يتكلل شيء من محاولاتهم بالنجاح. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4] ثارت حمية قريش وبثوا الطلبة ونشروا القافة[5] يطلبون رسول الله ﷺ ويقتفون آثاره. وجعلوا لمن يرده عليهم مائة ناقة.[6] وأتى أبو جهل في نفر من قريش آلَ أبي بكر. فقال لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أين أبوك؟ قالت: والله، لا أدرى أين أبي. فلطمها أبو جهل حتى طرح من أذنها قرطها. وكان أبو جهل رجلا فاحشا خبيثا.[7]

في غار ثور

وصل بعث الطلبة والقافة إلى جبل ثور حتى طلعوا فوقه. فهنالك أشفق أبو بكر رضي الله عنه. فقال رسول الله ﷺ لا تحزن إن الله معنا.[8] وقال أبو بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم ينظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه. فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر! ما ظنك بإثنين الله ثالثهما.[9] وقد مر القافة بالغار ولكن الله صرفهم عن رسوله وصاحبه.

---

(١) انبلج: أشرق وأضاء.
(٢) راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٨).
(٣) مولد: موضع الولادة.
(٤) الأنفال: ٣٠
(٥) القافة: جمع قائف: الذى يتتبع الآثار ويعرفها.
(٦) ابن هشام(ج٢ ص١٠٢) وابن كثير (ج٣ ص٢١٠).
(٧) المواهب اللدنية (ج١ ص٣٠٠) وابن هشام(ج٢ ص١٠٠).
(٨) دلائل النبوة للبيهقى (ج٢ ص٤٧٨).
(٩) صحيح البخاري (٣٦٥٣/٢/٦٢).

فإنهم قد رأوا عنكبوتا قد نسجت ببابه وحمامتين قد عششتا وباضتا بفمه. فانصرفوا قائلين: ما بهذا الغار من أحد حتى قال أمية بن خلف: ما أربكم[1] إلى الغار؟ إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد![2]

قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[3]

---

(١) الأرب: الحاجة.
(٢) راجع المواهب اللدنية (ج١ ص٢٩٣) وابن كثير (ج٣ ص٢٠٩).
(٣) سورة التوبة: ٤٠


غار ثور ↓
جبل ثور ↑



كانا بالغار يعلمان أخبار مكة ؛ ويشربان الالبان، ويأكلان الطعام. فقد كانا دبرا الأمور أحسن تدبير كما كانا قد توكلا على الله حق توكلٍ. فكان أبوبكر قد أمر ابنه عبد الله أن يتسمع الأخبار بمكة نهارا فيأتيهما بها حين اختلط الظلام. وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه فى رُعيان[1] أهل مكة ثم يأتيهما بها حين تذهب تذهب ساعة من العشاء.[2] وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما،إذا أمست، بالطعام. بالطعام. فإذا غدا عبد الله إلى مكة تبعه عامر بغنمه ليُعفّي آثار الأقدام[3] وكان عامر أمينا مؤتمنا حسن الإسلام.[4]

فى خيمة أم معبد رضي الله عنها

كان خروجه ﷺ من بيته يوم الخميس لثلاث ليال بقين من صفر سنة ثلاث عشرة من النبوة فأقام مع صاحبه بالغار ثلاث ليال - ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد. وخرج من الغار أثناء ليلة الاثنين لهلال ربيع الأول[5] وكان دليلهما عبد الله بن أُريقِط قد أتاهما براحلتهما بالميعاد. وانطلق معهما عامر بن فهيرة يعينهما ويخدمهما[6] فأخذ الدليل بهم طريق السواحل فمروا بقديد[7] على أم

---

(١) الرُعيان: جمع راع.

(٢) راجع صحيح البخاري (٣٩٠٥/٤٥/٦٣) وابن هشام (ج٢ ص٩٨).

(٣) ابن هشام (ج٢ ص٩٩).

(٤) فتح البارى (ج٧ ص٢٣٧) كان مملوكا للطفيل بن عبد الله الأزدي. فأسلم فعذب فى الله عزوجل فاشتراه أبو بكر من الطفيل فأعتقه. (الكامل: ج٢ ص٤٦).

(٥) راجع فتح البارى (ج٧ ص٢٣٦ و ج٧ ص٢٤٤) والمواهب اللدنية (ج١ص ٢٨٨) وشرح المواهب(ج٢ص ١٠١- ١٠٢). وقال الحافظ ابن كثير والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوما لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة(البداية والنهاية: ج٣ ص٢١٩). فقدومه قباء كان يوم الاثنين ثامن ربيع الأول. فأقام بقباء الثلثاء والأربعاء والخميس وخرج إلى المدينة يوم الجمعة. راجع فتح البارى (ج٧ ص٢٤٤). والمدينة تطلق على ما يشمل قباء. فقباء هي المرادة بما فى بعض الروايات أنه ﷺ دخل المدينة يوم الاثنين. والمدينة نفسها هي المرادة بما فى بعض الروايات أنه ﷺ دخل المدينة يوم الجمعة. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٥٤).

(٦) راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٤١).

(٧) قديد: (مصغر) موضع مشهوربقرب مكة.

معبد.[1] كانت تجلس بفناء الخيمة تسقى وتطعم من يمر بها وكان القوم مجدبين.[2] فطلبوا لبنا أولحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئاً فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى جانب الخيمة. خلّفها الجهد عن الغنم.[3] فسألها رسول الله ﷺ: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: تأذنين لى أن أحلبها؟ قالت إن كان بها حلب فاحلبها. فدعا رسول الله ﷺ بالشاة، فمسح ضرعها، وذكر اسم الله، ودعا بإناء يربض الرهط.[4] فحلب فيه حتى ملأه فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل[5] حتى إذا رووا شرب ﷺ آخِرَهم وقال: ساقى القوم آخرهم. ثم حلب فى الإناء ثانيا فغادره عندها ثم ارتحلوا.

فبعد قليل جاء زوجها أبو معبد يسوق أعْنُزا[6] عجافا فلما رأى اللبن عجب عجب وقال: من أين هذا اللبن يا أم معبد؛ ولا حَلوبة فى البيت والشاة عازب[7]؟! فقالت: لا؛ والله، إنه مر بنا رجل مبارك، كان من حديثه كيت وكيت. فوَصَفَتْه وصفا دقيقا بليغا. فقال أبو معبد، هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته[8] ثم هاجرت هي وزوجها فأسلما. وكان أهلها يورخون بيوم نزول الرجل المبارك. وبقيت هذه الشاة المباركة يحلبونها إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[9]
الخطاب رضي الله عنه.[9]

محاولة سراقة

ثم تعرض لهما بقُديد سراقة بن مالك المدلجىّ.[10] كان رسل قريش قد أتوا

---

(١) هي عاتكة بنت خالد الخزاعية صحابية مهاجرة.
(٢) راجع المواهب مع الزرقانى (ج٢ ص١٣٠) ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص٢٨٢).
(٣) أي تركها الهزال عن غنمهم التي ذهب بها زوجها يلتمس المرعى.
(٤) أي يشبع الجماعة حتى يربضوا أي يضطجعوا من ثقل الشبع.
(٥) عللا بعد نهل أي شربا ثانيا بعد الشرب الأول.
(٦) أَعْنُز: جمع عَنْز وهي أنثى المعز.
(٧) بعيدة عن المرعى.
(٨) راجع دلائل النبوة لأبى نعيم (ص٢٧٦-٢٨٣) والمواهب مع الزرقانىّ (ج٢ ص١٣٠-١٣٤) والبداية والبداية والنهاية (ج٣ ص٢١٩-٢٢٣).
(٩) المواهب اللدنية (ج١ص٣٠٣-٣٠٤).
(١٠) كان ذلك يوم الثلاثاء. (فتح البارى ج٧ ص٢٤٣)

قوم سراقة يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما[١] لمن قتله أو أسره. فبينما سراقة جالس فى مجلس من مجالس قومه إذ أقبل رجل فقال: إنى قد رأيت أسودة[٢] بالساحل أُراها محمدا وأصحابه. فرغب سراقة فى جعالة قريش وكره أن يشاركه فى ذلك أحد منهم. فأنكر على الرجل قوله. ثم انسل، بعد ساعة من مجلسه، فركب فرسه وأخذ رمحه وهم لا يشعرون.

فلما دنا سراقة من رسول الله ﷺ عثرت به فرسه فخرعنها. فاستقسم بأزلامه فخرج مايكره : أن لا يضرّهم . فعصى الأزلام وركب ثانيا وقرب منهم حتى سمع قراءة رسول اللهﷺ. وهو لا يلتفت وأبو بكرﷺ يكثر الالتفات. فساخت يدا فرس سراقة فى الأرض إلى الركبتين فخر عنها. ثم خلصها فسَطع فى السماء غبار كالدخان.[٣] فاستقسم بالأزلام. فخرج الذى يكره فناداهم بالأمان[٤]. فوقفوا. فركب فرسه حتى جاءهم. ووقع فى نفسه أن سيظهر أمر رسول اللهﷺ فأخبرهم بما يريد بهم الناس. وعرض عليهم الزاد والمتاع. فلم يقبلوا منه شيئاً. بل قال له رسول الله ﷺ أخفِ عنا (لا تتركن أحدا يلحق بنا[٥]. فسأله سراقة كتاب أمن. فأمر عامر بن فهيرة فكتبه فى رقعة من أدم.[٦]

ثم بعد فترة طويلة قد جاء سراقة بهذا الكتاب إلى رسول اللهﷺ . أتاه به عام ثمان من الهجرة وهو بالجعرانة، مرجعه من الطائف، فقال له 'يوم وفاء وبر' ثم أدناه إليه. فأسلم ﷺ.[٧] وكان رسول الله ﷺ قد قال له حين عفا عنه بالقديد: كيف بك بك يا سراقة إذا تسورت بسواري كسرى؟ قال: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم. ثم فى خلافة عمر ﷺ لما أتت غنائم فارس وفيها سوارا كسرى دعا سراقة وقال: ارفع

---

(١) دية كل واحد: وهي مائة إبل.

(٢) أسودة: أشخاصا. وأُرَاهَا : أَظُنُّهَا.

(٣) من أثر يديها وكان تعرض سراقة بقديد لهما يوم ثلاثاء (فتح البارى ج ٧ ص٢٤٣)

(٤) أي وعدهم بأمان منه لهم حتى يقفوا كما تفهمه رواية أو طلب منهم الأمان له كما تفهمه رواية أخرى (راجع فتح البارى ج٧ ص٢٤٢)

(٥) ما بين القوسين من رواية أخرى للبخاري (٦٣/٤٥/٣٩١١)

(٦) راجع صحيح البخاري (٦٣/٤٥/٣٩٠٦) وفتح البارى (ج٧ ص٢٤١- ٢٤٣).

(٧) البداية والنهاية (ج٣ ص٢١٤).وذلك سنة ثمان من الهجرة .

وألبسهما سراقة.[1]

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء

سمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة. فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة[2]. فينتظرونه حتى يردهم حرّ الظهيرة. فانقلبوا يوما إلى بيوتهم بعد طول انتظارهم؛ فإذا هم بيهوديّ يصرخ بأعلى صوته، وقد أوفي على أُطُم[3] من الآطام: 'يا معاشر العرب، هذا جدكم[4] الذى تنتظرون'. فأسرع المسلمون بسلاحهم إلى رسول الله ﷺ يستقبلونه بالحرة،[5] وهم زهاء خمسمائة.[6]

عدل بهم رسول الله ﷺ ذات اليمين حتى نزل بهم بقباء[7] فى ديار بنى عمرو بن عوف[8] يوم الاثنين،[9] ثامن ربيع الأول[10] لثلاث وخمسين سنة من مولده ﷺ.[11] فأقام بها أربعة أيام، من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة[12] وأسس فى هذه المدة بقباء مسجدا يعرف بمسجد قباء. وهو أول مسجد بني فى الإسلام بالمدينة؛ بل هو أول مسجد جعل لعموم الناس فى هذه الملة.[13] ولحقه ﷺ، وهو بقباء، عليّ بن أبى

---

(١) راجع الشفاء للقاضي عياض (ج١ ص٢٢٦) والسيرة الحلبية (ج٢ ص٤٥).

(٢) الحرة: أرض ذات الحجارة السود وكانت المدينة محاطة بجملة حرات.

(٣) أوفي على أطم: طلع على حصن وأشرف منه. والأطم (بضم أوله وثانيه) الحصن.

(٤) جدكم: حظكم ونصيبكم.

(٥) راجع صحيح البخاري (٣٩٠٦/٥٤/٦٣).

(٦) دلائل النبوة (ج٢ ص٥٠٧) والبداية والنهاية (ج٣ ص٢٢٦) السيرة الحلبية (ج٢ ص٥٢).

(٧) قباء: موضع على ميلين من المدينة. راجع فتح البارى (ج٧ ص٢٤٤) وفاء الوفا (ج٤ ص١٢٨٤).

(٨) ابن مالك بن الأوس بن حارثة (فتح البارى: ج٧ ص٢٦٦). وكان إقامته ﷺ فى بيت كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف. وكان يجلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة (البداية: ج٣ ص٢٢٦).

(٩) راجع صحيح البخاري (٣٩٠٦/٥٤/٦٣).

(١٠) فتح البارى (ج٧ ص٢٤٤).

(١١) راجع صحيح البخاري (٣٩٠٢/٤٥/٦٣).

(١٢) راجع الكامل (ج٢ ص٧٦). هذا هو الأشهر فى مدة إقامته بقباء (البداية والنهاية: ج٣ ص٢٣٩) وإن ورد فى بعض الروايات ما يزيد على ذلك. فقد ورد فى رواية ثمانى عشرة ليلة، وفي رواية ثنتين وعشرين ليلة، وفي أخرى أربع عشرة ليلة. راجع البداية (ج٣ ص٢٢٧).

(١٣) البداية والنهاية (ج٣ ص٢٤٠) وفتح البارى (ج٧ ص٢٤٥).

طالب ﷺ.كان قد تأخر بمكة ثلاثة أيام ليؤدي عنهﷺ ماكان عنده من ودائع الناس.[١]

أول جمعة جمعها وأول خطبة خطبها

ثم خرج رسول اللهﷺ من قباء غداة الجمعة. وأدركته الجمعة فى موضع بنى سالم.[٢] فصلى به أول جمعة؛ وخطب لها أول خطبة. وكان معه إذ ذاك من المسلمين المسلمين مائة.[٣] وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ﷺ: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله؛ ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فقدموا لأنفسكم، تعلمُنّ والله، لَيُصْعَقن أحدُكم ثم لَيدعَن غنمَه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربُّه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولى فبلّغك؟ وآتيتك مالا، وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالا؛ فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه، فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف؛ والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته.[٤]

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

فلما قضيت صلاة الجمعة سارﷺ نحو المدينة فى موكب المسلمين. فقد كانت الأنصار قد اجتمعوا فمشوا حول ناقته ينازع بعضهم بعضا زمام ناقته شحا[٥] على كرامته. فكلما مرّ بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنْزل[٦] فيقول:

---

(١) ابن هشام (ج٢ ص١١١).
(٢) فى وادى رانوناء (بالنونين على وزن عاشوراء).
(٣) طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٣٦) والمواهب اللدنية (ج١ ص٣٠٨). ولعل الباقين قد رجعوا، إلى إلى المدينة، بعد استقباله بقباء فلم يبق معه إلا مائة. راجع شرح المواهب (ج٢ ص١٥٦).
(٤) رواه هكذا مرسلا البيهقيّ فى دلائل النبوة (ج٢ ص٥٢٤) وابن هشام (ج٢ ص١١٨).
(٥) شحا على كرامته: ضنا بها وحرصا عليها.
(٦) أي طلبوه النـــزول بهم فالمنْزل مصدر ميميّ.

دعوها[1] فإنها مأمورة. واستبشر أهل المدينة بمقدمه غاية الفرح؛ قال البراء بن عازب رضي الله عنه: فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن: 'قدم رسول الله ﷺ!!'[2]

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: لم أريوما أحسن ولا أضوء منه[3] وجعل النساء والصبيان ينشدن (وقد صعدت ذوات الخدور على الأجاجير[4]):

طَــلَــعَ الْبَــدْرُ عَلَــيْنَــا مِنْ ثَنِيَّــاتِ الْــوَدَاعِ
وَجَــبَ الشُّــكْرُعَلَــيْنَــا مَــا دَعَــا لله دَاعِ[5]
أَيُّــهَــا الْمَبْــعُوثُ فِينَــا جِئْــتَ بِــالأَمْرِالْمُطَاعِ[6]

سارت برسول الله ﷺ راحلته حتى بركت أمام دار أبي أيوب الأنصاريّ رضي الله عنه حيث أمر ببناء مسجده الشريف. فنزل عن راحلته فقال: 'هذا المنزل إن شاء الله؛[7] رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المُنْزِلين'.[8] وكان أبو أيوب رضي الله عنه من بني

---

(١) أي اتركوا الناقة.

(٢) صحيح البخاري (٦٣/٤٦/٣٩٢٥).

(٣) راجع ابن ماجة (٦/٦٥/١٦٣١).

(٤) وما فى القوسين مما نقله القسطلانىّ فى مواهبه (ج١ ص٣١٢). والخدور: جمع خدر؛ وهو ستر ستر يمد للجارية فى ناحية البيت. والأجاجير: جمع أجار وهو السطح.

(٥) راجع دلائل النبوة للبيهقىّ (ج٢ ص٥٠٧).

(٦) زاد هذا السطر رزين (شرح المواهب: ج٢ ص١٦٦) وإنشاد هذا الشعر عند قدومه ﷺ المدينة المدينة اعترضه بعضهم بأمرين: الأول: أن فى صحيح البخاري وسنن أبي داود والترمذي أنه ﷺ لما قدم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع. والثانى: أن ثنية الوداع من جهة الشام لا من جهة مكة فلا يمر بها القادم من مكة. فوقع ذلك عند قدومه من تبوك. والجواب عن الأول أنه لا مانع من تعدد إنشاد هذا الشعر- مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه من تبوك. والجواب عن الثانى بوجهين الأول: يحتمل أن تكون ثنيات الوداع من جهة مكة غير ثنية الوداع من ناحية الشام ويؤيده جمع ثنيات الوداع دون ثنية الوداع. والثانى: أن كون ثنية الوداع شامية المدينة لا يمنع كون هذه الأبيات أنشدت فى الهجرة عند قدومه من قباء لأنه ﷺ أرخى زمام ناقته وقال: دعوها فإنها مأمورة. ومر بدور الأنصار من بنى ساعدة، ودارهم شامىّ المدينة وقرب ثنية الوداع فلم يدخل ﷺ باطن المدينة إلا من تلك الناحية. راجع المواهب اللدنية للقسطلانى وشرح الزرقانى عليه (ج٢ ص١٦٩) ووفاء الوفا (ج٤ ص١١٧٠).

(٧) المواهب (ج١ ص٣١٠).

(٨) سيرة زينى دحلان (ج ١ ص ٣٢٩).

بنى النجار. وبنو النجار أخوال عبد المطلب جد رسول الله ﷺ. فأكرمهم الله تعالى بإنزاله عليهم وأحال ذلك إلى ناقته إظهارا للمعجزة وتطييبا للنفوس.[١]

فى بيت أبى أيوب رضي الله عنه

لما نزل رسول الله ﷺ فى مبرك ناقته خرجت إليه جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف وينشدن: نحن جوار من بنى النجار يا حبذًا محمد من جار[٢]

وأتاه أبو أيوب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إن منـــزلى أقرب المنازل إليك؛ فأنقل رحلك إليّ؟ قال: نعم.[٣] فحط أبو أيوب رحله ﷺ فأدخله منـــزله. فجعل رسول الله ﷺ يقول: المرء مع رحله. فأول هدية أتته قصعة مثرودة[٤] من أم زيد بن بن ثابت رضي الله عنهما. فدعا الله لها ثم دعا أصحابه فأكلوا. فلم تلبث أن أتته قصعة سعد بن عبادة – ثريد وعَراق[٥]. وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ذلك.[٦]

كان مقامه ﷺ من بيت أبى أيوب فى سفله، وأبو أيوب وزوجته أم أيوب فى علوه. فكره أبو أيوب أن يكونا فوق رسول الله ﷺ. فكلم فى ذلك رسول الله ﷺ. فقال له: إن الأرفق به وبمن يغشاه من الناس سفل البيت. فذات يوم انكسرت جرة الماء لهما فقاما بقطيفة لهما – وما كان لهما لحاف غيرها – ينشفان بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه.[٧] وتذكر أبو أيوب ذات ليلة منـــزله فوق رأس النبيّ ﷺ كما خاف أن ينتثر التراب عليه ﷺ من وطء أقدامهما. فبات ساهرا، وكره أن يكلمه فى ذلك فى الليل فلم يزل ساهرا حتى أصبح. فأتاه فكلمه فلم يزل يتضرع إليه حتى انتقل رسول الله ﷺ إلى العلو. وأقام فى بيته حتى تم بناء

---

(١) فلا يحيك ذلك فى نفس أحد شيئا (راجع شرح المواهب: ج٢ ص١٦٠-١٦٢).
(٢) راجع دلائل النبوة (ج٢ ص٥٠٧) والبداية والنهاية (ج٣ ص٢٢٩).
(٣) البداية والنهاية (ج٣ ص٢٣٢)
(٤) فيها خبز وسمن ولبن. والمثرود: خبز فُت ثم بُلّ بالمرق.
(٥) عَراق: (بفتح العين) عظم عليه لحم. فإن أخذ منه اللحم قيل له عُراق (بضم العين). السيرة الحلبية: (ج٢ ص٨١).
(٦) طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٣٧).
(٧) راجع ابن هشام (ج٢ ص١١٦) والبداية والنهاية (ج٣ ص٢٣٠).

مسجده ومسكنه.[1] وتم ذلك فى سنة واحدة.[2]

هجرة من بقي بمكة

فحين استقر رسول الله ﷺ فى بيت أبى أيوب رضي الله عنه أرسل إلى أهل بيته بمكة زيد بن حارثة وأبا رافع رضي الله عنهما. فقدما بابنتيه ﷺ - فاطمة وأم كلثوم، وزوجه سودة، وحاضنته أم أيمن زوج مولاه زيد بن حارثة، وابنها أسامة بن زيد. وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة وأختها أسماء، وأمها[3] أم رومان. أما رقية بنت رسول الله ﷺ فقد هاجر بها زوجها عثمان بن عفان؛ وزينب بنت رسول الله ﷺ فقد حبسها[4] بمكة زوجها أبو العاص بن الربيع.[5]

وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس. وممن أوعب فى الهجرة بنو مظعون وبنو جحش وبنو البكر فلم يبق بدورهم أحد. فعدا على دور بنى جحش أبو سفيان بن حرب حتى باعها. فذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ. فقال: ألا ترضى يا عبد الله، أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة.[6] وأصيب كثير من المهاجرين بالحمى حيث لم يوافقهم هواء المدينة. فدعا رسول الله ﷺ اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصحِّحها وبارك لنا فى صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجُحفة.[7]

---

(١) راجع دلائل النبوة للبيهقيّ (ج٢ ص٥٠١).

(٢) من ربيع الأول من سنة الهجرة إلى صفر من السنة القابلة (السيرة الحلبية ج٢ ص٦٤ وابن هشام ج٢ ص١١٨).

(٣) أي أم عائشة، وأما أم أسماء فقتيلة بنت عبد العزى.

(٤) ثم هاجرت بعد بدر وأسلم زوجها بعد ذلك فردها إليه رسول الله ﷺ كما سيأتى.

(٥) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٣٨) والسيرة الحلبية (ج٢ ص٧٩).

(٦) ابن هشام (ج٢ ص١١٧).

(٧) راجع صحيح البخاري (٦٣/٤٦/ ٣٩٢٦) والجحفة: قرية على خمس مراحل وثلثي مرحلة من من المدينة كما أنه على نحو أربع مراحل ونصف من مكة. وكانت تسمى أولا مَهيعَة؛ كمعيشة أو كمرحلة (وفاء الوفا: ج٤ ص١١٧٤). وكان سكانها إذ ذاك يهود. ثم زالت الحَمّى منها بزوال اليهود من الحجاز. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٨٥). وإنما دعا عليهم ليشغلهم بالحمى حيث كانوا يستنفرون الناس على المسلمين. راجع عمدة القارى (ج١٠ ص٢٥١).

السنة الأولى من الهجرة

١. إسلام عبد الله بن سلام

٢. موادعة اليهود

٣. المؤاخاة بين المسلمين

٤. كرم الأنصار وعفة المهاجرين

٥. بناء المسجد النبويّ

٦. تأديب قريش

٧. سريات حمزة وعبيدة وسعد رضي الله عنهم

وفي هذه السنة أقيمت الجمعة والجماعة وشرع الأذان والإقامة. وفي شوال هذه السنة كان بناؤهﷺ بزوجته عائشة بنت أبي بكر رضى الله عنهما، وولادة عبد الله بن الزبيرﷺ أول مولود ولد فى الإسلام، ووفاة أبي أمامة أسعد بن زرارة أحد النقباء الذين شهدوا العقبة رضى الله عنهم أجمعين.(١)

(١) البداية والنهاية (ج٣ ص٢٦١-٢٦٤).

إسلام عبد الله بن سلام

عبد الله بن سلام الإسرائيلي القينقاعيّ كان من ولد يوسف بـــن يعقـــوب عليهما السلام. وكان أعلم أحبار اليهود. أسلم أول قدوم رسول اللهﷺ المدينـــة. وكان اسمه حُصَينا فسمّاه رسول اللهﷺ عبد الله.[1] قال لما قدم رسول اللهﷺ المدينة: 'انجفل[2] الناس فكنت فيمن انجفل؛ فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته يقول: أفشوا السلام، وأطعموا الطعـــام، وصـــلّوا بالليـــل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام'.[3]

وقال أنس بن مالكﷺ بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبيّﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ. قال: ما أول أشراط الســـاعة؟ ومـــا أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أيّ شيء يَنـــزِع الولد إلى أبيه؟ ومن أيّ شيء ينـــزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: خبّرني بهن آنفا جبريل. فقال عبد الله: ذاك عدوّ اليهود من الملئكة[4]. فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشراط الساعة فنـــار تحشـــر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهـــل الجنـــة فزيـــادة كبـــد حوت[5]. وأما الشبه فى الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشـــبه له. وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها. قال: أشهد أنك رســـول اللهﷺ. ثم قـــال: يـــا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْتٌ،[6] إن علموا بإسلامي قبـــل أن تســـألهم بَهَتـــوني عندك. فجائت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول اللهﷺ: أيّ رجل فـــيكم عبد الله بن سلام؟ فقالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا. فقال رســـول

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (ج١ ص٢٥٥) والسيرة الحلبية (ج٢ ص١١٠) والبداية والنهاية (ج٣ ص٢٧٠).

(٢) انجفل: مضى مسرعا.

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة (البداية والنهاية: ج٣ ص٢٤٠).

(٤) لأنه صاحب كل خسف وعذاب راجع تفسير البيضاوىّ (ج١ ص٩٣).

(٥) زيادة كبد الحوت: هى القطعة المنفردة المعلقة فى الكبد وهى فى المطعم فى غايـــة اللـــذة (فـــتح البارى: ج٧ ص٢٧٣).

(٦) بهت: جمع بهيت كقضيب وقضب وهو الذى يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب.

اللهﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا. ووقعوا فيه.[١]

موادعة اليهود

لَمّا ذَلَّل بُخْتَنَصر بلاد المقدس وهدم بيت المقدس وعذب بنى اسرائيل لحق قوم منهم بناحية الحجاز.[٢] فنزلوا وادى القرى وتيماء ويثرب . فأما الذين نزلوا بيثرب من بنى إسرائيل استولوا عليها حتى نفوا من كان بها من جرهم والعماليق. ثم لما انصدع سد مأرب باليمن وتفرقت قبائلها انتهى بنو ثعلبة بن عمرو الأزدىّ القحطاني إلى يثرب. فأقاموا بها خارج المدينة. ثم لما كثروا وعزّوا غلبوا اليهود على المدينة فنَزلت اليهود خارجها.[٣] ومع ذلك كانوا يرون أن لليهود فضلا عليهم لما كان عندهم من العلم المأثور عن الأنبياء. ولكن الله منّ عليهم بالهدى والإسلام وخذل اليهود لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق.[٤]

فكان بالمدينة حين هاجر رسول اللهﷺ إليها ثلاثة من أحياء اليهود[٥] : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة.[٦] فمد إليهم يد المناصرة والأخوة، حتى يستوثق بالمدينة وحدة القوة. فلا يطلع فيها نزاع من داخل، ولا يطمع فيها عدوّ من خارج. فوادعهم على التضامن والتعاون وتجانب الظلم والإثم، وأمنهم على دينهم وأموالهم. فعقد بذلك عهدا.ثم أوثق العقد كتابا يبيّن ما لكل من الفريقين وما عليه من الحقوق. نتلو عليك منه بعض البنود[٧]:

---

(١) رواه البخاري فى صحيحه (٣٣٢٩/١/٦٠). وقعوا فيه: عابوه وسبّوه.

(٢) راجع فتوح البلدان للبلاذرى (ص٢٩) والبداية والنهاية (ج٣ ص٢٥٦).

(٣) راجع فتوح البلدان (ص٢٩ ، ٣٠).

(٤) البداية والنهاية (ج٣ ص٢٥٦).

(٥) ينتهى إليها سائر القبائل اليهودية اليثربية. فهذه الثلاثة أمهات القبائل. قال العلامة السمهودى: إنهم كانوا نيفا وعشرين قبيلة (وفاء الوفا: ص١١٦).

(٦) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٢٥٦).

(٧) البنود:جمع بَنْد، وهو المادة والفقرة.

- لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.
- على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.
- إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
- إن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.
- إن بينهم النصر على من دهم يثرب.(١)

ولكنهم نقضوا عهدهم حسدا وبغيا منهم . فأولهم نقضا بنو قينقاع. فأجلاهم رسول اللهﷺ عن المدينة سنة اثنتين من الهجرة. ثم نقض بنو النضير حتى ائتمروا على قتلهﷺ فأجلاهم عن المدينة سنة أربع ثم نقض بنو قريظة وظاهروا بالعداوة وحاربوه مع الأحزاب. فقاتلهم حتى قتل رجالهم وسبى نساءهم.(٢)

المؤاخاة بين المسلمين

نزل ثعلبة الأزدىّ بأولاده، حين جلوا من اليمن، بيثرب(٣) فكان لحارثة بن ثعلبة ابنان: الأوس والخزرج؛ وأمهما قيلة بنت كاهل. فبنو الأوس عرفوا بالأوس وبنو الخزرج عرفوا بالخزرج. ويقال لهما جميعا بنو قيلة. وبنو قيلة كانوا هم العرب بيثرب. وكانت بين الأوس والخزرج قبل الإسلام حروب وأيام دامت أكثر من قرن حتى عرفت نجدهم(٤) وذكرت شجاعتهم.(٥) ولكن هذا القتال الدائم كاد أن يفنيهم. ففى هذا الوقت الأحوج والأحرج حلّت بساحتهم دعوة الإسلام. فجمعتهم فى ظل الأخوة والعدل والسلام، حتى امتزجت النفوس وتآلفت الأرواح وتعاونت الأجسام. قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

---

(١) راجع ابن هشام (ج٢ ص١١٩) وابن كثير (ج٣ ص٢٥٦-٢٥٨) ومعنى دهِم: غشى.

(٢) كما سيأتى تفاصيلها فى مواضعها.

(٣) راجع فتوح البلدان للبلاذرى (ص٢٩ ، ٣٠).

(٤) النجدة: الشدة والبأس.

(٥) حتى جلّوا فى قلوب العرب. وذلك لما أراد الله بهم من نصرة نبيِّه بهم، (راجع فتوح البلدان: ص٣٠) وكانت الحروب بين الأوس والخزرج قد تطاولت مائة وعشرين سنة (السيرة الحلبية: ج٢ ص٦).

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (١)

وحّد رسول الله ﷺ اسم هاتين القبيلتين فلقبهما بالأنصار. فإنهم الذين آووا ونصروا رسول الله ﷺ والمهاجرين. والمهاجرون هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، بعد ما هجروا موطنهم وأموالهم وأملاكهم. ثم أكّد رسول الله ﷺ هذه الوحدة والنصرة بالمؤاخاة بين المسلمين. فأخى بين المهاجرين والأنصار، أخى بينهم على المواساة وعلى التوارث بعد الموت(٢). فتنافس الأنصار فى المهاجرين. فما نزل مهاجر على أنصاريّ إلا بقرعة.(٣) فكان كل أنصاريّ ونزيله المهاجريّ أخوين يتوارثان. قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠ ﴾(٤)

كرم الأنصار وعفة المهاجرين

كان رسول الله ﷺ قد أخى بين أصحابه قبل الهجرة بمكة. فقد كان بعضهم أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى. وهذه المؤاخاة قد رواها الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما؛ قال أخى النبيّ ﷺ بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان؛ وذكر جماعة، فقال عليّ رضي الله عنه يا رسول الله، إنك

---

(١) آل عمران: ١٠٣

(٢) وكان ابتداء المؤاخاة أوائل قدومه المدينة واستمرّ ﷺ يجددها بحسب من يدخل فى الإسلام أو يحضر إلى المدينة (راجع فتح البارى: ج٧ ص٢٧٠ ،٢٧١). و ذلك ليذهب عنهم وحشة الغربة ومفارقة الأهل والعشيرة ولشد أزر بعضهم ببعض. ثم لا زال المهاجرون والأنصار يتوارثون بذلك الإخاء دون القرابات إلى أن نزل قوله تعالى فى وقعة بدر: ؛وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله؛. والحاصل أنه لما عزّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل توارث الإخاء ورجع كل إنسان إلى نسبه وذوى رحمه. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٩٢)، وبقيت حقوق أخوة الإسلام من التوادد والدعاء والمواساة (فتح البارى: ج٧ ص٢٧١).

(٣) السيرة الحلبية (ج٢ ص٦٤).

(٤) التوبة: ١٠٠

آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال: أنا أخوك.[1]

ثم لما هاجر إلى المدينة أخى بين المهاجرين والأنصار كما تقدم. فطابت أنفس الأنصار بمواساة إخوانهم المهاجرين بكل ما عندهم حتى قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل، ولا أحسن بذلا من كثير، لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم.[2] قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3]

ولكن المهاجرين ما أحبوا أن يكونوا عالة على الأنصار بل انصرفوا – من استطاع منهم – يعملون فى الزراعة والتجارة يطلبون الكسب الحلال. فهذا سعد بن الربيع الأنصاريّ يقول لأخيه المهاجر، عبد الرحمن بن عوف: يا أخى، أنا أكثر أهل المدينة مالا، فانظر شطر مالى فخذه، وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك. دلونى على السوق فدلوه. فباع واشترى وربح وتزوج بعد أيام امرأة من الأنصار وأصدقها نواة من ذهب وأولم عليها بشاة.[4]

وطلبت الأنصار من النبي ﷺ مقاسمة أشجارهم بينهم وبين المهاجرين. فأبى ذلك. فطلبوا مقاسمة أثمارهم، على أن يساعدهم المهاجرون فى أعمالهم فى أشجارهم. فرضي بذلك رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون.[5] فهذا أبو هريرة ﷺ يروى: أن الأنصار قالت للنبيّ ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا،

---

(١) راجع فتح البارى (ج٧ ص٢٧٢).

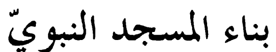
(٢) رواه الإمام أحمد. راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٢٦١).

(٣) الحشر: ٩

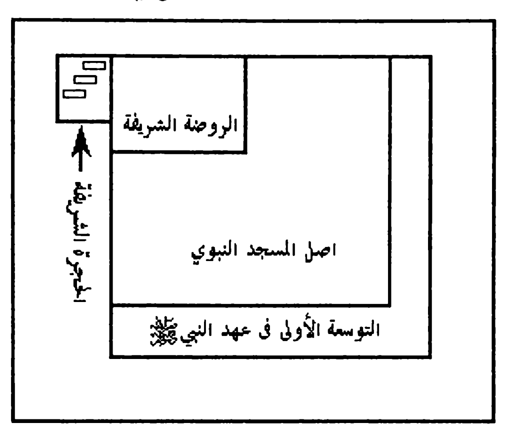
(٤) راجع ما رواه البخاري عن أنس (٣٩٣٧/٥٠/٦٣) مع ما أخرجه الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (ج ٣ ص ٢٦٠) عن الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ.

(٥) راجع فتح البارى (ج ٥ ص ٩).

فقالوا: تكفوننا المؤنة ونَشركَكم فى الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا.[١] ويقول أنس بن مالكﷺ: لما قدم المهاجرون المدينة من مكة وليس بأيديهم (شيء) وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسمهم الأنصار على أن يعطوهم ثمار أموالهم كل عام ويكفوهم العمل والمؤنة.[٢] ثم لما استغنى المهاجرون بما أعطاهم رسول الله ﷺ من غنائم النضير وقريظة أمرهم رسول اللهﷺ ؛ فردّوا ما بأيديهم من نخيل الأنصار.[٣]



بناء المسجد النبويّ



أول عمل قام به رسول الله ﷺ فى المدينة هو بناء مسجده الشريف، أسسه فى ربيع الأول (١هـ /٦٢٢م) فى وسط المدينة،[٤] فى مبرك ناقته. وكان مِربدا[٥] للتمر لغلامين يتيمين.[٦] فساومهما فيه. فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما[٧] بعشرة

---

(١) صحيح البخاري (٤١/٥/٢٣٢٥).

(٢) صحيح البخاري (٥١/٣٥/٢٦٣٠).

(٣) أى النخيل التي واسوا بها المهاجرين لينتفعوا بأثمارها. راجع فتح البارى (ج٧ ص٤١١).

(٤) تاريخ المسجد النبوىّ (ص٤١).

(٥) المِربد: البيدر وهو موضع يجفف فيه التمر.

(٦) هما سهل وسهيل ابنا عمرو (من بنى غنم بن مالك بن النجار ــ فتح البارى)، كانا فى حجر أسعد بن زرارة (انظر صحيح البخاري: ٦٣/٤٥/٣٩٠٦).

(٧) المصدر المذكور.

دنانير[1]. وكان هذا المربد يصلى فيه أسعد بن زرارة[2] ورجال من المسلمين.[3] فبناه رسول الله ﷺ مسجدا. فوضع بيده أول حجره والثاني أبو بكر والثالث عمر والرابع عثمان.[4]

كانت قاعدة المسجد وبابه من الحجارة وجدرانه من اللبن وسقفه من الجريد وعمده من خشب النخل. وارتفاع قاعدته ثلاثة أذرع وجدرانه ما فوق قامة ومساحته سبعون فى ستين ذراعا.[5] وأرضه محصوبة بلا فراش ولا حصير.[6] ولم يكن به منبر بل كان النبيّ ﷺ يخطب مستندا إلى جذع عند مصلاه حتى اتُخذ له منبر.[7] وتعاون المسلمون جميعا فى بنائه. واشترك معهم رسول الله ﷺ فى حمل التراب واللبن والأحجار وهو يقول متمثلا بشعر رجل من المسلمين:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة   فارحم الأنصار والمهاجرة[8]

فلقيه رجل ومعه ﷺ لبنة فقال: أعطنيها يا رسول الله. فقال: اذهب فخذ غيرها. فلست بأفقر إلى الله منى[9] ولما رأوا نشاطه ﷺ فى العمل ارتجز بعضهم:

لئن قعدنا والنبيّ يعمل   لذاك منا العمل المُضلَّل[10]

---

(1) انظر فتح البارى (ج٧ ص٢٤٦) ووفاء الوفا (ج١ ص٢٣٥).
(2) فتح البارى (ج٧ ص٢٤٦).
(3) انظر صحيح البخاري (٣٩٠٦/٤٥/٦٣).
(٤) البداية والنهاية (ج ٣ ص ٢٤٩) ووفاء الوفا (ج١ ص٣٣٢).
(5) أى مائتان وأربعة آلاف ذراع (٤٢٠٠) مربع. وهو يقارب خمسة وثلاثين مترا فى ثلاثين مترا(٣٥×٣٠) - ألف وخمسون [١٠٥٠] مترا مربعا. (انظر تاريخ المسجد النبوىّ: ص٤١).
(6) انظر وفاء الوفا(ج١ ص٣٢٢-٣٣٦).
(7) البداية والنهاية (ج٣ ص٢٥٠).
(8) كذا فى صحيح البخاري (٣٩٠٦/٤٥/٦٣) وفي ابن كثير (ج ٣ ص ٢٤٦) 'لا هم' بدل 'اللهم' وفي رواية للبخاري: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة (٣٩٣٢/٤٦/٦٣). وفي السمهودىّ (ج١ ص٣٢٨): اللهم لا خير إلا خير الآخرة الخ . بلا 'إنه' ولا ينافي إنشاده ﷺ هذا البيت قوله تعالى 'وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين' (يس: ٦٩) فإن الممتنع عنه ﷺ إنشاء الشعر لا انشاده. ولا دليل على منع انشاده متمثلا (فتح البارى: ج٧ ص٢٤٦).
(9) رواه رزين. انظر وفاء الوفا (ج١ ص٣٣٣).
(10) انظر البداية والنهاية (ج٣ ص٢٤٧).

الأنصاريّ ﷺ فصار هذا المسجد مقر العبادة، ومركز الدعوة، ومورد كل وارد، ومقصد كل وافد. وقد روى الشيخان فى صحيحهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد - مسجدى هذا والمسجد الحرام ومسجد بيت المقدس. ورَويا أن رسول الله ﷺ قال: صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

وكان المسجد النبويّ أصغر مما هو اليوم ثم وقعت فيه بحسب الحاجة زيادات وتوسعات عدة مرات. قال المحب الطبرىّ وغيره إن فضيلة المضاعفة لا تختص بما فى عهده ﷺ بل تحصل فى الزيادات لأخبار وآثار وردت فى ذلك.(٢) ولكن قال الإمام النووىّ رحمه الله تعالى (وغيره): إن الصلاة إنما تتضعف فى المسجد الذي كان فى زمنه ﷺ دون بقية الزيادات.(٣)

وقد وسع مسجده ﷺ تسع مرات:

الأولى فى عهد رسول الله ﷺ فى السنة السابعة (٧هـ/٦٢٨م).

والثانية فى عهد عمر ﷺ فى السنة السابعة عشر(١٧ هـ/٦٣٨م).

والثالثة فى عهد عثمان ﷺ فى السنة التاسعة والعشرين (٢٩هـ/٦٤٩م).

والرابعة فى عهد الوليد الأموىّ سنة إحدى وتسعين (٩١هـ/٧١٠م).

والخامسة فى عهد المهدىّ العباسيّ سنة خمس وستين ومائة (١٦٥هـ/٧٨٢ م).

والسادسة فى عهد السلطان الأشرف القايتبايى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة (٨٨٨هـ/١٤٨٣م).

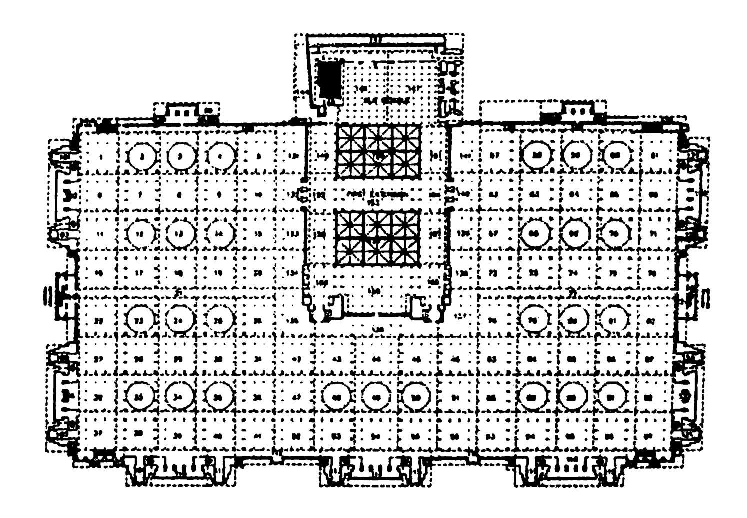
---

(١) السيرة الحلبية (ج٢ ص٦٤).
(٢) انظر وفاء الوفا(ج ١ ص ٣٥٧).
(٣) انظر شرح المهذب (ج ٨ ص ٢٧٧) والإيضاح فى المناسك (ص ٤٧١). وقد بيّن الشيخ ابن حجر الهيتمىّ فى حاشيته على الإيضاح أنه لم يصح فى حصول المضاعفة فى الزيادات شيء من الأخبار (ص ٤٧١) وأن ما ورد فيها من الآثار لا تقوم بها الحجة (ص٤٧٠).

والسابعة فى عهد السلطان عبد المجيد العثماني سنة سبع وسبعين ومائتين وألف (١٢٧٧ هـ/١٨٦١م).

والثامنة فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز السعودىّ سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف (١٣٧٥ هـ/١٩٥٥م).

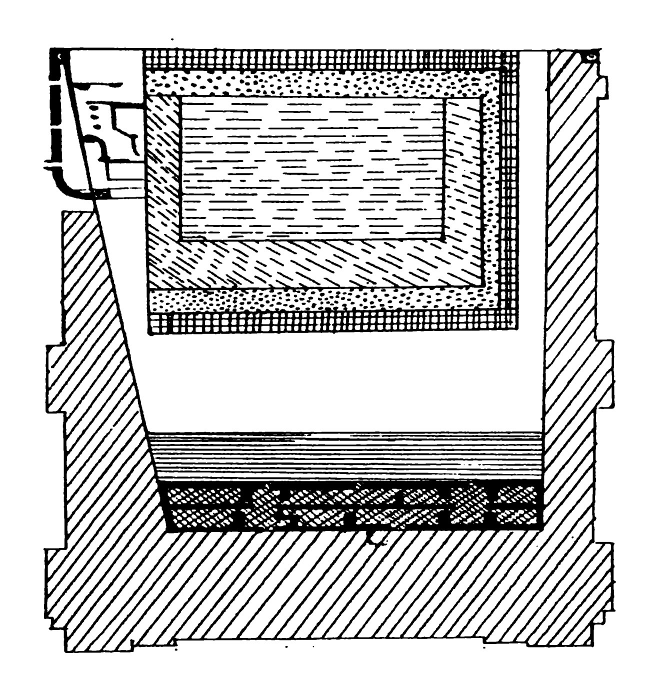
والتاسعة فى عهد الملك فهد السعودىّ سنة أربع عشر وأربعمائة وألف (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).[١]



التوسعة التاسعة (فى عهد الملك فهد السعودي)

---

(١) راجع تاريخ المسجد النبوى الشريف لمحمد الياس عبد الغنى (ص٤٢ـ١٠٢)



- أصل المسجد النبوى
- التوسعة الأولى (فى عهده ﷺ)
- التوسعة الثانية (فى عهد عمر ﷺ)
- التوسعة الثالثة (فى عهد عثمان ﷺ)
- التوسعة الرابعة (فى عهد الوليد الأموي)
- التوسعة الخامسة (فى عهد المهدي العباسى)
- التوسعة السادسة (فى عهد الأشرف قايتبائى[1])
- التوسعة السابعة (فى عهد السلطان عبد المجيد)
- التوسعة الثامنة (فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز)

---

(١) وكانت عمارة القايتبائى شاملة للمسجد ولكن التوسعة فى الجانب الشرقى الذى يلى المقصورة بمقــدار ذراعين وربع ذراع .

تأديب قريش

تمت المؤاخاة بين المسلمين والمعاقدة بينهم وبين اليهود. فتحقق بالمدينة كُتلة[1] واحدة يقفون أمام كل عدو وقفة واحدة، وقامت بها دولة عادلة، وصفت بها بيئة هادئة. فأمِر المسلمون بإظهار شعائر الإسلام؛ وطفق الشرع يفرض لهم الحلال والحرام؛ ففى السنة الأولى من الهجرة أقيمت الجماعة والجمعة؛ وشرع الأذان والإقامة؛ وفى الثانية منها فرض صيام رمضان وزكاة الفطر وزكاة الأموال؛ وسنت التضحية وصلاة العيدين؛ ثم جعلت الأحكام تتنــزل حسب تطور الأحوال.

والإسلام رسالة رب العالمين إلى كافة العباد. فلا بد من نشر دعوته فى سائر البلاد. وهذا العمل الجليل لا يتيسر إلا إذا أمن مسير الدعوة. ولا يأمن إلا بإخضاع قريش مكة. فإنهم أول وأشد وأحدّ وألدّ أعداء الإسلام. وبأيديهم الحرم والبيت الحرام. فإذا خضعت قريش خضعت العرب. وإذا خضعت العرب انتشرت دعوة الإسلام فى الأقطار. ولكن قريشا لا تخضع كفرها وفجرها لسلطان الحجة والبرهان. فقد أقامها لهم رسول الله ﷺ طيلة ثلاثة عشر سنة. فلم يزدهم ذلك إلا العداوة والعُدوان.

فالسبيل الوحيد، بعد ذلك، لإخضاع قريش هو تأديبهم. فبدأ رسول الله ﷺ بالتعرض لتجارة قريش، والتجارة كانت مدار معيشتهم، وقوافلهم كانت تغدو وتروح إلى الشام بالقرب من المدينة. فلعلهم يلتجئون إلى العهد والصلح مع المسلمين فيأمن طريق الفريقين: طريق التجارة لقريش وطريق الدعوة للمسلمين. فإن أبوا إلا القتال كان هذا التعرض تشجيعا للمسلمين وتوهينا للمشركين وتدارُكَ مالٍ فقده المهاجرون. فإنهم، لما هاجروا، أخذت قريش أموالهم وأملاكهم. فلم يخرج فى سرية ولا غزوة قبل بدرالكبرى أحد من الأنصار بل كان كل الجيش من المهاجرين.

---

(١) كُتْلَة: جماعة من الناس المتفقون على رأي واحد.

سريات حمزة وعبيدة وسعد رضي الله عنهم

(رمضان – ذوالقعدة السنة الأولى من الهجرة)[١]

بعث رسول الله ﷺ فى أواخر هذه السنة ثلاث سريات. **الأولى** سرية حمزة ن عبد المطلب ﷺ[٢] (فى شهر رمضان) فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترض عير قريش فى إمرة أبي جهل، معه ثلاثمائة من المشركين فالتقى الفريقان بساحل لبحر[٣] ولكن حجز بينهما رجل شريف من جهينة[٤] فانصرفوا من غير قتال. و**الثانية** سرية عبيدة بن الحارث[٥] (فى شوال) فى ستين راكبا من المهاجرين يعترض عير عكرمة بن أبي جهل ومعه مائتا راكب من قريش فصادف العير ببطن رابغ[٦] فانهزم المشركون[٧]. وكان فيهم رجلان مسلمان فلحقا بالمسلمين[٨] و**الثالثة** سرية سعد بن أبي وقاص ﷺ (فى ذي القعدة) فى عشرين رجلا من لمهاجرين إلى الخرّار[٩] ليعترض عيرا لقريش ولكن لم يلق عدوا فإن العير قد سبقته فعاد سليما.[١٠]

---

١) هذا ما جرى عليه ابن سعد وشيخه الواقدي ورجحه كثير من المورخين؛ ولكن ابن اسحاق ومن تبعه قالوا: إن هذه السرايا الثلاث كلها فى السنة الثانية من الهجرة. فسرية حمزة وسرية عبيدة كلا هما فى ربيع الأول وسرية سعد بعد بدر من السنة الثانية.[راجع حاشية الزرقانى على المواهب (٢/٢١٨-٢٢٩] ولما قاله ابن اسحاق وجه وجيه لأن الجهاد قد شرع فى صفر من السنة الثانية. يقول العلامة زيني دحلان: '' وأذن الله لرسوله ﷺ فى القتال لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر فى السنة الثالنية من الهجرة.'' (سيرة زيني دخلان ج١ ص٣٥٦) ومن البعيد أن يخرجوا للقتال قبل الأذن فيه؛ اللهم الا أن يقال: إن هذه السرايا لم تبعث للقتال بل للتعرض لعير العدوّ تخويفا وتوهينا لهم وتدريبا وتشجيها للمسلمين على القتال أو يقال: إن الأذن فى القتال قد سبق هذه السرايا فى السنة الأولى من الهجرة.

٢) عم رسول الله ﷺ

٣) من ناحية العيص.

٤) هو معدىّ بن عمروالجهيني. وكان حليفا موادعا للفريقين.

٥) عبيدة بن الحارث بن المطلب

٦) رابغ: واد بين الحرمين قرب البحر.

٧) فإنهم ظنوا أن للمسلمين كمينا.

٨) هما المقداد بن الأسود وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما.

٩) واد فى الحجاز يصب فى الجحفة.

١٠) راجع المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى (ج٢ ص٢٢٤-٢٢٩)

المدينة المنورة
حمزة بن عبد المطلب
بواط
العشيرة
ينبع النخل
ينبع البحر
بدر
عبيدة بن الحارث
ودان
الخرار
رابغ
سعد بن أبي وقاص
عبد الله بن جحش
مكة المكرمة
جدة
نخلة
الطائف
غزوة
سرية

السنة الثانية من الهجرة

أهم أحداث السنة

١.	تشريع الجهاد	: صفر
٢.	الغزوات والسريات	: –
٣.	جدول غزواته ﷺ	: –
٤.	غزوة ودّان	: صفر
٥.	غزوة بواط	: ربيع الأول
٦.	غزوة العشيرة	: جمادى الأولى
٧.	غزوة سفوان	: جمادى الآخرة
٨.	سرية عبد الله بن جحش	: رجب
٩.	غزوة بدر الكبرى	: رمضان
١٠.	قتل عصماء	: رمضان
١١.	غزوة بنى سُليم	: شوال
١٢.	قتل أبى عفك اليهودى	: شوال
١٣.	غزوة بنى قينقاع	: شوال
١٤.	غزوة السويق	: ذو الحجة

وفى شعبان من هذه السنة حولت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلى رسول الله ﷺ والمسلمون بالمدينة إلى بيت المقدس[1] ستة عشر شهرا.[2] وكان يصلى بمكة نحو البيت المقدس والكعبةُ بين يديه

وفى شعبان فرض صيام رمضان وفى أواخر رمضان[3] فرضت زكاة الفطر وفى شوال فرضت زكاة الأموال

وفى أول شوال صلى رسول الله ﷺ صلاة الفطر وفى عاشر ذى الحجة صلى صلاة الأضحى وأمر بالأضحية.

وفى رجب هذه السنة كان تزوج عليّ بفاطمة رضى الله عنهما وكان بناؤه بها فى ذى الحجة. وفى رمضان منها توفيت رقية بنت رسول الله ﷺ.[4]

تشريع الجهاد

(شهر صفر، سنة اثنتين من الهجرة)

إن الله هو السلام؛ ودينه هو رسالة السلام. فالله يدعو إلى دار السلام ورسوله يهدى إلى سبل السلام. وأهل الإسلام يتبادلون فيما بينهم بتحية السلام فرسول الله ﷺ مكث بمكة بضع عشرة سنة يدعو الناس إلى دين الإسلام. فأقام لهم ما يقنعهم من بينة وبرهان؛ وتلا عليهم ما يعجزهم من آيات القرآن. فآمن منهم من شرح الله صدره للإسلام؛ وكفر منهم من أضله الشيطان.

فكفرة قريش حاربوا رسالة السلام؛ وآذوا رسول الله ﷺ وعذبوا المؤمنين حتى أخرجوهم من أوطانهم وأقربائهم وأموالهم، وتآمروا على قتل رسول الله ﷺ حتى هاجر من البلد الحرام، وحبسوا المؤمنين المستضعفين بمكة يذيقونهم سوء العذاب. ثم لم يكتفوا بهذا القدر من العدوان. بل نصبوا الحرابة وواصلوا العداو

---

(١) بيت المقدس: فيه لغتان مشهورتان احداهما فتح الميم وإسكان القاف. والثانية ضم الميم وفتح القاف[بتشديد الدال] (شرح مسلم للنووى: ج٣ ص١٣)

(٢) كما رواه مسلم (٥ / ٢ / ١١ [٥٢٥]).

(٣) قبل العيد بيوم أو يومين. (المواهب اللدنية: ج ١ص ٣٤٦).

(٤) راجع تهذيب الأسماء للنووى (ج١ ص٤٧) ووفاء الوفاء للسمهودى (ج١ ص٢٧٤-٢٨٠ والمواهب اللدنية (ج١ ص٣٣٨-٣٨٣).

الناس إلا خائفا على نفسه وأهله وعرضه وماله ولم يتمكن رسول الله ﷺ أن يؤدي رسالته وينشر دعوته إلا إذا أمن جانب قريش.

فدفاعا عن الأنفس والدين والدعوة أذن الله تعالى للمسلمين بقتالهم فى صفر سنة اثنتين من الهجرة، بعد ما نهى الله تعالى عنه فى السنين الماضية، فى نيف وسبعين آية.[١] فقال: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴾[٢] ثم أمرهم الله تعالى بالقتال: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[٣] حتى قال: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[٥] ثم لما تمالأ على المسلمين سائر المشركين أمر الله بقتالهم جميعا: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٦]

فصار الكفار ثلاثة أقسام: الحربيون والذميون والمعاهدون.[٧] فلا حرب إلا

---

(١) السيرة الحلبية (ج٢ ص١٢٤) والمواهب اللدنية مع شرح الزرقاني(ج٢ ص٢١٨-٢١٩).
(٢) الحج: ٣٩-٤٠
(٣) البقرة: ١٩٠
(٤) البقرة: ١٩٣
(٥) النساء: ٧٥
(٦) التوبة: ٣٦
(٧) راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص١٢٤).

مع أهل الحرب؛[1] ومن أخذ بالسيف أُخذ بالسيف. ولا يقاتل من الكفار ذميّ ولا معاهد.

الغزوات والسريات

لما اطمأن المسلمون بالمدينة واستحكم أمر الإسلام جعلت الجيوش تخرج منها إرهابا لظلمة الكافرين وإظهارا لشوكة المسلمين دفاعا عن الدعوة ودين رب العالمين. فما حضره رسول الله ﷺ يسمى الغزوة وما لم يحضره يسمى السرية. وغزواته ﷺ سبع وعشرون أولها غزوة ودّان فى صفر من السنة الثانية وآخرها غزوة تبوك فى رجب من السنة التاسعة. ولم يقع القتال إلا فى ثمان منها[2] وهى بدر وأحد والمريسيع[3] وخندق وبنو قريظة وخيبر وحنين والطائف. ولم يقاتل بنفسه الكريمة إلا فى أحد. ولم يقتل بيده الشريفة إلا أبيّ بن خلف لعنة الله عليه؛ قتل هذا الشقىّ بأحد.[4]

وسراياه ﷺ سبع وأربعون. أولها سرية حمزة بن عبد المطلب ﷺ فى رمضان من السنة الأولى؛ وآخرها سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى البلقاء فى صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة. فجملة غزواته وسرياته أربع وسبعون.[5] وما أريق فى جميع هذه الغزوات والسرايا من الدم هو أقل دم أريق فى تاريخ الحروب. فلم تتجاوز قتلاها ألفا وثمانية عشر (١٠١٨) قتيلا من الفريقين - مائتين وتسعة وخمسين (٢٥٩) من المسلمين وسبعمائة وتسعة وخمسين (٧٥٩) من الكافرين.[6]

---

(١) لكن المستأمن منهم يؤمن فلا يقتل ولا يقاتل.

(٢) وعدها بعضهم تسعا على كون فتح مكة عنوة. ولكن الراجح ما قاله إمامنا الشافعىّ وأصحابه أنها فتحت صلحا. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص١٢٢) وشرح المواهب (ج٢ ص٢٢١).

(٣) غزوة المريسيع هى غزوة بنى المصطلق.

(٤) وستأتى قصة قتله فى غزوة أحد.

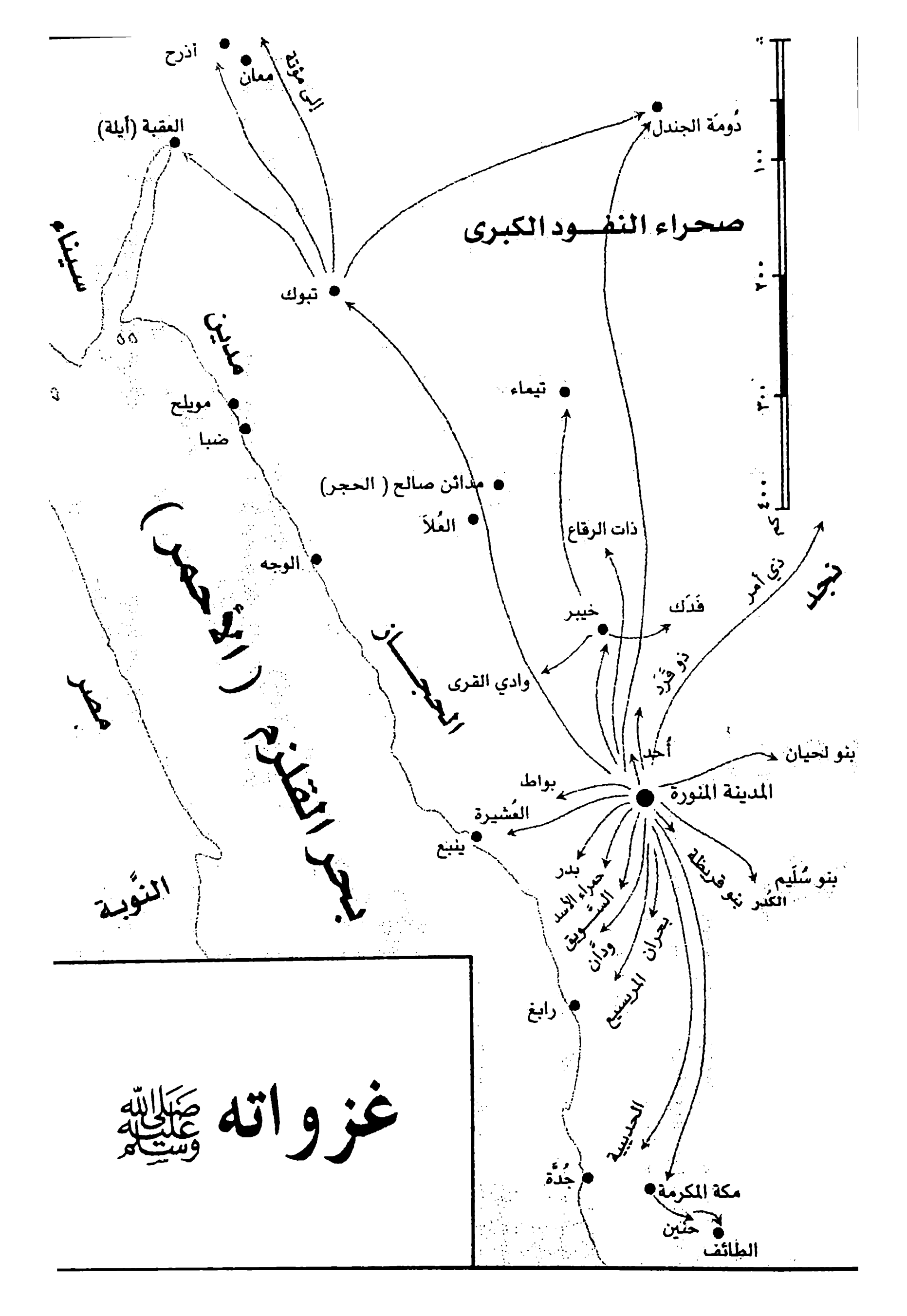
(٥) راجع المواهب اللدنية (ج١ ص٣٣٥) والسيرة الحلبية (ج٢ ص١٢٤).

(٦) كما حققها باستقراء دقيق مؤلف السيرة الشهيرة القاضى محمد سليمان فورى المنصور فى الجزء الثانى من كتابه رحمة للعالمين.

غزواته صلى الله عليه وسلم

الغزوات	ظروف غزواته ﷺ	السنة	أشهر
غزوة ودّان	اعتراض بنى ضمرة وعير لقريش	الثانية	صفر
" بواط	اعتراض عير لقريش	الثانية	ربيع الأول
" العشيرة	اعتراض أعظم عير لقريش	الثانية	جمادى الأولى
" سفوان	ملاحقة كرز بن جابر الذى أغار على سرح المدينة	الثانية	جمادى الآخرة
" بدر الكبرى	اعتراض قافلة لقريش	الثانية	رمضان
" بنى سليم	تنفير من اجتمع للإغارة على المدينة	الثانية	شوال
" بنى قينقاع	نقض يهود بنى قينقاع لعهدهم	الثانية	شوال
" السويق	ردّ مكيدة أبى سفيان الذى نذر غزوه ﷺ للثأر من بدر	الثانية	ذو الحجة
" غطفان	دفع جموع دعثور بن الحارث عن الإغارة على المدينة	الثالثة	محرم
" بحران	تفريق بنى سليم الذين تجمعوا لمداهمة المسلمين	الثالثة	جمادى الأولى
" أحد	مدافعة قريش جائت لقتال المسلمين فى المدينة	الثالثة	شوال
" حمراء الأسد	إرهاب العدوّ عقب أحد حتى لا يتشجعوا على العودة	الثالثة	شوال
" بنى النضير	إجلاء بنى النضير الذين نقضوا العهد وائتمروا على قتل رسول الله ﷺ	الرابعة	ربيع الأوّل
" بدر الآخرة	تلبية تحدى أبى سفيان بأحد أن الموعد بيننا وبينكم بدر العام	الرابعة	شعبان

		القابل		
١٥	" دومة الجندل	ارهاب جمع يظلمون المارة، ويريدون مداهمة المدينة	الخامسة	ربيع الأوّل
١٦	" بنى المصطلق	ردّ المقاتلين من بنى المصطلق	الخامسة	شعبان
١٧	" الخندق	صدّ أحزاب تجمعوا بزعامة قريش لقتال المسلمين بالمدينة	الخامسة	شوال
١٨	" بنى قريظة	القضاء على مكائد بنى قريظة الذين نقضوا للعهد خلال حصار الأحزاب للمدينة	الخامسة	ذو القعدة
١٩	" بنى لحيان	انتقام من غدروا وقتلوا أصحابه ﷺ بالرجيع	السادسة	جمادى الأولى
٢٠	" ذى القرد	ردّ عيينة الذى أغار على لقاح المدينة	السادسة	جمادى الأولى
٢١	" الحديبية	بيعة المسلمين على قتال قريش حين صدهم المسلمين عن عمرة بيت الله الحرام	السادسة	ذو القعدة
٢٢	" خيبر	ردّ أهل خيبر الذين تصدوا لمحاربة المسلمين	السابعة	محرم
٢٣	" ذات الرقاع	صد من جمع الجموع لمحاربته ﷺ من غطفان بنجد	السابعة	محرم
٢٤	" فتح مكة	نقض قريش بنود صلح الحديبية	الثامنة	رمضان
٢٥	" حنين	صدّ من أجمعوا على حرب المسلمين من هوازن وثقيف حينما دخل الناس أفواجا فى دين الله من بعد فتح مكة	الثامنة	شوال
٢٦	" الطائف	تفريق عدوّ لجؤا بالطائف	الثامنة	شوال
٢٧	" تبوك	صدّ جموع الروم الذين تجمعوا لغزو المسلمين بالمدينة	التاسعة	رجب



غزواته صلى الله عليه وسلم
صحراء النفـــود الكبرى
بحر القلزم (الأحمر)
الحجـــاز
نجد
سيناء
مدين
مصر
النوبة
أذرح
معان
إلى مؤتة
العقبة (أيلة)
دُومَة الجندل
تبوك
تيماء
مويلح
ضبا
مدائن صالح (الحجر)
العُلاَ
الوجه
ذات الرقاع
خيبر
فَدَك
ذي أمر
ذو قَرَد
وادي القرى
أُحُد
بنو لحيان
المدينة المنورة
بواط
العُشيرة
ينبع
بدر
حمراء الأسد
السَّويق
ودَّان
بحران
المريسيع
بنو قريظة
بنو سُلَيم
الكُدر
رابغ
الحديبية
جُدَّة
مكة المكرمة
حُنين
الطائف

غزوة وَدّان(غزوة الأبواء)

(صفر، السنة الثانية)

سار[١] رسول الله ﷺ بنفر من المهاجرين إلى ودان[٢] يريد بنى ضمرة وعيرا لقريش. ففاتته العير ووادعته بنو ضمرة.[٣]

غزوة بَواط

(ربيع الأول، السنة الثانية)

خرج رسول الله ﷺ[٤] فى مائتين من المهاجرين ليعترض عير أمية بن خلف ومعه مائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير حتى بلغ ﷺ بواط[٥]. فوجد العير قد سبقته.

غزوة العُشَيرة

(جمادى الأولى ، السنة الثانية)

خرج رسول الله ﷺ[٦] فى مائة وخمسين رجلا من المهاجرين ليعترض أعظم عيرلقريش خرجت إلى الشام، فى إمرة أبى سفيان ابن حرب حتى بلغ ﷺ العشيرة[٧]، فوجد العير قد فاتته. فهناك حالف رسول الله ﷺ بنى مدلج أهل العشيرة. ثم رجع إلى المدينة.[٨]

---

(١) بعد ان استخلف على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(٢) ودّان: (بفتح الواو وتشديد الدال) قرية بين مكة والمدينة على ستة أو ثمانية أميال من الأبواء. فودان والأبواء متقاربان. ولهذا سماها بعضهم غزوة الأبواء. وهذه الغزوة هى أول مغازيه ﷺ راجع فتح البارى (ج٧ ص٢٧٩).

(٣) هم بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة. وادَعه رئيسهم مجدىّ بن عمرو الضمرى.

(٤) بعد ان استخلف على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه.

(٥) بواط: (بفتح الباء وقد تضم وتخفيف الواو) جبل من جبال جهينة بقرب ينبع (فتح البارى: ج٧ ص٢٨٠).

(٦) بعد ان استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى رضي الله عنه.

(٧) بالتصغير موضع لبنى مدلج ببطن ينبع.

(٨) بعد أن ترك بالعشيرة سعد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما يتحسّسان العير.

غزوة سفوان (غزوة بدر الأولى)

(جمادى الآخرة، السنة الثانية)

خرج رسول الله ﷺ[1] فى نفر من المهاجرين يطلب كُرُز بن جابر الفهرى كان قد أغار على سرح[2] المدينة وهرب. فسار ﷺ حتى بلغ سفوان[3]. وفاته كُرُز فرجع إلى المدينة.

سرية عبد الله بن جحش

(رجب السنة الثانية)

أرسله ﷺ فى ثمانية رجال من المهاجرين بكتاب مختوم يقرأه بعد مسيره يومين فلما قرأه فى موعده قال لأصحابه: قد أمرنى رسول الله ﷺ أن أمضى إلى نخلة،[4] أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر. وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم. فمضى ومضى معه أصحابه. ولم يتخلف منهم أحد.[5]

نزل الركب كما أمروا بنخلة. فمرت بهم عير قرشية تقصد مكة. فقتلوا أمير العير وأسروا رجلين واستاقوا العير. وكان اليوم آخر رجب. فعاتبهم المشركون واليهود؛ ورفض رسول الله ﷺ ما استاقوا به. وقال: ما أمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام. فندم الركب على ما فعلوا؛ وعنفهم سائر المسلمين. فنزل فى الأمر فصل الخطاب من القرآن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[6] فعندئذ تسلّم رسول الله ﷺ غنيمتهم وفدى الأسيرين[7].

---

(١) بعد أن استخلف على المدينة مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه.

(٢) السرح: مواش تسرح للرعي بالغداة.

(٣) سفوان: واد بناحية بدر.

(٤) نخلة: بستان بين مكة والطائف.

(٥) إلا رجلين قد أضلا بعيرهما. وهما سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان رضى الله عنهما. راجع الكامل (ج٢ ص٧٩).

(٦) البقرة: ٢١٧.

(٧) وهما الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى. فالحكم قد أسلم، وعثمان قد مات كافرا. راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٤٢).

غزوة بدر الكبرى

١٨. عودة المسلمين إلى المدينة

١٩. فداء الأسرى

٢٠. تنبؤات تحققت ومعجزات تدفقت

مقتل أمية بن خلف

مصارع أشراف قريش

مظاهر الملائكة

كشف الحجاب عن كنــز مدفون

خيبة صفوان

آثار الانتصار ببدر



صورة مجملة لغزوة بدر الكبرى[1]

تاريخ الغزوة	:	يوم الجمعة- ١٧، رمضان، سنة ٢هـ
عدة المسلمين	:	٣١٣ (ثلاث مائة وثلاثة عشر)
شعارهم		أحد! أحد!
شهداءهم		١٤ (أربعة عشر)
عدة المشركين	:	٩٥٠ (تسع مائة وخمسون)
قتلاهم	:	٧٠ (سبعون)

قفل أبو سفيان بأعظم عير لقريش من الشام. فخرج إليها رسول الله ﷺ بأصحابه. فلما علم بذلك أبو سفيان استأجر رجلا يستنفر قريشا لحماية عيرهم. فخرج نفير قريش بكل الأجهزة والأسلحة. فاستشار ﷺ أصحابه عامة والأنصار منهم خاصة. فكلهم رضوا بلقاء العدوّ وقتالهم. فقال ﷺ 'سيروا وابشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين'.

ثم إن أبا سفيان ساحل بالعير ونجا. وأرسل إلى قريش يخبرهم بنجاة العير ويأمرهم بالعودة إلى مكة. ولكن أبا جهل قال: والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم فيه ثلاثا. فيسمع بنا العرب فيهابوننا أبدا. فالتقى الفريقان ببدر. فأيد الله المؤمنين بنصره وعنايته وملائكته. فهزموا المشركين وقتلوا منهم سبعين وأسروا منهم سبعين. وانقلبوا إلى المدينة بالغنائم والأسرى مستبشرين معتزين.

فقسم رسول الله ﷺ الغنائم بينهم وأطلق الأسارى بالفداء. وكانت هذه الغزوة أول معركة في تاريخ الإسلام. غلبت فيها القلةُ الكثرةَ!! ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[2]. وبهذه الغزوة صارت

---

(١) ويقال لها أيضا بدر العظمى وبدر القتال وبدر الفرقان لأن الله تعالى فرّق فيها بين الحق والباطل (السيرة الحلبية: ج٢ ص١٤٣).

(٢) البقرة ٢٤٩

الأذلة أعزة وطفق الإسلام يعلو وينتشر. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[1]

مسير المسلمين

سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام فى ثلاثين أو أربعين رجلا بأعظم عير لقريش. كان فيها ألف بعير تحمل أموال قريش[2] حتى قوّم ما فيها بخمسين ألف دينار[3] فخرج إليها رسول الله ﷺ بمن انتدب من أصحابه[4] وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا.[5] وما كان معهم من الدروع إلا ستون[6] ومن الفرس إلا اثنان[7] ومن البعير إلا سبعون كانوا يعتقبونها فكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ﷺ يعتقبون بعيرا كما كان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب ومرثد بن أبي المرثد الغَنَوىّ رضي الله عنهما يعتقبون بعيرا[8]. فلما كانت عقبة رسول الله

---

(١) آل عمران ١٢٣

(٢) البداية والنهاية (ج٣ ص٢٩٢).

(٣) راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص١٢٦ و ج٢ ص٢١٧) والمواهب اللدنية (ج١ ص٣٩٢).

(٤) وانما لم ينتدب الآخرون لأنهم لم ينتظروا حربا بل أموال العير مع أن القافلة لا تزيد على أربعين رجلا. راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٤٤). ولم يعاتب أحد تخلف عن بدر، وانما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد (صحيح البخارى: ٣٩٥١/٣/٦٤).

(٥) هذا قول عامة السلف كما قاله ابن جرير رحمه الله (السيرة الحلبية: ج٢ ص١٤٩) وفى رواية للبخارى ثلاثمائة وبضعة عشر(٣٩٥٩/٦/٦٤) وفى دلائل البيهقى عن أبى أيوب الأنصارى (ج٣ ص٣٧) وعن ابن إسحاق (ج٣ ص٤٠) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وعن عبدالله بن عمرو(ج٣ ص٣٨) ثلاثمائة وخمسة عشر وعن عمر بن الخطاب ﷺ (ج٣ ص٥١) ثلاثمائة وتسعة عشر. وفى ابن هشام (ج٢ ص٣٥٤) ثلاثمائة وأربعةعشر. وقال العلامة الحلبى من زاد على ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا عد من رده ﷺ من الروحاء ومن أسهم له. ومن نقصهم عن ذلك وعدهم ثلاثمائة وخمسة رجال أو ستة رجال أو سبعة رجال فالجواب عنه لا يخفى (السيرة الحلبية: ج٢ ص١٤٩).

(٦) ابن كثير (ج٣ ص٢٩٦).

(٧) فرس لزبير بن العوام وهو على الميمنة وفرس لمقداد بن الأسود وهو على الميسرة (البداية والنهاية: ج٣ ص٢٩٧).

(٨) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٥١).

ﷺ قال زميلاه: نحن نمشي عنك. فقال: ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما.[١]

دفع رسول الله ﷺ لواءه الأبيض لمصعب بن عمير رضي الله عنه وجعل بين يديه رايتين سوداوين. إحداهما بيد عليّ رضي الله عنه والأخرى بيد سعد بن معاذ رضي الله عنه[٢] وكان خروجه ﷺ من المدينة لثمان خلون من رمضان من السنة الثانية من الهجرة. واستعمل بالمدينة إماما على الصلاة عبد الله ابن أم مكتوم وواليا عليها أبا لبابة رضى الله عنهما[٣]. ولما كان ﷺ على ميل من المدينة عرض أصحابه فردّ من استصغرهم[٤]. فكان منهم عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان ابن ست عشرة سنة. فكان يتوارى فقال له أخوه سعد بن أبي وقاص: ما لك يا أخي؟ قال: أخاف أن يستصغرنى رسول الله ﷺ فيردنى وأنا أحب الخروج، لعل الله أن يرزقنى الشهادة. فلما ردّه ﷺ جعل يبكى فأجازه رسول الله ﷺ؛ فرزقه الله ما تمنّى من الشهادة[٥]. ولما سار ﷺ يوما أو يومين أفطر الصوم وأمرهم بالإفطار.[٦]

نفير قريش

كان أبو سفيان يتحسس الأخبار حين دنا من الحجاز،حتى بلغه خروج رسول الله ﷺ من المدينة. فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى[٧] فبعثه إلى مكة على

---

(١) راجع دلائل البيهقى (ج٣ ص٣٩) والمستدرك للحاكم (ج٣ ص٢٠) وأخرجه النسائى فى السير. وكان زميلاه أولا عند خروجه من المدينة عليا وأبالبابة رضى الله عنهما. وهما اللذان قالا له هذه المقالة. ثم لما ردّ أبالبابة من الروحاء واليا على المدينة كان زميله الآخر بدل أبي لبابة مرثد بن أبي المرثد الغنوى رضي الله عنه (راجع البداية والنهاية: ج٣ ص٢٩٧).

(٢) ابن هشام (ج٢ ص٢٥١).

(٣) وكان أبولبابة قد صحبه إلى الروحاء. فلما بلغها ردهﷺ إلى المدينة واليا عليها. راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٥١).

(٤) كأسامة بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت رضي الله عنهم (السيرة الحلبية ج٢ ص١٤٦).

(٥) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير(ج٣ ص٧٩٥، ٧٩٦).

(٦) الحلبية (ج٢ ص١٤٨).

(٧) استأجره بعشرين مثقالا ولا يعرف له إسلام وأما ضمضم الذى من الصحابة هو ضمضم بن

جناح السرعة. وكانت عاتكة[1] بنت عبد المطلب قد رأت فى منامها رؤيا أفزعتها: أن راكبا أقبل على بعيره حتى صرخ، بأعلى صوته بالأبطح[2] ثم على ظهر الكعبة ثم على جبل أبي قبيس[3]: 'ألا، انفروا يا آل غدر[4] لمصارعكم فى ثلاث.[5]' ثم أرسل بصخرة حتى إذا كانت بأسفل الجبل تفتتت فما بقى بيت من بيوت مكة إلا دخلته منها قطعة.

فشا حديث الرؤيا بمكة حتى تحدثت به قريش فى أنديتها. فقال أبو جهل: 'يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساءكم !! نتربص بكم هذه الثلاث. فإن يك حقا ما تقول (عاتكة) فسيكون؛ وان لم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا: أنكم أكذب أهل بيت فى العرب.' فلما أصبحوا فى اليوم الثالث فما راعهم إلا صراخ ضمضم ببطن الوادى، قد جدع[6] بعيره وحول رحله وشق قميصه: 'يا معشر قريش، اللطيمةَ[7] اللطيمةَ؛ أموالكم مع أبى سفيان، قد عرض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث! الغوث!!'[8]

فتجهزت قريش سراعا ولم يتخلف من أشرافها إلا أبو لهب؛ وذلك خوفا من رؤيا عاتكة[9]. بعث مكانه العاص بن هشام؛ استأجره بأربعة آلاف درهم[10]. وكان

عمر الخزاعى (السيرة الحلبية: ج٢ ص١٤٣).

(١) هي عمة النبيّ ﷺ وفى إسلامها خلاف (السيرة الحلبية: ج٢ ص١٤٣).

(٢) الأبطح: موضع بين مكة ومنى وهو أقرب إلى منى، ويقال له المحصّب والبطحاء والحصبة وخيف بنى كنانة.راجع معجم البلدان(ج١ ص٩٥ و ج ٥ ص٧٤)وشرح مسلم (ج٥ ص٧٠).

(٣) أبو قبيس هو الجبل المشرف على مكة من شرقيها (تقويم البلدان: ص٧٨).

(٤) أى يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء (فهو بفتح الغين). وفى كلام السهيليّ بضم الغين والدال، جمع غَدور، أى إن تخلفتم فانتم غدر لقومكم (الحلبية: ج٢ ص١٤٣).

(٥) بعد ثلاث.

(٦) جَدع بعيره: قَطع أنفه وأذنيه (الحلبية: ج٢ ص١٤٤).

(٧) اللطيمة: أىأدركوااللطيمة وهي الإبل التى تحمل الطيب والبزّ (الحلبية: ج٢ ص١٤٤)

(٨) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٤٤-٢٤٨) وابن كثير(ج٣ ص٢٩٣، ٢٩٤) والمستدرك للحاكم (ج٣ ص١٩، ٢٠).

(٩) الحلبية (ج٢ ص١٤٤).

(١٠) كانت له على العاص دينا من الربا فأفلس بها العاص. فقال أبو لهب: اخرج عنى، ودينى لك. وقتل

عددهم أكثر من ألف[١]. وكان فيهم ستمائة درع وكانت معهم مائة فرس وسبعمائة بعير وقيان[٢] يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين. وخرجوا من مكة مستكبرين بكثرة العَدد ومتبخترين بوفرة العُدد.

انقلاب العير

سار ﷺ بأصحابه حتى إذا كان قريبا من الصفراء[٣] بعث رجلين[٤] إلى بدر يتحسسان له الأخبار. فمضيا حتى نزلا بدرا قريبا من الماء، وجعلا يستقيان فى شنّ[٥] لهما فإذا هما بجاريتين تختصمان فى أمر دَين. فقالت المدينة للدائنة: إنما تأتى العير غدا أو بعد غد. فأعمل لهم فأقضيكِ الذى لك. وكان على الماء مجدىّ بن عمرو الجهنىّ. فقال: صدقتِ ثم خلص بينهما. فأسرع الرجلان إلى رسول الله ﷺ بهذا الخبر.

فلما ورد أبو سفيان الماء استخبر مجديا. فأخبر بالراكبين اللذين استقيا فى الشن. ففتّ[٦] أبو سفيان شيئا من أبعار بعيريهما. فإذا فيه نوى يثرب. فضرب وجه عيره عن الطريق، فساحل[٧] بها مسرعا. ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش 'أن ارجعوا.' فإنهم قد خرجوا ليحرزوا عيرهم. فقال أبو جهل: 'والله لا نرجع حتى نرد بدرا[٨]. فنقوم عليه ثلاثا؛ فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب؛ فلا يزالون يهابوننا أبدا.' ولكن لم يرض بذلك الأخنس بن شريق الثقفي. فرجع ببنى زهرة إلى مكة، كان قائدهم وحليفهم. وكانوا نحو مائة.[٩]

العاص فى هذه الغزوة بيد عمرؓ راجع الحلبية (ج٢ ص١٤٥) وابن هشام (ج٢ ص٢٤٧).

(١) ابن كثير عن مسلم (ج٣ ص٣٣٩، ٣٤٣).

(٢) القيان جمع قينة، وهى الجارية المغنية.

(٣) الصفراء: قرية بين الجبلين – مُسلح ومُخرئ (ابن هشام: ج٢ ص٢٥٣).

(٤) هما بسبس بن عمرو الجهنىّ حليف بنى ساعدة وعدىّ بن أبى الزعباء الجهنىّ حليف بنى النجار.

(٥) الشنّ: القربة.

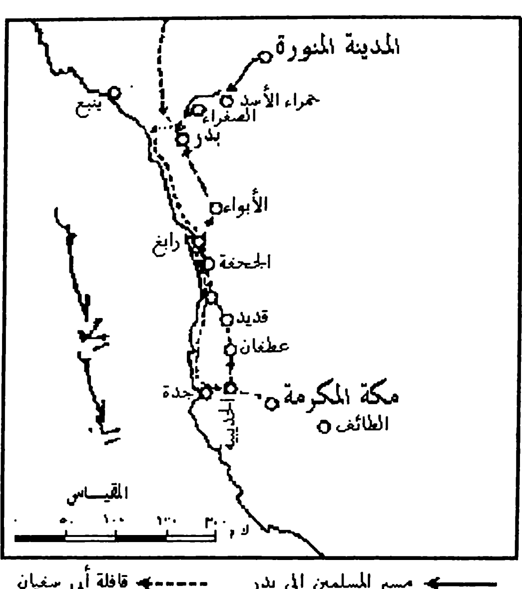
(٦) فت: كسر وشق.

(٧) سلك طريق ساحل البحر (مجانبا طريق القوافل المعتادة).

(٨) وكان بدر موسما من مواسم العرب تقوم به سوق كل عام وتقع بدر على ١٤٥كم. فى الجنوب الغربىّ من المدينة المنورة كما فى بعض الكتب ولكن فى كتاب الدكتور محمد عبد يمانى ١٥٣ كم.

(٩) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٥٢-٢٥٨) وسيرة زينى دحلان (ج١ ص٣٦٩) والحلبية (ج٢ ص١٥٣).

طريق الجيشين إلى بدر



مسير المسلمين إلى بدر — قافلة أبي سفيان — مسير قريش إلى بدر

جيش قريش ببدر

فلما نزل رسول الله ﷺ بوادى ذَفِران[1] بلغه خروج قريش لمنع عيرهم. فاستشار الناس. فأدلى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما برأيهما وأحسنا فى كلامهما. ثم قام المقداد بن عمرو ﷺ فقال: يا رسول الله، والله ما نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. ثم قال رسول الله ﷺ 'أشيروا عليّ أيها الناس' وانما يريد الأنصار. فانهم ما التزموا فى بيعة العقبة إلا نصره فى ديارهم. فقال سعد بن معاذ ﷺ وهو صاحب راية الأنصار. والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد؛ فسُرّ بذلك رسول الله ﷺ وقال: سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدنى

---

(١) ذفران: (بكسر الفاء) واد قريب من الصفراء (الحلبية: ج٢ ص١٤٩).

إحدى الطائفتين؛ والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم.[1]

ارتحل رسول الله ﷺ بأصحابه من ذفران حتى نزل قريبا من بدر. فهنالك دعاﷺ لأصحابه: 'اللهم إنهم حفاة فاحملهم اللهم إنهم عراة فاكسهم[2] اللهم إنهم جياع فأشبعهم'.[3] فلما أمسى أرسل نفرا يلتمسون الأخبار. فأتوا بغلامين من سقاة قريش. ففهم ﷺ من كلامهما أن النفير وراء الكثيب[4] بالعدوة القصوى[5] وأن عددهم يتراوح بين التسعمائة والألف وأن فيهم عتبة وشيبة وأبا جهل وأمية وغيرهم من صناديد[6] قريش. فأقبل على الناس فقال: 'هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها'.[7]

جيش المسلمين ببدر

نزلت قريش من البدر بالعدوة القصوى والمسلمون بالعدوة الدنيا[8]. فكان الماء قريبا من المشركين وبعيدا عن المسلمين، وكان فيهم محدث وجنب وعِطاش كما كانت أرضهم دهسا[9] تسوخ فيها الأقدام. فضاقت بهم صدورهم حتى وسوس لهم الشيطان.[10] فأرسل الله عليهم فى الليل مطرا لَبَّد أرضهم، وثَبَّتَ أقدامهم، وقضى حوائجهم، ويَسَّر ارتحالهم حينما وَحَّلَ على قريش أرضهم،

---

(١) ابن كثير (ج٣ ص٢٩٨-٢٩٩) فعلم القوم أنهم ملاقون القتال وأن العير لا تحصل لهم (السيرة الحلبية: ج٢ ص١٥١).

(٢) فَاكْسُهُمْ: أَمْرٌ مِنْ كَسَا يَكْسُو.

(٣) ففتح الله لهم يوم بدر فانقلبوا حيث انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أوجملين واكتسوا وشبعوا. أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص ﷺ (الحلبية: ج٢ ص١٥١).

(٤) الكثيب: القلّ من الرمل.

(٥) بالعدوة القصوى: أى جانب الوادى الأبعد عن المدينة مما يلى مكة. والعدوة: شطّ الوادى، والقصوى: تأنيث الأقصى.راجع تفسير البيضاوى(ج٢ ص١٩٠).

(٦) الصناديد: جمع صنديد: السيّد الشجاع.

(٧) دلائل البيهقىّ (ج٣ ص٤٢-٤٣) وابن هشام (ج٢ ص٢٥٦). وأفلاذ: جمع فلذة وهى القطعة.

(٨) بالعدوة الدنيا: أى جانب الوادى الأدنى من المدينة.

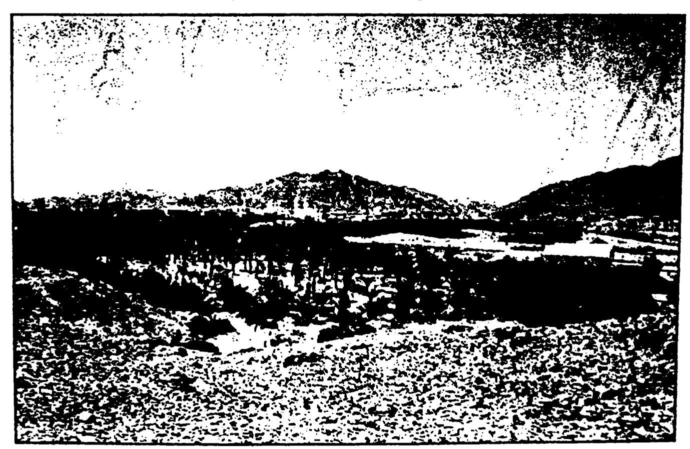
(٩) الدهس: اللين والرخو.

(١٠) وسوس إليهم: كيف تنصرون وقد غُلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله (البيضاوى: ج٢ ص١٨٣).

به أقدامهم، وعسر عليهم انتقالهم. فكان هذا المطر نعمة على المسلمين
ت نقمة للمشركين[1] قال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم
بِ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[2]



جبل كراش الأسود والعقنقل بجانبه وبينهما نزل المشركون بالعدوة القصوى



جانب من معسكر قريش بعد قدومهم من العدوة القصوى

ع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٠٤) والسيرة الحلبية (ج٢ ص١٥٤).
ال: ١١

فخرج رسول الله ﷺ يبادر المشركين إلى الماء حتى نزل بأصحابه بأقرب ماء من بدر فسأله الحباب بن المنذر: أهذا بوحي أم برأي؟ فلما أجابه بأنه برأي لا بوحي أدلى إليه الحباب برأي آخر. فاستحسنهﷺ؛ فنَزل بهم بأقرب ماء من القوم، وبنوا عليه حوضا، وملئوه ماء، ووضعوا فيه الآنية، وطمّوا ما وراءه من الآبار، لئلا يجد المشركون ماء حتى يحكم الله بين الفريقين[١]. وكانت ليلة البدر ليلة جمعة. فبشرهم ﷺ بالنصر وأراهم مصارع رؤساء القوم؛ فباتوا كلهم نياما ورسول الله ﷺ قائم يصلى، وهو يكثر فى سجوده: 'يا حيّ يا قيوم'.[٢]

عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأى سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يبنوا لرسول الله ﷺ عريشا يكون فيه ويُعِدّوا عنده مراكبه ليلحق بالمدينة إن أصيبوا ببدر. فإن من بالمدينة ليسوا دون هؤلاء فى محبته ونصرته؛ ولوعلموا حربا ما تخلفوا عنه[٣]. فلما تقدم بمشورته إلى رسول الله ﷺ قال: 'أو يقضى الله خيرا من ذلك يا سعد؟' ثم أذن لهم فى ذلك. فبنوا له عريشا على تل مشرف على ميدان الحرب[٤]. ثم قالوا: من يكون مع رسول اللهﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين، فانتدب لذلك أبوبكر رضي الله عنه. وكان أشجع الناس[٥]. ثم لما التحم القتال وقف معه على باب العريش سعد بن معاذ ورجال من الأنصار[٦]. وكان عليّ رضي الله عنه يتردد إليه أثناء المعركة فكان يجده فى كل مرة ساجدا وهو يقول: 'يا حيّ يا قيوم' حتى فتح الله عليه.[٧]

---

(١) ابن هشام (ج٢ ص٢٥٩-٢٦٠) ودلائل البيهقى (ج٣ ص٣٥) البداية و النهاية (ج٣ ص٣٠٥).

(٢) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٠٤) ودلائل البيهقى (ج٣ ص٤٩).

(٣) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٠٥).

(٤) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٥٥، ١٥٦).

(٥) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٠٩-٣١٠).

(٦) راجع سيرة زينى دحلان (ج١ ص٣٧٧) والبدايةوالنهاية (ج٣ ص٣٠٩).

(٧) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٣ ص٤٩).

مكان معسكر المسلمين بعد قدومهم من العدوة الدنيا



الحوض الذى شرب منه الصحابة رضوان الله عنهم

جراءة أبي جهل

لما أصبحت قريش انحدروا إلى وادى بدر. فأرسلوا رجلا[١] ينظرلهم عدد المسلمين. فلما رجع قال: "رأيتهم زهاء ثلاثمائة وليس لهم كمين ولا مدد. ولكن رأيت البلايا[٢] تحمل المنايا . قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم؛ والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يَقتل رجلا منكم. فإذا أصابوا منكم أعدادكم فما خير العيش بعد ذلك"؟! فتأثر بذلك قلب حكيم بن حزام، وطلب من عتبة بن ربيعة أن يرجع بالناس وأن يحمل دية حليفه عمروبن الحضرمى[٣]. فوافقه عتبة ونادى بذلك فى الناس. ولكن الأمر كان بيد أبي جهل فأرسل إليه عتبةُ حكيمَ بن حزام. فقال: "كلاّ، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمد، وما بعُتبة ما قال[٤]. ولكنه رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور[٥] وفيهم ابنه. فقد تخوفكم عليه". ثم أغْرَى أبو جهل عامر بن الحضرمي بأخيه القتيل عمرو بن الحضرمي. فقام عامر صارخا: وا عَمْرَاهْ! واعمراه![٦] فحمي الوطيس، واشتد أمر الناس، وفسد رأي عتبة حتى اذا لم يجد بيضة تسع رأسه خرج للقتال متعمما ببرد.[٧]

حكمة بالغة

كان المشركون ثلاثة أضعاف المسلمين. وعلم بذلك كلا الفريقين. ثم لما ترائيا وتقابلا قلل الله تعالى المشركين فى نظر المسلمين حتى قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لصاحبه: أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة، كما قلّل الله تعالى المسلمين فى رأى المشركين حتى قال أبو جهل: إن محمدا وأصحابه أكلة جزور. فقلل الله تعالى كلا منهما فى عين الآخر ليجترئ هؤلاء على أولئك، وأولئك على

---

(١) وهو عمير بن وهب الجُمحى.

(٢) البلايا جمع بلية دابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يزعم: أن صاحبها يحشر عليها.

(٣) الذى قتله المسلمون فى سرية عبد الله بن جحش.

(٤) من مصلحة قريش فى الرجوع بلا قتال.

(٥) أى قليلو العدد، وأكلة جزور نحو مائة.

(٦) يندب أخاه عمرو بن الحضرمى.

(٧) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٦١-٢٦٤).

هؤلاء؛ولئلايبالغ المشركون فى الاستعداد. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾[1]

ثم لما التحم القتال كثّر الله المسلمين فى أعين المشركين ليزدادوا وهنا وجبنا. قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾.[2] وهذا التكثير والتقليل كل ذلك كان من حكمة الله البالغة.[3]

التقاء الجيشين

فبينما هم على ذلك اندفع[4] من صفوف المشركين الأسود المخزوميّ[5]. فأقسم لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنه أولأموتنّ دونه. فضربه حمزةﷺ؛ فقطع ساقه؛ فسقط على ظهره؛ ثم زحف حتى اقتحم الحوض فقتله حمزةﷺ فى الحوض.[6] ثم ابتدئ القتالُ بالمبارزة. فخرج منهم عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة. فخرج إليهم ثلاثة من فتيان الأنصار[7]. فقالوا: "ما لنا بكم من حاجة". وطلبوا أكفاءهم من قومهم. فبارز الأوّلَ عبيدةُ بن الحارث[8] ﷺ والثانىَ حمزةُﷺ والثالثَ عليّ ﷺ فقتل حمزة وعليّ صاحبيهما. وأما عبيدة ﷺ وعتبة لعنه الله تعالى فاختلفا بضربتين. فكلاهما سقط جريحا. فكرّ حمزة وعليّ رضى

---

(١) الأنفال: ٤٤

(٢) آل عمران: ١٣

(٣) راجع تفسير البيضاويّ والخازن والبغويّ فى شرح آية ١٣ من آل عمران وآية ٤٤من الأنفال.

(٤) وذلك قبل ابتداء المعركة.

(٥) هو ابن عبد الأسود المخزوميّ.

(٦) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٦٤) ودلائل البيهقيّ (ج٣ ص١١٣).

(٧) هم عوف بن الحارث ومعوذ بن الحارث وعبد الله بن رواحة (ابن هشام: ج٢ ص٢٦٥).

(٨) ابن عبد المطلب بن عبد مناف.

الله عنهما على عتبة فقتلاه.[1] واحتملا عبيدة إلى رسول الله ﷺ فوضع خده على قدمه الشريفة.[2] فمات ﷺ شهيدا عند أوبته إلى المدينة بالصفراء.[3]

تعبية الجنود وتسوية الصفوف

ثم عبّأ رسول الله ﷺ جيشه أحسن تعبية، وعدّل صفوفهم أعدل تسوية. فرأى سواد بن غزية متقدما من صفّه. فطعنه رسول الله ﷺ بقدحه[4] فى بطنه. وقال: 'استقم يا سواد'. فقال: 'يا رسول الله، أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل. فأقدنى' فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: 'استقد' فاعتنقه فقبل بطنه. فقال ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فاردتّ أن يكون آخرالعهد بك أن يمسّ جلدى جلدك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير.[5] ثم دخل العريش واستغرق فى الضراعة والابتهال؛ يناشد ربه ما وعده من النصر.[6] فقال: اللهم انشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا. فأخذ أبوبكرﷺ بيده فقال حسبك، يا رسول الله، ألححت على ربك، وهو[7] يثب فى الدروع، فخرج من العريش وهو يقول[8]: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[9]

---

(١) ابن كثير (ج٣ ص٣١١) وابن هشام (ج٢ ص٢٦٥).
(٢) ابن كثير (ج٣ ص٣١٢).
(٣) ابن كثير (ج٣ ص٣٧٢).
(٤) بِقِدْحِهِ : القِدْح : السهم قبل أن ينصل و يراش.
(٥) ابن كثير (ج٣ ص٣٠٩).
(٦) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٦٧).
(٧) والضمير راجع إلى رسول الله ﷺ كما يفهم من حديث أخرجه الطبرى وابن مردويه: رأيت رسول الله ﷺ يثب فى الدروع وهو يقول: سيهزم الجمع. راجع فتح البارى (ج٧ ص٢٨٩).
(٨) صحيح البخارى (٢٩١٥/٨٩/٥٦ و ٣٩٥٣/٤/٦٤ و ٤٨٧٧/٥٤/٦٥).
(٩) القمر: ٤٥، ٤٦

نزول الملائكة

نزل رسول الله ﷺ من العريش وحرض الناس على القتال، وهم على مصافهم صابرين ذاكرين.[1] كما أمرهم ربّهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2] وقد بشره الله تعالى بالظفر وأمر ملآئكته بالنصر كما قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ ﴾[3] ﴿ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[4] وكماقال: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾[5]

والملائكة لم يقاتلوا إلاف بدر وكانوا فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون[6]. وكان إبليس قد جاء فى جند من الشياطين. وكان هو فى صورة سراقة بن مالك وهم فى صور رجال[7]. فقال للمشركين: "لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جارلكم". فلما رأى الملآئكة ولّى مدبرا بجنده. وقال[8]: إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب.[9]

---

(١) البداية والنهاية (ج٣ ص٣١٧).

(٢) الأنفال: ٤٥

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنه: أمد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة. فكان جبريل عليه السلام فى خمسمائة مُجَنَّبة وميكائيل عليه السلام فى خمسمائة مجنبة. وهذا هو المشهور. البداية والنهاية (ج٣ ص٣١٤). والمجنبة من الجيش جناحه.

(٤) الأنفال :٩. مردفين : متتابعين.

(٥) الأنفال :١٢. البنان : أطراف الأصابع.

(٦) ابن هشام (ج٢ ص٢٧٤).

(٧) من بنى مدلج.

(٨) وكانت يده فى يد رجل من المشركين. فانتزع إبليس يده من يده ثم ولّى مدبرا فقال الرجل: يا سراقة، أما زعمت أنك لنا جار، فقال تلك المقالة. راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٢٣).

(٩) دلائل النبوة للبيهقى(ج٣ ص٧٩).

حمي الوطيس وتزاحف الناس والتحم القتال. ونزل رسول الله ﷺ إلى موطن القتال حتى دنا من العدوّ. قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدوّ. وكان من أشد الناس بأسا[1] ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء[2]. فاستقبل بها قريشا ثم قال: شاهت الوجوه[3] ثم رماهم بها. فقال لأصحابه شدّوا.[4] فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه من ذلك التراب شيء. ثم ردفهم المسلمون يقتلوهم ويأسروهم[5]. وأنزل الله فى ذلك: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾.[6]

فقتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون.[7] فكان من القتلى عتبة وشيبة وأبوجهل وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبوالبخترى بن هشام وحنظلة بن أبي سفيان وأمثالهم من أعلام قريش.[8] ومن الأسرى عقبة بن أبي معيط والنضربن الحارث وعمروبن أبي سفيان والوليد بن الوليدوعبدالله بن أبيّ وعمرو بن أبيّ ووهب بن عمير وأشباههم من أشراف قريش.[9] فأُلقِي صناديدُ قريش من القتلى فى قليب ببدروطرح باقيهم فى أمكنة أخرى.[10]

---

(١) رواه الإمام أحمد. راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣١٨). والبأس: الشجاعة والقوة.

(٢) حفنة من الحصباء: قبضة من الحصا.

(٣) شاهت: قبحت، خبر بمعنى الدعاء.

(٤) ابن هشام (ج٢ ص٢٦٨) شدّوا: احملوا وقاتلوا.

(٥) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٢٤).

(٦) الأنفال: ١٧

(٧) راجع صحيح البخارى (٣٩٨٦/١٠/٦٤) وابن هشام (ج٢ ص٣٦٤) وابن كثير (ج٣ ص٣٤٢).

(٨) راجع ابن هشام (ج٢ ص٣٥٥-٣٦٣).

(٩) راجع المصدر المذكور (ج٢ ص٣٥٦-٣٦٧).

(١٠) فتح البارى (ج٧ ص٣٠٢).

وكان ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم[1] ثلاث ليال.[2] وذلك لإراحة المراكب والأنفس وتوطيد الغلبة وتنفيذ الأحكام وقلة الاكتراث بالعدوّ فكأنّه يتحداهم: من كانت فيه قوة منكم فليرجع إلينا كما فى هذه الإقامة ضيافة أرض المعصية بالطاعة وإظهار شعار الإسلام؛ والضيافة ثلاثة أيام.[3] فلما خرج ﷺ بأصحابه من بدر فى اليوم الثالث وقف على شفير القليب فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان[4]، أيسرّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقا؛ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا.[5]

فسمع عمر قول النبيّ ﷺ فقال: يارسول الله، كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ شيئا.[6]

شهداء بدر

ما استُشهد من المسلمين ببدر إلا أربعة عشر رجلا - ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. فأما المهاجرون فهم عبيدة بن الحارث وعمير بن أبى وقاص وذو الشمالين وعاقل بن البُكَيْر ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء رضى الله عنهم. وأما الأنصار فهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويَزِيدُ بن الحارث وعُمَيْر بن الحُمَام ورافع بن الْمُعَلّى وحارثة بن سراقة وعوف بن الحارث

---

(١) العرصة: البقعة الواسعة بلا بناء.

(٢) راجع صحيح البخارى (٣٠٦٥/١٨٥/٥٦).

(٣) راجع فتح البارى (ج٦ ص١٨١).

(٤) أى يا عتبة ويا شيبة وهكذا.

(٥) صحيح البخارى (٣٩٧٦/٨/٦٤).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت (٧٦/١٧/٥١). فأما قوله تعالى: إنك لا تسمع الموتى الخ. فمعناه لا تسمع إسماع إجابة أى انهم لا يجيبونك كما يجيبك الأحياء على العادة والأغلب أو المعنى انك لا تسمعهم و إنما المسمع هو الله تعالى.

بن الحارث[1] رضى الله عنهم أجمعين. وكان رسول الله ﷺ قد
ء حين قسم غنائم بدر.[2]



موقع شهداء بدر



القليب : المكان الذي دفن فيه قتلى المشركين

هشام (ج٢ ص٣٥٤-٣٥٥).

هم ماتوا بعد انقضاء الحرب فلا يشكل على ما قاله فقهاؤنا إن من مات قبل انق
ن له (السيرة الحلبية: ج٢ ص١٨٥).

رجال تخلفوا بسهم وأجر

تجهز رجال لبدر ثم تخلفوا لضرورات. فضرب رسول الله ﷺ لكل منهم سهما من سهام الغنيمة[١]. فصار كل منهم يقول: وأجرى يا رسول الله؟ فيقول: وأجرك[٢]. ومنهم عثمان بن عفان ﷺ خلفه رسول الله ﷺ على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ حيث كانت فى مرض الموت؛ وأبوأمامة بن ثعلبة الأنصارى ﷺ خلفه على أمه المريضة؛ وأبو لبابة ﷺ ردّه ﷺ من الروحاء واليا على المدينة وعبد الله بن أم مكتوم ﷺ إستعمله بالمدينة على الصلاة بالناس وعاصم بن عدىّ ﷺ استخلفه على أهل قباء وأهل العالية[٣]؛ وخوّات بن جُبير والحارث بن الصِمّة رضى الله عنهما كُسرا[٤] فى الطريق وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضى الله عنهما بعثهما يتحسسان عير قريش، فلم يرجعا إلا بعد إنتهاء الحرب؛ وسعد بن عبادة سيد الخزرج لَدَغتْه الحية، فأقام ﷺ بالمدينة.[٥]

عاقبة أبى لهب لعنه الله تعالى

بلغ مكة خبر هزيمة قريش، فأصابتهم الدهشة من انفجار الأحزان حتى قطعت النساء شعورهن وعقرت الخيول والرواحل[٦]. فاذاهم بأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم. فجلس إليه أبو لهب والناس عليه قيام فقال: يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس. قال أبو سفيان: والله ما هو إلا أن لقينا القوم

---

(١) انظر فتح البارى (ج٧ ص٢٩٢).

(٢) السيرة الحلبية (ج٢ ص١٤٧).

(٣) وذلك لشىء بلغه عن أهل مسجد الضرار.

(٤) كسر عن الطريق: انقطع عنه بسبب انكسار الرجل.

(٥) السيرة الحلبية (ج٢ ص١٤٦، ١٤٧، ١٥٠). وبعض القوم عدّ من هؤلاء الحارث بن حاطب ﷺ استخلفه ﷺ على بنى عمرو بن عوف كما عدّ سعد بن مالك الساعدىّ ﷺ الذى مات فى الطريق. راجع فتح البارى (ج٧ ص٢٩٢).

(٦) الرواحل (جمع راحلة): الإبل الصالحة للأسفار والأحمال.

فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا؛ ويأسروننا كيف شاؤا. وأيم الله، مع ذلك ما لُمْت الناسَ. لقينا رجالا بيضا على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض. والله ما تُليق شيئا[1] ولا يقوم لها شيء.

فلما أخبر بذلك قال أبورافع غلام العباس: تلك والله الملائكة. فلطمه أبو لهب وضرب به الأرض ثم برك عليه يضربه. وكان أبو رافع رجلا ضعيفا. فضربته أم الفضل[2] زوجة العباس حتى شجت فى رأسه شجة منكرة. فقام أبو لهب مُوَلّيا ذليلا. فما عاش بعد ذلك إلا سبع ليال حتى رماه الله بعَدَسة[3] قتلته. فقد تركه ابناه بعد موته ثلاثا حتى أنتن، خوفا من عدوى هذا المرض. فعاتبهما رجل من قريش وقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه. فما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ثم أسندوه إلى جدار بأعلى مكة ثم رضموا عليه بالحجارة[4].

هكذا كانت نهاية حياة هذا الشقيّ. وقد تحقق بذلك ما أنزل الله تعالى فى غاية شقاوته عند بداية عداوته: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾ ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ ﴾ ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[5]

عودة المسلمين إلى المدينة

فلما انتصر المسلمون ببدر بعث رسول اللهﷺ بشيرين إلى المدينة: عبد الله بن

---

(١) لا تليق شيئا؛ يقول: لا تبقى شيئا. راجع دلائل البيهقى (ج٣ ص١٤٦). والبلق: جمع أبلق، وهو ما فى لونه سواد وبياض. وفي تفسير القرطبي (ج٢٠ ص٢١٧): 'ما لمست الناس' بدل قوله ما لمت الناس. وكذا فيه. ''لا والله لا تبقي هنا'' بدل قوله والله ما تُليق شيئا.

(٢) إنما ضربت أبا لهب لظلمه وعدوانه على غلام زوجها.

(٣) عدسة: قرحة قاتلة كالطاعون (بثرة تشبه حبة العدس).

(٤) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٥٢-٣٥٣) ودلائل النبوة للبيهقىَ (ج٣ ص١٤٥-١٤٦) وسيرة ابن هشام (ج٢ ص٢٨٩-٢٩٠). رضموا عليه: بنوا عليه.

(٥) سورة اللهب: ١-٥

رواحة ﷺ إلى أهل العالية وزيد بن حارثة ﷺ إلى أهل السافلة. ثم أقبل بأصحابه راجعا إلى المدينة ومعه النفل والأسارى[1]. وقد اختلف المسلمون فى النفل. فقال من جمعه: 'هو لنا' وقال المقاتلون[2]: 'والله لو لا نحن ما أصبتموه'. وقال الذين حرسوا رسول الله ﷺ: خفنا على رسول الله كرة العدو فقمنا دونه، فما أنتم بأحق به منا. فأنزل الله تعالى[3]: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾[4] فقسم النفل بينهم على السواء[5]. حتى إذا بلغ الروحاء لقيه المسلمون يهنئون.[6] ثم لما دخل المدينة تلقته الولا ئد بالدفوف ينشدن:

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع[7]

وكان فى الأسارى النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط لعنهما الله تعالى. ففى الطريق[8] أمر ﷺ بقتلهما. كان هذان الرجلان من شر عبادالله وأكثرهم كفرا

---

(١) ابن هشام (ج٢ ص٢٨٤-٢٨٥)؛ والنفل: الغنيمة.

(٢) وهم الفرقة الذين ساقت وراء المشركين حين انهزموا يقتلون منهم ويأسرون (البداية والنهاية: ج٣ ص٣٤٤).

(٣) ابن هشام (ج٢ ص٢٨٣، ٢٨٤، ٣١٢).

(٤) الأنفال: ١ ومعنى الآية أن الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد فى المعاش والمعاد(البداية والنهاية: ج٣ ص٣٤٥).

(٥) المراد أن الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس سواء فكان فيه تفضيل للفارس على الراجل. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص١٨٥). وكان قسم النفل حينما نزل ﷺ على كثيب سَيَرَ، بين مضيق الصفراء وبين النازية (ابن هشام: ج٢ ص٢٨٦).

(٦) ابن هشام (ج٢ ص٢٨٦).

(٧) السيرة الحلبية (ج٢ ص ١٨٨).

(٨) فقتل النضر بالصفراء وعقبة بعرق الظبية.

وعـ ـا وبغيا وحسدا وهجاء للإسلام والمسلمين[1]. وفرّق سائر الأسارى، حينما قدموا المدينة بين أصحابه وأوصى بهم خيرا. فكانت الصحابة يؤثروهم على أنفسهم بالطعام، حتى قال أبوعزيز صاحب لواء المشركين[2]: كنت فى رهط من الأنصار فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول اللهﷺ اياهم بنا[3]. وكان فى الأسارى سهيل بن عمرو فقال عمرﷺ: 'يا رسول الله، دعنى أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو يلدع[4] لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا' فقال رسول الله ﷺ: 'لا أمثّل به، فيمثل الله بى وإن كنت نبيا؛ إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه'.[5]

فداء الأسرى

استشار رسول الله ﷺ أصحابه فيما يفعل بأسرى بدر. فأشار عليه أبوبكرﷺ بالعفو والفداء؛ وأشار عمرﷺ بقتلهم فأثنى النبيّ ﷺ كلا منهما على حسن قصدهما من إعزاز الإسلام. ثم أخذ برأي أبي بكر فقبل منهم الفداء وأطلق سراحهم[6]. وأول أسير فدى منهم أبو وداعة. وذلك أن قريشا ناحت على قتلاهم. ثم تواصوا بكظم حزنهم حتى لا يشمت بهم المسلمون؛ كما تواصوا بعدم الاستعجال فى فك الأسرى حتى لا يشتدّ المسلمون فى الفداء[7]. ولكن المطلب بن أبي وداعة انسلّ من الليل وقدم المدينة ففادى أباه، أبا وداعة بأربعة آلآف درهم.

---

(١) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٤٨-٣٤٩).
(٢) وأبو عزيز هو اخو مصعب بن عميرﷺ.
(٣) ابن هشام (ج٢ ص٢٨٨).
(٤) يخرج لسانه.
(٥) ابن هشام (ج٢ ص٢٩٣). فقد تحقق ما قاله ﷺ حين قام سهيل خطيبا بمكة يثبت الناس على الدين الحنيف حين ارتدمن ارتد من العرب عند وفاة رسول الله ﷺ. راجع البداية (ج٣ ص٣٥٤).
(٦) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٣٨-٣٤٢).
(٧) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٥٣).

ثم تتابعت قريش فى فداء أسراهم.[1]

أطلق رسول الله ﷺ جماعة من الأسارى مجانا بلا فداء[2]. وفادى بقيتهم. فأقل ما أخذ منهم أربعمائة درهم. وأما أكثره فما أخذه من عمه العباس، أخذ منه مائة أوقية من الذهب. وفادى بعضهم بعمل بمقدار فدائه[3]. فمن يحسن الكتابة دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة. فاذا تعلموا كان فداءه[4]. ولما قيل لأبى سفيان افد ابنك عمرا قال: أيجتمع عليّ دمى ومالى، قتلوا حنظلة وأفدى عمرا؟ دعوه فى أيديهم يمسكوه ما بدالهم. ثم إنه عدا على سعد بن النعمان فحبسه بمكة حين أتاها معتمرا[5].فأطلق رسول الله ﷺعمرو بن أبى سفيان على أن يطلق سعد بن النعمان رضي الله عنه.[6]

تنبؤات تحققت ومعجزات تدفقت

❖ مقتل أمية بن خلف

طواف سعد بن معاذ رضي الله عنه

كان سعد بن معاذ صديقا لأمية بن خلف. وكان أمية إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مرّ بمكة نزل على أمية. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمرا. فنَزل على أمية بمكة. فقال لأمية أنظر لى ساعة خلوة، لعلى

---

(١) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٩٢).

(٢) منهم أبو العاص بن الربيع ختن رسول الله ﷺ وزوج بنته زينب. فأطلقه على شرط أن يخلي زينب تهاجر إلى المدينة (ابن هشام: ج٢ ص٢٩٦، ٢٩٧). ومنهم أبو عزة الشاعر منّ عليه حيث كان محتاجا ذا بنات بشرط أن لا يظاهرعليه أحدا. ثم لما نقض وقاتله بأحد وأسره المسلمون أمر بقتله وقال لا يلدغ المؤمن من جُحر مرّتين. راجع البداية (ج٣ ص٣٥٥ – ٣٥٨).

(٣) المصدر المذكور (ج٣ ص٣٧٣-٣٧٤).

(٤) السيرة الحلبية (ج٢ ص١٩٣).

(٥) وقد كانت قريش قد عاهدوا أنهم لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمرا إلا بخير.

(٦) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٥٥).

أطوف بالبيت. فخرج به قريبا من نصف النهار[١]. فلقيهما أبو جهل. فقال: من هذا الذى يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه؟ فقال: نعم فتلاحيا[٢] بينهما حتى قال أبو جهل: لولا أنك مع أبي صفوان[٣] ما رجعت إلى أهلك سالما. فقال سعد ـــ وقد رفع صوته عليه: والله لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأمنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة، لأقطعن متجرك بالشام.

فزع أمية بن خلف

فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، يا سعد، على أبي الحكم[٤] سيد أهل الوادى[٥]. وجعل يمسكه[٦]. فغضب سعد فقال: دعنا عنك يا أمية. فوالله لقد سمعت رسول اللهﷺ يقول: إنهم[٧] قاتلوك. قال: إياي؟ قال نعم. قال: بمكة؟ قال: لاأدرى. ففزع لذلك أمية فزعا شديدا. فلما رجع إلى أهله قال: يا أم صفوان، أما تعلمين ما قال لى أخى اليثربىّ؟ زعم أن محمّدا أخبرهم أنّهم قاتلىّ قالت: فوالله ما يكذب محمد. قال أمية: لا أخرج من مكة. فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس. فكره أمية أن يخرج.

حيلة أبي جهل

فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك[٨] الناس قد تخلفت وأنت

---

(١) وإنما اختار له نصف النهار لأنه مظنة الخلوة (فتح البارى: ج٧ ص٢٨٣).

(٢) تلاحيا: تعاتبا وتخاصما.

(٣) كنية أمية بن خلف.

(٤) أبو الحكم: كنية أبي جهل. والنبيّ هوالذى سماه بأبي جهل. (فتح البارى: ج٧ ص٢٨٣).

(٥) أهل الوادى: وادى مكة.

(٦) هكذا فى صحيح البخارى وفى دلائل النبوة للبيهقى (ج٣ ص٢٦) وجعل يسكّته.

(٧) إنهم: أى المسلمين.

(٨) متى يراك: بإثبات الألف تشبيها لمتى بإذا فى عدم الجزم أو على إجراء المعتل مجرى الصحيح أو على الإشباع أو على أنه من راء يراء بمعنى رأى يرى، فحذفت الألف عند الجـــزم ثم أبـــدلت

سيد أهل الوادى تخلفوا معك. فلم يزل به أبو جهل (وسلط عليه عُقْبَةَ بن أبى معيط بمجمرة حتى وضعها بين يديه فقال: إنما أنت من النساء وكان أمية شيخا جسيما وكان عقبة سفيها)[١] حتى قال لأبى جهل والله لأشترين أجود بعير بمكة ثم قال لامرأته: يا أم صفوان جهزينى فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربىّ؟ قال: لا؛ ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا. فلما خرج أمية أخذ لا ينْزل منْزلا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك[٢] حتى قتله الله عزوجل ببدر.[٣]

جوار ابن عوف رضي الله عنه

كان عبد الرحمن بن عوف قد كاتب أمية بن خلف كتابا بأن يحفظ كل منهما الآخر فى صاغيته[٤]. فلما كان يوم بدر مر عبد الرحمن ومعه أدراع قد استلبها[٥] بأمية وابنه عليّ بن أمية. فقال له أمية: هل لك فيَّ. فانا خير لك من هذه الأدراع؟ فطرح الأدراع وأخذ بيد أمية ويد ابنه فخرج بهما إلى جبل ليحرزهما. وكان الناس عندئذ نياما. فأبصر بلال رضي الله عنه أمية بن خلف. وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام يضجعه فى الرمضاء على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحد! أحد!

الهمزة ألفا فصار يرا. وفى رواية متى يرك الناس. وهو الوجه. وفى رواية أخرى متى مـا يـراك الناس. فحرف 'ما' زائدة كافة عن العمل (فتح البارى: ج٧ ص٢٨٤).

(١) ما بين القوسين من الزيادة من فتح البارى (ج٧ ص٢٨٤).

(٢) أى على ذلك. عقل بعيره: ثنى وظيفه مع ذراعيه فشدهما معا بحبل.

(٣) راجع صحيح البخارى (٣٦٣٢/٢٥/٦١ و ٣٩٥٠/٢/٦٤).

(٤) حتى يحفظ عبد الرحمن صاغية أمية بالمدينة ويحفظ أمية صاغية عبد الرحمن بمكة. وصاغية الرجل خاصته من أهله وماله.

(٥) ممن قتله بيديه ببدر.

نجاح بلال رضي الله عنه بالثأر

فلما رأى بلال هذا العدو نادى بأعلى صوته: يا أنصار الله، لا نجوت إن نجا. فدنا منه بفريق من الأنصار. فترك لهم عبد الرحمن ابنه عليّا ليشغلهم به عن أبيه أمية. ولكنهم قصدوا أمية بعد ما قتلوا ابنه. فقال عبد الرحمن بن عوف لأمية: أُبرك. فلما برك أمية ألقى نفسه عليه ليمنعه. فتجللوه[1] بالسيوف من تحت عبد الرحمن حتى قتلوه. فأصاب سيف بعضهم رجل عبد الرحمن وكان يرى أصحابه ذلك الأثر فى ظهر قدمه[2]. نجح بلال فى إدراك ثأره وشهدت بدر لرسول الله ﷺ بصدق خبره.

❖ مصارع أشراف قريش

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: استقبل النبيّ الكعبة فدعا على نفر من قريش[3]- على شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبى جهل بن هشام. فأشهدُ بالله: لقد رأيتهم صرعى قد غيرهم الشمس[4]، وكان يوما حارا.[5]

قال عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما: إن رسول الله ﷺ (حينما نزل قريبا من بدر)[6] دعا لأصحابه. فقال: اللهم إنهم حفاة فاحملهم اللهم إنهم عراة فأكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم، ففتح الله لهم يوم بدر فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل اوجملين واكتسوا وشبعوا.[7]

---

(١) فتجللوه: غشوه وأحاطوا به.

(٢) راجع صحيح البخارى(٢٣٠١/٢/٤٠) وابن هشام(ج٢ ص٢٧٢-٢٧٣).

(٣) وذلك حينما آذوه بمكة ووضعوا عليه سلى الجزور. وضحكوا مستهزئين به كما فى الصحيح فى كتاب الطهارة وفى الصلاة وفى الجهاد وفى الجزية وفى المبعث.

(٤) بالسواد أو بالانتفاخ. فتح البارى (ج٧ ص٢٩٣).

(٥) صحيح البخارى (٣٩٦٠/٧/٦٤).

(٦) السيرة الحلبية (ج٢ ص١٥١).

(٧) أبو داود، كتاب الجهاد، باب فى نفل السرية تخرج من العسكر(رقم الحديث: ٢٧٤٧).

قال عمر رضي الله عنه حينما يحدث عن أهل بدر: 'إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هذا مصرع فلان غدا، إن شاء الله'. فوالذى بعثه بالحق، ما أخطؤا الحدود التى حدّرسول الله ﷺ.[١]

❖ مظاهر الملائكة

أسير الملائكة

قال السائب بن أبى حبيش[٢]: انه لما انهزم يوم بدر أدركه رجل أبيض طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض فأوثقه رباطا. فوجده عبد الرحمن بن عوف. فنادى فى العسكر: من أسر هذا؟ فلم يجبه أحد حتى انتهى به إلى الرسول ﷺ. فقال ﷺ: يا ابن أبى حبيش، من أسرك؟ فقال: لا أعرفه وكره أن يخبره بالذى رأى. فقال رسول الله ﷺ: أسرك ملك من الملائكة؛ اذهب يا ابن عوف، باسيرك.[٣] كان السائب يحدث بذلك بعد إسلامه. وكان إسلامه يوم الفتح[٤].

صريع الملائكة

قال عبد الله بن العباس رضى الله عنهما: بينما رجل أنصارىّ من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم.[٥] فنظر إلى المشرك أمامه. فخر مستلقيا. فنظر إليه فاذا هو قد خطم[٦] أنفه وشق وجهه كضربة السوط. فاخضرّ ذلك أجمع. فجاء الأنصارىّ فحدث بذلك رسول الله ﷺ. فقال: صدقت؛ ذلك من مددالسماء الثالثة[٧].

---

(١) صحيح مسلم (٥١/١٧/٧٦).
(٢) ابن المطلب بن عبد العزى القرشىّ الأسدىّ.
(٣) راجع دلائل النبوة للبيهقىّ (ج٣ ص٦٠).
(٤) راجع الإصابة (ج٣ ص٩).
(٥) أى يا حيزوم؛ وحيزوم: اسم فرس الملك؛ وأَقدِمْ: كلمة زجر للفرس.
(٦) خطم: ضرب.
(٧) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر (٣٢/١٨/٥٨).

قتيل الملائكة

قال أبو واقد الليثىّ: إنى لأتبع يوم بدر رجلا من المشركين لأضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى، فعرفت أن غيرى قد قتله[١]. وقال أبو أمامة بن سهل: قال لى أبى: يا بنىّ، لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه[٢]. وقال الربيع بن أنس: كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار وقد أحرق به.[٣]

❖ كشف الحجاب عن كنــز مدفون

كان العباس بن عبد المطلب وزوجه أم الفضل وغلامه أبو رافع قد أسلموا. ولكن العباس كان يهاب قومه وكان له مال كثير متفرق فى قومه. فكان يكتم إسلامه[٤]. فخرج إلى بدر مستكرها. فكان رسول الله ﷺ قد نهى عن قتله فأسره المسلمون ببدر. وكان رجلا موسرا، وكان فداء الأسرى على قدر أموالهم. فكان العباس أكثرهم فداء حتى افتدى نفسه بمائة أوقية ذهب[٥]. واستأذن رجال من الأنصار فى ترك فدائه. فقال ﷺ: لا والله لا تدعون منه درهما.[٦]

قال العباس: يا رسول الله، إنى كنت مسلما. فقال: الله أعلم بإسلامك. فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك. فأما ظاهرك فكان علينا فافدِ نفسك وابنى[٧]

---

(١) دلائل النبوة للبيهقىّ (ج٣ ص٥٦).

(٢) المصدر المذكور (ج٣ ص٥٦).

(٣) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٢٠) ودلائل البيهقىّ (ج٣ ص٥٦).

(٤) راجع البداية والنهاية (ج٣ ص٣٥٢).

(٥) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٣ ص١٤٠،١٤١).

(٦) صحيح البخارى، كتاب العتق، باب إذا أسر أخو الرجل أو عمه هل يفادى إذا كان مشــركا (٢٥٣٧/١١/٤٩).

(٧) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب.

أخيك وحليفك[١]. قال: ما ذاك عندى يا رسول الله. قال: فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل، فقلتَ لها: إن أصِبتُ فى سفرى هذا فهذا المال لبَنِىّ[٢]. فقال العباس: والله يا رسول الله، إنى لأعلم أنك رسول الله. إن هذا شئ ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل.[٣]

❖ خيبة صفوان

بينما عمر بن الخطاب ﷺ فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر إذ نظر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متقلدا السيف.[٤] فقال: هذا الكلب عدو الله عميربن وهب ما جاء إلا لشر. ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه وقال لمن معه من الأنصار: احذروا على رسول الله ﷺ من هذا الخبيث فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ فقال: أرسله يا عمر، اُدنُ يا عمير؛ فدنا عمير وجرى بينه وبين رسول الله ﷺ هذا الحوار.

عمير : انعم صباحا

النبيّ ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير؛ بالسلام تحية أهل الجنة.

عمير : أما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد.

النبيّ ﷺ : فما جاء بك ياعمير؟

عمير : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه[٥].

النبيّ ﷺ : فما بال السيف[٦] فى عنقك؟

---

(١) عتبة بن عمرو.

(٢) الفضل بن العباس وعبد الله بن العباس وقثم بن العباس.

(٣) دلائل البيهقى (ج٣ ص١٤٢-١٤٣) والبداية والنهاية (ج٣ ص٣٤٢).

(٤) متقلدا السيف: جاعلا حمالته فى عنقه؛ وحمالة السيف علاقته.

(٥) وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر.

(٦) وكان هذا السيف مشحذا مصقولا مسموما.

عمير : قبحها الله من سيوف! وهل أغنت شيئا؟

النبيّ ﷺ : أصدقني ما الذى جئت له؟

عمير ما جئت إلا لذلك.

النبيّ ﷺ : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت: 'لولا دين عليّ وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا'، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلنى له. والله حائل بينك وبين ذلك.

عمير أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينْزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان[1]. فوالله إنى لأعلم ما أتاك به الا الله. فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق.

ثم شهد عمير شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ:'فقِهوا أخاكم فى دينه وعلّموه القرآن وأطلقوا أسيره' ثم استأذن رسول الله ﷺ فلحق بمكة ليدعوقومه للإسلام. وكان صفوان حين خرج عمير يقول: أبشروا بواقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه. فحلف أن لا يكلمه أبدا، ولا ينفعه بنفع أبدا. ولما قدم عمير مكة أقام بها يدعوإلى الإسلام ويؤذى من خالف أذى شديدا. فأسلم على يديه ناس كثير[2]. وفرح المسلمون بإسلامه حتى قال عمرﷺ: والذى نفسى بيده لخنـــزير كان أحب إلىّ من عمير، ولَهو اليوم أحب إلىّ من بعض ولدى.[3]

آثار الانتصار ببدر

خرج رسول الله ﷺ من مكة فارّا مهاجرا إلى المدينة. فلم تتم له بها سنتان

---

(١) وكان قد قال لصفوان اكتم عليّ شأنى وشأنك فقال: سأفعل.

(٢) البداية والنهاية (ج٣ ص٣٥٧-٣٥٨).

(٣) دلائل النبوة للبيهقى(ج٣ ص١٤٨).

حتى ألقى الرعب فى قلوب جميع الأعداء حيث غلب قريشا ببدر وهم فى كثرة العدة ووفرة العُدّة والمسلمون فى قلة من المادة والعدة. فلم تستمرّ الحرب ببدر أكثر من نصف نهار حتى أسفرت[١] عن انتصار المسلمين وانهزام المشركين. قتلوا منهم سبعين كما أسروا منهم سبعين. ثم رجعوا إلى المدينة معتزين بالنصر والظفر. وهذا النصر قد لَفَتَ نظر الناس إلى المسلمين بأعين جديدة. فنظروا إليهم نظر تقدير واستعجاب حيث شعروا من المسلمين بزيادة قوتهم وقوة شوكتهم.[٢]

فكانت هذه الغزوة معركة حاسمة[٣] تقررمصير الأمة،[٤] وتُيسرمسير الدعوة كما كانت فارقة بين الحق والباطل وفاصلة بين النور والظلام حيث ظهرت فيها آيات بينات ومعجزات باهرات فسمى الله تعالى هذا اليوم بيوم الفرقان. فما أنزل فى هذا اليوم من المعنويات[٥] أكثر وأعظم وأدوم مما أصابها المسلمون من الغنائم والأموال. فحق على المسلمين أن لا يكترثوا بالمادة وأن يلتفتوا إلى المعنى. قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾[٦]

قتل عصماء (سرية عمير الخطمىّ)

(٢٥ رمضان ، السنة الثانية)

كانت عصماء بنت مروان يهودية تؤذى رسول الله ﷺ حتى قيل إنها كانت تلقى خرق الحيض فى مسجد بنى خطمة[٧]. فلما ذهب رسول الله ﷺ إلى بدر قالت

(١) أسفرت: كشفت.
(٢) الشوكة: القوة والبأس.
(٣) حاسمة: قاطعة للأمور.
(٤) تقرر: تصمّم؛ والمصير: المستقبل.
(٥) المعنويّات: روح معنوية: Moral Spirits
(٦) الأنفال: ٤١ ومشروعية أصل الخمس كانت فى سريّة عبد الله بن جحش؛ وبيان مصرف الخمس أفاده آية الأنفال ٤١ (راجع فتح البارى ج٦ ص١٩٩)
(٧) فإنها كانت متزوجة فى بنى خطمة وكان زوجها مرثد بن زيد الأنصارى. أسلم بعد ذلك رضى

أبياتا تهجو فيها الإسلام والمسلمين. فنذر عمير بن عدىّ الخطمى: إذا ردّ الله رسوله من بدر سالما ليقتلنها.[1] فلما رجع ﷺ من بدر انطلق عمير يوفى نذره. فدخل على عصماء ليلا. فقتلها فى بيتها. ثم صلى الصبح بالمدينة مع رسول الله ﷺ فسأله: هل عليّ فى ذلك من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ : لا ينتطح فيها عنـــزان.[2] وكان عمير ضرير البصر فسماه رسول الله ﷺ بصيرا.[3]

غزوة بنى سليم (غزوة القرقرة)

(شوال السنة الثانية)

لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة بعد بدر إلا سبع ليال حتى بلغه أن بنى سليم قد اجتمعوا بالكُدرأو بقرقرة الكدر[4] يريدون الإغارة على المدينة. فاستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وعلى الصلاة عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنهما.[5] فسار فى مائتين من أصحابه فهرب القوم. فأقام على مائهم ثلاث ليال ثم انصرف إلى المدينة بما ظفر من نعمهم وكانت غيبته خمسة عشر يوما.[6]

الله عنه. راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص١٥٧).

(١) راجع طبقات ابن سعد فى هذا الموضع.

(٢) أى الأمر فى قتلها هين لا يعارض فيها معارض. وهذه الكلمة من الكلمات التى لم تسمع الا من النبيّ ﷺ (السيرة الحلبية: ج٣ ص١٥٨).

(٣) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص١٥٧-١٥٨).

(٤) من المورخين من جعل غزوة بنى سليم وغزوة القرقرة غزوة واحدة. وبعضهم جعلها غزوتين. ففى رواية أن العدو اجتمعوا بالكُدر وهو اسم ماء لبنى سليم وفى أخرى أنهم اجتمعوا بقرقرة الكدر. وهـــي أرض ملساء فيها الكدر. والكدر: طيور فى ألوانها كدرة. سمِّى بها الموضع كما سمى به الماء لكثرة هذه الطيـــور به. فماء الكدر بالقرقرة أو بالقرب منها. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٢١٢).

(٥) راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٠٥، ٢١٢) وسيرة زينى دحلان (ج٢ ص٢).

(٦) راجع ابن هشام (ج٢ ص٤٢١) وابن الأثير (ج٢ ص٩٧) والمواهب اللدنيـــة (ج١ ص٣٧٩) والسيرة الحلبية (ج٢ ص٢٠٥، ٢١٢) وسيرة زينى دحلان (ج٢ ص٢).

قتل أبي عفك اليهوديّ (سرية سالم بن عمير)

(شوال، السنة الثانية)

كان أبو عفك[1] شيخا كبيرا قد بلغ مائة وعشرين سنة وكان يُحرِّض على النبيّ ﷺ ويهجوه بالشعر. فأرسل إليه رسول الله ﷺ سالم بن عمير فقتله.[2]

غزوة بنى قينقاع

(١٥ شوال، السنة الثانية)

كان رسول الله ﷺقد عقد مع يهود المدينة معاهدات تضمن بحماية المدينة وتقرر بحرية العقيدة حتى تمتع أهل المدينة بالوئام والسلام. ولكن اليهود لما رأوا انتشار الإسلام وانتصار المسلمين ازدادوا حسدا وحقدا. فغدروا ومكروا وبدؤا بالشر والعدوان. فقد كان الغدر شيمتهم والمكر سيرتهم. فأول من نقض العهد منهم بنو قينقاع[3]. وكانوا أشجع اليهود وأشدهم بأسا وأكثرهم أموالا. وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت ﷺ وعبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين. فلما نقضوا العهد[4] وأظهروا العداوة، حتى انتهكوا بحرمة سيدة من نساء المسلمين[5]

---

(١) العفك: الحمق. فأبو عفك: معناه أبو الحمق.

(٢) راجع المواهب اللدنية (ج١ ص٣٧٩) والسيرة الحلبية (ج٣ ص١٥٨).

(٣) بتثليث النون. والضم أشهر (السيرة الحلبية: ج٢ ص٢٠٨) وكانت منازلهم بطحان مما يلى العالية (سيرة زينى دحلان: ج٢ ص٢) وكانوا صاغة وتجارا. (زاد المعاد: ج٣ ص١٩٠)، وما كان لهم نخيل ولا أراض تزرع (الحلبية: ج٢ ص٢٠٩). و قينقاع غير منصرف؛ ويجوز صرفه. (حاشية القسطلانى على صحيح البخارى ج٧ ص٤)

(٤) وذلك حينما رأوا انتصار المسلمين ببدر.

(٥) كانت قد أتت سوقهم بحلية تعرضها على صائغ منهم فراودها عن كشف وجهها جماعة من اليهود فأبت وامتنعت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها من ورائها وهى جالسة فعقده إلى ظهرها وهى لا تشعر فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها فصاحت صيحة الخجل والاستغاثة. فوثب مسلم على الصائغ فقتله فوثبت اليهود على المسلم وقتلوه (ابن هشام: ج٢ ص٤٢٧،

تبرأ عبادة رضي الله عنه من حلفهم وتشبث به عبد الله بن أبى. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾[1]

حذرهم رسول الله ﷺ عاقبة الغدر. ولكنهم استخفوا به واستهزؤا به. وذلك أنه ﷺ جمعهم فى سوقهم وقال لهم: 'يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل؛ تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم،' قالوا: يامحمد، إنك تُرى أنا قومك،[2] لا يغرنّك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله، لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.[3] فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.[4]

فلما أصروا على الحرابة والخيانة خرج إليهم رسول اللهﷺ فى نصف شوال من السنة الثانية من الهجرة فحاصرهم خمس عشرة ليلة. فقذف الله الرعب فى قلوبهم حتى نزلوا على حكمهﷺ. فشفع فيهم حليفهم عبد الله بن أبىّ فأطلقهم له رسول الله ﷺ. وصالحهم على أن يجلوا من المدينة بنسائهم وذريتهم تاركين بها أسلحتهم وأموالهم بعد ثلاثة أيام. فجلوا منها بعد ثلاث حتى لحقوا بأذرعات بالشام. فلم يدُر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون[5].

والسيرة الحلبية: ج٢ ص٢٠٨).

(١) المائدة: ٥٦

(٢) أى تظننا أنا مثل قومك.

(٣) ابن هشام (ج٢ ص٤٢٦) وابن كثير(ج٤ ص٦) والحلبية (ج٢ ص٢٠٨).

(٤) آل عمران: ١٢

(٥) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٠٨-٢١١) وابن هشام (ج٢ ص٤٢٦-٤٢٩).

غزوة السويق

(خامس ذى الحجة، السنة الثانية)

نذر أبو سفيان من بعد بدر أن لا يمسّ رأسه ماء من جنابة[1] حتى يغزو محمدا. فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبرّ يمينه حتى نزل بقرب المدينة[2]. فاجتمع بالليل بسلاّم بن مشكم سيد بنى النضير؛ فعلم من خبر الناس. ثم أتى منـــزل أصحابه. فبعث منهم رجالا إلى المدينة حتى أتوا العُرَيض[3] فحرّقوا نخلها وقتلوا رجلين[4] ثم انصرفوا راجعين.

فعلم بهم رسول الله ﷺ وخرج فى طلبهم فى مائتي رجل من أصحابه، بعد ما استخلف على المدينة بشير بن عبد المنذر[5]. فسار حتى بلغ قرقرة الكُدر. وكان المشركون قد أسرعوا خائفين يلقون من أزوادهم جرب السويق[6] يتخففون للهرب. فغنمها المسلمون. فلما علم رسول الله ﷺ أنهم قد فاتوا انصرف راجعا من قرقرة الكدر. وكانت غيبته خمسة أيام.[7]

---

(١) هل كان قبل الإسلام غسل من الجنابة أم لا؟ قولان: نعم ولا. فالأولون قالوا هو مما بقي فيهم من شريعة إبراهيم عليه السلام. والذين قالوا 'لا' أوّلوا هنا قوله 'من جنابة' فقالوا: إن أبا سفيان إنما قال: لا يمس الطيب ولا النساء. وكنّى بذلك عن التمتع بالنساء فغيره بعض الرواة بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة. فهما فى المراد سيان. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٢١١) وسيرة زينى دحلان (ج٢ ص٦).

(٢) حيث نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد (الحلبية: ج٢ ص٢١١).

(٣) العريض: (بضم العين وفتح الراء) واد بالمدينة (الكامل: ج٢ ص٩٩) وقال العسقلانى: ناحية من المدينة على ثلاثة أميال (المواهب: ج١ ص٣٨٢).

(٤) أحدهما أنصاريّ (معبد بن عمرو رضي الله عنه) والآخر حليف له.

(٥) وهو أبو لبابة رضي الله عنه.

(٦) جرب السويق: الجُرُب جمع جراب. وهو وعاء من جلد والسويق: مطحون الحنطة المقلية أو الشعير المقلى. يأكل ممزوجا بنحو لبن وعسل وسمن.

(٧) راجع ابن هشام(ج٢ ص٤٢٢-٤٢٣) وابن الأثير(ج٢ ص٩٨) والقسطلانى(ج١ ص٣٨٢).

أهم أحداث هذه السنة

١.	غزوة غطفان	: محرم
٢.	سريةمحمد بن مسلمة	: ربيع الأول
٣.	غزوة بحران	: جمادى الأولى
٤.	سرية زيد إلى قردة	: جمادى الآخرة
٥.	غزوة أحد	: شوال
٦.	غزوة حمراء الأسد	: شوال

وفى ربيع الأول من هذه السنة كان زواج عثمان من أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقية رضي الله عنهم. وفى جمادى الآخرة بنى عثمان بأم كلثوم رضي الله عنهما[١]. وفى شعبان تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، بعد وفاة زوجها خُنيس بن حُذافة ﷺ بجراحات بدر[٢]. وفى منتصف رمضان كانت ولادة حسن بن عليّ رضى الله عنهما.[٣] وفي شوال منها حرمت الخمر.[٤] وبعد شوّال تزوج ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية بعد استشهاد زوجها عبد الله بن جحش ﷺ بأحد[٥]. فلم تعش عنده إلا أشهرا حتى ماتت رضى الله عنها[٦].

---

(١) راجع ابن كثير (ج٤ ص٧٧).
(٢) راجع تهذيب الأسماء للنووى (ج٢ رقم ١١٧٠) وكتاب أزواج النبيّ ﷺ للإمام محمد بن يوسف الدمشقى المتوفى سنة ٩٤٢ هـ (ص١٣٨) وأسد الغابة (ج٦ ص٦٨).
(٣) وفاء الوفا (ج١ ص٢٩٦). والزرقاني (ج٤ ص٤١٦-٤١٨)
(٤) المواهب اللدنية (ج١ ص٤١٣). وذلك بعد أحد (تهذيب الأسماء: ج١ ص٤٨).
(٥) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٣ ص١٥٩) وأسد الغابة (ج٦ ص١٣٣) والزرقاني (ج٤ ص٤١٦-٤١٨).
(٦) مكثت عنده شهرين أو ثلاثة وقيل ثمانية أشهر.(وفاء الوفا للسمهودىّ: ج١ ص٢٩٦).

غزوة غطفان[1]

(محرم، سنة ثلاث من الهجرة[2])

إن جمعا من بنى ثعلبة وبنى محارب[3] تجمعوا يريدون الإغارة على المسلمين تحت إمرة رئيسهم دعثور بن الحارث[4]. فخرج رسول الله ﷺ فى أربعمائة وخمسين رجلا من أصحابه بعد ما استخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه. فلما صار بذى القصة[5] لقي جبّارا الثعلبيَّ فدعاه إلى الإسلام؛ فأسلم؛ وعلم منه رسول الله ﷺ أن القوم قد هربوا إلى رؤوس الجبال.[6] حتي إذا بلغ ماء يقال له ذو أمرّ عسكر به فنَزل تحت شجرةواشتغل المسلمون فى شؤونهم ففاجأه الدعثوربسيفه فقال: 'يا محمد، من يمنعك منى اليوم؟' قال: 'الله'. فدفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده.[7] فأخذه النبيّ ﷺ فقال: 'من يمنعك منى؟' قال: 'لا أحد. وأنا أشهد ان لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله. والله، لا أكثر عليك جمعا أبدا'. ثم انصرف يدعو قومه إلى الإسلام.[8] ثم رجع رسول الله ولم يلق كيدا. وكان غيبته إحدى عشرة ليلة[9].

---

(١) وتسمى غزوة ذى أمرّ وغزوة نجد وعزوة أنمار. فلها أربعة أسماء. فذو أمر (بفتح الهمزة والميم وشد الراء): موضع من ديار غطفان. وغطفان: قبيلة من مضر. وأنمار: بناحية نجد. راجع البداية والنهاية (ج٤ ص٥) ومواهب القسطلانىَ مع شرح الزرقانى (ج٢ ص٣٧٨ـــ٣٧٩).

(٢) راجع الكامل (ج٢ ص٩٩) وابن هشام (ج٢ ص٤٢٥).

(٣) بنو ثعلبة من غطفان بن قيس عيلان وبنو محارب من خصفة بن قيس عيلان. فغطفان ومحارب ابنا عم. (شرح المواهب: ج٢ ص٣٧٩).

(٤) وسماه بعضهم غُورث وبعضهم غورك (المواهب:ج١ ص٣٨٨).

(٥) ذو القصة: موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة.

(٦) الكامل (ج٢ ص٩٩) وشرح المواهب (ج٢ ص٣٨٠-٣٨١).

(٧) بعد أن وقع على ظهره (شرح المواهب: ج٢ ص٣٨١).

(٨) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص٥).

(٩) المواهب (ج١ ص٣٨٩).

سرية محمد بن مسلمة ومقتل كعب بن الأشرف

(ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة)[١]

كان كعب بن الأشرف اليهوديّ[٢] ساد يهود الحجاز بكثرة ماله؛ فكان يصل أحبار اليهود بالعطايا. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءه أحبار اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة لأخذ صلته على عادقم. فقال لهم: 'ما عندكم من أمر هذا الرجل؟ قالوا: هو الذى كنا ننتظر، ما أنكرنا من نعوته شيئا'. فردهم ولم يعطهم شيئا. فرجعوا عنه خائبين. ثم رجعوا إليه فقالوا له: 'انهم قد أخطؤا فيما أخبروا وإنهم قد تبين لهم أنه ليس هو المنتظر. فرضي عنهم ووصلهم.[٣]

كان قد عاهد النبيّ ﷺ فيمن عاهد ثم نقض عهده وسبه وسب أصحابه؛ وكان شاعرا يهجو رسول الله ﷺ. وكان من عداوته أن قال، حينما أتاه خبر قتلى قريش ببدر:"والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبطن الأرض خير من ظهرها". فلما أيقن الخبر كبت[٤] ذليلا وخرج إلى قريش يبكى على قتلاهم ويحرضهم على قتاله ﷺ. ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم[٥] ثم إنه صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو النبيّﷺ إلى الوليمة، فإذا حضر فتكوا به. فدعاه فجاء فى بعض أصحابه حتى جالسه فأعلمه جبريل عليه السلام بذلك وستره بجناحه؛ فخرج من عندهم وهم لا يشعرون.[٦]

---

(١) ابن سعد، فتح البارى (ج٧ ص٣٣٧).

(٢) كان عربيّا من بنى نبهان وهم بطن من طيّء. وكان أبوه أصاب دما فى الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق فولدت له كعبا. فتح البارى (ج٧ ص٣٣٧).

(٣) شرح المواهب (ج٢ ص٣٦٨).

(٤) كُبِتَ :مُلِئَ غَيظًا

(٥) شرح المواهب (ج٢ ص٣٦٩)، شبب: أى تغزل فيهن وذكرهن بسوء.

(٦) فتح البارى (ج٧ ص٣٣٨).

فقال رسول الله ﷺ: 'من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله.' فانتدب لقتله محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: فأْذَن لى أن أقول شيئا: فأذِن له فى ذلك. فأتى كعبا فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه عنّانا[1] وإنى قد أتيتك أستسلفك. أنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أىّ شىء يصير شأنه. حتى وافقه كعب على أن يسلفه وسقا أو وسقين على رهن السلاح. فأتاه محمد بن مسلمة ليلا كما واعده ومعه أربعة رجال.[2] فقتلوه ثم أتوا النبيّ ﷺ فأخبروه.[3]

غزوة بُحْران (غزوة بنى سُليم)

(جمادى الأولى، سنة ثلاث من الهجرة)

بلغه ﷺ أن جمعا كبيرا من بنى سليم تجمعوا ببحران[4] فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. فوجدهم قد تفرقوا. فرجع ولم يلق كيدا. وكانت غيبته عشر ليال.[5]

---

(١) عنانا: أى أتعبنا.

(٢) هم أبو نائلة، أبو عبس بن جبر، الحارث بن أوس، عباد بن بشير. وهؤلاء الأربعة ومحمد بن مسلمة كلهم من الأوس . فتفردت الأوس بقتل كعب كما تفردت الخزرج بقتل سلام بن أبى الحقيق. راجع شرح المواهب (ج٢ ص٣٧٤-٣٧٥).

(٣) راجع صحيح البخاريّ (٤٠٣٧/١٥/٦٤) ما كان كعب معاهدا بل كان محاربا (فتح البارى: ج٧ ص٣٤٠)؛ لأنه نقض عهد النبيّ ﷺ وهجاه وسبه وأعان عليه عدوه والذين قتلوه إنما كلموه فى البيع والشراء ولم يكن فى كلامهم عهد ولا أمان. راجع شرح المواهب (ج٢ ص٣٧٦).

(٤) بحران(بضم الباء وفتحها): موضع بناحية الفُرع. والفرع (بضم الفاء والراء) موضع من أعظم أعراض المدينة.

(٥) الكامل (ج٢ ص٩٩) والمواهب (ج١ ص٣٨٩).

سرية زيد إلى القردة

(جمادى الآخرة، سنة ثلاث من الهجرة)

كانت طريق قريش إلى الشام من جهة المدينة. فبعد بدر خافوا من هذه الطريق. فسلكوا بتجارتهم طريق العراق. فخرجت عير لقريش بمال كثير وآنية فضة. فانتدب لها زيد بن حارثة حبُّ رسول الله ﷺ فى مائة راكب؛ فلقيهم بالقردة[1]. فهرب رجال القافلة فأصاب المال وأسر الدليل، وهو فرات بن حيّان.[2] فقدم بالمال والأسير على رسول الله ﷺ فخمسها وبلغ الخمس عشرين ألف درهم. وأما فرات فقد أسلم فأطلقه رسول الله ﷺ[3].

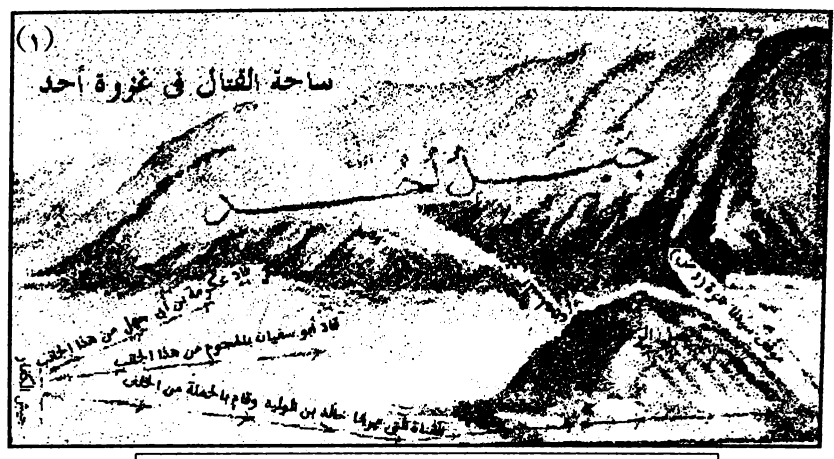
---

(١) القردة: (بفتح القاف وأما الراء فبالسكون أو بالفتح) اسم ماء من مياه نجد. وقال بعضهم "الفردة" بالفاء المفتوحة والراء المسكونة. راجع الكامل(ج٢ ص١٠١) وشرح المواهب (ج٢ ص٣٨٤).

(٢) هو من بنى بكر بن وائل. كانت قريش قد استأجروه ليدلهم على ذلك الطريق.

(٣) ابن هشام (ج٢ ص٤٢٩) وابن الأثير (ج٢ ص١٠١) والزرقانى (ج٢ ص٣٨٤–٣٨٦).

غزوة أحد



تاريخ الغزوة : ١٥ شوال سنة ٣ هـ

	المسلمون	المشركون
عدة المقاتلين	سبعمائة (٧٠٠)	ثلاثة آلاف(٣٠٠٠)
عدة القتلى	سبعون (٧٠)	ثلاثة وعشرون (٢٣)
القائد	رسول الله ﷺ	أبو سفيان

مسير قريش

هزمت قريش فى بدر شر هزيمة؛ وتركت هذه الهزيمة فى نفوسهم آثارا أليمة. وكانت عيرُ أبى سفيان موقوفة بدار الندوة وكانت ربحها نحوا من خمسين ألف دينار[٢]. فاتفقوا على بذل هذا الربح الجسيم فى أخذ الثار من المسلمين، حتى جهزوا من قريش وأعوانهم[٣] ثلاثة آلاف مقاتل فى قيادة أبى سفيان. خرج هذا

---

(١) جبل مشهور فى شمالي المدينة على ميلين وأربعة أسباع ميل(على نحو ثلاثة كيلومتر من المدينة).

(٢) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢١٧).

(٣) وهم أحابيشها ومن والاها من قبائل كنانة وأهل تهامة. والأحابيش هم حلفاء قريش من بنى

الجيش الكثيف من مكة[1] متبخترين بكثرة العدد ومتكبرين بوفرة العدد. فقد كانت معهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وقينات ومعازف وخمور وبغاي[2]. كما كان فيهم شعراء يشجعوهم، ونساء يحرضنهم[3] حتى نزلوا بسفح من جبل أحد[4].

علم رسول الله ﷺ بجيش قريش.[5] فرأى ليلة الجمعة رؤيا تشير عليه أنهم إن أقاموا بالمدينة يكونوا فى حصن حصين وان هم خرجوا إلى العدو يقتل من عترته رجل ومن أصحابه رجال. فلما أصبح قال: 'لقد رأيت، والله، خيرا؛ رأيت بقرا تُذبح، ورأيت فى ذباب[6] سيفي ثَلْما، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة'. ثم أوّلﷺ البقر بمن يقتل من أصحابه والثلم بمن يقتل من عترته؛ والدرع الحصينة بالمدينة. ثم قال: إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرّ مُقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها.[7]

المصطلق وبنى الهون بن خزيمة. اجتمعوا عند جبل حَبيش الذى بأسفل مكة. وتحالفوا على أنهم مع قريش يد واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا حبيش مكانه.

(١) لخمس مضين من شوال السنة الثالثة من الهجرة. شرح المواهب (ج٢ ص٣٩١).

(٢) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢١٧). وبغايا جمع بغِيّ: الفاجرة الزانية ؛ والقينات جمع قينة : المغنية ؛ والمعازف جمع مِعْزَف : آلة الطرب كالطنبور و العود و نحوهما من آلات الميوسقي .

(٣) فقد كانت هند بنت عتبة وصواحبها يضربن الدفوف خلف الرجال يحرضنهم على القتال (إبن هشام: ج٣ ص١٢) كما كان أبو عزة ومسافع بن عياض يستنفران الناس بأشعارهما (السيرة الحلبية: ج٢ ص٢١٧).

(٤) أي بأصله وأسفله. راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٧). وذلك يوم الأربعاء ثاني عشرة شوال. فأقاموا بها الأربعاء والخميس والجمعة والتقى الفريقان فى السبت. (سيرة زينى دحلان: ج٢ ص٢١، والكامل: ج٢ ص١٠٤، وشرح المواهب: ج٢ ص٣٩٢).

(٥) فقد كان عمه العباس قد كتب إليه خفية بجيش قريش. فأرسلﷺ من يتجسس أخبارهم. فأتوا بخبر مسيرهم ونزولهم بأحد. وكان مسيرهم بهذا الطريق: عسفان← خُلَيص ← الجحفة ← رابغ ← الأبواء ← وادى العقيق ← ذو الحليفة ← الحرة الغربية ← وادى قناة، بقرب جبل أحد.

(٦) ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

(٧) ابن هشام (ج٣ ص٦-٧) وابن كثير (ج٤ ص١٦-١٨). فرأيه بالإقامة بالمدينة فذلك المعنىَ

رأى رأيه ﷺ كبار الصحابة. ولكن لم يرض بذلك كثير من الصحابة؛ وعامتهم رجال لم يشهدوا بدرا. قالوا: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا. فلما رأىﷺ كثرة فى عددهم وشدة فى رغبتهم[١] وافقهم أخيرا ليقضى الله أمرا كان مفعولا. ثم لما تهيّأ رسول الله ﷺ فلبس لأمَته[٢] من بعد صلاة الجمعة ندم هؤلاء على ما صنعوا حيث استكرهوه على الخروج. فردّوا الأمر إليه وإلى رأيه، فقال: ما ينبغى لنبيّ إذا لبس لأمَته أن يضعها حتى يقاتل.[٣]

مسير المسلمين

خرج رسول الله ﷺ مساء الجمعة[٤] بألف من أصحابه، ولم يكن معهم إلا فرسان[٥] ومائة دارع. ورد جماعةً من الغلمان حيث لم يبلغوا أشدهم.[٦] ولم يستعن بأحد من جيرانه اليهود حيث لم يأمن غدرهم وخيانتهم. فلم يأذن للأنصار أن يستصحبوا حلفائهم من اليهود بل قال: 'لا حاجة لنا فيهم[٧]'. ورد من خرج مع عبد الله بن أبي من حلفائه وقال: لا نستعين بالمشركين على المشركين[٨]. وكان عبد الله هذا رأس المنافقين. فكان ممن رأى الإقامة بالمدينة ثم خرج حينما خرج المسلمون. فلما وصلوا بستان الشوط بين المدينة وأحد قال: 'أطاعهم وعصانى؛ ما ندرى علامَ نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس'. فرجع بثلاثمائة من قومه المنافقين.[٩]

بإدخال يده فى الدرع الحصينة فى رؤياه. وكان رؤياه ليلة الرابع عشر من شوال.

(١) حتى عزموا أن يقاسوا كل ما أشار إليه ﷺمن المخاطر فى الخروج إلى العدو.

(٢) اللأمة: الدرع، وقد يقال للسلاح كله اللأمة.

(٣) ابن هشام (ج٣ ص٧–٨) وابن كثير (ج٤ ص١٨،١٩).

(٤) بعد ما استعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتومؓ يصلى بالناس (ابن هشام: ج٣ ص٨).

(٥) فرس للنبيّ ﷺ وفرس لأبي بردة ؓ. الكامل (ج٢ ص١٠٥).

(٦) ولكن أجاز لرافع بن خديج ؓ لكونه راميا ثم لسمرة بن جندب لصرعه رافعا فى الصراع (ابن هشام: ج٣ ص١١). فكان سبعة عشر صحابيا عُرضوا عليه وهم أبناء أربع عشرة سنة فرد منهم خمسة عشر وأجاز منهم إثنين. راجع شرح المواهب (ج٢ ص٣٩٩).

(٧) البداية والنهاية (ج٤ ص١٩).

(٨) رواه الطبرانى (شرح المواهب: ج٢ ص٣٩٩).

(٩) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٧–١٩).

سار ﷺ[1] بمن بقي معه حتى نزل الشعب من أحد،[2] صبيحة يوم السبت ونظم جيشه أحسن تنظيم. فأقام على ظهر الجبل خمسين راميا حتى لا يهجمَ خيل قريش من وراء المسلمين[3]. وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يرسل إليهم. وكان ﷺ قد عقد لجيشه ثلاثة ألوية؛ فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير، ولواء الخزرج للحباب بن منذر، ولواء الأوس لاسيد بن الحضير رضي الله عنه وأما المشركون فكان على ميمنة خيلهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية.وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة[4].

التقاء الجيشين

التقى الجيشان غداة النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة[5]. وابتدئ القتال أولا بالمبارزة. فقتل حمال لواء المشركين واحدا بعد واحد حتى قتل منهم أحد عشر رجلا بالتوالى[6]. فـأدبروا منهزمين. فاشتغل المسلمون بالغنائم. فنـزل رماة الجبل يغنمون ظنا منهم أن القتال قد انتهى وأن المشركين لا يرجعون، فذكرهم قائدهم عبد الله بن جبير أمر رسول اللهﷺ فلم يطعه إلا دون عشرة. فلم يلبث أن ينتهز المشركون هذه الفرصة. كرّ خيلهم بقيادة خالد بن الوليد على المسلمين؛ كرّوا عليهم من وراء الجبل، بعد ما قتلوا من بقي به من الرماة. ورفعوا لواءهم بعد أن كان طريحا على الأرض يداس بالأقدام.[7]

---

(١) كان خروجه ﷺ من ثنية الوداع شامي المدينة حيث رد حلفاء ابن أبي ثم عسكر بالشيخين (وهما جبلان بجهة الوالج) حيث عرض الجيش فرد الصغار وصلى هناك المغرب والعشاء وبـات حـتى أدلج فى آخر الليل فلما وصل بستان الشوط انخزل ابن أبي وأصحابه وسارﷺ بمن بقي فأصـبح بشعب أحد حيث صلى الصبح. راجع شرح المواهب (ج٢ ص٣٩٨-٤٠٢) والحلبيـة (ج٢ ص٢٠٢-٢٢٢).

(٢) فى عدوة الوادى، فجعل ظهره للجبل ووجهه إلى المدينة، وكان منـزل المشركين ببطن الوادى من قبل أحد.

(٣) فإن الخيل لا تثبت على النبل.

(٤) وهؤلاء الأربعة كلهم قد أسلموا فيما بعد. راجع شرح المواهب(ج٢ ص٣٩٧، ٤٠٣).

(٥) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٤).

(٦) راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٢٤) وسيرة زيني دحلان (ج٢ ص٢٨).

(٧) راجع الكامل (ج٢ ص١٠٧) والمواهب اللدنية (ج١ ص٣٩٧ـ٣٩٨).

هزيمة بعد انتصار

فوجئ المسلمون بدهشة حتى صار يضرب بعضهم بعضا وهم لا يشعرون. وقتل رجل[١] من المشركين مُصْعب بن عُمير رضي الله عنه صاحب لواء المسلمين ثم نادى: 'إن محمدا قد قتل'[٢] فازدادت بذلك دهشة المسلمين ووقعت بهم الهزيمة بعد مدة[٣]. وأما رسول الله ﷺ فقد ثبت مكانه فشجت جبهته وجرحت وجنته وهتمت رَباعيته[٤] وكلمت شفته[٥] وكسرت بيضته[٦] ولكنه لم يتأخر قيد شبر.[٧]

وصار المسلمون أشتاتا. فمنهم من استمرّ فى هزيمته حتى دنا من المدينة.[٨] ومنهم من صمموا على القتال عن حوزة الإسلام[٩] حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الإسلام[١٠]. ومنهم من ثبت مع رسول الله ﷺ وهم أربعة عشر: سبعة من المهاجرين[١١] وسبعة من الأنصار.[١٢] قاتلوا دونه حتى انفرج عنه الناس.ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية لما عرفوا أنه حيّ بساحة القتال.[١٣] فأحاطوا به يقاتلون

---

(١) وهو عبد الله بن قمئة وقيل أبيّ بن خلف.

(٢) وذلك لأن مصعبا رضي الله عنه كان إذا لبس لأمته يشبه رسول الله ﷺ.

(٣) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٢٦).

(٤) اليمنى السفلى.

(٥) السفلى.

(٦) حتى دخلت حلقتاها فى وجنتيه.

(٧) القيد: المقدار. وفوق كل ذلك قد وقع فى حفرة من الحفر التى حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون فجرحت ركبتاه. فأخذ بيد عليّ ورفعه طلحة رضى الله عنهما. راجع المواهب (ج١ ص ٣٩٩،٤٠٠).

(٨) وهم نزر يسير وعدد قليل.

(٩) حوزة الإسلام: دائرة الإسلام (حدوده ونواحيه) .

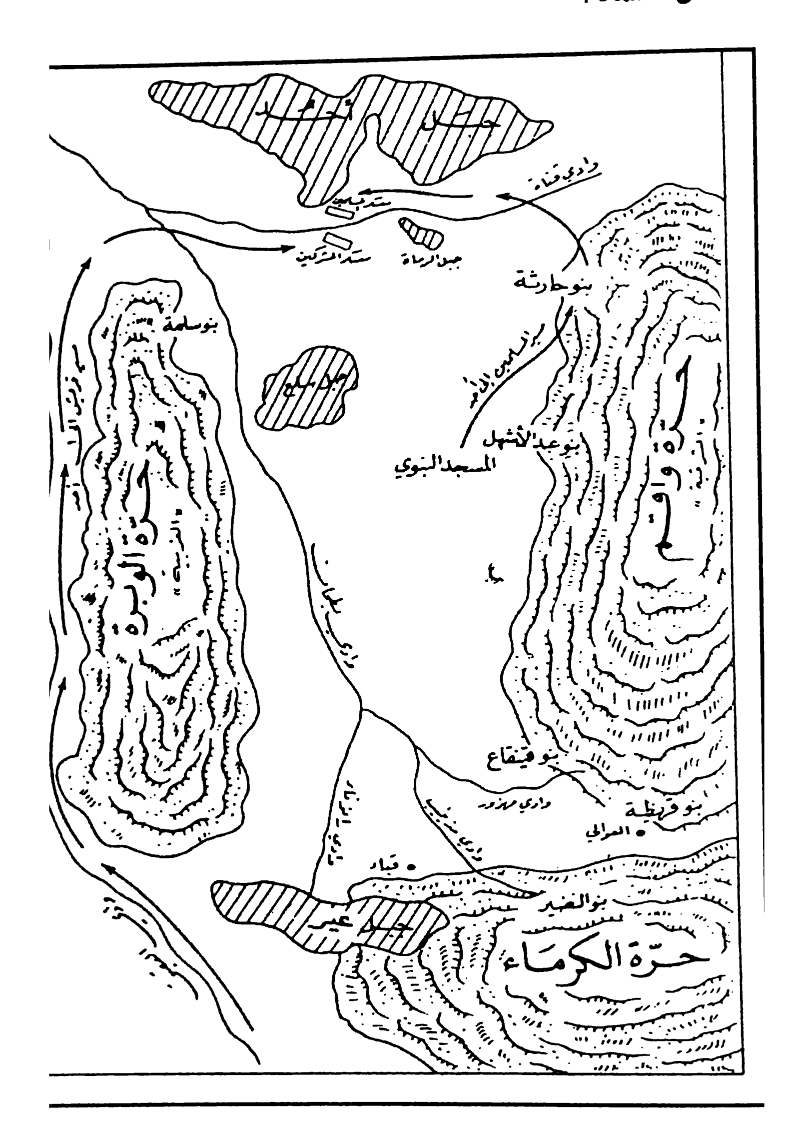
(١٠) حيث ظنوا أنه ﷺ قد قتل وهم أكثر الصحابة.

(١١) وهم الصديق والفاروق وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأبو عبيدة بن الجرّاح. وأما عليّ فقد كان حامل اللواء بعد مصعب ثابتا غير منهزم رضى الله عنهم أجمعين.

(١٢) وهم أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن الثابت والحارث بن الصِمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضى الله عنهم أجمعين.

(١٣) أنظر فتح البارى للعسقلانى (ج٧ ص٣٦٢) وسيرة زينى دحلان(ج٢ ص٣٢).

ـداء قتال استماتة.[1]



---

(1) الاستماتة: عدم الاكتراث بالموت كأنه يطلبه.

مقتل أبيّ بن خلف

ثم صعد رسول الله ﷺ بأصحابه شعب الجبل. فأقبل نحوه أبىّ بن خلف، وهو يقول: 'يا محمد، ما نجوتُ إن نجوتَ.' فرماه رسول الله ﷺ بحربة؛ فجرح عنقه. فأدبر وهو يبكى: 'قتلنى، والله، محمد'. فعاتبه أصحابه: ما أجزعك! إنما هو خدش!! فقال: إنه قد قال لى بمكة: 'أنا أقتلك فوالله، لو بصق عليّ لقتلنى'. وذلك أنه كان لأبىّ بمكة فرس يعتنى بها فكان يوعد رسول الله ﷺ أنه يقتله عليها، فيقول ﷺ: 'أنا أقتلك إن شاء الله'. فمات عدو الله بهذه الخدشة فى طريقه إلى مكة.[1] وهو الشقيّ الوحيد الذى قتل بيده ﷺ.

فبينما رسول الله ﷺ فى الشعب إذ علت عالية من قريش[2] الجبل. فقال: اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل[3]. ولما فشل هذا الهجوم الأخير آذن أبو سفيان بالرحيل. فتفقد رسول الله ﷺ قتلى المسلمين فأمر بدفنهم فى مصارعهم فى ثيابهم ودمائهم بلا غسل ولا صلاة. وأذن فى دفن اثنين والثلاثة فى لحد واحد حيث رأى تعب المسلمين. وأمرهم بتقديمهم أكثرَهم حفظا للقرآن[4].

---

(١) بسرَف موضع على ستة أميال من مكة بعد هذه الجراحة بيوم أو يومين. وقال فيه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لقد ورث الضلالة عن أبيه أُبيّ يوم بارزه الرسـول.

أتيتَ إليه تـحْمِل رِمَّ عظْم وتُوعِدُه وأنت به جَهول.

انظر ابن هشام (ج ٣ ص ٣٣) وابن كثير(ج٤ ص٤٥).

(٢) كان على تلك الخيل خالد بن الوليد (ابن هشام: ج٣ ص٣٥). والعالية: خيل تعلو الجبل.

(٣) ابن هشام (ج٣ ص٣٥) وابن كثير(ج٤ ص٤٥).

(٤) بجعله أمام الآخرين فى لحد واحد. راجع الحلبية (ج٢ ص٢٤٨-٢٥٠).

قتلى أحد

قتل من المشركين يوم أحد ثلاثة وعشرون رجلا ومن المسلمين سبعون رجلا- ستة من المهاجرين[1] والباقون من الأنصار. فمن الشهداء حمزة بن عبد المطلبﷺ - أسد الله وعمُّ رسولهﷺ. قتله وحشيّ غلام جبير بن مطعم. وكان جبير قد قال له: إن أنت قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمّى طعيمة بن عديّ فأنت عتيق[2]. كما كانت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان قد استفزته على قتل حمزة بأبيها عتبة[3]. وكانت قد نذرت لتأكلن من كبد حمزة. فمثلت به وبقرت بطنه وأخذت كبده فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها[4]. حزن بمنظره رسول الله ﷺ وأصحابه حزنا شديدا. قال عبد الله بن رواحة:

أصيب المسلمون به جميعا   هناك وقد أصيب به الرسول[5].

ومنهم سعد بن الربيعﷺ. تفقده رسول اللهﷺ، فوجده أبيّ بن كعبﷺ جريحا فى جملة القتلى، وقد أصابته اثنتا عشرة طعنة. فقال لأبيّ: أنا فى الأموات؛

---

(١) المواهب اللدنية (ج١ ص٤١٠،٤٠٩).

(٢) البداية والنهاية (ج٤ ص١٥)وكان قتل حمزة بأوائل المعركة بأحد قبل الهزيمة.

(٣) البداية والنهاية (ج٤ ص١٦)وكان حمزة قد قتل ببدر طعيمة وعتبة. أما قاتله وحشيّ فقد أقام بمكة حتى فتحها رسول الله ﷺ ، فهرب إلى الطائف ثم لما أسلم أهل الطائف ضاقت به المذاهب حتى التجأ إلى الرسول الرحيم بالمدينة فأسلم. فأمرهﷺ أن يغيب عنه وجهه حتى لا يذكر عمه حمزة عند رؤيته. وأما هند التى لاكت كبد حمزةﷺ فقد أسلمت أيضا يوم الفتح.

(٤) البداية والنهاية (ج٤ ص٤٧ و ج٤ ص٦٤). ومثلت هند مع صواحبها قتلى المسلمين فاتخذت من آذانهم وأنوفهم خلائل وقلائد وأعطت ما كان عليها من الحليّ وحشيا قاتل حمزة ﷺ. ثم صعدت على صخرة فأنشدت فيما أنشدت:

شفيتُ نفسى وقضيت نذرى   شفيتَ وحشيُّ غليل صدرى.

فأجابتها هند بنت أثاثة بأبيات. منها هذا البيت:

خَزيتِ فى بدر وبعد بدر   يا بنت وقاعٍ عظيم الكفر.

وحشيُّ: يا وحشيّ؛ الغليل: العطش؛ الوقاع: كثير الوقوع فى الدنايا. راجع ابن هشام (ج٣ ص٤١-٤٢).

(٥) ابن هشام (ج٣ ص١٤٨).

فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته.[1] ومنهم نُعيم بن مالك ﷺ وكان ممن ألحّ رسول الله ﷺ على الخروج شوقا إلى الجنة حتى قال: يا نبيّ الله، لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لأدخلنها[2].

ومنهم عمرو بن الجموحﷺ كان رجلا أعرج. فمنعه بنوه الأربعة عن الخروج. فأتى رسول الله ﷺ وقال: فوالله، إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة[3]. ومنهم حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكةﷺ. ولما استشهد قالﷺ: إن صاحبكم لتغسله الملائكة؛ فاسألوا أهله ما شأنه؟ فسألوا صاحبته جميلة بنت أبيّ ابن سلول. وكانت عروسا عليه البارحة. فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة[4].

ومنهم أنس بن النضرﷺ. قال لمن قعد حيرة: ما يُجلِسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ. قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده. فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم. فقاتل حتى قتل[5]. فوجد به بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية حتى لم يعرفه إلا أخته. عرفته ببنانه[6] وهو الذى قال، لسعد بن معاذ: واهًا لريح الجنة أجده دون أحد.[7]

ومنهم مالك[8] بن سنان ﷺ وهو الذى امتص الدم من وجنتهﷺ ثم ازْدَرَدَه. فقال ﷺ : من مس دمه دمى لم تصبه النار[9]. ومنهم اليمان والد حذيفة بن اليمان. قتله المسلمون خطأ. فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه. فتصدق ابنه حذيفة بديته على

---

(١) انظر ابن هشام(ج٣ ص٤٦).

(٢) ابن كثير (ج٤ ص١٨).

(٣) ابن هشام (ج٣ ص٤٠).

(٤) انظر ابن كثير(ج٤ ص٢٧). والهاتفة: الصيحة. وكان أبوه أبو عامر مع قريش. وكان أحد زعماء الأوس. فلما أسلمت المدينة خرج مغضبا برجال من أتباعه الكفرة إلى مكة. حفر بأحد حفرا ليقع فيها المسلمون. كان يلقب بالراهب فسماه رسول الله ﷺ بالفاسق.

(٥) ابن هشام (ج٣ ص٣١).

(٦) البنان: الإصبع.

(٧) ابن كثير (ج٤ ص٤٠).

(٨) وهو والد أبي سعيد الخدري.

(٩) ابن هشام (ج ٣ ص٢٨).

المسلمين وقال: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.[١]

جرحى أحد

عدد الجرحى من المسلمين بأحد كان يزيد على المائة والخمسين ولم يأسر أحد منهم بيد المشركين[٢]. من الجرحى أبو دجانة رضي الله عنه. وهو الذى أعطاه رسول الله ﷺ سيفه قال ﷺ، حينما التقى الجيشان: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة فأعطاه. فخرج وهو يقول:

أنا الذى عـــاهدنى خليـــلى   ونحن بالسفح[٣] لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر فى الكيُول[٤]   أضربْ بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله. وترّس دون رسول الله ﷺ بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه[٥]. ومنهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وهو الذى انتزع حلقتى مِغفر رسول الله ﷺ حين دخلتا فى وجنته. نزعهما بفمه فسقطت ثنيتاه رضي الله عنه.[٦] ومنهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. جرح عشرين جراحة حتى صار أعرج أهتم[٧]. ومنهم أبو طلحة الأنصاريّ رضي الله عنه. كان يذود عنه ﷺ. فقال: 'نحرى دون نحرك'. وهو ممن تغشاه النعاس فى معركة أحد حتى سقط سيفه من يده مرارا.[٨] قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾[٩]

ومنهم طلحة رضي الله عنه. ترّس دون رسول الله ﷺ بيده حتى صارت شلآء[١٠].

---

(١) ابن هشام (ج٣ ص٣٧) ويعرف اليمان باسم حسيل بن جابر.
(٢) التاريخ الإسلاميّ لمحمود شاكر (ج٢ ص٢٤٥).
(٣) السفح: أصل الجبل وأسفله.
(٤) الكيّول: آخر الصفوف فى الحرب.
(٥) ابن هشام (ج٣ ص٣٠).
(٦) المصدر المذكور(ج٣ ص٢٨).
(٧) الأهتم: من ذهبت رباعيته.
(٨) كما رواه البخاري معلقا.
(٩) آل عمران: ١٥٤
(١٠) ابن كثير (ج٤ ص٣٤) وطلحة هو ابن عبيد الله القرشي التميميّ ويسمّى طلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الفيّاض.

ومنهم أم عمارة نُسَيبة المازنية.[١] جرحت اثني عشر جرحا. كانت تسقى الجرحى. فلما انهزم المسلمون قامت تباشر القتال دون رسول الله ﷺ بالسيف والقوس. فظهرت منها شجاعة مدهشة حتى قال فى حقها رسول الله ﷺ: ما التفتُّ يمينا وشمالا إلا وقد رأيتها تقاتل دونى[٢]. ومنهم قتادة بن النعمان كان يتقى السهام بوجهه دون رسول الله ﷺ. فأصابت عينه رمية سهم. فتدلت على وجنته. فأتى بها رسول الله ﷺ فردها عليه؛ فصارت أحسن عينيه حتى كانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى. وقال ولده حين وفد على عمر بن عبد العزيز:

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسنَ الرد

فعـادت كما كانـت لأول أمرها ... فيا حسنها عينا ويا حسن ما خدّ[٣]

أسباب انهزام المسلمين بأحد

أولا: قد وعد الله تعالى المؤمنين بنصره ما داموا على دينه وجاهدوا فى سبيله. فأنجز الله تعالى وعده فى جميع المعارك قبل أحد[٤] ونصرهم نصرا محسوسا فى معركة بدر. فربما يظن بعض المؤمنين أن النصر حليفهم فى كل ميدان فى كل أوان.[٥] فعلمهم الله تعالى درسا خالدا بأحد؛ لا ينساه منهم أحد. وذلك أن النصر الموعود أو الفتح المنشود منوط بالوسائل والأسباب. وإنما هي الثبات بلا فشل، والاتفاق بلا تنازع،والطاعة بلا عصيان، والإخلاص بلا ميل إلى عرض الدنيا. فحزب الله هم الغالبون ما تمسكوا بهذه الأسباب فإذا قصّروا فيها سلّط الله عليهم العدو ليمحّص المؤمنين[٦]. فذلك قوله تعالى:[٧] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٨]

---

(١) كانت قد خرجت مع ولديها وزوجها زيد بن عاصم.

(٢) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٣٠).

(٣) ابن كثير (ج٤ ص٤٣).

(٤) انظر السريات والغزوات قبل بدر الكبرى.

(٥) سواء أخذوا بالأسباب أم لا.

(٦) ليختبرهم وليطهرهم.

(٧) انظر تفسير القرطبى (ج٤ ص٢٠٧).

(٨) آل عمران ١٤٠

نصر الله تعالى المؤمنين فى أحد كما نصرهم ببدر. فغلب المسلمون على المشركين حتى هزموهم وغنموهم. ثم لما تنازع رماة الجبل فيما بينهم وعصوا الرسول ﷺ فيما أمرهم ومالوا إلى الغنائم وفشل بعض المجاهدين ابتلاهم ربهم حتى أصبحوا منهزمين. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ ﴾[١]

وثانيا: لما تبين من الانتصارات المتتابعة أن الإسلام فى تقدم ازداد عدد المنافقين. فمن لم يكن قد آمن أظهر الإيمان ومن لم يكن قد أسلم أظهر الإسلام. فأراد الله تعالى بهذه الواقعة أن يميز الخبيث من الطيب، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ ﴾[٢] فالمنافقون لما تخلفوا عن هذه الغزوة، وأظهروا شماتتهم عند الهزيمة برز نفاقهم بروز ضوء النهار. وكان رأسهم عبد الله بن أبيّ كان يقوم كل جمعة إذا جلس رسول الله ﷺ للخطبة فيقول: هذا رسول الله بين أظهركم؛ أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا فلما قام بعد أحد كعادته أخذه المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي عدو الله، لست لذلك بأهل.[٣]

وثالثا: إن المسلمين ما ندبوا إلى أحد بل انتدبوا إليها إرهابا للكفرة وإعلاء للكلمة بل الكثير منهم كانوا ممن ألحّوا رسول الله ﷺ على الخروج بعد أن أنذرهم بما رأى فى منامه من المصائب والمتاعب رجاء فى الشهادة وشوقا إلى الجنة. فلم يكترثوا بكثرة المشركين ولا بانخزال المنافقين. فلم يزالوا به ﷺ حتى لبى رغبتهم فنالوا بذلك طلبتهم.[٤]

---

(١) الأنفال: ٥٣

(٢) آل عمران: ١٧٩

(٣) ابن هشام (ج٣ ص٥٧)؛ وكان ابن أبيّ أحد رؤساء الخزرج.

(٤) الطلبة: ما طلبوه ورجوه، وهي الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم[1] بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ[2] وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ[3] لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[4]

الهزيمة لم تسلب القوة

كان النصر فى البداية والنهاية فى معركة أحد للمسلمين حيث هزموا المشركين أولا شر هزيمة، وحيث ردوهم خائبين فى آخر هجمة. وإنما كانت الهزيمة فى أثناء المعركة. وذلك للأسباب المذكورة. وهذه الهزيمة لم تورثهم فى أنفسهم كللا ولا مللا. بل شعروا بالعزة والقوة. حتى لقي المشركون منهم من أول المعركة إلى آخرها شدة وحدّة، حتى اضطروا إلى مغادرة ميدان المعركة بالسرعة ولم يتوجهوا توّا إلى المدينة.

فعقب انصراف قريش بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه فى آثارهم فقال: فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة وإن هم ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأناجزنهم. فرآهم عليّ قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل واتجهوا نحو مكة.[5] قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[6]

---

(١) تقتلونهم.

(٢) جُبنتم وضعفتم.

(٣) ردكم عن الكفار بانهزامكم.

(٤) آل عمران: ١٥٢

(٥) انظر ابن هشام (ج٣ ص٤٦). جنب: ساق؛ امتطى: ركب.

(٦) آل عمران: ١٣٩

مسير المسلمين إلى المدينة

توجه المسلمون إلى المدينة فخرج منها ناس يستقبلونهم ويستخبرونهم. فامرأة من بنى دينار تسأل عن رسول اللهﷺ فنُعي لها أبوها وأخوها وزوجها. فلم تكترث وسألت عن رسول اللهﷺ. فقيل لها هو بخير. فقالت: أرونيه. فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.[١] وكانت النياحة على الموتى من عادة العرب فارتجّت[٢] المدينة عقب أحد بالباكيات النائحات. ثم نهي المسلمون عن النياحة بعدئذ إلى الأبد.

غزوة حمراء الأسد

(شوال، سنة ثلاث من الهجرة)

لما كان الغد[٣] من يوم أحد ندب رسول الله ﷺ من كان معه بأحد.[٤] فخرج بهم يطلب العدوّ ليرهبهم حتى لا يتشجعوا على العودة. فسارﷺ حتى وصل إلى حمراء الأسد.[٥] وكان ذلك من بُعد النظر فى سياسته وبُعد المَدى[٦] فى شجاعته. فقد كان المشركون قد أجمعوا الرجعة ليستأصلوا من المسلمين البقية. فلما وصلوا إلى الروحاء[٧] سمعوا بمخرج رسول اللهﷺ فى طلبهم فألقى الله الرعب فى قلوبهم. فنادى أبو سفيان بالرجعة إلى مكة. ولكنه أراد تغطية الخوف والهزيمة؛

---

(١) ابن هشام (ج٣ ص٥١) وابن كثير (ج٤ ص٥٨). الجلل: الصغيرة.
(٢) ارتجَت: اضطربت.
(٣) كان أحد يوم السبت للنصف من شوال. والغد يوم الأحد سادس عشر شوال (فتح البارى: ج٧ ص٣٧٣).
(٤) المشهور عند أهل المغازى أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحدا إلا من استشهد منهم (البداية والنهاية: ج٤ ص٦٢). فأما ما رواه البخاريّ فى صحيحه (٤٠٧٧/٢٥/٦٤) من قول عائشة رضى الله عنها 'فانتدب منهم سبعون رجلا' فهو لا يخالف قول أصحاب المغازى، لان معنى قولها أن السبعين سبق غيرهم ثم تلاحق الباقون (شرح المواهب: ج٢ ص٤٦٦).
(٥) حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة.
(٦) المَدَى: الغاية.
(٧) الروحاء: قرية على ليلتين من المدينة.

فقال لركب[1] مر به من عبد القيس: بلّغوا عنى محمدا رسالة – أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. لقي الركب برسول الله ﷺ بحمراء الأسد. فأدّوا إليه رسالة أبي سفيان. فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.[2]

فأقام ﷺ بحمراء الأسد ثلاثة أيام ثم قفل راجعا إلى المدينة. فظفر فى طريقه بأبي عزة الشاعر. كان قد أسره ببدر ثم منّ عليه على أن لا يقف عليه فى موقف. ولكنه نقض وغدر حتى خرج يحاربه إلى أحد. فأمرﷺ بقتله وقال: 'إن المؤمن لا يلدغ من جُحْر مرتين' كما ظفر فى طريقه بمعاوية بن المغيرة. كان قد لجأ إلى عثمان بن عفان[3] فأمّنه رسول الله ﷺ على أنه إن وُجد بعد ثلاث قتل. فأقام بعد ثلاث. فبعث رسول الله ﷺ إلى موضع توارى فيه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر حتى قتلاه.[4] وكان معاوية فيمن مثل بحمزة ﷺ فهو الذى جدع أنفه.[5]

وكان أكثر من خرج فى هذه الغزوة جرحى أحد ولكنهم لم يكترثوا بألمهم ولم يتأخروا لمداواة كَلْمِهم[6] فكان فى بنى سلمة وحدها أربعون جريحا[7]. ولم يجد أخوان جريحان من بنى عبد الأشهل راحلة يركبانها. فجعلا يمشيان يحمل أيسرُهما جرحا أثقلَهما جرحا.[8]

---

(١) ووعدهم أبو سفيان على أداء رسالته زبيبا يعطيه بعكاظ.

(٢) ابن هشام (ج٣ ص٥٥-٥٦) وابن كثير (ج٤ ص٦١-٦٢).

(٣) كان قد أضل الطريق فلما أصبح أتى دار عثمان ﷺ فاستجاره فاستأمن له عثمان رسول الله ﷺ حتى أمنه لثلاث. ولكنه أقام ليعرف أخبار النبيّ ﷺ. فلما كان اليوم الرابع أمر ﷺ بطلبه. ابن الأثير (ج٢ ص١١٤).

(٤) ابن هشام (ج٣ ص٥٦،٥٧) وابن كثير (ج٤ ص٦٣).

(٥) ابن الأثير (ج٢ ص١١٤).

(٦) الكلم: الجرح

(٧) شرح المواهب (ج٢ ص٤٦٥).

(٨) كان يحمله إذا غلب أى أتعبه المشي. راجع ابن هشام (ج٣ ص٥٢). وإنما خرج رسول الله ﷺ بهؤلاء الجرحى ليرى الأعداء غاية إيمانهم وشدة بأسهم حتى لم يوهنهم هذه الجرحات ولئلا يختلط بهم المنافقون. راجع شرح المواهب(ج٢ ص٤٦٥).

السنة الرابعة

١. بعث الرجيع (سرية عاصم) :صفر

- مقتل عاصم وأصحابه رضي الله عنهم
- مقتل زيد وخبيب وابن طارق رضي الله عنهم

٢. حديث بئر معونة :صفر

٣. غزوة بنى النضير :ربيع الأول

٤. غزوة بدر الآخرة :شعبان

فى جمادى الأولى من هذه السنة توفي عبد الله بن عثمان بن عفان من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين. وكان سنه حين وفاته ست سنين.

وفى جمادى الأولى منها توفي أبو سلمة عن زوجها أم سلمة رضى الله عنهما. كانا من السابقين إلى الإسلام ومن المهاجرين إلى الحبشة وإلى المدينة.

وفى شعبان منها ولد الحسين بن عليّ من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين. وفى شوال منها تزوج ﷺ من أم سلمة بنت أبى أمية أرملة أبى سلمة ذات أيتام منه.

وفى هذه السنة أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ﷺ أن يتعلم كتابة يهود (العبرانية) فتعلمه فى خمسة عشر يوما.[1]

---

١) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٠٩-١١٢) والكامل (ج٢ ص١٢٠-١٢٢).

بعث الرجيع (سرية عاصم)

(صفر سنة أربع من الهجرة)

بعث رسول الله ﷺ، فى صفر سنة أربع من الهجرة[1] عشرة رهط من أصحابه، عيونا إلى مكة، ليأتوه بخبر قريش.[2] بعثهم مع رهط أتاه من عضل والقارة.[3] فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرؤوننا القرآن.[4] وأمر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه،[5] حتى إذا كانوا على الرجيع[6] غدر بهم الرهط فاستصرخوا عليهم[7] هُذيلا. فلم يرُعهم[8] وهم فى رحالهم إلا رجال بسيوف قد غشوهم.[9] فقابلهم المسلمون بسيوفهم. فعرضوا عليهم الأمان وقالوا:إنا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة.[10]

---

(١) راجع مواهب القسطلانى مع شرح الزرقانى (ج٢ ص٤٧٤).

(٢) راجع صحيح البخارى (٤٠٨٦/٢٨/٦٤) وفتح البارى (ج٧ ص٣٨٠).

(٣) عضل والقارة: قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة.

(٤) راجع ابن هشام (ج٣ ص١٦٠).

(٥) كما فى صحيح البخاريّ (٤٠٨٦/٢٨/٦٤) وفى ابن هشام: وأمر عليهم مرثد بن أبى المرثد الغنوى. وما فى الصحيح أصح(فتح البارى:ج٧ ص٣٨٠).

(٦) الرجيع:ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز (راجع المواهب اللدنية: ج١ ص٤١٦).

(٧) استصرخوا: استعانوا واستغاثوا على المسلمين.

(٨) لم يرُعهم: لم يفزع المسلمين فجأة ولم يخفهم بغتة.

(٩) وفى بعض الروايات أن المسلمين قد صعدوا إلى جبل فلم يقدر القوم عليهم حتى أعطوهم العهد والميثاق. راجع فتح البارى (ج٧ ص٣٨١).

(١٠) ابن هشام (ج٣ ص١٦١).

مقتل عاصم وأصحابه

أبى عاصم وستة من أصحابه أن ينـــزلوا فى ذمة كافر؛ فقاتلوا حتى قتلوا[١].
فلما قتل عاصمﷺ أتاه رسل قريش ليأخذوا لهم شيئا من جسده. وكان عاصم قد قتل عظيما[٢] من عظمائهم يوم بدر. فأرسل الله تعالى عليه مثل الظُلة من الدَبر[٣] فحمته منهم فلم يقدروا منه على شيء.[٤] وأرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد. وكان قد قتل ابنيها[٥] يوم أحد، فنذرت: لئن قدرت على رأسه لتشربنّ فى قِحْفه الخمر. فمنعته الدَبرُ[٦] عنهم فقالوا: دعوه حتى يمسى فتذهب عنه الدبر. فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به.[٧] وكان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا. فمنعه الله تعالى بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته.[٨]

مقتل زيد وخبيب وابن طارق رضي الله عنهم

وكان فى بعث الرجيع زيد بن الدَثِنة وخبيب بن عديّ وعبد الله بن طارقﷺ. فهؤلاء الثلاثة نزلوا على عهد القوم.[٩] فأسروهم حتى إذا كانوا

---

(١) راجع صحيح البخارى (٤٠٨٦/٢٨/٦٤).

(٢) لعل هذا العظيم عقبة بن أبى معيط فهو الذى قتل صبرا بأمر النبىﷺ بعد أن انصرفوا من بدر. (فتح البارى: ج٧ ص٣٨٤).

(٣) الظلة: السحابة؛ والدبر: جماعة الزنابير.

(٤) راجع صحيح البخارى (٤٠٨٦/٢٨/٦٤).

(٥) وهما مسافع وجلاس ابنا طلحة العبدرى (فتح البارى: ج٧ ص٣٨٤) والمواهب اللدنية (ج١ ص٤٢٣).

(٦) ابن هشام (ج٣ ص١٦٣) وفتح البارى (ج٧ ص٣٨٤) منعته: حمته وحفظته.

(٧) ابن هشام (ج٣ ص١٦٣). والمراد بالوادى سيل الوادى.

(٨) فتح البارى (ج٧ ص٣٨٤) وابن هشام (ج٣ ص١٦٣).

(٩) فهم أرادوا الأخذ بالرخصة فاستأمنوا. وأما عاصم وأصحابه فقد أرادوا الأخذ بالشدة. فامتنعوا من قبول الأمان. وكلاهما جائز لا بأس به.(راجع فتح البارى: ج٧ ص٣٨٤)

بالظهران[١]. انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه فرموه بالحجارة حتى قتلوه.[٢] وأما خبيب وزيد فباعوهما بمكة من قريش[٣]. فاشترى خبيبا بنو الحارث[٤] ليقتلوه بأبيهم الحارث. وكان خبيب قد قتله يوم بدر. فمكث عندهم أسيرا. كانت (زينب) إحدى بنات الحارث تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قِطْف[٥] عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق فى الحديد. وما كان إلا رزقا رزقه الله.[٦]

قالت ماوِيّة مولاة حُجَير[٧]: "كان خبيب يتهجد بالقرآن. فإذا سمعته النساء بكين ورققن عليه. فقلت له: هل لك من حاجة؟ قال: 'لا، إلا أن تسقينى العذب ولا تطعمينى ما ذبح على النصب وتخبرينى إذا أرادوا قتلِي'. فلما أرادوا ذلك[٨] أخبرته؛ فوالله ما اكترث بذلك[٩]" فلما خرجوا به من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه استمهلهم حتى يصلى ركعتين[١٠] ثم قال: أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة. ثم دعا الله تعالى: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بِدَدا،[١١] ولا تغادر منهم أحدا[١٢] ثم أنشأ يقول:

---

(١) الظهران: واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مَرّ تضاف إلى هذا الوادى فيقال مرّ الظهران (معجم البلدان: ج٤ ص٧١).

(٢) ابن هشام (ج٣ ص١٦٣-١٦٤) والقران: حبل يربط به الأسير.

(٣) بأسيرين من هذيل كانا بمكة. (ابن هشام: ج٣ ص١٦٤).

(٤) بنو الحارث بن عامر بن نوفل: وهم عقبة بن الحارث وأبو سروعة بن الحارث أسلما وصحبا بعد ذلك (راجع شرح المواهب للزرقانى: ج٢ ص٤٨٢).

(٥) قطف العنب: عنقوده.

(٦) راجع صحيح البخارى (٤٠٨٦/٢٨/٦٤).

(٧) حجير: هو حجير بن أبى إهاب؛ أخو عقبة وأبى سروعة ابني الحارث - أخوهما لأمهما. وكان خبيب قد حبس فى بيت ماويّة وكانت زينب تحرسه.

(٨) ذلك: قتله.

(٩) شرح المواهب (ج٢ ص٤٨٣) ما اكترث بذلك: لم يبال به ولم يحزن ولم يجزع له.

(١٠) فهو أول من سن هاتين الركعتين لمن يقتل أسرا وصبرا.

(١١) أَحْصِهِمْ عَدَدًا : إسْتَأْصِلْهُمْ ؛ واقتلهم بِدَدًا أي متفرقين.

(١٢) راجع ابن هشام(ج٣ ص١٦٦).

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أيِّ شِقٍّ كَانَ للهِ مَصْرَعِي[1]
وَذَلِكَ فِى ذَاتِ الإلهِ[2] وَإنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ[3] شِلْوٍ مُمَزَّعٍ[4]

فأما زيد بن الدثنة ﷺ فابتاعه بمكة صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، فلما أرادوا قتله أخرجوه من الحرم. فكان ممن اجتمع عند مقتله أبو سفيان بن حرب[5] فقال: يا زيد، أنشدك بالله، أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وأنك فى أهلك؟ قال: 'والله، ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإنى لجالس فى أهلي'. قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا.[6]

حديث بئر معونة[7]

(صفر سنة أربع من الهجرة)

كان أبو براء[8] من رؤوس بنى عامر. فوفد على رسول الله ﷺ فى صفر سنة أربع من الهجرة.[9] فدعاه إلى الإسلام. فلم يسلم ولم يبعد. بل طلب منه أن يبعث إلى أهل نجد رجالا من المسلمين فى جواره. فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو[10]

---

(١) شق:جنب، مصرعى: مطرحى على الأرض.
(٢) فى ذات الإله: فى وجه الإله.
(٣) على أوصال شلو ممزّع: على أعضاء جسد مقطع.
(٤) راجع صحيح البخارى (٦٤/٢٨/٤٠٨٦) مع فتح البارى (ج٧ ص٣٨٤).
(٥) ابن هشام (ج٣ ص١٦٤).
(٦) المواهب (ج١ ص٤٢٣) وابن هشام (ج٣ ص١٦٤).
(٧) بئر معونة: أرض شرقيّ المدينة بين بنى عامر وحرّة بنى سليم.
(٨) أبو براء: هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الملقب بملاعب الاسنة. وإنما سمي عامر بذلك حين أسلمه أخوه فى يوم سوبان وفرّ فقال بعض الشعراء:
فررتَ وأسلمتَ ابنَ أمك عامرا ... يلاعب أطرافَ الوشيجِ المُزعزَعِ
(٩) على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد.
(١٠) الخزرجيّ العقبيّ البدريّ النقيب من أكابر الصحابة.

فى سبعين رجلا من أصحابه.[1] فلما نزلوا ببئر معونة بعثوا حرام بن مِلحان ﷺ، بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر[2] بن الطفيل سيد بنى عامر. فلم يلتفت إلى الكتاب بل قتل حامله، حراما. ثم استصرخ[3] على بقية البعثة قومَه بنى عامر. فأبوا أن يخفروا[4] جوار أبي براء. فاستصرخ عليهم قبائل[5] من سُليم. فأجابوه وقاتلوا معه المسلمين حتى قتلوهم عن آخرهم.

فلم ينجُ من المسلمين إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية. فأما كعب فتركوه بين القتلى وبه رمق.[6] فعاشﷺ حتى قتل يوم الخندق. وأما عمرو فأسروه ثم أطلقوه.[7] وجاء خبرهم رسول اللهﷺ فى تلك الليلة.[8] وكان وصول الخبرين – خبر الرجيع وخبر بئر معونة – فى وقت واحد. فحزن رسول اللهﷺ حزنا شديدا. ودعا على العدو فى صلاته شهرا كاملا.[9] ولما أخفر عامر بن الطفيل جوار عمه أبي براء وقتل أصحاب رسول اللهﷺ مات أبو براء عقب ذلك أسفا.[10] ودعا

---

(١) كانوا سبعين من القراء كما فى صحيح البخاري (٤٠٩٦/٢٨/٦٤) وفى ابن هشام (ج٣ ص١٨٥) فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين. ويمكن الجمع بينهما كما قال الحافظ العسقلاني فى فتح البارى (ج٧ ص٣٨٧) بأن الأربعين كانوا رؤساء، وبقية العدة أتباعا.

(٢) هو عدو الله عامر بن الطفيل العامريّ الذى مات كافرا؛ وليس هو عامر بن الطفيل الأسلميّ الصحابيّ (المواهب اللدنية: ج١ ص٤٢٦) وهو (عدو الله عامر بن الطفيل) ابن أخي أبي براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة. راجع فتح البارى (ج٧ ص٣٨٧).

(٣) استصرخ: استعان.

(٤) الإخفار: نقض العهد.

(٥) وهم عُصَيّة ورعْل وذَكْوان (ابن هشام: ج٣ ص١٨٥).

(٦) الرمق: بقية الحَياة.

(٧) أعتقه عامر بن الطفيل عن رقبة، زعم أنها كانت على أمه. أى قال: قد كانت على أمى نسمة فأنت حرّ عنها. ابن هشام(ج٣ ص١٨٦).

(٨) راجع فتح البارى (ج٧ ص٣٩١).

(٩) راجع المواد المذكورة أعلاه فى الفقرتين فى صحيح البخارى (٢٨/٦٤) وفتح البارى (ج٧ ص٣٧٩-٣٩٢) وابن هشام (ج٣ ص١٨٤-١٩١) والمواهب اللدنية (ج١ ص٤٢٥-٤٢٧) والكامل لابن الأثير (ج٢ ص١١٧).

(١٠) فتح البارى (ج٧ ص٣٩١).

رسول الله ﷺ على عامر بن الطفيل: 'اللهم اكفني عامرا' فقتل شرّ قتلة؛ طعنه عقبة بن أبي براء فأرداه.(١)

غزوة بنى النضير(٢)

(ربيع الأول سنة أربع من الهجرة)

كان عمرو بن أمية ﷺ ممن نجا فى واقعة بئر معونة.(٣) ففى طريقه إلى المدينة لقي رجلين من بنى عامر. نزلا معه فى ظل. فأراد أن يصيب منهما ثُؤرة(٤) بعض القتلى ببئر معونة.(٥) فأمهلهما حتى إذا ناما قتلهما. وكان لهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو فلما أخبر بذلك رسول الله ﷺ قال: 'لقد قتلت قتيلين، لَأدينّهما'(٦) وذلك للجوار الذى عقده لهما.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير ليستعينهم فى دية هذين القتيلين من بنى عامر.(٧) وكان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف، كما كان بينهم وبين المسلمين عقد وعهد. فلما أتاهم رسول الله ﷺ أظهروا الوفاء والخير وأضمروا الغدر والشر. فبينما رسول الله ﷺ قاعد إلى جنب جدار من بيوتهم إذْ ائتمروا على قتله. فأخذ أحدهم صخرة ليلقيها عليه من علو البيت.(٨)

أطلع الله نبيه على مكرهم فقام مظهرا أنه يقضى حاجته، وترك أصحابه(٩)

---

(١) فتح البارى (ج٧ ص٣٩١-٣٩٢).

(٢) بنو النضير: قبيلة كبيرة من قبائل اليهود كانوا نازلين بظاهر المدينة وكانت قريتهم بُطحان، تعد من أعمال المدينة. كان رسول الله ﷺ قد عقد معهم الأيمان على المناصرة على الأعداء.

(٣) المواهب اللدنية للقسطلانى (ج١ ص٤٢٨).

(٤) الثُؤرة: الثأر.

(٥) حيث كانا من بنى عامر قوم عامر بن الطفيل الذين قاتلوا المسلمين ببئر معونة.

(٦) ابن هشام(ج٣ ص١٨٦)ودلائل البيهقىّ (ج٣ ص٣٤٠ ،٣٤١) والمواهب(ج١ ص٤٢٩).

(٧) وكان ﷺ قد أخذ العهد على اليهود أن يعاونوه فى الديات (السيرة الحلبية: ج٢ ص٢٦٣).

(٨) ابن هشام (ج٣ ص١٩١) وابن كثير (ج٤ ص٩٢).

(٩) وكان فيهم أبو بكر وعمر وعليّ رضي الله عنهم (ابن هشام: ج٣ ص١٩١).

فى مجلسهم؛ ورجع مسرعا إلى المدينة؛ فلما استبطؤوه قاموا يطلبونه حتى وجدوه فى المدينة؛ فأخبرهم بما أرادت به اليهود. وأرسل إلى بنى النضير محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فى عشرة أيام.[١] ففشل القوم حينما علموا أن سرهم قد اتضح وأن مكرهم قد افتضح؛ فتهيؤوا للرحيل. فبعث إليهم إخوانهم المنافقون[٢] يعدونهم بالنصر ويحرضونهم على المقام.[٣]

اغترّ بنو النضير بوعد أهل النفاق؛ فتأخروا بذلك عن الجلاء. فسار إليهم رسول الله ﷺ فى أصحابه؛ وحمل رايته عليّ بن أبى طالب ﷺ، فصلّوا العصر بفناء بنى النضير.[٤] فدخلوا حصونهم ممتنعين فحاصرهم رسول الله ﷺ ست ليال.[٥] وأمر بتخريب نخلهم[٦] تعجيلا لتسليمهم. فألقى الله الرعب فى قلوبهم، وخذلهم المنافقون فى أحوج ما كانوا إليهم.[٧] قال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[٨]

فلما غلبهم الرعب والرهب وقهرهم القلق والفرق استأذنوا رسول الله ﷺ

---

(١) المواهب اللدنية (ج١ ص٤٣٠، ٤٣١) وابن كثير (ج٤ ص٩٣).
(٢) عبد الله بن أبيّ وأصحابه.
(٣) راجع ابن كثير (ج٤ ص٩٣).
(٤) المواهب اللدنية (ج١ ص٤٣١، ٤٣٢).
(٥) على ما قاله ابن اسحاق. وقال الواقدي: حاصرهم خمس عشر ة ليلة. راجع ابن كثير (ج٤ ص٩٣) والمواهب (ج١ ص٤٣٠ ،٤٣٢).
(٦) بالقطع والتحريق (البيهقى: ج٣ ص٣٥٥).
(٧) ابن كثير (ج٤ ص٩٣-٩٨).
(٨) الحشر: ١١، ١٢

فى الجلاء بما حملت إبلهم من أموالهم سوى ما كان معهم من سلاحهم. فجلوا بإذنه من المدينة بنسائهم وصبيانهم، فنزل بعضهم بخيبر، وبعضهم بالشام.[1] ولم يسلم منهم إلا اثنان يامين بن عمير وأبو سعيد بن وهب.[2] وما ترك بنو النضير من الأموال قسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين ليرفع بذلك مؤنتهم على الأنصار، اذ كانوا قد قاسموهم فى الأموال والديار.[3]

غزوة بدر الآخرة[4]

(شعبان، سنة أربع من الهجرة)

لما انتهت معركة أحد فى شوّال سنة ثلاث قال أبو سفيان: الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فقال ﷺ : نعم هو بيننا وبينكم موعد. ثم لمّا دنا الموعد خاف أبو سفيان اللقاء فاستأجر نعيم بن مسعود الأشجعيّ، بعشرين بعيرا على أن يأتى المدينة ليصرف المسلمين عن الخروج بالإرجاف والإرهاب.[5] ثم خرج أبو سفيان بألفين من قريش حتى إذا نزل مجنّة[6] قال: يا معشر قريش، إنه لا يصلِحكم[7] إلا عام خصيب، وإن عامكم هذا عام جدب، وإنى راجع، فارجعوا، فرجعت قريش.[8]

---

(١) ابن هشام (ج٣ ص١٩٣) وابن كثير (ج٤ ص٩٣) والذين ذهبوا إلى الشام نزلوا منها بأذرعات. راجع البيهقى (ج٣ ص٣٥٩).

(٢) الكامل لابن الأثير (ج٢ ص١١٩) والبداية والنهاية (ج٤ ص٩٤).

(٣) المواهب اللدنية (ج١ ص٤٣٢) إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة الأنصاريين ذكرا فقرا فأعطاهما (ابن كثير: ج٤ ص٩٤، وابن الأثير: ج٢ ص١١٩).

(٤) ويقال لها بدرِ الأخيرة وبدر الصغرى وبدر الثالثة وبدر الموعد. راجع مواهب القسطلانى مع شرح الزرقانى (ج٢ ص٥٣٥).

(٥) فأرجفهم وأرهبهم بكثرة العدو.

(٦) بميم وجيم ونون مشددة مفتوحات سوق بقرب مكة من ناحية مرّ الظهران. ومرّ الظهران: واد بين مكة وعسفان. وتسميه العامة بطن مرو (شرح المواهب: ج٢ ص٥٣٦).

(٧) لا يريحكم ولا يزيل عنكم مشقة السفر.

(٨) المواهب مع شرح الزرقانى (ج٢ ص٥٣٧).

أما رسول الله ﷺ لم يكترث بهذا الإرجاف بل خرج لبدر لميعاد أبي سفيان، في شعبان سنة أربع من الهجرة[1] في ألف وخمسمائة من أصحابه، بعد ما استخلف على المدينة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حتى نزل بأصحابه بدرا. فأقاموا بها ثمانية أيام مدة الموسم. وكانوا قد أتوا ببضائع للتجارة إذا وجدوا لها فرصة. فلم يشاركهم في التجارة أحد من قريش. فربحوا حتى فرحوا ثم عادوا إلى المدينة سالمين.[2] حيثما عادت قريش بعار الخلف والجبن حتى صاروا متلاومين.[3]

---

(١) ابن هشام (ج٣ ص٢٢١).

(٢) راجع ابن كثير (ج٤ ص١٠٩).

(٣) فقد لاوم صفوان أبا سفيان على وعده ثم إخلافه حتى يجترئ المسلمون. راجع شرح المواهب (ج٢ ص٥٣٧).

السنة الخامسة

أهم أحداث هذه السنة

١. غزوة دُومة الجندل : ربيع الأول

٢. غزوة بنى المصطلِق : شعبان

- مقالة توقد الفتنة
- حكمة تخمد الفتنة
- عاصفة أرسلت لموت منافق
- حديث الإفك

٣. غزوة الخندق : شوال

٤. غزوة بنى قريظة : ذو القعدة

وفى هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ابنة عمته بعد ما طلقها مولاه زيد بن حارثة ﷺ كيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا.[١] وفيها شرع الحجاب على نساء المؤمنين.[٢] وذلك قبل غزوة بنى المصطلق[٣].

---

(١) راجع تاريخ ابن جرير الطبرى (ج٢ ص٤١٥) وتفسير القرطبى (ج١٤ ص١١٤) وأسد الغابة لابن الأثير (ج٦ ص١٢٩).

(٢) راجع صحيح البخارى فى كتاب التفسير. باب: لا تدخلوا بيوت النبيّ (٤٧٩١) مع فتح البارى. وصحيح مسلم فى كتاب النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب (١٤٢٨) مع شرح مسلم وتهذيب الأسماء (ج١ ص٤٨).

(٣) كما يفهم مما رواه البخارى فى حديث الإفك. (٢٦٦١/١٥/٥٢ و ٦٤/ ٤١٤١/٣٣).

غزوة دومة الجندل

(ربيع الأول، السنة الخامسة)

بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل[1] جمعا كثيرا يظلمون من مرّ بهم وأنهم يريدون أن يقربوا من المدينة. فاستخلف على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطة. ثم خرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول، فى ألف من أصحابه، يسير الليل ويكمن النهار. فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم (الإبل) والشاء. فأصاب من الرعاة من أصاب، وهرب منهم من هرب.

بلغ الخبر أهل دومة الجندل فتفرّقوا هاربين. ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يلق بها أحدا. فأقام بها أياما يبعث السرايا. ثم رجع بهم ولم يُصب منهم أحد. وأسروا من القوم رجلا فعرض عليه رسول ﷺ الإسلام فأسلم. ودخل ﷺ المدينة في العشرين من ربيع الآخر.[2]

غزوة بنى المصطلق (غزوة المريسيع)

(شعبان، سنة خمس[3] من الهجرة)

بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق[4] قد تجمعوا لقتاله بقيادة الحارث بن أبى

---

(١) دومة الجندل: (بضم الدال): موضع فى شمال نجد. طرف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (ج٣ ص٣٨٩-٣٩١) والمواهب اللدنية (ج١ ص٤٤٠).

(٣) كما رواه موسى بن عقبة فى مغازيه والبيهقى فى دلائله من عدة طرق. ولكن ذكر ابن إسحاق فى مغازيه: أنها في شعبان سنة ست من الهجرة. وجزم به خليفة والطبرى وجرى عليه ابن هشام (ج٣ ص٣٣٣) وابن كثير (ج٤ ص١٨٦) وابن الأثير (ج٢ ص١٣٠) والنووى فى تهذيبه (ج١ ص٤٨) ولكن الأول رجحه البيهقىّ فى دلائله (ج٤ ص٧٧) والحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (ج٧ ص٤٣٠) والقسطلانى فى مواهبه (ج١ص٤٤١) قال العسقلانى: قال الحاكم فى الإكليل 'قول عكرمة وغيره: أنها كانت فى سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق'. ثم ذكر العسقلانى تأييدا له: ما ثبت فى صحيح البخاري فى حديث الإفك (٦/٣٤/٤١٤١) أن سعد بن معاذ وسعد بن عبادة تنازعا فى أصحاب الإفك (وذلك عقب غزوة بنى المصطلق) وسعد بن معاذ قد توفي أيام غزوة بنى قريظة التى وقعت سنة خمس على الصحيح. فبنو المصطلق لا بد أن يكون قبل بنى قريظة فلا تكون سنة ست. راجع فتح البارى (ج٧ ص٤٣٠).

(٤) بنو المصطلق: (بكسر اللام على وزن مجتهد) بطن من خزاعة راجع فتح البارى (ج٧ ص٤٣٠)

ضرار[1]. فخرج اليهم في شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه[2] بعد أن استخلف على المدينة أبا ذرالغفارىرضي الله عنه[3] حتى لقيهم بالمريسيع[4]. فقاتلهم المسلمون فقتل منهم من قتل وانهزم منهم من انهزم؛ فسبوا أبناءهم ونساءهم وأخذوا أموالهم.

قسم رسول الله ﷺ غنائم بنى المصطلق بين أصحابه؛ فكانت من السبايا جويرية بنت الحارث قائدهم وسيدهم؛ فوقعت فى سهم ثابت بن قيس رضي الله عنه فكاتبته على نفسها. ثم أتت رسول الله تستعينه فى ذلك. فقضى عنها كتابتها حتى تحررت ثم تزوجها بإذنها حتى تعززت. فقال المسلمون: "أصهار رسول الله ﷺ". وأرسلوا ما بأيديهم حتى أعتق بذلك مائة بيت من بنى المصطلق . قالت عائشة رضى الله عنها: فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية[5].

مقالة توقد الفتنة

فبينما رسول الله ﷺ مقيم بالمريسيع إذ تزاحم على الماء جَهْجاه الغفارى وسنان الجهنى[6] حتى اقتتلا. فصرخ الأول: يا معشرالمهاجرين؛ وصرخ الثانى: يا معشر الأنصار[7]. فقال رسول الله ﷺ 'ما بال دعوى الجاهلية؟! دعوها فإنها

والمواهب (ج١ ص٤٤١) وكانت منازلهم بناحية الفُرُع وهم حلفاء بنى مدلج. دلائل البيهقى (ج٤ ص٤٧). والفرع: موضع بينه وبين المدينة ثمانية برد. شرح المواهب (ج٣ ص٣).

(١) الحارث هذا هو أبو جويرية زوج النبيّ ﷺ كما سيأتى.

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٤٦).

(٣) ابن هشام (ج٣ ص٣٣٣). وقيل زيد بن حارثة وقيل نميلة بن عبد الله. راجع شرح المواهب (ج٣ ص٥).

(٤) المريسيع: (بضم الميم وفتح الراء مصغر مرسوع) ماء لخزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم (فتح البارى: ج٧ ص٤٣٠)

(٥) ابن هشام (ج٣ ص٣٤٠،٣٣٤،٣٣٩) وابن الأثير(ج٢ ص١٣١) والبيهقى (ج٤ ص٤٦-٥٠).

(٦) جهجاه بن مسعود الغفارى كان أجيرا لعمر بن الخطاب؛ وسنان بن وبر الجهنى كان حليف بنى عوف بن الخزرج: فاسم أبي سنان وبر عند الأكثرين ولكن فى فتح البارى (ج٨ ص٦٤٩) وبرة وفى دلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٥٢) زيد.

(٧) ابن هشام (ج٣ ص٣٣٤) و البيهقى (ج٤ ص٥٢).

منتنة.'[1] فلما سمع بذلك عبد الله بن أبيّ ابن سَلول[2] رأس المنافقين قال: أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا![3] والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؛ وقال لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله.[4]

حكمة تخمد الفتنة

كان فيمن سمع من ابن سلول هذه المقالة زيد بن أرقم. فأخبر بذلك[5] رسول الله ﷺ. فأشار عليه عمر أن يأمر بقتله. فقال ﷺ فكيف يا عمر، إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه! لا، ولكن أَذِّنْ بالرحيل؛ فارتحل ﷺ بالناس فى ساعة لم يكن يرتحل فيها. ثم مشى بهم يومهم حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصَدْرَ يومهم حتى اشتد الضحى. ثم نزل بهم فلم يلبثوا أن يناموا عقب ما وجدوا مسّ الأرض. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عما كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبيّ.[6]

لقيه فى مسيره أسيد بن حضير ﷺ؛ فلما علم منه سبب ارتحاله فى غير أوانه قال: 'فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت؛ هو، والله، الذليل، وأنت العزيز! يا رسول الله؛ ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه؛ فانه يرى أنك قد استلبْته ملكا'. وأما عبد الله بن أبي لما سمع الخبر أتى رسول الله ﷺ يحلف بالله أنه ما تكلم بما قال عليه زيد[7]. فلم يزل زيد مهموما حتى نزلت سورة المنافقين فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قد صدقك.[8]

---

(١) راجع صحيح البخارى ٤٩٠٥

(٢) سلول: (بفتح السين) امرأة من خزاعة. وهي أم أبي بن مالك الخزرجي. وعبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين، وابنه عبد الله بن عبدالله بن أبيّ من فضلاء الصحابة وخيارهم (عمدة القارى: ج١٧ ص٢٠٧).

(٣) ابن هشام (ج٣ ص٣٣٤).

(٤) راجع صحيح البخارى، كتاب التفسير: سورة المنافقين(٦٥/٦٣/٤٩٠١-٤٩٠٧[٢-٧]).

(٥) أخبره بنفسه كما أورده كثير من المورخين أو أخبره عنه عمه كما فى روايات البخارى فى كتاب التفسير: سورة المنافقين(٦٥/٦٣/٤٩٠٠-٤٩٠٧[١-٧]).

(٦) راجع ابن هشام (ج٣ ص٣٣٥-٣٣٦) وابن كثير (ج٤ ص١٨٧-١٨٨) والبيهقيّ (ج٤ ص٥٣).

(٧) ابن هشام (ج٣ ص٣٣٥-٣٣٦) وابن كثير (ج٤ ص١٨٨).

(٨) راجع صحيح البخارى (٦٥/٧٣/٤٩٠٠-٤٩٠٤).

عاصفة أرسلت لموت منافق

سلك رسول الله ﷺ بالناس الحجاز حتى نزل على بقعاء[1]؛ فهبت على الناس ريح شديدة. فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار (وفى رواية مسلم لموت منافق) فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد القينقاعيّ قد مات فى ذلك اليوم. وكان عظيما من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين.[2] وكان قد أظهر الإسلام.[3]

قدم رسول الله ﷺ المدينة. فأتاه عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ﷺ يستأذنه فى قتل أبيه عبد الله بن أبيّ إن يرد قتْلَه. فقال ﷺ: بل نحسن صحبته ونترفق به ما صَحِبنا.[4] فكان بعد ذلك إذا أحدث حدثا كان قومه هم الذين يعنّفونه.[5] وكان عبد الله ﷺ قد وقف عند مضيق المدينة يصد أباه عن دخولها، فقال: قف، فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ فى ذلك فلما أذن له رسول الله ﷺ في ذلك أرسله حتى دخل المدينة[6].

وقتل من المشركين عشرة رجال ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد[7]. وهو هشام بن صبابة قتله رجل من الأنصار خطأ. فقدم أخوه مِقيس بن صبابة من مكة يظهر الإسلام ويطلب دية أخيه هشام؛ فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه. ثم عدا مِقَيس على قاتل أخيه فقتله[8] ثم خرج إلى مكة مرتدا.[9] وكان غيبته ﷺ عن المدينة ثمانية وعشرين يوما.[10]

---

(١) بقعاء : اسم ماء بالحجاز فُوَيق النقيع ودون البقيع.
(٢) ابن هشام (ج٣ ص٣٣٦) وابن كثير (ج٤ ص١٨٨).
(٣) دلائل البيهقى (ج٤ ص٦١).
(٤) دلائل البيهقى(ج٤ ص٦٢).
(٥) ابن هشام (ج٣ ص٣٣٧).
(٦) ابن كثير (ج٤ ص١٨٩).
(٧) المواهب اللدنية (ج١ ص٤٤٢).
(٨) وكان مقيس من الذين أهدر النبيّ ﷺ دمهم يوم الفتح.
(٩) الكامل (ج٢ ص١٣١-١٣٢).
(١٠) المواهب (ج١ ص٤٤٥).

حديث الإفك

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه؛ فأيتهن خــرج ســهمها خرج بها معه. فلما كانت غزوة المريسيع خرج سهم عائشة.[١] فعند عودته منــها بات بمنــزل بعض الليل حين دنا من المدينة ثم ارتحل وارتحل الناس معه. وكانــت عائشة قد خرجت لقضاء حاجتها؛ ففقدت عقدها؛[٢] فتأخرت تلتمســه. فرحــل القوم هودجها على بعيرها؛ ثم ساروا بها، وهم يظنون أنها فى الهودج. فلما وجــدت العقد ورجعت إلى منازل القوم لم تجد بها داعيا ولا مجيبا. وظنت أنهــم ســيفقدونها فيرجعون إليها.

فبينما هي جالسة غلبتها عيناها. فلم يوقظها إلا استرجاع[٣] صــفوان بــن المعطل السلميّ. كان فى وراء الجيش[٤] فأصبح عند منزلها. فخمّــرت[٥] وجههــا بجلبابها. وما تكلما بكلمة إلا أنه أناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود بها الراحلة حتى أتى الجيش. فاتهمهما من اتهم إفكا وبهتانا؛ وتكلم فيهما من تكلم ظلما وعــدوانا. وكان الذى تولى كِبْرَ الإفك[٦] هو عبد الله بن أبيّ ابن سلول. فحين ما قدموا المدينة اشتكت عائشة رضى الله عنها شهرا؛ وهي لا تشعر بشيء من حديث الناس إلا أنها أنكرت[٧] من رسول الله ﷺ بعض لطفه[٨] حتى خرجت ذات ليلة إلى متَبَــرَّزهم[٩] خارج البيوت.

---

(١) ظاهر هذا الحديث أنه لم يخرج معه فى هذه الغزوة إلا عائشة. لكن فى كتب السير أنه خرج معه فيها عائشة وأم سلمة.

(٢) كان هذا العقد من جَزْع ظَفار. والجزع: الخرز؛ وظفارُ: قرية باليمن.

(٣) الإسترجاع: أن يقول أحد 'إنا لله وإنا إليه راجعون'.

(٤) وكان يفتقد من وراء الجيش الضائع والساقط منه.

(٥) خمرت: غطت. والتخمير: التغطية.

(٦) تولى كبره: باشر معظمه بأن بدأه وأشاعه .

(٧) أنكرته: فقدته فلم تعرفه.

(٨) اللطف: البر والرفق.

(٩) المتبرز: الخلاء وموضع البراز.

وكان معها أم مِسطح ابنة خالة أبي بكر رضى الله عنهما. فعند مرجعها عثرت أم مسطح فى مِرْطها. فقالت: 'تعس مسطح'. فقالت عائشة: 'بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟' فأخبرها ما قاله مسطح وأصحابه من الإفك.

ازدادت عائشة بذلك مرضا على مرض. فاستأذنت رسول الله ﷺ فانتقلت الى بيت أبويها. فكلمتها أمها بما يسليها. ولكنها أصبحت تبكى لا يرقأ[1] لها دمع ولا تكتحل بنوم. واستشار ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى فى الأمر. فقال أسامة: أهلك[2]، ولا نعلم إلا خيرا. وأما عليّ فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك؛ والنساء سواها كثير.[3] وسل الجارية تَصْدُقْكَ. قالت الجارية (بَريرة)[4]: والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أَغْمِصه[5].

فبينما عائشة تبكى إذ دخل عليها رسول الله ﷺ؛ فجلس عندها؛ ولم يجلس عندها منذ شهر. ثم قال: يا عائشة قد بلغنى عنك كذا وكذا؛ فإن كنت بريئة فسيبرئك الله؛ وإن كنت أَلَمتِ بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه. فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه؛ فالتمست من أبويها إجابته. فكلاهما قال: والله، ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ فقالت: إنى والله، لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر فى أنفسكم وصدقتم به؛ ولئن قلت لكم إنى بريئة – والله يعلم أنى لبريئة – لا تصدقنى بذلك؛ ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أنى منه بريئة – لتصدقنى. والله ما أجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال: فصبر جميل؛ والله المستعان على ما تصفون.

---

(١) لا يرقأ: لا يسكن ولا ينقطع.

(٢) أهلك: بالرفع أو النصب أى هى أهلك أو ألزم أهلك. راجع عمدة القارى (ج١٧ ص٢٠٩).

(٣) ما كان هذا القول من عليّ ﷺ عداوة ولا بغضاء؛ ولكن لما رأى انزعاج النبيّ ﷺ بهذا الأمر وتقلقله به أراد إراحة خاطره وتسهيل الأمر عليه. (المصدر المذكور).

(٤) بريرة: (على وزن فَعيلَة) جارية عائشة.

(٥) أغمصه: أعده عيبا فيها وأحسبه نقصا فيها.

فما رام[١] رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي. فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء[٢] حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان[٣] من العرق فى يوم شات. فلما سُرّيَ عنه وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة احمدى الله، فقد برأك الله.[٤] ثم خرج رسول الله ﷺ فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله في ذلك من القرآن. وهو عشر آيات من سورة النور.[٥] ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحَمْنَةَ بنت جحش رضي الله عنهم وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضـــربوا حدهم.[٦]

---

(١) رام: فارق.

(٢) البرحاء: شدة الأذى.

(٣) الجمان: اللؤلؤ الصغار.

(٤) راجع صحيح البخارى (٢٦٦١/١٥/٥٢) و (٤١٤١/٣٣/٦٤).

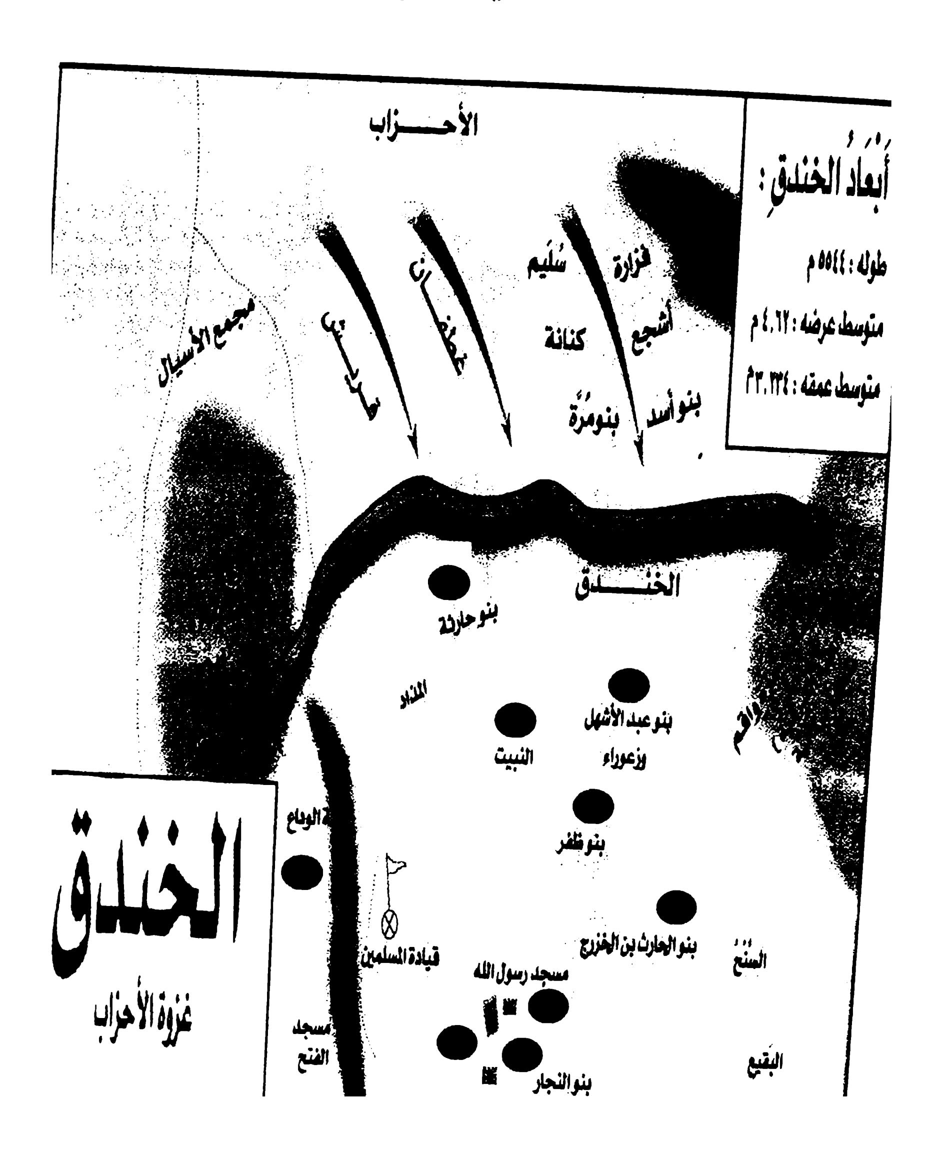
(٥) من قوله تعالى إن الذين جاؤا بالإفك إلى قوله ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم.

(٦) ابن هشام (ج٣ ص٣٤٧).

غزوة الخندق وهي الأحزاب[1]

(١) أما تسميتها بالخندق فلأجل الخندق الذى حفر حول المدينة بأمرهﷺ ؛ وأما تسميتها الأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين . وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم (فتح البارى: ج٧ ص٣٩٣).

الخندق بين الحرتين



خلاصة غزوة الخندق

التاريخ	شوال، سنة خمس من الهجرة.
المسلمون	ثلاثة آلاف
شهداءهم	ستة رجال
الكفار	عشرة آلاف
قتلاهم	ثلاثة رجال

حرضت بنو النضير الذين نزلوا بخيبر قريشا وغطفان حتى تجهـزوا لحـرب المسلمين بالمدينة فأمرهم رسول الله ﷺ بضرب الخندق حولها . فحاصر المشركون المدينة، وناضلوا المسلمين. ولم تزل بنو النضير ببنى قريظة حتى نقضوا عهد رسول الله ﷺ، وظاهروا قريشا وغطفان. فعظم بذلك البلاء والخوف على المسلمين .

هنالك دعا رسول الله ﷺ ربه. فأجاب دعوته وعجل نصـرته؛ جـاء مـن صفوف المشركين نُعيم بن مسعود الغطفانى مسلما ينصر رسـول الله ﷺ . فـأمره بتخذيل العدو بخدعة . فأتى نعيم بنى قريظة فأشار عليهم أن لا يقاتلوا مع قـريش وغطفان حتى يأخذوا منهم رُهُنا من أشرافهم لئلا ينهزموا إلى بلادهم تاركين بـنى قريظة بالمدينة يقاتلهم المسلمون؛ ثم أتى قريشا وغطفان؛ فقال لهم: إن بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوا وواعدوا محمدا أن يسلموا إليه رجالا من أشرافكم على أن يردّ إليهم بنى النضير.

فأرسل أبو سفيان ليلة السبت إلى بنى قريظة يستعجل قتال المسلمين. فقالوا: لا نقاتل فى السبت، ومع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا[1] مـن رجـالكم. فأبت ذلك قريش وغطفان. وتحقق عند الفريقين كلام نعيم. فاسـتحكمت بينـهم التهمة وتمت بذلك الفرقة. ومع ذلك أرسل الله عليهم ريحا شديدة فى ليلة شـاتية.

---

(١) الرُهُنُ: بضمّ الراء والهاء جمع رَهْنٍ بفتح الراء وسكون الهاء: المرهون والضامن.

فخافوا أن يهجم عليهم اليهود والمسلمون فى ظلام الليلة فانشمروا[1] إلى بلادهم راجعين. والحمد لله رب العالمين.

تحزيب الأحزاب

كان من يهود المدينة بنو النضير. فلما نقضوا عهدهم وحاربوا رسول الله ﷺ جلاهم عن المدينة. فنزلت طائفة منهم بخيبر والآخرون بأذرعات. فكان الذين نزلوا بخيبر يتفننون فى الكيد للمسلمين. فقدم وفد[2] من رؤسائهم على قريش وقبائل غطفان يحرضونهم على حرب رسول الله ﷺ. وقالوا: إنا سنكون معكم حتى نستأصله. فسألتهم قريش: أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه.[3] فأنزل الله تعالى فيهم؛ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ[4] وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[5] فوافقتهم قريش وغطفان وجهزوا الجيوش لذلك.

ضرب الخندق

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أمر بضرب الخندق على المدينة. وكان الذى أشار عليه بذلك سلمان الفارسى ﷺ. قال: 'يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حُصِرنا خندقنا علينا'. فخط رسول الله ﷺ الخندق ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا. وعمل رسول الله ﷺ فى ذلك بيده الشريفة ترغيبا للمسلمين. وربما كان يحفر حتى يعيى، فيجلس حتى يستريح؛ وجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله نحن نكفيك فيقول؛

---

(١) فانشمروا: فاسرعوا.
(٢) كان منهم سلام بن أبى الحقيق، وحيىّ بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وغيرهم. راجع ابن هشام (ج٣ ص٢٢٩) وابن كثير (ج٤ ص١١٥).
(٣) ابن هشام (ج٣ ص٢٣٠) وابن كثير (ج٤ ص١١٥).
(٤) الجبت كل صنم يعبد؛ والطاغوت الشيطان. (راجع الصاوى ج١ ص٢١٠)
(٥) النساء: ٥١ - ٥٢

أريد مشاركتكم فى الأجر[١].

استعجل المسلمون فيعمل الخندق يبادرون قدوم العدو[٢] حتى تم فى ستة أيام ضرب الخندق شمالىّ المدينة من الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية. وهذا الجانب هو الذى كان عورة تؤتى المدينة من قبلها؛ وسائر الجوانب محاطة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منها.[٣]

تنشيط بالأشعار

كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعملون فى الخندق فى شدة البرد[٤] وحدة الجوع حتى شدوا الحجارة على بطونهم[٥] .فلما رأىﷺ ما هم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا[٦]

وكان المهاجرون والأنصار ينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

والنبيّ ﷺ يجيبهم وهو يقول:

اللهم إنه لاخيرإلاخير الآخرة فبارك فى الأنصار والمهاجرة[٧]

وكان النبيّ ﷺ ينقل التراب حتى اغبرّ بطنه وهو يقول (متمثلا مرتجزا بكلمات ابن

---

(١) وفاء الوفا للسمهودى (ج٤ ص١٢٠٦-١٢٠٧).
(٢) فتح البارى (ج٧ ص٣٩٤).
(٣) وفاء الوفا (ج٤ ص١٢٠٤، ١٢٠٦، ١٢٠٩).
(٤) راجع صحيح البخارى (٥٦/ ٣٣/٢٨٣٤).
(٥) البداية والنهاية (ج٤ ص١٢١).
(٦) راجع صحيح البخارى. كتاب الجهاد والسير باب التحريض على القتال (٥٦/٣٣/٢٨٣٤).
(٧) راجع صحيح البخارى كتاب الجهاد والسير باب حفر الخندق (٥٦/ ٣٤/ ٢٨٣٥) فكان تارة ينشد رسول الله ﷺ فيجيبون وتارة ينشدون فيجيب رسول اللهﷺ. راجع عمدة القارى للعلامة العينى (ج١٤ ص١٣٢).

رواحة[1]:

والله لولا الله ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا   وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا   إذا أرادوا فتنة أبينا[2]

خروج الجيشين

خرجت الأحزاب إلى المدينة فى قيادة أبي سفيان وهم عشرة آلاف: أربعة آلاف من قريش وستة آلاف من غطفان[3]. وخرج رسول الله ﷺ فى شوال سنة خمس من الهجرة بثلاثة آلاف[4] من أصحابه؛ وضرب عسكره عند جبل سَلْع[5] والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذرارى والنساء، فجُعلوا فى الآطام[6]. واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ﷺ[7] وخرج عدو الله حييّ بن أخطب إلى كعب بن أسد سيد بنى قريظة يستميله على حرب المسلمين فلم يزل به اللعين حتى نقض بنو قريظة عهد رسول الله ﷺ وساعدوا قريشا وغطفان . فعظم بذلك البلاء والخوف على المسلمين[8].

وزاد الطين بلة أن انتهز المنافقون هذه الفرصة لتخذيل المسلمين حتى أظهروا أخبث ما تُكِنّ به صدورهم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ

---

(١) أحد الأمراء فى غزوة مؤتة. راجع صحيح البخارى (٦٤/٢٩/ ٤١٠٦).

(٢) راجع صحيح البخارى. كتاب المغازى، باب غزوة الخندق (٦٤/٢٩/٤١٠٤).

(٣) راجع عمدة القارى للعلامة العينى (ج١٧ ص١٧٧).

(٤) ابن هشام (ج٣ ص٢٢٩).

(٥) جبل قرب المدينة مطلّ عليها.

(٦) ابن هشام (ج٣ ص٢٣٥) والآطام جمع أُطم وهو الحصن وكانوا بأجمعهم- من بلغ ومن لم يبلغ- يعملون فيه . فلما التحم الأمر أمر ﷺ من لم يبلغ خمس عشرة سنة أن يرجع إلى أهله. (السيرة الحلبية: ج٢ ص٣١٤).

(٧) البداية والنهاية (ج٤ ص١٢٤) وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة. (السيرة الحلبية: ج٢ ص٣١٥).

(٨) البداية والنهاية (ج٤ ص١٢٥).

مِنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[1] فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: والذى نفسى بيده ليفرّجنّ عنكم ما ترون من الشدة، وإنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنا، وأن يدفع الله إلىّ مفاتيح الكعبة وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما فى سبيل الله.[2]

الحصار والنضال[3]

نزلت قريش بمجتمع الأسيال،[4] وغطفان جهة أحد؛ فحاصروا المدينة؛ وأعجبوا بمكيدة الخندق حيث كانت غير معروفة عند العرب. فلم يتمكنوا من القتال فتراموا مع المسلمين بالنبل. واقتحم[5] بعضهم الخندق بخيلهم من مكان ضيق منه فمنهم من قتل ومنهم من فرّ ومنهم من وقع فى الخندق. فكان ممن اقتحم الخندق عمرو بن عبد ودّ. فقتله عليّ ﷺ؛ ففر أصحابه منهزمين.[6] وتورط[7] فى الخندق نوفل بن عبد الله المخزومى فقتله المسلمون فيه. وطلب المشركون جثته بالثمن فأبى رسول الله ﷺ أن يأخذ منهم شيئا. وأذن لهم فى جثته بلا ثمن.[8]

وكان رسول الله ﷺ قد جعل النساء والذرارى فى آطام المدينة كما تقدم، وبعث مسلمة بن أسلم فى مائتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة رجل يحرسون

---

(١) الأحزاب: ١٣،١٢

(٢) ابن كثير (ج٤ ص١٣١).

(٣) الحصار المحاصرة أي إحاطة العدو بهم ومنعهم الأمداد عنهم(Blockade)؛ والنضال المراماة بالسهام.

(٤) بمجتمع الأسيال من رومة بين الجُرف وزَغابة (البداية والنهاية: ج٤ ص١٢٤)، وفى ابن هشام (ج٣ ص٢٣٥): من دومة بالدال.

(٥) إقتحم الخندق: رمى نفسه فيه بشدة ومشقة.

(٦) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٢٧-١٣٠).

(٧) تورط: وقع (فيما لاخلاص له).

(٨) ابن جرير (ج٢ ص٢٤٠) وابن كثير (ج٤ ص١٣٩).

المدينة ويظهرون التكبير تخوفا على الذرارى من بنى قريظة[١]. فكان بعض اليهود قد قصدوا هذه الآطام يوذون النساء والولدان. ولكن الله تعالى كف أيديهم عنهن. وكانت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها فى حصن حسان بن ثابت رضي الله عنه. فجعل يهوديّ يطيف بالحصن. فقالت لحسان: 'وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ ورائنا من يهود، وقد شغِل رسول الله ﷺ وأصحابه. فانزل إليه فاقتله'. فقال: 'والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا'.[٢] فاحتجزت[٣] صفية ثم أخذت عمودا[٤] ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته.[٥]

استمرار القتال

اشتد القتال فى بعض أيام الخندق فتوجهت كتيبة غليظة[٦] نحو منزل رسول الله ﷺ . فقاتلوا المسلمين إلى الليل. فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم تنكفئ[٧] إلا مع الليل. ففات المسلمين صلاة العصر.[٨] فقال رسول الله ﷺ : ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس.[٩] فصلى العصر ثم صلى بعدها المغرب.[١٠] واستمر القتال يوما آخر[١١] من سائر جوانب الخندق[١٢] حتى ذهب من الليل ما شاء الله. ففاتتهم صلاة الظهر

---

(١) السيرة الحلبية (ج٢ ص٣١٥).
(٢) أى لست بمقاتل محارب. قيل كان رضي الله عنه كثير الخوف من القتل والقتال.
(٣) احتجزت: شدّت وسطها، يقال: احتجز فلان بازاره: إذا ربطه فى وسطه. العمود أحد أعمدة البيت أو المقرعة من الحديد.
(٤) العمود: قضيب الحديد.
(٥) البداية والنهاية (ج٤ ص١٣١) وابن هشام (ج٣ ص٢٤٦).
(٦) كتيبة غليظة: قطعة عظيمة من الجيش(Battalion). والمنزل: هنا موضع نزل به ﷺ وضرب قبته هناك.
(٧) فلم تنكفئ : فلم ترجع .
(٨) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٣١).
(٩) صحيح البخارى(٤١١١/٢٩/٦٤).
(١٠) راجع صحيح البخارى (٤١١٢/٢٩/٦٤).
(١١) راجع شرح مسلم للنووىّ رحمه الله تعالى (ج٣ ص١٤٢).
(١٢) محمد رسول الله لمحمد رضا (ص٢٩٠).

والعصر والمغرب فأمر رسول الله ﷺ بلالا ﷺ. فأذّن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء.[1] وكان ذلك قبل أن تشرع صلاة الخوف ونزول قوله تعالى: فان خفتم فرجالا وركبانا.[2]

طول الحصار

طال الحصار على المسلمين خمسة عشر يوما[3]. وساد فيهم الفَرَق[4]. وزاد بينهم القلق فقد جاءهم العدو من فوقهم ومن أسفلهم: جاء بنو قريظة من فوقهم وقريش وغطفان من أسفلهم[5]؛ وخذلهم المنافقون وانسلوا إلى بيوتهم، وقد باحوا بحسدهم وحقدهم، حتى أحدقت بالمسلمين الحيرة والدهشة. كما قال تعالى:﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾[6] فأراد رسول الله ﷺ أن يوادع غطفان على ثلث ثمار المدينة ليرجعوا عن المسلمين. فأبى ذلك سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج؛ سألاه: هل هو أمر يحبه أو شيء أمره الله به أو شيء يصنعه لهم؟ فقال: بل شيء أصنع لكم.فقال سعد بن معاذ إنهم كانوا، ونحن على الشرك وعبادة الأوثان، لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا. أفحين أكرمنا الله بالإسلام نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى

---

(١) رواه أحمد. راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٣٣).

(٢) راجع سنن النسائي: كتاب الأذان باب الأذان للفائت من الصلوات (ج١ ص١٠٧) وراجع شرح مسلم للنووي (ج٣ ص١٤١) والمراد بصلاة الخوف التي لم تشرع زمن الخندق صلاة شدة الخوف لا صلاة ذات الرقاع التي نزل فيها قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية. وشرط صلاة الخوف (بذات الرقاع) أمن هجوم العدو وشرط صلاة شدة الخوف إما أن يلتحم القتال فيها أوأن يخافوا هجوم العدو. والخندق وإن لم يلتحم فيها القتال إلا أنهم لا يأمنون فيه هجوم العدوّ عليهم. راجع السيرة الحلبية. (ج٢ ص٣٢٣) على أنّ غزوة ذات الرقاع لم تكن فى السنة الرابعة كما جرى عليه البعض بل كانت فى السنة السابعة على الراجح الذى مشينا عليه.

(٣) كما قال النووى فى الروضة (ج٧ ص٤١٠) وقال ابن هشام (ج٣ ص٢٣٨): قريبا من شهر .

(٤) ساد فيهم الفرق: عم فيهم الخوف.

(٥) ابن هشام (ج٣ ص٢٦٥).

(٦) الأحزاب: ١١ انسلّوا : انطلقوا فى استخفاء ؛ باحوا : أظهروا.

يحكم الله بيننا وبينهم.[1]

الدعوة على الأحزاب

علّم رسول الله ﷺ أصحابه دعوة فى هذه الغزوة. فدعوا بها عند هذه الشدة: اللهم استر عوراتنا وآمن رَوْعاتنا.[2] وتضرع رسول الله ﷺ إلى ربه فدعاه: 'اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم'.[3] فأجاب الله تعالى دعوته وأعجل له نصرته. فهيأ للمسلمين أسباب الظفر من حيث لا يعلمون. فبينما الناس فى الخوف أتى نعيم بن مسعود الغطفانى،[4] فقال: يا رسول الله إنى قد أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت؛ فقال رسول الله ﷺ إنما أنت فينا رجل واحد فخذّل عنا[5] إن استطعت؛ فان الحرب خدعة[6].

قام نعيم بن مسعود بما عهد إليه رسول الله ﷺ. فأتى بنى قريظة فذكرهم ما وقع لبنى قينقاع وبنى النضير[7]، وقال لهم: إن البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساءكم؛ وإن قريشا وغطفان إن رأوا فرصة انتهزوها، وإلا لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل[8] ببلدكم؛ ولا طاقة لكم بقتاله فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم[9]. فقال بنو قريظة لقد أشرت بالرأى. ثم أتى نعيم قريشا. فقال لهم: إن معشر يهود قد أرسلوا إلى محمد: أنا ندمنا على ما فعلنا؛ فهل

---

(١) ابن هشام (ج٣ ص٢٣٩).
(٢) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٣٤).
(٣) راجع صحيح البخارى (٤١١٥/٢٩/٦٤). تضرّع : تذلّل ، وتقرّب ، وابتهل .
(٤) أتى بين المغرب والعشاء .السيرة الحلبية (ج٢ ص٣٢٤).
(٥) فخذل عنا: أى اجعلهم متخاذلين: لا ينصر بعضهم بعضا والمخذل من يخوف الناس كأن يقول عدونا كثير وجنودنا ضعيفة ولا طاقة لنا بهم (حاشية الشرواني على تحفة المحتاج ج٩ ص٢٣٧).
(٦) ابن هشام (ج٣ ص٢٤٧)
(٧) السيرة الحلبية (ج٢ ص٣٢٥). بما عهد اليه : بما أوصاه وأشار به .
(٨) يعنى به النبىّ ﷺ .
(٩) ليضطروا إلى نصر بنى قريظة إذا قاتلهم المسلمون .

يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين - من قريش وغطفان - رجالا من أشرافهم فتضرب أعناقهم[1] ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؛ فأرسل إليهم: 'أن نعم' ثم أتى نعيم غطفان فقال لهم ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم[2].

هزيمة الأحزاب

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس أرسلت قريش وغطفان إلى بنى قريظة: أنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر؛[3] فاغدوا للقتال حتى نناجز[4] محمدا. فقالوا: 'إن اليوم يوم السبت؛ وهو يوم لا نعمل فيه شيئا؛ ولسنا مع ذلك نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم'. فاستيقنت قريش وغطفان بما قال لهم نعيم. وقالوا : 'إنا لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا. فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا' فاستيقنت بنو قريظة بما قال لهم نعيم.[5]

وقعت بذلك الفرقة بين الأحزاب؛ وصار كلا الفريقين على حذر من الآخر. ومع ذلك أرسل الله عليهم ريحا شديدة في ليلة شاتية حتى جعلت الريح تكفأ[6] قدورهم، وتطرح آنيتهم. فلما بلغ رسول اللهﷺ خبرهم بعث إليهم حذيفة بن اليمان لينظر ما فعل القوم ليلا[7]. فخرج رضي الله عنه فى رضا الله ورسوله، غير مكترث بشدة الجوع والبرد وشدة الظلمة والريح. حتى أتى القوم فإذا هو بأبى سفيان قائما يقول: يا معشر قريش لينظر امرؤ[8] مَنْ جَلِيسُه. فأخذ حذيفة بيد الرجل الذى كان إلى جنبه فقال: من أنت؟ قال الرجل : فلان بن فلان.

ثم قال أبو سفيان: "يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد

---

(١) وفى رواية أخرى على أن تردّ علينا بنى النضير إلى المدينة. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٣٢٥).
(٢) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص١٣٥،١٣٤).
(٣) الخف: الإبل. والحافر: الخيل.
(٨) نُنَاجِزَ : نبارز و نقاتل.
(٥) ابن هشام (ج٣ ص٢٤٩).
(٦) تكفأ: تقلب. وشاتية : باردة.
(٧) البداية والنهاية (ج٤ ص١٣٦،١٣٥).
(٨) لينظر امرؤ: لينظر كل رجل. و غير مكترث : غير مُبَالٍ.

هلك الكراع والخف[1]. وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكْرهُ ولقينا من شدة الريح ما ترون: ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء[2]، فارتحِلوا فإنى مرتحل." وسمعت غطفان بما فعلت قريش فأسرعوا إلى بلادهم راجعين. وعاد حذيفة ﷺ إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى. فلما سلم أخبره بخبر القوم.[3] وهكذا أزاح الله عن المسلمين هذه الجموع المحدقة بمدينتهم برحمته وعنايته. فالحمد لله رب العالمين[4].

فكان رسول الله ﷺ يقول: لا اله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده.[5] قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[6] واستشهد من المسلمين فى هذه الغزوة ستة[7] رجال وقتل من المشركين ثلاثة.[8]

---

(١) الكراع: الخيل. والخف: الإبل.

(٢) بناء: الخباء والبيت.

(٣) البداية والنهاية. (ج٤ ص١٣٦-١٣٨).

(٤) أزاح : أزال ؛ المحدقة بمدينتهم : المحيطة بها.

(٥) صحيح البخارى(٦٤/٢٩/٤١١٤) وصحيح مسلم (٤٨/١٨/٧٧). وقوله لا شىء بعده: معناه جميع الأشياء بالنسبة إلى وجوده كالعدم او المراد أن كل شىء يفنى وهو الباقى. فهو بعد كل شىء فلا شىء بعده (فتح البارى: ج٧ ص٤٠٧).

(٦) الأحزاب: ٩

(٧) وهم سعد بن معاذ (توفى بسهم أصابه عقب غزوة بنى قريظة) وأنس بن أنس وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد البخارى رضى الله عنهم أجمعين.

(٨) وهم منبه بن عثمان (مات بمكة بسهم أصابه بخندق). ونوفل بن عبد الله وعمرو بن عبد ودّ العامرى.

معجزات ظهرت فى غزوة الأحزاب

جاء بعض الصحابة يوم الخندق إلى النبيّ ﷺ، فقالوا: هذه كُدْية[1] عرضت فى الخندق فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر فأخذ المعول[2] فضرب فعاد كثيبا أهْيَل.[3]

لما حفر الخندق أتى جابر ﷺ امرأته فقال: هل عندك شيء؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصا[4] شديدا. فأخرجت إليه جرابا فيه صاع من شعير. وكان لهم بهيمة داجن[5]؛ فذبحها جابر وطحنت المرأة الشعير ثم ولى جابر إلى رسول الله ﷺ. فقالت: "لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه". فجاءه وسارّه فقال: 'يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا؛ فتعال أنت ونفر معك.' فصاح النبيّ ﷺ فقال: يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع سورا[6]؛ فحىّ هلا بكم. وقال لجابر: لا تُنزِلُنَّ برمتكم[7] ولاتخبزن عجينكم حتى أجيء. فجاء جابر، وجاء رسول الله يقدم الناس. فبصق فى العجين والبرمة. ودعا فيها بالبركة. ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معك واقدحى[8] من برمتكم ولا تنزلوها. وكان القوم ألفا. قال جابر ﷺ: فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا[9] وإن برمتنا لتغط[10] كما هى، وإن عجيننا ليخبز كما هو[11]. فقال رسول الله ﷺ: كلى هذا وأهدى؛ فإن

---

(١) الكدية: القطعة الصلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول.
(٢) المعول: الفأس الذى يكسر به الحجر.
(٣) راجع صحيح البخارى (٤١٠١/٢٩/٦٤). كثيبا أهيل: رملا سائلا.
(٤) الخمص: الجوع.
(٥) بهيمة: تصغير بهمة وهى صغيرة من أولاد الغنم. وداجن: ما يربّى فى البيوت ولا يخرج إلى المرعى.
(٦) سورا: طعاما.
(٧) البرمة: القدر من الحجارة.
(٨) اقدحى:اغرفى.
(٩) انحرفوا: مالوا عن الطعام.
(١٠) لتغط: تغلى وتفور من الامتلاء فيسمع غطيطها.
(١١) راجع صحيح البخارى: كتاب المغازى، باب غزوة الخندق (٤١٠٢/٢٩/٦٤) وصحيح

الناس أصابتهم مجاعة[1]. وقال جابر ﷺ: فأكلنا وأهدينا لجيراننا؛ فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك[2]

عرض لهم فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول، فشكوا ذلك إلى النبيّ ﷺ. فلما رآها أخذ المعول. وقال: بسم الله، وضرب ضربة، فكسر ثلثها، فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إنى لأبصر قصورها الحُمْر إن شاء الله؛ ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثا آخر، فقال الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله، فقطع بقية الحجر، فقال: الله اكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة[3]. وكانت برقة لمعت فى كل ضربة من ضرباته الثلاث رآها سلمان الفارسى ﷺ وأصحابه، وأخبروا بذلك رسول الله ﷺ . فقال لهم: إنه قد أضاء له من هذه البرقات ما يظهر عليها أمته من البلاد.[4] وقال المنافقون حينئذ: يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا[5]. فنزل فيهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[6]

وقد تحققت هذه التنبؤات وصدقت بشارة رسول الله ﷺ. فقد فتح المسلمون بلاد اليمن وفارس والشام، فملكوها، وتسلطوا عليها. وقد شهدت صفحات التاريخ بجميع ذلك، فالحمد لله رب العالمين. وقد رأيتَ إجابة الله دعوته ﷺ فى هذه

مسلم: كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك (١٤١/٢٠/٣٦).

(١) راجع صحيح البخارى: كتاب المغازى، باب غزوة الخندق (٤١٠١/٢٩/٦٤).

(٢) فتح البارى (ج٧ ص٣٩٨) ودلائل البيهقى(ج٣ ص٤٢٥).

(٣) أخرجه النسائى فى السير في السنن الكبرى والبيهقى فى دلائل النبوة (ج٣ ص٤٢١) وابن كثير فى البداية والنهاية (ج٤ ص١٢٢) وقال: حديث غريب.

(٤) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٣ ص٤١٩، ٤٢٠) والبداية والنهاية (ج٤ ص١٢١).

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل (ج٣ ص٤٢٠) وابن كثير فى البداية والنهاية (ج٤ ص١٢١). ومعنى تبرزوا: أن تذهبوا إلى الخلاء والغائط.

(٦) الأحزاب: ١٢

الغزوة: فكان قد دعا على الأحزاب فقال: اللهم منـــزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزمهم وزلزلهم[1]. وقال ﷺ - يوم الأحزاب وقد جمعوا له جمعا كـــثيرا: 'لا يغزونكم بعد هذا أبدا، ولكن أنتم تغزونهم'[2]. وقال حين أجلى الأحزاب[3] عنه: 'الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم'[4]. فوقع الأمر كما قال. فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة.[5]

غزوة بنى قريظة

(ذوالقعدة[6] سنة خمس من الهجرة)

كان بنو قريظة ممن عاهدهم رسول اللهﷺ. ولكنهم لم يكترثوا بالعهد والميثـــاق؛ ولم يتّعظوا بإخوانهم بنى قينقاع وبنى النضير؛ بل خذلوا المسلمين فى أحوج الأوقات، وظاهروا المشركين فى أحرج الأزمات.[7] فلم يكد رسول الله ﷺ يرجع مـــن الخنـــدق حتى أمره الله تعالى بغزو بنى قريظة. فقال لأصحابه لا يصلين أحد منكم العصـــر إلا فى بنى قريظة[8]. فأسرعوا ورسول الله ﷺ على أثرهم[9] وكان عددهم ثلاثة آلاف.

تحصن بنو قريظة بحصونهم؛ فحاصرهم المسلمون خمسا وعشـــرين ليلـــة.[10] فلما طال الحصار عرض عليهم كعب بن أسد، وهو كبيرهم، ثلاث خلال. فقـــال:

---

(١) صحيح البخارى (٤١١٥/٢٩/٦٤).
(٢) أخرجه البزار بإسناد حسن عن جابر ﷺ . (فتح البارى: ج٧ ص٤٠٥).
(٣) أى رجعوا عنه بصنع الله تعالى. وذلك لسبع بقين من ذى القعدة. (فتح البارى: ج٧ ص٤٠٥).
(٤) صحيح البخارى (٤١١٠/٢٩/٦٤).
(٥) دلائل النبوة للبيهقى (ج٣ ص٤٥٨).
(٦) فتح البارى (ج٧ ص ٤٠٨).
(٧) فى أحرج الأزمات: فى أضيق الأَزَمَات؛ والأَزَمَاتُ جمع أَزْمَةٍ: الشدّة والضيقة.
(٨) ففى الطريق دنت الشمس من الغروب فصلى طائفة منهم. قالوا: إن النبيﷺ لم يرد أن تدعوا الصلاة. وقال الآخرون: لا نصلى إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ فما عَنّفَ رسول الله ﷺ واحدا من الفريقين. (راجع صحيح البخارى: ٤١١٩/٣٠/٦٤) ودلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٨،٧)
(٩) وكان قد بعث عليّ بن أبى طالب ﷺ على المقدمة ودفع إليه اللواء(دلائل النبوة: ج٤ ص١٤).
(١٠) تاريخ ابن هشام (ج٣ ص٢٥٤).

نبايع[١] هذا الرجل ونصدقه. فوالله لقد تبين لكم أنه نبيّ مرسل، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم. فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. فإن أبيتم عَليَّ هذه فهلُمّ فلنقتل أبنائنا ونسائنا ثم نقاتل حتى يحكم الله بيننا وبين محمد. فإن أبيتم عليَّ هذه فإن الليلة ليلة السبت فلعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة[٢]. فأبوا عليه أن يقبلوا شيئا من هذه الأمور الثلاثة. فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه، ليلة واحدة من الدهر حازما.[٣]

أعظم نكال لأسوء مثال

طال الحصار حتى اضطروا إلى الخضوع والتسليم. فشفع فيهم رجال من الأوس[٤] بنفيهم بلا قتل ولا سبي. فقال لهم رسول الله ﷺ: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى. فاختار ﷺ سيدهم سعد بن معاذ حكما فيهم. وكان مقيما بخيمة[٥] الجرحى فى المسجد حيث جرح فى الخندق. فأتِيَ به فقال ﷺ: قوموا لسيدكم. قال سعد لقومه: لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم. ثم أخذ الميثاق ممن حضر على تقرير حكمه. فقال: أحكم أن تُقْتل الرجال وتُغْنم الأموال وتسبى النساء والذرية.[٦] وكان عدد رجالهم ستمائة والنساء والذرارى ألفا.[٧]

قوبل بنو قريظة بأعظم النكال حيث ضربوا فى الخيانة بأسوأ مثال حتى صاروا

---

(١) هكذا فى البيهقى وأما ابن هشام ففيه 'نتابع'.

(٢) غرة: غفلة.

(٣) راجع تاريخ ابن هشام (ج٣ ص٢٥٥) ودلائل البيهقى (ج٤ ص١٥).

(٤) كانوا حلفاء بنى قريظة فى الجاهلية كما كانت الخزرج حلفاء بنى قينقاع. فشفع فيهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول الخزرجى فوهبهم له.

(٥) وكانت هذه الخيمة معدة لمعالجة الجرحى فى المسجد وهى خيمة رُفَيدة (مرأة من أسلم) وكانت تداوى الجرحى(راجع ابن كثير: ج٤ ص١٤٥) وفى فتح البارى: فى رواية عن ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ جعل سعدا في خيمة رُفَيْدَةَ عند مسجده وكانت تداوى الجرحى .(فتح البارى: ج٧ ص٤١٢) وكانت رُفيدة تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين (أسد الغابة: ج٦ ص١١٤). والضيعة : الضياع وهو كون الشخص مهملا بلا كافل وحافظ.

(٦) ابن هشام (ج٣ ص٢٥٨-٢٥٩) وابن كثير (ج٤ ص١٤٥، ١٤٦).

(٧) السيرة الحلبية (ج٢ ص٣٣٨).

بذلك عبرة لكل فتان خوّان. ثم لم يلبث سعد رضي الله عنه أن توفى فأجاب الله تعالى بذلك دعوتيه: فإنه كان دعا الله حين جرح بسهم في الخندق: 'إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة'.[1] وهو الذى فتحت له أبواب السماء واهتزّ له عرش الرحمن.[2]

توبة تَمحق الحَوبة

وكان بنو قريظة قد طلبوا من رسول الله ﷺ أن يرسل إليهم أبا لبابة يستشيرونه فى النزول على حكم رسول الله ﷺ، وكان أبو لبابة حليفهم ومناصحا لهم، وكان له فيهم مال وعيال. فأومأ أبو لبابة إلى حلقه: أنه الذبح. وكان هذا خطأ كبيرا[3] وقع منه. فلم يلبث أن يتفطن لذنبه. فرجع وعيناه تذرفان. فلم يأت رسول الله ﷺ حياء منه، بل أتى المسجد وربط نفسه بسلسلة ثقيلة إلى عمود من عمده، وقال: 'والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علىّ مما صنعت' وقد أقام مربوطا ست ليال.[4] وكانت أمه أو بنته تحله لأداء الصلاة وقضاء الحاجة. فلما نزلت توبته ثارالناس إليه يطلقونه. فقال: ''لا، والله، حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده''، فلما مرّ عليه لصلاة الصبح أطلقه بيده الشريفة.[5]

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٢٧) وراجع الدعوة الأولى فى صحيح البخارى (٤١٢٢/٤٠/٦٤) والدعوة الثانية فى ابن كثير (ج٤ ص١٥١)والسيرة الحلبية (ج٢ ص٣٤٣).

(٢) رواه أحمد فى مسنده. راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٢٩).

(٣) لأن فى ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له ﷺ (السيرة الحلبية: ج٢ ص٣٣٦).

(٤) ابن هشام (ج٣ ص٢٥٦).

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص١٦، ١٧) وابن كثير (ج٤ ص١٤٤).

السنة السادسة

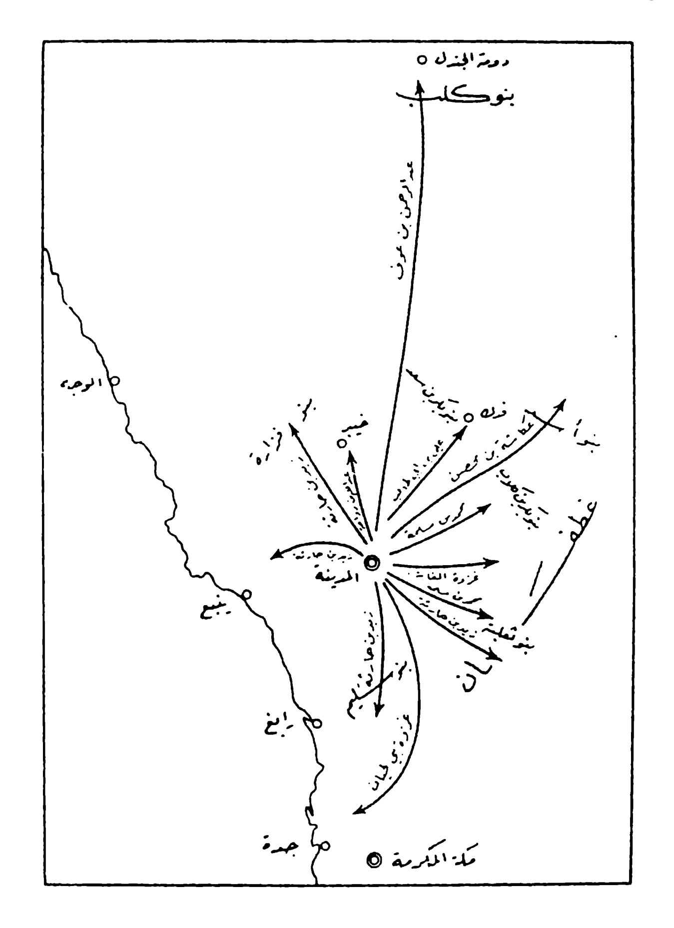
١. أحداث بين غزوة بني قريظة وغزوة الحديبية

١. سرية الغمر (ربيع الأول)
٢. سرية ذى القَصّة –١ (ربيع الأول)
٣. سرية ذى القصَة –٢ (ربيع الآخر)
٤. سرية الجموم (ربيع الآخر)
٥. سرية العيص (جمادى الأولى)
٦. غزوة بنى لحيان (جمادى الأولى)
٧. غزوة ذى قَرَد (جمادى الأولى)
٨. سرية الطرف (جمادى الآخرة)
٩. سرية وادىَ القرى –١ (رجب)
١٠. سرية دومة (شعبان)
١١. سرية فدك (شعبان)
١٢. سرية وادى القرى –٢ (رمضان)
١٣. سرية أبى رافع اليهودى (رمضان)
١٤. سرية أبي أسَير اليهودى (شوال)
١٥. سرية عُكل وعُرَيْنة (شوال)
١٦. سرية إلى أبى سفيان (شوال)

٢. غزوة الحديبية (ذو القعدة)

١. النُّزول بالحديبية
٢. بيعة الرضوان
٣. صلح الحديبية
٤ . صلح تم على رغم المسلمين
٥ . صلح فتح أبواب الفتوح
٦ . معجزات ظهرت بالحديبية

وفى رمضان هذه السنة استسقى رسول الله ﷺ بالناس من جدب أصابهم فمطروا؛ وفى ذى القعدة منها كسفت الشمس؛ وفيها فرض الحج على المسلمين على التراخى لاعلى الفور؛ فكان حجه ﷺ سنة عشر؛ وفيها حرمت المسلمات على المشركين بآية الممتحنة (١٠)؛ وفى ذى الحجة منها اتخذ الخاتم لرسول الله ﷺ لختم الرسائل.[1]



(١) راجع الكامل (ج٢ص١٤٣) والمواهب اللدنية (ج١ ص٥١١) وابن كثير (ج٤ ص٢١٣-٢١٤) وطبقات ابن سعد (ج١ ص٢٥٨).

أحداث بين غزوة بنى قريظة وغزوة الحديبية
(ربيع الأول - شوال سنة ست)

تفرقت الأحزاب من الخندق خائبين؛ فكان منهم يهود المدينة من داخل وقريش والأعراب من خارج. فجعل رسول الله ﷺ يضرب هؤلاء الأعداء عدوّا بعد عدوّ. فوجه ضربته الأولى إلى يهود المدينة. فانتهى منهم بغزوة بنى قريظة. ثم أراد ﷺ أن يؤدب الأعراب قبيلة بعد قبيلة حتى تظهر لهم من المسلمين قوة وشوكة؛ فلا يجترؤا على الإغارة على المدينة؛ ولا يفكروا فى القضاء على الأمة المسلمة؛ ولا يحسب أحد ممن يريد الإسلام أن ليس فى مركزه قوة رادعة تكفلهم الأمن والحماية. فجهز رسول الله ﷺ لذلك غزوات وسرايا.

١. سرية عكاشة بن مِحْصن[١] رضي الله عنه (فى ربيع الأول) إلى الغمر[٢] فى أربعين رجلا. فنذر بهم القوم فهربوا. فاستاق المسلمون مائتى بعير ورجعوا سالمين.[٣]

٢. سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه (فى ربيع الأول) إلى بنى ثعلبة بذي القصة،[٤] فى عشرة فوارس؛ فأحدق بهم مائة رامٍ من كمين العدو وهم بالليل نائمون؛ حتى قتلوهم إلا محمد بن مسلمة؛ فقد نجا جريحا.[٥]

٣. سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (فى ربيع الآخر) إلى بنى ثعلبة بذى القصة مصارع أصحاب محمد بن مسلمة ﷺ، فى أربعين رجلا ؛ فهرب

---

(١) محصن: كمِنبر.
(٢) الغمر أو غمرمرزوق: بفتح فسكون: ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد. وفيد: (بفتح فسكون) قلعة بطريق مكة. (الزرقانى: ج٣ ص١٢٠).
(٣) الكامل (ج٢ ص١٤٠) والمواهب (ج١ ص٤٧٦) وابن كثير (ج٤ ص٢١١).
(٤) ذوالقَصة: (كحبة) موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد. (وفاء الوفا: ج٤ ص١٢٩٠).
(٥) المواهب مع شرح الزرقانى (ج٣ ص١٢١) والكامل (ج٢ ص١٤٠).

القوم، فقدم البعث المدينة بنعم أصابوها ورجل أسروه. فأسلم الرجل فتركه رسول اللهﷺ.[1]

٤. سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه (فى ربيع الآخر) إلى بنى سليم بالجموم.[2] فأصابوا امرأة من مزينة. فدلتهم على محلة لبنى سليم. فاصابوا نعما وشاء وأسرى. فكان فيهم زوج المُزَنِيّة. فلما أتوا رسول اللهﷺ وهبها نفسها وزوجها.[3]

٥. سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه (فى جمادى الأولى) إلى العِيص[4] فى مائة وسبعين راكبا لاعتراض عير لقريش، عليها أبو العاص بن الربيع.[5] فأخذوها وأسروا ناسا معها. فكان فيهم أبوالعاص. فاستجار فى المدينة بزوجته زينب بنت رسول اللهﷺ؛ فأجارته. واستشار رسول اللهﷺ السرية فى رد ماله، فرضوا بذلك وردوا عليه ماله بأسره. ثم ذهب أبو العاص إلى مكة فأدلى[6] إلى كل ذي مال ماله حتى قالوا: فقد وجدناك وفيا كريما. فقال: 'أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم'. ثم خرج ﷺ فقدم المدينة. فرد عليه رسول الله ﷺ زوجته.[7]

---

(١) المواهب (ج١ ص٤٧٧) والكامل (ج٢ ص١٤٠).

(٢) الجموم: (بفتح فضم) ويقال أيضا الجموح: ناحية ببطن نخل على أربعة برد من المدينة . راجع شرح المواهب (ج٣ ص١٢٣) ووفاء السمهودى (ج٤ ص١١٧٨).

(٣) الكامل (ج٢ ص١٤٠) والبداية والنهاية (ج٤ ص٢١١) والمواهب (ج١ ص٤٧٧).

(٤) العيص: (بكسر فسكون) موضع على أربع ليال من المدينة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام(وفاء السمهودى: ج٤ ص١٢٧٠).

(٥) هو زوج زينب بنت رسول اللهﷺ . فلما أسر ببدر أطلقه رسول اللهﷺ على أن يسرح زينب تهاجر إلى المدينة .فكانت بالمدينة عند أبيها ﷺ . وتحريم المؤمنات على المشركين إنما نزل بعد الحديبية. (راجع شرح المواهب: ج٣ ص١٢٦).

(٦) أَدْلَى اليه : دفع اليه.

(٧) بالنكاح الأول أو بنكاح جديد على اختلاف الروايتين. والأولى هى الأصح إسنادا والثانية عليها العمل. راجع المواهب وشرح الزرقانى(ج٣ ص١٢٤-١٢٨) والبداية والنهاية(ج٤ ص٢١١).

٦. غزوة بنى لِحيان

(جمادى الأولى، سنة ست من الهجرة)

خرج رسول الله ﷺ[١] فى مائتي راكب من أصحابه، فى جمادى الأولى سنة ست، إلى بنى لحيان[٢] الذين قتلوا أصحاب الرجيع.[٣] وأظهر أنه يريد الشام ثم انحرف إلى طريق مكة فأسرع السير ليصيب من القوم غِرّة[٤] حتى نزل فى منازلهم بوادى غران.[٥] فرأى القوم قد تمنّعوا فى رؤوس الجبال. فلما أخطأه ماأراد من غرة القوم هبط بأصحابه عُسفان[٦] حتى يعلم بهم أهل مكة فيداخلهم الرعب. وبعث نفرا من أصحابه حتى بلغوا كُراع الغميم.[٧] فلم يلقوا كيدا فانصرف بهم إلى المدينة.[٨]

٧. غزوة ذى قرد[٩] (غزوة الغابة)

(جمادى الأولى، سنة ست من الهجرة)

بعد غزوة بنى لحيان بلغ رسول الله ﷺ أن عُيينة بن حصن الفزارى[١٠] قد

---

(١) بعد ما استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

(٢) لحيان: بكسر اللام وبفتحها.

(٣) من عاصم بن ثابت وأصحابه ﷺ .

(٤) الغرّة: الغفلة.

(٥) غران: على وزن غراب؛ واد بين أَمَج وعُسفان يقال له وادى الأزرق (الزرقانى: ج٣ ص١٠٧).

(٦) عسفان: كعثمان قرية بين مكة والمدينة على أربعة برد من مكة، وهى ثمانية وأربعون ميلا؛ وذلك مرحلتان. (تهذيب الأسماء: ج٣ ص٢٣٧).

(٧) كراع الغميم: وادى أمام عسفان بثمانية أميال منها على مرحلتين من مكة. وكان من بعثه فارسين أو عشرة فوارس.

(٨) ابن هشام (ج٣ ص٣٢١) والكامل (ج٢ ص١٢٨) والمواهب اللدنية (ج١ ص٤٧٣). وغاب عن المدينة لهذه الغزوة أربع عشرة ليلة (المواهب).

(٩) قَرد: على وزن جبل: ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان. والغابة: موضع على بريد من المدينة فى طريق الشام.

(١٠) هو الذى قد قاد قبائل غطفان لحرب المسلمين فى الأحزاب. ثم أسلم بعد الفتح ثم ارتد وتبع طليحة الأسدى ثم أسلم قبل موته. راجع تهذيب الأسماء (ج٢ ص٣٦١).

أغار في خيل من غطفان[1] على لقاح رسول الله بالغابة[2]. فقتلوا الراعي وأخـذوا مرأة كانت معه واستاقوا الإبل.[3] وكان أول من علم بهم سلمة بن الأكـوع ﷺ. فعلا على أكمة فاستصرخ الناس ثلاث صرخات ثم شغل القـوم بالنبـل حـتى يدركهم المسلمون.

دوت صيحة سلمة بين لابتي المدينة؛ فركب رسول الله ﷺ في خمسمائة مـن أصحابه بعد ما استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة.وأرسل طليعة تحت إمرة سعد بن زيد؛ وسار ﷺ بأصحابه على إثرهم حتى نزل بجبل بذى قَرَد فاستنقذ من العدوّ عشر لقاح؛ وأفلتوا[4] بمـا بقي بأيديهم. وأقام رسول الله ﷺ يوما وليلة ثمّ رجع وقد غاب عن المدينة خمـس ليال.

فأما المرأة التي أسروها فانفلتت ذات ليلة من الوِثَاق، فركبت العضباء، وهي ناقة رسول الله ﷺ – كانت في نعمهم بين يدى بيوتهم – فقدمت على رسول الله ﷺ . فقالت: إني نذرت أن أنحرها إن نجاني الله عليها. فتبسم وقال: بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحريها[5]! إنه لا نذر في معصية، ولا فيما لا تملكين. إنما هي ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلك على بركة الله.[6]

---

(١) غطفان: هم بنو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان. وفزارة قبيلة عيينة هي من غطفان. راجع فتح الباري (ج٧ ص٤٦١،٤١٨).

(٢) وكانت الخيل أربعين فارسا واللقاح عشرين لقحة. واللقحة (بكسر اللام وفتحها) جمع لقاح (بالكسر) ناقة لبون قريبة العهد بالولادة. راجع المواهب مع شرح الزرقاني (ج٣ ص١١١،١١٠). وكانت هذه اللقاح يعيش بلبنها أهل رسول الله ﷺ . وكان قد فرقها على نسائه. راجع طبقات ابن سعد(ج١ ص٤٩٤).

(٣) كان الراعي ابن أبي ذر، والمرأة ليلى زوجة أبي ذر رضى الله عنهم أجمعين. راجع الزرقاني على المواهب(ج٣ ص١١١).

(٤) أفلتوا : تخلّصوا.

(٥) قوله أن حملك إلى ثم تنحرينها : هو المخصوص بالذمّ.

(٦) راجع ابن هشام (ج٣ ص٣٢٧) ومواهب القسطلاني مع شرح الزرقاني (ج٣ ص١٠٩، ١١٩) وفتح الباري (ج٧ ص٤٦٠-٤٦٣).

٨. سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه (فى جمادى الآخرة) إلى بنى ثعلبة بالطَّرِف[١]، فى خمسة عشر رجلا. فهرب القوم فرجع المسلمون بنعم أصابوها ولم يلقوا كيدا.[٢]

٩. سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه (فى رجب) لبنى فزارة بوادى القرى[٣]. فأصيبوا وقتلوا وارتُث زيد ﷺ.[٤]

١٠. سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (فى شعبان) إلى كلب بدومة الجندل،[٥] فى سبعمائة مقاتل. فعممه رسول الله ﷺ بيده، وقال له: "اغزُ باسم الله وفى سبيل الله، ولا تغدر، ولا تقتل وليدا. ثم قال: "إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم". فمكث عبد الرحمن ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام حتى أسلم رئيسهم: الأصبع بن عمرو الكلبى النصرانى[٦] وكثير من قومه، وبقي جماعة على الجزية . وتزوج عبد الرحمن تماضر[٧] بنت الأصبع الكلبى.[٨]

---

(١) الطرف (بفتح فكسر ككتف): عين بقرب مَراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة. (المواهب [مع شرحه]: ج٣ ص١٢٨).

(٢) المواهب (ج١ ص٤٧٨) والكامل (ج٢ ص١٤١).

(٣) وادى القرى: واد كثير القرى (جمع قرية) بين المدينة والشام (وفاء الوفا للسمهودى: ج٤ ص١٣٢٨) قريب من المدينة (شرح المواهب: ج٣ ص١٣٣).

(٤) راجع المواهب مع شرح الزرقانى (ج٣ ص١٣٣). اُرتثّ: حمل من المعركة رثيثا أى جريحا وبه رمق.

(٥) دومة الجندل: (بضم دال دومة – وقد تفتح – وفتح جيم الجندل) حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيء.(وفاء الوفا للسمهودى: ج٤ ص١٢١٦).

(٦) الأصبع (بفتح الهمزة) الكلبى: أدرك النبيّ ﷺ ولم يره فلم تعرف له صحبة.

(٧) تماضر: (بضم التاء وكسر الضاد) وهى أم أبى سلمة المدنى الزهرى.

(٨) الكامل (ج٢ ص١٤٢) والمواهب مع شرح الزرقانى (ج٣ ص١٣٣–١٣٦).

١١. سرية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (فى شعبان) إلى بنى سعد، بفدك.[١] كانوا قد جمعوا جمعا ليمدوا يهود خيبر. فهربت بنوسعد. فلم يلق المسلمون كيدا. وقد ظفروا بخمسمائة بعير وألفي شاة.[٢]

١٢. سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه (فى رمضان) إلى فزارة بوادى القرى حيث اعترضوا تجارة زيد إلى الشا م وأخذوها بعد ما ضربوه وضربوا أصحابه، بالإضافة إلى أنه كان قد حلف، حين أصيب أصحابه وارتث هو من بين القتلى فى رجب هذه السنة، أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزوهم. فأرسله رسول الله ﷺ على هذا البعث فقاتلوهم وأخذوا أم قِرفة[٣] ملكة فزارة وابنتها جارية بنت مالك.[٤]

١٣. سرية عبد الله بن عتيك الخزرجيّ رضي الله عنه (فى رمضان)[٥] فى ستة رجال،[٦] إلى أبي رافع اليهودى بخيبر[٧]. كان أبورافع ممن يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه.[٨] وكان ممن حزّب الأحزاب يوم الخندق.[٩] فبعث إليه رسول الله ﷺ هذا البعث فلما دنوا من حصنه، وقد غربت الشمس، قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: 'اجلسوا مكانكم' ثم انطلق يتلطف[١٠] حتى يدخل الحصن. فكان الباب

---

(١) فدك: موضع على يومين من المدينة.
(٢) المواهب مع الزرقانى (ج٣ ص١٣٦، ١٣٧).
(٣) قرفة: (بكسر فسكون) وأم قرفة هى فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية.
(٤) راجع المواهب مع شرح الزرقانى (ج٣ ص١٣٨).
(٥) طبقات ابن سعد.
(٦) وهم رأسهم عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة ومسعود بن سنان الأسلمى وعبد الله بن أنيس الجهنى وأبو قتادة، وخزاعىّ بن أسود. راجع فتح البارى(ج٧ ص٣٤٣).
(٧) قال الإمام البخارى: أبو رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال: سلام بن أبي الحقيق . كان بخيبر. ويقال: فى حصن له بأرض الحجاز. راجع صحيح البخارى: كتاب المغازى، باب قتل أبي رافع (١٦/٦٤).
(٨) راجع صحيح البخارى (٤٠٣٩/١٦/٦٤).
(٩) شرح المواهب(ج٣ ص١٤١
(١٠) يَتَلَطَّفُ: يترفّق ويتمهّل.

لم يغلق بعدُ. فإنهم قد فقدوا[1] حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه. ثم نادى صاحب الباب: من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه. فدخل عبد الله واختبأ فى مربط حمارعند باب الحصن.

أغلق البواب الباب ثم علق المفاتيح على وتد فى كَوّة ثم لما انصرف الناس إلى بيوتهم وهدأت الأصوات أخذ عبد الله المفاتيح ففتح باب الحصن؛ فجعل كلما فتح بابا أغلقه عليه من داخل حتى انتهى فى ظلمة الليل إلى غرفة أبى رافع؛ فضربه حتى قتله ثم خرج يفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهى إلى درجة؛ فوضع رجله؛ وهو يظن أنه قد انتهى إلى الأرض؛ فوقع، فانكسرت ساقه؛ فعصبها بعمامته؛ ثم انطلق، فجلس على الباب حتى يستيقن موت ابى رافع. فلما صاح الديك وقام الناعى على السور أتى أصحابَه؛ فأسرع بهم إلى النبيّ ﷺ . فقال له: ابسط رجلك ثم مسحها. قال عبد الله: فكأنها لم أشتكها قط.[2]

١٤. سرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه (فى شوال) فى ثلاثين رجلا إلى أُسَير بن رِزام[3] اليهودىّ بخيبر. كانت اليهود قد أمّروه عليهم، بعد أبى رافع. فسار فى غَطفان يجمع الناس لحربه ﷺ فى عقر[4] داره. فأرسل ﷺ إليه هذه السرية. فقدموا عليه فقالوا: إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى ثلاثين رجلا من اليهود. حتى إذا كانوا بقَرقرة[5] ندم أسَير على خروجه؛ وهمّ بالغدر، فأهوى بيده[6] إلى سيف عبد الله بن أنيس ﷺ. فقال: غدرا أى عدو الله؟ ثم قتل أُسَيْرًا؛ وقتل المسلمون أصحاب أسير إلا رجلا أفلت هاربا. ولم يصب من المسلمين أحد. قال رسول الله ﷺ: قد نجاكم الله

---

(١) أى أصحاب الحصن.

(٢) راجع صحيح البخارى (٦٤/١٦/٤٠٣٨-٤٠٤٠). لَمْ أَشْتَكِهَا : لم أمرضها، ولم أتألّمها.

(٣) أسير بن رِزام: أسير كسهيل بالتصغير كما قال ابن سعد. وقال ابن اسحاق: يُسير: بالياء والتصغير. ورزام بكسر الراء. راجع شرح المواهب (ج٣ ص١٥٢).

(٤) فى عُقْرِ دَارِهِ : فى وسط داره.

(٥) قرقرةَ: (بفتح القافين وسكون الراء الأولى وفتح الثانية) موضع على ستة أميال من خيبر.

(٦) فَأَهْوَى بِيَدِهِ: فَمَدَّ يَدَهُ.

من القوم الظالمين.[١]

١٥. سرية كُرز بن جابر الفهرىّ رضي الله عنه (فى شوال[٢]) فى نحـــو عشرين فارسا إلى عُكْل وعُرَينة.[٣] وذلك أن ثمانية نفر منهم[٤] قـــدموا المدينـــة، فأظهروا الإسلام. فلم يوافقهم جوالمدينة. فأصابهم السقم. فأرسلهم رسول الله ﷺ مع إبله وراعيه إلى الحرة بظاهر المدينة يشربون من ألبانها وأبوالها[٥] غـــذاء ودواء، حتى إذا صحّوا من بعد سقمهم،وسمنوا من بعد هزالهم، قابلوا الإحسان بـــالكفران - كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعى النبيّ ﷺ ومثلوا به، واســـتاقوا الإبـــل. ردةٌ وقَتلة ومثلة وسرقة! فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم. فسُمرت أعينـــهم، وقطعـــت أيديهم وأرجلهم، وألقوا فى الحرّة حتى ماتوا على حالهم.[٦] عوقبوا بمثل ما فعلـــوا، إرهابا للظلمة حتى لا يستغلوا[٧] رحمة المسلمين.

١٦. سرية عمرو بن أمية الضمرى رضي الله عنه إلى أبي سفيان بمكة. وذلك أن أبا سفيان أرسل للنبيّ ﷺ رجلا يقتله غدرا. فقال رسول الله ﷺ: إن هذا يريد غدرا. فجذبه أسيد بن حضير ﷺ بطرف إزاره فإذا بالخنجر. فأمنه ﷺ علـــى صدقه؛ فأخبره بخبره. فعفا عنه فاسلم الرجل وقال: عرفت أنك ممنوع؛ وأنك على حق؛ وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان.

---

(١) مواهب القسطلانى مع شرح الزرقانى (ج٣ ص١٥٢-١٥٤).

(٢) كما ذكره الواقدى وتبعه ابن سعد وابن حبان. واتفق أهل المغازى على أن هذه السرية سنة ست. ثم اختلفوا فى الشهر: جمادى أو شوال. وصنيع البخارى يقتضى أنها فى أواخر ذى الحجة. راجع شرح المواهب(ج٣ ص١٥٦).

(٣) عكل وعُرينة: عكل (بضم فسكون) قبيلة من تيم الرباب وعرينة (بالتصغير) حيّ من بجيلة. فعكل من عدنان وعرينة من قحطان. (فتح البارى: ج١ ص٣٣٧).

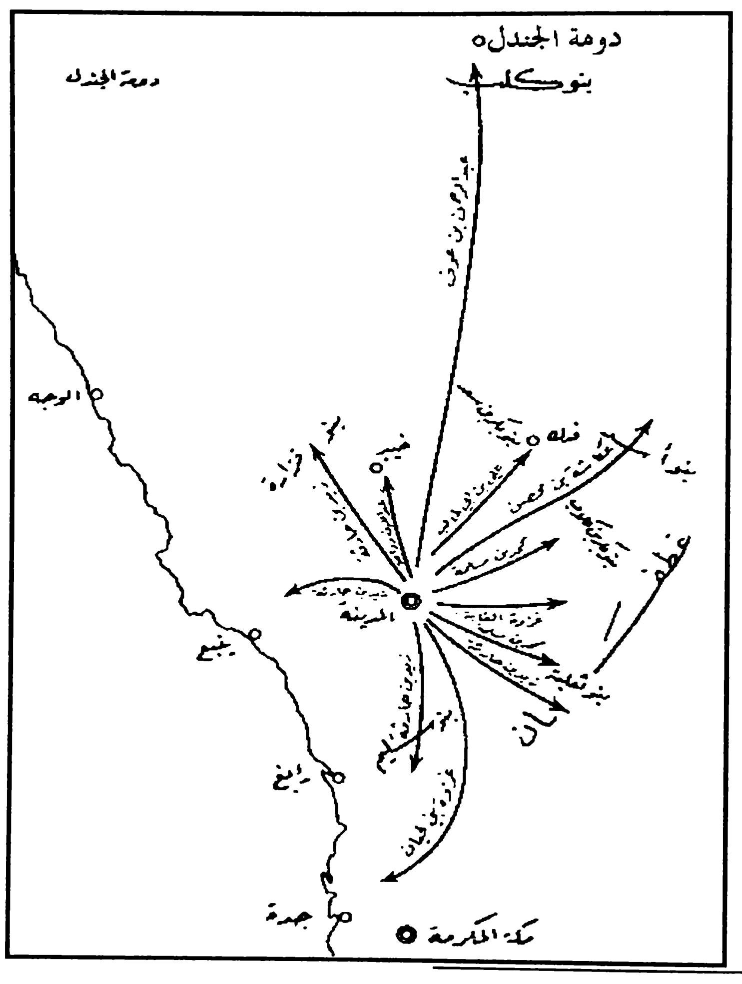
(٤) ثلاثة من عكل وأربعة من عرينة وواحد من أتباعهم . (فتح البارى: ج١ ص٣٣٧).

(٥) إحتج به من قال بطهارة بول مأكول اللحم كمالك وأحمد وذهب الشافعيّ والجمهور إلى نجاسته وإنماأذن لهم فى شربه للتداوى. راجع فتح البارى (ج١ ص٣٣٨).

(٦) راجع صحيح البخارى (٢٣٣/٦٦/٤ و ٤١٩٢/٣٦/٦٤)وفتح البارى (ج١ ص٣٣٦-٣٤٢ و ج٧ ص٤٦٠،٤٥٩).

(٧) الإستغلال: الإستفادة والإستثمار من الشيئ غاية الإستفادة من غير أداء حقه (Exploitation).

فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية ومعه سلمة بن أسلم لقتل أبي سفيان غِيلَةً.(١) ولكن قريشا فطنت لذلك فطلبوهما فهربا. وقتل عمرو فى طريقه ثلاثة رجال وأسر واحدا من جواسيس قريش. فقدم به المدينة. فجعل عمرو عند مقدمه يخبر بخبره، ورسول الله ﷺ يضحك.(٢)



(١) غِيلَةً: خديعة واغتيالا؛ فَطِنَتْ لِذَلِكَ: فَهِمَتْهُ وأدركته.

(٢) المواهب مع شرح الزرقانى (ج٣ ص١٦٦-١٦٨).

غزوة الحديبية[1]

(ذو القعدة، سنة ست من الهجرة)

انتصر المسلمون على عدوهم من الخارج فى غزوة الخندق، وعلى عدوهم من الداخل فى غزوة بنى قريظة. ولكن المسجد الحرام بمكة قد بقى بأيدى المشركين، تحجه قبائل العرب جميعا إلا المسلمين. فمضت الأيام على اصطبارهم بل انقضت الأعوام على انتظارهم. حتى أخبرهم رسول الله ﷺ بنبأ رآه فى المنام: "أنه دخل بأصحابه المسجد الحرام آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصرين."[2] فتلقوا هذه البشرى بفرح واستبشار؛ واستعدوا مع النبيّ ﷺ إلى مكة للاعتمار.

خرج رسول الله ﷺ بألف وخمسمائة من أصحابه[3]، خرج بهم معتمرا يوم الاثنين، هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة[4] بعد ما استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ﷺ. وما كان معهم من سلاح إلا سلاح المسافرين، وهى السيوف فى الأغماد.[5] وكان معهم مائتا فرس؛ وكانوا قد ساقوا الهدى أمامهم.[6] وأحرم رسول الله ﷺ وأصحابه بذى الحليفة إلا قليلا منهم. فقد أحرموا بالجحفة.[7]

---

(١) الحديبية (بتخفيف الياء وتشديدها): قرية قريبة من مكة على تسعة أميال منها. وهى فى الأصل بئر سمي المكان بها راجع المواهب (ج١ ص٤٨٩).

(٢) اى بعضهم محلق وبعضهم مقصر.

(٣) راجع صحيح البخارى (٤١٥٢،٤١٥٣/٣٥/٦٤) وفى العدد روايات أخرى أقلها: ألف وثلاثمائة؛ وأكثرها ألف وسبعمائة. وأما قول ابن اسحاق أنهم كانوا سبعمائة فلم يوافقه عليه أحد. راجع المواهب (ج١ ص٤٨٩،٤٩٠).

(٤) راجع المواهب (ج١ ص٤٨٩) وفتح البارى(ج٧ ص٤٤٠).

(٥) المواهب (ج١ ص٤٩٠) والسيرة الحلبية (ج٣ ص٩).

(٦) حتى يعلم الناس أنهم ما خرجوا لحرب ولا قتال بل للعمرة والطواف .

(٧) السيرة الحلبية (ج٣ ص٩) وكان منهم من لم يحرم أصلا فلم يحتج إلى التحلل. راجع فتح البارى البارى (ج٧ ص٤٤٠) وذو الحليفة: قرية على ستة أميال من المدينة وهى ميقات الحج لأهل المدينة. والجحْفة :موضع (بالقرب من رابغ)على طريقِ المدينة. كانت عامرة، وهى الآن خربة. راجع حاشية العلامة ابن حجر على إيضاح النووىّ (ص١٣٢) وتاريخ مكة للأزرقىّ (ج٢ ص٣١٠) وتقويم البلدان لأبى الفداء (ص٨٠) وتهذيب الأسماء (ج٣ ص٥٤) ومعجم البلدان لياقوت(ج٢ص١٢٩).

حتى إذا كانوا بعسفان بلغ رسول الله ﷺ أن قريشا قد سمعوا بمسيره فنَزلوا بإبلهم ذوات الألبان بذى طوى[1] يعاهدون الله: "لا يدخلها عليهم أبدا"؛ وقدموا خالد بن الوليد فى خيلهم إلى كُراع الغميم.[2] فكره رسول الله أن يلقاهم وكان بهم رحيما.[3] فسلك رسول الله ﷺ بأصحابه طريقا غير طريقهم. فلم يشعر بذلك خالد حتى رأى قترة الجيش[4]؛ فانطلق يركض نذيرا لقريش. فلما وصل رسول الله ﷺ ثنية المرار[5] بركت به راحلته. فقال الناس: خلأت القصواء! خلأت القصواء![6]. فقال: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل.[7] والذى نفسى بيده، لا يسألوننى خُطّة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها.[8]

النّزول بالحديبية

ثم زجر رسول الله ﷺ ناقته فوثبت[9] فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية حيث أتاه بُديل بن ورقاء الخزاعىّ[10] فى نفر من خزاعة. وكانت خزاعة من أهل

---

(١) ذو طوى: موضع قرب مكة.

(٢) راجع ابن هشام (ج٣ ص٣٥٦). وكان فى خيل خالد مائتا فرس. والخيل الفرسان من الجيش. وكان الذى بلّغ رسول الله ﷺ خبر القوم هو بُسر بن سفيان الكعبى. وكان رسول الله ﷺ قد أرسله عينا إلى مكة (السيرة الحلبية: ج٣ ص١٠ وفتح البارى: ج٥ ص٣٣٤). واسم هذا العين يروى أنه بُسر وبشر وبشير وصحّح الحافظ العسقلانى الأول.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمى (ج٦ ص١٤٤).

(٤) القترة: الغبار الأسود. والركض: الضرب بالرجل على الدابة لأجل استعجاله فى السير.

(٥) ثنية المرار: طريق فى الجبل تشرف على الحديبية ومهبط الحديبية من أسفل مكة.

(٦) القصواء: إسم ناقة رسول الله ﷺ . خلأت: بركت من غير علة فلم تنهض.

(٧) أى حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها حين جيء به لهدم الكعبة (عمدة القارى: ج١٤ص٧)

(٨) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤) وابن هشام (ج٣ ص٣٥٨). والخطة: الخصلة.

(٩) وثبت : نهضت قائمة.

(١٠) صحابىّ مشهور (فتح البارى: ج٥ ص٣٣٧) أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك وتوفى فى حياته ﷺ (عمدة القارى: ج١٤ص٨).

النصح لرسول الله ﷺ[1]. فأخبره بديل بنزول قريش عند مياه الحديبية،[2] يقاتلونه ويصدونه عن البيت فقال: 'إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين؛ وإن قريشا قد نَهِكَتْهم[3] الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتُهم مدّة[4]، ويُخَلوا بينى وبين الناس.[5] فإن أَظْهَرْ فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمّوا.[6] وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى،[7] ولينفذن الله أمرَه' فانطلق بديل حتى بلّغ قريشا ما سمعه.[8]

ثم جاء رسولَ الله ﷺ رسلُ قريش واحدا إثر واحد ـ مكرز بن حفص[9] ثم الحُلَيس بن علقمة سيداً الأحابيش[10] ثم عروة بن مسعود الثقفىّ.[11] فرجع كل منهم من عند رسول الله ﷺ إلى قريش يخبرهم أن محمدا ﷺ لم يأت لقتال وإنما جاء

---

(١) فإن بنى هاشم كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمروا على ذلك فى الإسلام (فتح البارى: ج٥ ص٣٣٨).

(٢) فقد كان بالحديبية مياه كثيرة سبقت إليها قريش. فلهذا عطش المسلمون حيث نزلوا على ثمد هناك . والثمد حفيرة قليلة الماء. راجع فتح البارى (ج٥ ص٣٣٨،٣٣٧).

(٣) نهكتهم: أضعفت قوتهم فى أنفسهم وأموالهم.

(٤) ماددتهم: جعلت بينى وبينهم مدة يترك فيها الحرب.

(٥) من سائر الناس

(٦) أى وان لم يدخلوا فى الإسلام فقد جمّوا أى استراحوا حتى قووا فى مدّة الصلح.

(٧) حتى ينفصل مقدم عنقى (أى حتى أقتل) أو حتى أموت فانفرد فى قبرى. والسالفة مقدم العنق (عمدة القارى: ج١٤ ص٩) أو حتى انفرد وحدى فى مقاتلتهم. وانفراد السالفة كناية عن انفراد صاحبها موتا أو حياة . راجع فتح البارى (ج٥ ص٣٣٨).

(٨) راجع صحيح البخارى (٥٤/١٥/٢٧٣١).

(٩) مكرز بن حفص: لم يذكره أحد فى الصحابة إلا ابن حبان فإنه ذكر أنه يقال له صحبة (زينى دحلان: ج٢ ص١٧٢).

(١٠) الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق بن خزاعة. كانوا تحالفوا مع قريش تحت جبل الحبشىّ بأسفل مكة. وقيل سمّوا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم. وكان ابتداء حلفهم مع قريش على يد قصىّ بن كلاب. راجع فتح البارى (ج٥ ص٣٤٢،٣٣٤) والحليس بن علقمة سيد الأحابيش لا يعرف له إسلام (زينى دحلان: ج٢ ص١٧١).

(١١) أسلم عروة بن مسعود ﷺ بعد ذلك لما انصرف ﷺعن ثقيف الطائف ثم قتِل شهيدا حين دعا قومه إلى الإسلام .

زائرا لهذا البيت.[1] فلما كلمه عروة قال: أى محمد، أرأيت إن استأصلتَ أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح[2] قومه؟ وان تكن الأخرى[3] فإنى والله لا أرى وجوها،[4] وإنى لأرى أشوابا[5] من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر ﷺ: أمصص بظر اللات،[6] أنحن نفر عنه وندعه؟[7]

جعل عروة يكلم النبيّ ﷺ . فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته ﷺ والمغيرة بن شعبة ﷺ قائم على رأسه ﷺ ومعه السيف وعليه المِغْفر[8]. فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبيّ ﷺ ضرب المغيرة يده بنعل السيف[9] وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ[10]. ثم إن عروة جعل يرمق[11] أصحاب النبيّ ﷺ بعينيه فرجع إلى

---

(١) راجع ابن هشام (ج٣ ص٣٦١،٣٦٠) وصحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤). ولكن فى حديث البخارى فى ترتيب هؤلاء الرسل بعض اختلاف عما أورده ابن هشام. ومشينا هنا على ابن هشام حيث مشى عليه كثير من المورخين.

(٢) اجتاح: استأصل أى أهلك أصله بالكلية.

(٣) وإن تكن الأخرى: وإن تكن الغلبة لقريش.

(٤) وجوها: أعيان الناس.

(٥) الأشواب: الأخلاط من أنواع شيء. والأوشاب أخص منه، فإنه الأخلاط من السفلة. ومعنى خليقا: حقيقا وجديرا .

(٦) اِمصص: من مص يَمَص كعلم يعلم. (عمدة القارى: ج١٤ ص١٠) البظر: قطعة تبقى بعد الختان فى فرج المرأة(Clitoris). وكانت العرب تشتم بقولهم: أمصص بظر أمك. فأقام أبوبكر معبود عروة مقام أمه مبالغة فى سبه وتعريضا بزعمهم أن اللات بنت الله. حمله على هذا القول ما سمعه من عروة من نسبة المسلمين إلى الفرار. راجع فتح البارى (ج٥ ص٣٤٠).

(٧) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤).

(٨) المِغفر: زَرَد ينسج من (زرد) الدروع (المتصل بها) على قدر الرأس. أى ما يجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة (شرح المواهب: ج٣ ص٤٣٥) وجعل على رأسه المغفر ليستخفى من عروة، عمه (عمدة القارى: ج١٤ ص١١).

(٩) نعل السيف: ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها.(فتح البارى: ج٥ ص٣٤١) والقراب: الغمد.

(١٠) وكانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة. وفى الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير، لكن كان النبيّ ﷺ يغضى لعروة عن ذلك استمالة له وتأليفا. والمغيرة يمنعه إجلالا للنبيّ ﷺ وتعظيما (فتح البارى: ج٥ ص٣٤١). وكان عروة عم المغيرة. (١١) يرمق: يلحظ

أصحابه وقد أدهشه ما رآه من مدى إجلال الصحابة للنبيّ ﷺ[١]؛ فقال: أيْ قومِ، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا. والله إن يتنخّم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدَلَك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون[٢] إليه النظر تعظيما له. وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.[٣]

بيعة الرضوان

بعث رسول الله ﷺ، على جمله، خِراشَ بنَ أمية الخزاعى إلى أشراف قريش يبلغهم مقصده. فعقروا جمله وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش.فخلّوْا سبيله.[٤] وأرسلوا منهم خمسين رجلا؛ فطافوا بعسكر رسول الله ﷺ ورموهم بالحجارة والنبل. فأسرهم المسلمون[٥] ولكن رسول الله ﷺ عفا عنهم وخلى سبيلهم.[٦] ثم بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته،[٧] ويبشر المسلمين المستضعفين بمكة بفتحها عن قريب حتى لا يستخفي بها بالإيمان.[٨]

خرج عثمان رضي الله عنه ومعه عشرة من الصحابة استأذنوا رسول الله ﷺ أن يزوروا أهاليهم بمكة.[٩] فدخل عثمان مكة فى جوار أبان بن سعيد[١٠] حتى بلّغ رسالة

---

(١) أدْهَشَهُ ما رآه : جعله مدهوشا أي مُتحيّرا ؛ والمَدَى : الغاية.

(٢) وما يُحِدُّون اليه النظرَ: لا يشحذونه أي لا يبالغون فى النظر اليه.

(٣) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤).

(٤) ابن هشام (ج٣ ص٣٦٣). منعته الأحابيش: حموه عن قريش.

(٥) أسرهم حَرَسُ رسول الله فى رياسة محمد بن مسلمة رضي الله عنه . فانفلت من أولئك الأسرى رأسهم مكرز بن حفص الغادر (فتح البارى: ج٥ ص٣٤٢).

(٦) ابن كثير (ج٤ ص١٩٩).

(٧) ابن هشام (ج٣ ص٣٦٣).

(٨) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٦) وفتح البارى (ج٧ ص٤٤٩). ويبشر: عطف على يخبرهم.

(٩) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٦).

(١٠) وكان أبان بن سعيد ابن عم عثمان رضى الله عنهما. أسلم بعد ذلك. (سيرة زينى دحلان: ج٢ ص١٧٤).

رسول الله ﷺ. فقالوا: 'إن محمدا لا يدخلها علينا أبدا.[1] إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف'. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. فاحتبسوا عثمان عندهم ثلاثة أيام.[2] فبلغ المسلمين أن عثمان قد قتل.[3] فقال رسول الله ﷺ: 'لا نبرح حتى نناجز القوم'. فدعا الناس إلى البيعة. فبايعوه تحت الشجرة.[4] بايعوه على الموت أو على عدم الفرار.[5] وبايع رسول الله ﷺ عن عثمان رضي الله عنه حيث كان غائبا بمكة فى حاجة الله وحاجة رسوله.[6] فضرب بيمناه على يسراه. فقال: هذه لعثمان.[7]

هذه البيعة هى بيعة الرضوان وأهلها أهل السكينة والرضوان. قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[8]

---

(١) المصدر المذكور.

(٢) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٦).

(٣) مع أصحابه العشرة (المصدر المذكور). وكان هذا الخبر باطلا كما بلغه ﷺ بعد ذلك (ابن هشام: ج٣ ص٣٦٤).

(٤) التى كان ﷺ يستظل بها (فتح البارى: ج٧ ص٤٤٩) وكانت سَمُرة [شجرة الطلح](دلائل البيهقىّ: ج٤ ص١٣٦).

(٥) ابن هشام (ج٣ ص٣٦٤) وصحيح البخارى (٤١٦٩/٣٥/٦٤) وصحيح مسلم (٦٨/١٨/٣٣) ففى بعض الروايات أنهم بايعوه على الموت وفى بعضها على أن لا يفروا. وجمع الترمذى بأن بعضا بايع على الموت وبعضا بايع على أن لا يفروا (فتح البارى: ج٧ ص٤٥٠).

(٦) ابن هشام (ج٣ ص٣٦٥) وسيرة زينى دحلان (ج٢ص١٧٥).

(٧) راجع صحيح البخارى (٣٦٩٨،٤٠٦٦/٧/٦٢) وفى بيعته ﷺ عن عثمان إشارة إلى أنه لم يقتل وإنما بايع أصحابه لأخذ الثار جريا على ظاهر الإشاعة تقوية لهم. فقد كانﷺ قد علم عدم صحة القول بقتله. راجع سيرة زينى دحلان (ج٢ ص١٧٥).

(٨) سورة الفتح: ١٨

صلح الحديبية

قد ترامى إلى قريش أن المسلمين قد بايعوا نبيهم على خوض مخاطر المـوت لا يخافون، وعلى الثبات فى مواطن البأس لا يفرون. فذعرت قريش بهـذه البيعـة فأطلقوا عثمان ومالوا إلى الهدنة.[١] فأرسلوا سهيل بن عمرو سفيرا؛ وكان سُـهيل فى قريش خطيبا شهيرا.[٢] أرسلوه حتى يتدارك الأمر قبل أن يتفاقم الخطر[٣]. فكلم سهيل رسول اللهﷺ فأطال الكلام، حتى اصطلح الفريقان على الشروط الآتية:

١: ان يرجع النبيّ ﷺ بأصحابه هذا العام حتى يدخل بهم مكة فى العام المقبل بلا سلاح إلا سلاح الراكب – السيف فى القراب؛ فيتركون له مكة فيقيم بها ثلاثة أيام.

٢: وضع الحرب بين الفريقين لمدة عشر سنوات.

٣: إن بين الفريقين عَيْبَة مكفوفة[٤] وإنه لا إسلال ولا اغلال.[٥]

٤: من أتى محمدا ﷺ من قريش بغيرإذن وليه رده عليهم ومن أتى قريشا من أصحاب محمد ﷺ لا يردوه عليه.

٥: من أحب ان يدخل فى عقد محمد دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش دخل فيه.

فدخلت خزاعة فى عهده ﷺ وبنو بكر فى عهد قريش.[٦]

أملى رسول الله ﷺ بنود الصلح على عليّ بن أبى طالـب ﷺ فكتبـها. ثم

---

(١) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص١٩) والمواهب اللدنية (ج١ ص٥٠٩) الهدنة لغة المصالحة وشرعا مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معينة بعوض أو غيره وتسمى موادعة ومهادنة ومعاهدة ومسالمة.

(٢) أسلم سهيل بعد ذلك – عام الفتح. فلازم الجهاد حتى استشهد يوم اليرموك. راجع سيرة زينى دحلان (ج٢ ص١٧٦،١٧٣).

(٣) حتى يَتَدَارَكَ: حتى يَجْبُرَ؛ قبل أن يَتَفَاقَمَ: قبل أن يشتدّ.

(٤) العيبة المكفوفة الوعاء المُقفل: ضرب هذا القول مثلا للقلوب المطوية على ما تمكنت فيها من العداوة. فالمعنى: إن بيننا أمورًا مطوية فى الصدور أى لا مؤاخذة بما مضى من الحروب والعداوات. راجع هامش مختصر سيرة ابن هشام لمحمد عفيف الزعبى (ص٢٠١) ومحمد رسول الله لمحمد رضا (ص٣٢٣).

(٥) الإسلال:السرقة، والاغلال: الخيانة.

(٦) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٣ ص١٤٥) وابن هشام (ج٣ ص٣٦٦).

أشهد على ذلك رجالا من الفريقين.[1] ثم قام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه.[2] فتواثب الناس ينحرون ويحلقون رؤوسهم أو يقصون.[3]

صلح تم على رغم المسلمين

تم عقد الصلح على الرغم من أصحاب رسول الله ﷺ. فلم يرض بشروطه أكثرهم حيث ظنوها مجحفة[4] بحقوق المسلمين. فإن رسول الله ﷺ حينما أملى[5] عقد الصلح قال: 'بسم الله الرحمن الرحيم'. فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هي، ولكن اكتب 'باسمك اللهم'. فقال المسلمون: والله ما نكتبها إلا 'بسم الله الرحمن الرحيم.' فقال النبيﷺ لكاتبه: اكتب باسمك اللهم. ثم قال: 'هذا ما قاضى[6] عليه محمد رسول الله'. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال النبيّ ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذّبتموني، اكتب: 'محمد بن عبد الله'.

ثم قال: على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل: والله،لا؛ تتحدث العرب أنا أُخذنا ضُغطة؛[7] ولكن ذلك من العام المقبل. فأمر أن يكتب كذلك. ثم قال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا. فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل فى قيوده.[8] فقال سهيل: هذا، يا

---

(١) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص٢٠١) والسيرة الحلبية(ج٣ ص٢٣).
(٢) وكان الذى حلقه فى ذلك اليوم خراش بن أمية الخزاعى فتح البارى (ج٥ ص٣٤٧).
(٣) ابن كثير (ج٤ ص٢٠١).
(٤) مجحفة: أى منقصة إنقاصا فاحشا.
(٥) أملاه على كاتبه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .
(٦) قاضى عليه: صالح عليه.
(٧) ضُغطة: قهرا (فتح البارى: ج٥ ص٣٤٣) وكلمة' لا ' ليست بداخلة على 'تتحدث' بل على مقدر (عمدة القارى: ج١٤ ص١٣).
(٨) كان أبوه سهيل قد أوثقه وسجنه حين أسلم فخرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين (فتح البارى: ج٥ ص٣٤٤).

محمد، أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ. فقال النبي ﷺ: 'إنا لم نقض الكتاب[1] بعدُ' قال 'فوالله، إذًا لم أصالحك على شيء أبدا'. فطلبه رسول الله ﷺ من أبيه مرارا. ولكنه قال: ما أنا بفاعل.

قال أبوجندل: 'أى معشر المسلمين أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلما؟ ألا ترون ما لقيت؟' وكان قد عذب عذابا شديدا فى الله[2]. فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإنالا نغدر، وإن الله جاعل لك فرجا ومَخْرَجا.[3]

لقد شق على المسلمين هذه الشروط فضاق بها أكثرهم صدرا وضاق بها بعضهم صبرا حتى أتى عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: ألست بنبيّ الله حقا؟ قال: بلى. قال: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قال: فلِمَ نعطى الدّنِيّة فى ديننا إذا؟ قال: إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى. قال: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: لا. ثم راجع عمر أبابكر رضى الله عنهما. فأجابه أبوبكر بمثل ما أجابه النبيّ ﷺ.[4]

فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب أمر أصحابه بالتحلل فما قام منهم رجل. حتى قال ثلاث مرات.[5] فأشار ت عليه أم سلمة أن يتحلل أولا فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما[6]. والصحابة

---

(١) لم نقض الكتاب: لم نتمه ولم نفرغ منه.

(٢) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤).

(٣) فتح البارى (ج٥ ص٣٤٥).

(٤) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤) وما كان مراجعة عمرمن شك بل ليقف على الحكمة فى القصة وتنكشف عنه الشبهة . ثم إنه عمل أعمالا صالحة لتكفير ما كان منه من هذا التوقف والمراجعة. راجع فتح البارى (ج٥ ص٣٤٦-٣٤٧).

(٥) فلم يقم أحد لما دخل فى نفسهم ما يذهلهم من المشقة ولاحتمال أنه ﷺ أمرهم بالتحلل أخذا بالرخصة فى حقهم مع ما يستمرهو على الإحرام أخذا بالعزيمة فى حق نفسه (راجع فتح البارى: ج٥ ص٣٤٧) أو رجاء أن يؤذن لهم فى القتال وأن ينصروا فيكملوا عمرقم (فتح الباري ج١٣ ص٢٧٥).

(٦) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤).

أكثرهم لم يدركوا من أبعاد هذا الصلح ما أدركه رسول الله ﷺ ولذلك جزعوا على الصلح وتوانوا عن التحلل. ولكنهم لما رأوا أن الأمرمبرم لا محالة عنه رضوا نهائيا بما رضى به رسول الله ﷺ واطمئنوا على ما اطمأن عليه رسول الله ﷺ .

صلح فتح أبواب الفتوح

شددت قريش فى بنود من عقد الصلح؛ ولكن رسول الله ﷺ قد تسامح فتنازل عن أشياء لا تضر بالإسلام ولا بالمسلمين. فلا ضير[1] فى كتابة 'باسمك اللهم' مكان 'بسم الله الرحمن الرحيم' ولا فى كتابة 'محمد بن عبد الله' مكان 'محمد رسول الله' فإن العقد يجرى مع قوم لا يقرون برحمانية الله ولا برسالة محمدﷺ. وكذلك لا ضير فى رد من أتاه مسلما إلى قريش حيث استيقن أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا مع ما فيه من مصلحتين عظيمتين: أن يكون بين المشركين رجال يتمثلون الإسلام حتى يفهموا منهم هذا الدين بالعيان، وأن يكون بينهم عيون للمسلمين يَعُونَ[2] ما يدبره العدو من كل شرّ ومكر. كما لا ضير فى عدم استرداد من ذهب إلى مكة مرتدا. وأما العمرة وزيارة البيت فقد تتمان فى العام المستقبل بلا قتل ولا قتال.

فلأجل أن يتم عقد الصلح فى أسرع وقت تنازل رسول الله ﷺ عن أشياء غير مضرّة، لما رأى فى هذا الصلح من مصالح كبيرة وفوائد كثيرة. فقد كان له الأثر الأكبر فى مستقبل الإسلام، كما شهدت بذلك حوادث الأيام. ومن أظهر فوائده ما يأتى فى السطور التالية:

١: اعتراف قريش بمكانة المسلمين حيث قاموا إلى نبيهم بوفادة إثر وفادة وبسفارة إثر سفارة حتى عقدوا معهﷺ معاهدات بعد ما فاوضوه مفاوضات.[3] وقد كانوا من قبل لا يعبؤون بالمسلمين فكانوا معهم دوما محاربين.

---

(١) الضَيْرُ : الضَرَرُ.

(٢) يَعُونَ (من وعى يعي): قبل وحفظ.

(٣) المفاوضة: المذاكرة والمحادثة.

٢: تمكن المسلمين فى العام المقبل من زيارة البيت الحرام حتى قضوا مناسكهم وأقاموا بمكة ثلاثة أيام. كل ذلك فى بيئة الأمن والسلام.

٣: أمن المسلمين غارة قريش وحلفائهم حتى اطمأنوا من الناحية الجنوبية إلى حدّ.

٤: إتاحة الطريق للفتح القريب وهو فتح خيبر معقل[١] اليهود حتى أمنوا من الجبهة الشمالية إلى حد.

٥ : اختلاط الفريقين حتى وجد المشركون بيئة تساعدهم على تفهم حقيقة الإسلام متحررين عن شبه نسجتها أيدى الأوهام

٦: اطلاع قريش من أحوال النبيّ ﷺ وأخبار أقربائهم المسلمين على معجزاته الظاهرة وعلامات نبوته الباهرة وعلى محاسن الشريعة الخاتمة ومحاسن الأمة المسلمة.

٧: ظهور من كان يخفى إسلامه بمكة؛ حتى ذلّ المشركون من حيث أرادوا العزة وأُقهِروا من حيث أرادوا الغلبة.[٢]

٨: ظفر المسلمين بفترة سليمة قاموا فيها بدعوة الإسلام فى ظل الأمن والسلام حتى ناظروا المشركين على الإسلام جهرة بلا خوف على الأنفس والأموال.[٣]

٩: فتح الباب للفتح الأعظم وهو فتح مكة حتى دانت[٤] لدولة الإسلام العرب جميعا.

١٠: تأمين مجال الدعوة فى أنحاء العالم حتى استطاع رسول اللهﷺ لمكاتبة رؤساء العرب ومراسلة ملوك الأرض يدعوهم لدين الله الإسلام.

---

(١) الإتاحة: التهيئة والتقدير؛ والمعقِل: الحِصْنُ والملجأ.

(٢) راجع فتح البارى (ج٥ ص٣٤٨).

(٣) المصدر المذكور.

(٤) دَانَتْ: خضعت وأطاعت.

١١: ثمرةَ تلك الآثار المذكورة انتشر الإسلام بين العرب انتشارا هـائلا[١] حتى دخل فيه فى مدة سنتين فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة أكثر من الذين دخلوا فيه خلال ثمانى عشرة سنة.[٢]

فهذا الصلح قد كان فتحا مبينا فتح أبواب الفتوح. قال تعالى فى سورة الفتح، وقد نزلت عند عودته ﷺ من الحديبية إلى المدينة: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾[٣]

معجزات ظهرت بالحديبية

إن خروج الماء من بين أصابعه ﷺ كان غير مرة. وزيادة ماء البئر ببركة دعائه كانت له عادة. وكل واحد منهما دليل واضح من دلائل النبوة[٤]. فمن ذلك ما وقع فى غزوة الحديبية. فإنهم لما نزلوا بأقصى الحديبية على قليب قليل الماء لم يلبثه[٥] الناس حتى نزحوه[٦]. فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه،[٧] وجلس على شفيره ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض (فبصق) فدعا ثم صبه فيها. ثم قال: دعوها ساعة، (فما زال يفورلهم بالماء[٨]) فأرووا أنفسهم وركابَهم.[٩]

---

(١) هائلا: عظيما.
(٢) كما ذكره الإمام الزهرىّ رحمه الله نقله عنه ابن هشام(ج٣ ص٣٧٢) والحافظ ابن حجر العسقلانىّ (ج٥ ص٣٤٨).
(٣) سورة الفتح: ١، ٢
(٤) دلائل النبوّة للبيهقىّ (ج٤ ص١٢١).
(٥) يلبثه: بضم الياء وبتخفيف الباء أو تشديدها والأول من الإلباث، والثانى من التلبيث. والمعنى لم يتركه الناس يلبث أى يقيم.
(٦) النَزح هو أخذ الماء شيئا بعد شيء إلى أن لا يبقى منه شيء.
(٧) راجع صحيح البخارى(٢٧٣١/١٥/٥٤) وراجع فتح البارى (ج٥ ص٣٣٧).
(٨) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤) وراجع فتح البارى (ج٥ ص٣٣٧).
(٩) راجع صحيح البخارى (٤١٥٠/٣٥/٦٤-٤١٥١) والركاب: الإبل التى يسار عليها.

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة[1] فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: مالكم؟ قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأبه ولا نشرب إلا ما فى ركوتك. قال فوضع النبيّ ﷺ يده فى الركوة. فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. فشربنا وتوضأنا. فقيل لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.[2]

قال الإمام البيهقيّ فى 'دلائل النبوة': والأشبه أن ذلك[3] كان مرجعهم عام الحديبية حين دعا فى أزوادهم بالبركة.[4] فقد روى سلمةرضي الله عنه: أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ فى غزوة[5] فأصابهم جهد[6] حتى هموا أن ينحروا بعض ظهرهم. فأمر النبيّ ﷺ فجمعوا مزاودهم[7] على نِطع[8]. فأكلوا حتى شبعوا جميعا ثم حشوا جُرُبَهم.[9] فقال نبيّ الله ﷺ: فهل من وضوء؟ فجاء رجل بإداوة له؛ فيها قليل من الماء فأفرغه فى قدح؛ فتوضأوا كلهم يصبونه صبا.[10] وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما أن خلط الأزواد كان حين رجع النبيّ ﷺ من الحديبية.[11]

---

(١) الرَكْوَةُ: إناء صغير من جلد يشرب منه.

(٢) صحيح البخارى (٤١٥٢/٣٥/٦٤).

(٣) ذلك: خروج الماء من بين أصابعه.

(٤) دلائل النبوة (ج٤ ص١١٥).

(٥) وهى غزوة الحديبية.

(٦) جهد(بفتح الجيم): مشقة.

(٧) المزاود: جمع مزود (كمنبر) وهو وعاء الزاد والمراد بالمزاود هنا الأزواد كما فى بعض نسخ مسلم. والأزواد جمع زاد هو طعام المسافر .

(٨) نطع: سفرة من أديم.

(٩) الجرب: جمع جراب.

(١٠) راجع مسلم كتاب اللقطة، باب استحباب خلط الأزواد (١٩/٥/٣١[١٧٢٩]) الإداوة إناء صغير من جلد والقدح بفتح القاف إناء الشرب وأما القدح بالكسر فهو السهم.

(١١) راجع دلائل النبوة (ج٤ ص١١٩).

رد شرط الرد

كانت قريش قد شرطوا فى عقد الصلح على رسول الله ﷺ أن يرد عليهم من جاءه منهم وإن كان مسلما. فخص الله تعالى من ذلك النساء المؤمنات؛ وحرم ردهن إلى المشركين. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[1] وأما الرجال فلم يأت رسولَ الله ﷺ أحد منهم إلا رده فى تلك المدة.[2]

ثم جاءه بالمدينة أبو بصير[3]، وهو مسلم، فأرسلوا فى طلبه رجلين. فدفعه رسول الله ﷺ إليهما. فلما نزلا بذى الحليفة قتل أحدهما أبو بصير؛ ففر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يَعْدو. فقال لرسول الله ﷺ . 'قتل، والله، صاحبى وإنى لمقتول'. فجاء أبو بصير فقال: 'يا نبيّ الله، قد، والله، أوفى الله ذمتك، قد رددتنى إليهم ثم أنجانى الله منهم' فقال النبيّ ﷺ :"ويل أمه[4]! مِسعَر حرب لو كان له أحد"[5]. فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم. فخرج حتى نزل سِيفَ البحر[6]. وانفلت من قريش أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى بصير رضي الله عنهما؛ فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير؛ حتى اجتمعت منهم عصابة. فما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا

---

(١) الممتحنة: ١٠

(٢) راجع صحيح البخارى (٤١٨٠/٣٥/٦٤).

(٣) هو عتبة بن أسيد حليف بنى زهرة من قريش(فتح البارى: ج٥ ص٣٤٩).

(٤) ويل أمه: بمعنى لأمه الويل، والمراد التعجب.

(٥) أى هو مشعل نار الحرب لو كان معه معاضد ومناصر.

(٦) سيف البحر (بكسر فسكون): ساحل البحر. والموضع هو العِيص. كان طريق أهل مكة إلى الشام (فتح البارى: ج٥ ص٣٥٠).

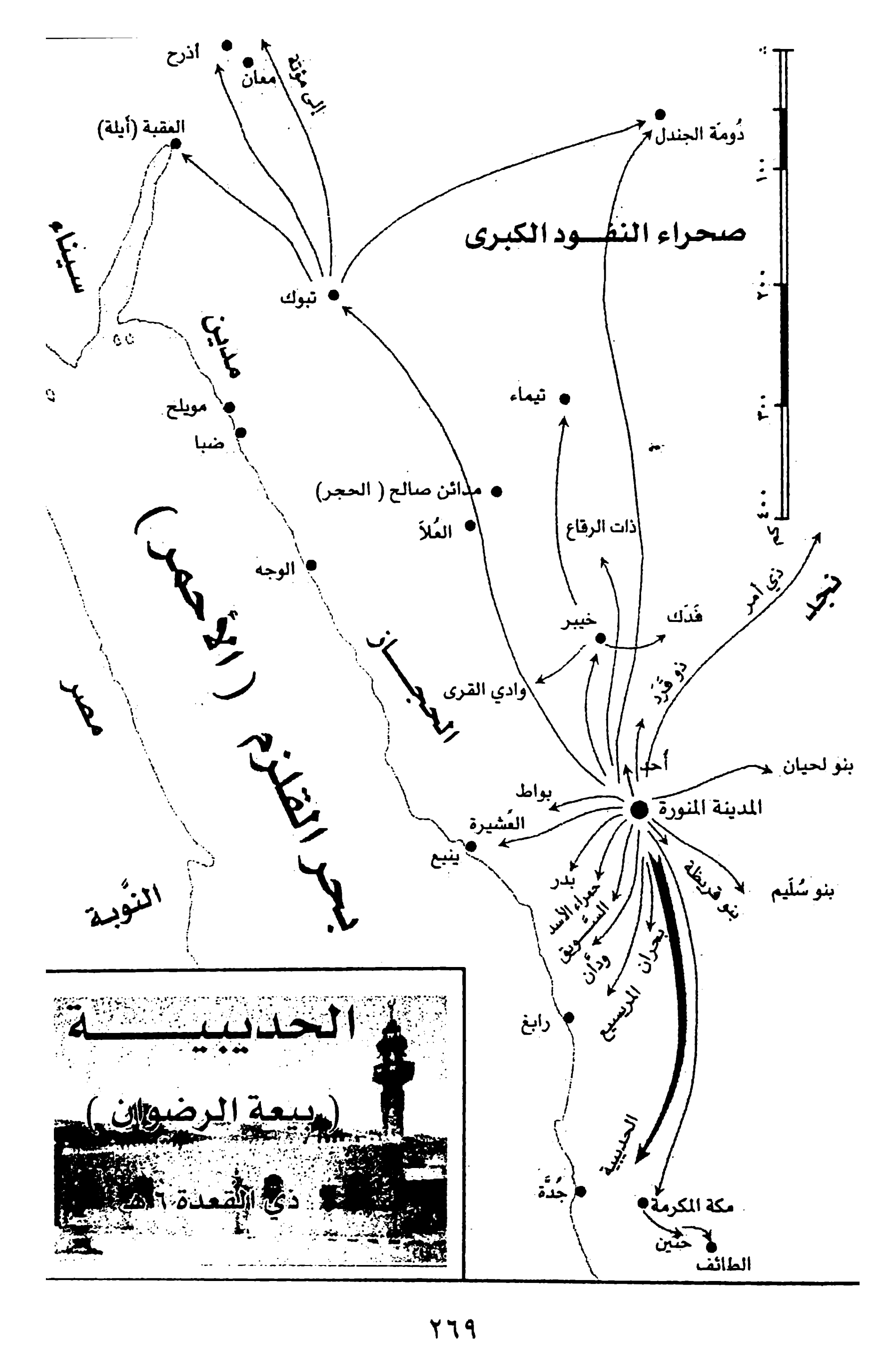
أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبيّ ﷺ تناشده بالله والرحم لما أرسل[1] إليهم، فمن أتاه فهو آمن.[2] فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت. فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا.[3]

---

(١) لَمَّا بمعنى إلاّ.

(٢) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤) ومعنى تناشده بالله والرحم لما أرسل إليهم: لم تسأل قريش من رسول الله ﷺ إلاّ إرساله إليهم. فلما بمعنى إلاّ، من قولهم أنشدك لما فعلت أى ما أسألك إلاّ فعلك.

(٣) رواه موسى بن عقبة عن الزهرىّ. راجع فتح البارى (ج٥ ص٣٥١).



أذرح
معان
إلى مؤتة
العقبة (أيلة)
دُومة الجندل
صحراء النفـود الكبرى
سيناء
تبوك
مدين
تيماء
مويلح
ضبا
مدائن صالح (الحجر)
العُلاَ
ذات الرقاع
الوجه
بحر القلزم (الأحمر)
خيبر
فَدَك
ذي أمر
نجد
وادي القرى
الحجاز
مصر
أحد
بنو لحيان
بواط
المدينة المنورة
العُشيرة
ينبع
بدر
حمراء الأسد
السويق
ودان
بحران
بنو قريظة
بنو سُلَيم
النوبة
المريسيع
رابغ
الحديبية
جُدة
مكة المكرمة
حنين
الطائف
الحديبيـــــة
(بيعة الرضوان)
ذي القعدة ٦ هـ

السنة السابعة

وفي أوائل هذه السنة زواجهﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان بعد موت زوجها مرتدا، وهما بالحبشة؛ ثم زواجه من صفية بنت حييّ رضي الله عنها بعد ما قتل أبوها وزوجها كافرين بخيبر.

وفى أواخر هذه السنة زواجهﷺ من ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها بعد ما فارقها زوجها الأول وتوفي عنها زوجها الثاني.

دعوة الملوك والأمراء

(من محرم، سنة سبع)

فضل الله تعالى أنبياءه ورسله، بعضهم على بعض. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ﴾[1] ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾[2] ثم اصطفي الله تعالى من بينهم سيدنا محمداﷺ فجعله سيد الرسل وخاتم الأنبياء؛ وجعل رسالته شاملة تعم جميع الأقوام وشريعته خالدة تشمل جميع الأزمان. والنبيون من قبلهﷺ قد بعثوا فى أقوام خاصة في بلاد خاصة، بشرائع محدودة، إلى أزمان محدودة. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾[3] ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠﴾[4] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ

(١) الإسراء: ٥٥
(٢) البقرة: ٢٥٣
(٣) نوح: ١
(٤) هود: ٥٠

﴿ ... ﴾[1] ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[2] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ ﴾[3] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾[4] ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[5]

وأما سيدنا محمد ﷺ فقد قال تعالى له: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[6] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[7] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[8] وقال فى حق كتابه العزيز: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[9] ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[10] وقال رسول اللهﷺ فضلت على الأنبياء بست - أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون.[11] فلكونهﷺ مبعوثا لكافة الناس بجميع البلاد قد وجّه دعوته إلى رؤساءِ القبائل العربية وأمراءِ البلاد المجاورة للجزيرة

---

(١) هود: ٦١ واستعمركم : جعلكم عمّارًا تسكنون فيها.(جلالين)
(٢) الأعراف: ٨٥
(٣) هود: ٩٦ والسلطان : البرهان. تدل هذه الآية أن موسى عليه السلام أرسل إلى فرعون وقومه كما تدل الآية الآتية على أنه أرسل إلى بني إسرائيل أيضا.
(٤) الصف: ٥
(٥) الصف: ٦
(٦) الأعراف: ١٥٨
(٧) سبأ: ٢٨ وقوله الا كافة للناس : الا للناس كافة ؛ قدم الحال على صاحب الحال للإهتمام.
(٨) الأنبياء: ١٠٧
(٩) سورة القلم: ٥٢
(١٠) الفرقان: ١
(١١) رواه الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال حديث حسن.

العربية وأشهرِ ملوك العالم وأكثرِهم أبّهة وعظمة[١]، كقيصر الروم وكسرى فارس. وبذلك اشتهرت الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم. ثم وصى أمته أن يبلغ كل شاهد الغائب من الناس.

مكاتبة الملوك والأمراء

(محرم، سنة سبع من الهجرة)[٢]

تمت بالحديبية الهدنة وسكنت بين الفريقين الفتنة. وقدم رسول الله ﷺ المدينة في ذي الحجة سنة ست من الهجرة. فأراد أن يكاتب الملوك والرؤساء. فاتخذ لختم الكتب خاتما من فضة ونقش فيه – في ثلاثة أسطر– محمد رسول الله؛ محمد سطر ورسول سطر والله سطر.[٣] فخرج ﷺ ذات يوم إلى أصحابه فقال: 'إن الله بعثني للناس كافة فأدوا عني ولا تختلفوا عليّ'.[٤] فكتب لكل من تيسر له من الملوك وبعث لكل ملك من يعرف لسانه وبلاده.

بعث عمرو بن أمية الضمريّ رضي الله عنه إلى النجاشيّ، ملك الحبشة.

بعث دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه إلى قيصر ملك الروم.

بعث عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه إلى كسرى ملك فارس.

بعث حاطب بن أبي بلتعة اللخمي رضي الله عنه إلى المقوقس، ملك مصر والإسكندرية.[٥]

بعث الشجاع بن وهب الأسدي رضي الله عنه إلى الحارث بن أبي شِمْر الغساني ملك تخوم الشام.[٦]

---

(١) الأُبَّهَةُ : الفخامة (Splendour) ؛ والعَظَمة : الكبر والزهو.

(٢) فتح الباري (ج٨ ص١٢٧) وطبقات ابن سعد (ج١ ص٢٥٨).

(٣) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٤٧٥).

(٤) كما رواه الطبراني. (شرح المواهب: ج٥ ص٢٦).

(٥) الإسكندرية: مدينة في مصر (ALEXANDRIA)

(٦) التخوم جمع تخم بضم التاء أو بفتحهما وهو الحد والطرف. وفي بعض الروايات ملك دمشق وفي بعضها ملك بلقاء.

بعث سليط بن عمرو العامرىّ رضي الله عنه إلى هوذة بن عليّ، ملك اليمامة[1].

وكان بعث هؤلاء الستة المذكورة فى محرم سنة سبع من الهجرة.

بعث عمرو بن العاص السهمىّ رضي الله عنه إلى جَيفَرٍ وعيّاذٍ ابني الجُلَنْدَى[2] مَلكـي عُمان[3].

بعث علاء بن الحضرميّ رضي الله عنه إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين.[4]

وكان بعث عمرو وعلاء رضى الله عنهما فى ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة.

كذلك كتب رسول الله ﷺ لكثير من الرؤساء والأمراء. فما ذكر إنما هـو نبـذة منه.[5]

رقم	حامل الكتاب	الجهة	المُرسل إليه
١	عمرو بن أمية الضَمْري	الحبشة	النجاشي
٢	دحية الكلبي	القدس	هرقل قيصر الروم
٣	عبد الله بن حذافة السهمي	طيسفون (المدائن)	كسرى الفرس
٤	حاطب بن أبي بلتعة	الإسكندرية	المقوقس عظيم مصر
٥	شجاع بن وهب الأسدي	غوطة دمشق	الحارث بن أبي شمر الغسّاني
٦	سليط بن عمرو العامري	اليمامة	هوذة بن علي
٧	عمرو بن العاص	عمان	جيفر وعبد ابني الجُلندى
٨	العلاء بن الحضرمي	البحرين	المنذر بن ساوى

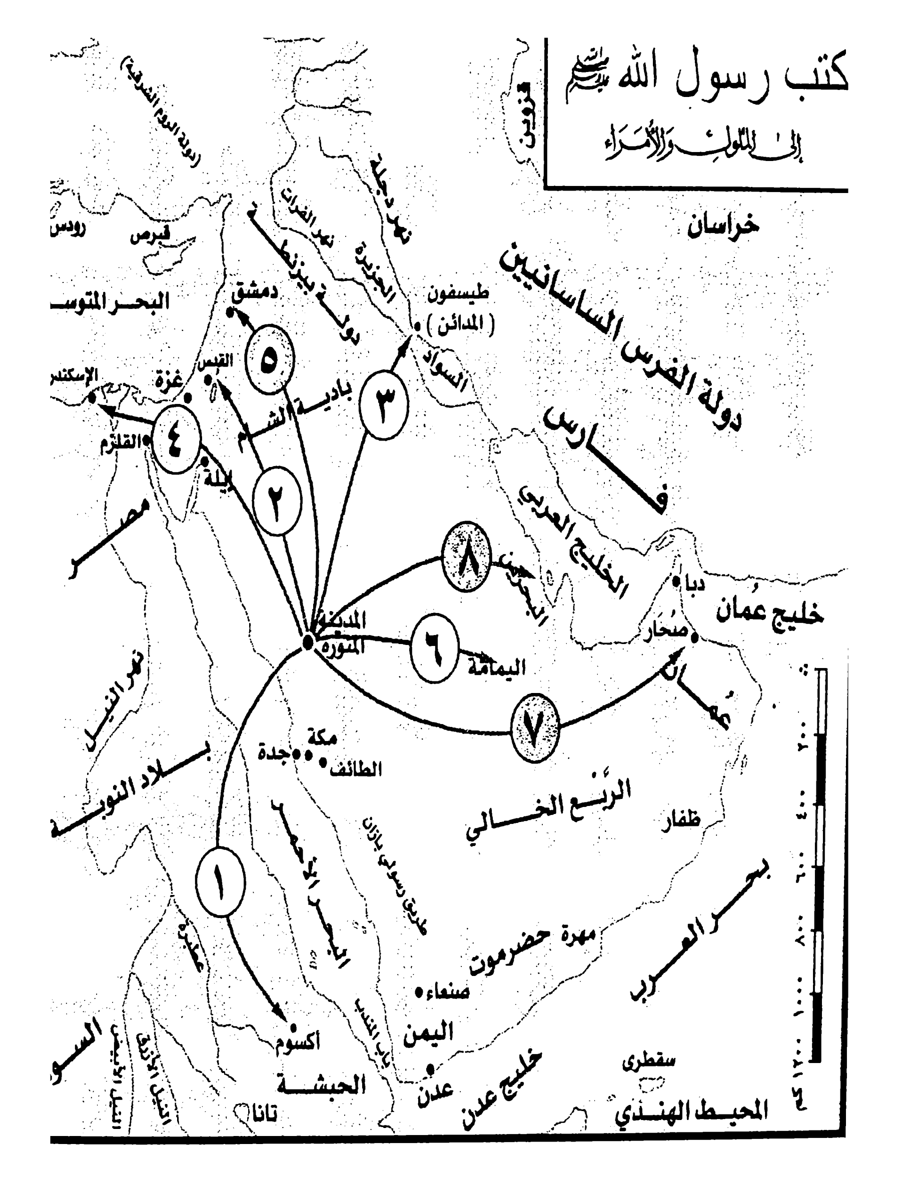
(١) وأما ما فى بعض الروايات من أنه أرسل سليطا إلى ثمامة بن أثال وإلى هـوذة جميعـا فهـو لا يستقيم.فإن ثمامة أسلم قبل ذلك بسنة أى فى محرم سنة ست.راجع شرح المواهب(ج٥ ص٦٥).

(٢) جيفر وعياذ ابني الجُلندى: جيفر كجعفر؛ عيّاذ: بفتح المهملة وشد التحتانية وآخره معجمـة. وفى بعض الروايات: عبد بالباء الموحدة وفى بعضها عياد بالدال المهملة. والجلندى؛ بضم ففـتح فسكون والقصر. راجع شرح المواهب (ج٥ ص٣٧).

(٣) عمان: بضم العين وتخفيف الميم: هو باليمن. وأما عمان بفتح العين وشد الميم فهى بلدة بالشام وليست مرادة هنا قطعا.

(٤) راجع ابن هشام (ج٤ ص ٢٧٨،٢٧٩) وتهذيب الأسماء (ج١ ص٥٥) وطبقات ابـن سـعد (ج١ ص٢٥٨-٢٦٣) وشرح المواهب(ج٥ ص٣-٥٠).

(٥) فإن شئت استزادة فعليك بالمطولات وخاصة طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٥٨-٢٩١).



كتب رسول الله ﷺ
إلى الملوك والأمراء
خراسان
دولة الفرس الساسانيين
فارس
طيسفون
(المدائن)
السواد
نهر دجلة
نهر الفرات
الجزيرة
دولة بيزنطة
دمشق
البحر المتوسط
قبرص
رودس
غزة
الإسكندرية
القلزم
أيلة
بادية الشام
مصر
نهر النيل
بلاد النوبة
الخليج العربي
البحرين
المدينة المنورة
اليمامة
دبا
صُحار
خليج عمان
عُمان
مكة
جدة
الطائف
الربع الخالي
ظفار
بحر العرب
البحر الأحمر
مهرة
حضرموت
صنعاء
اليمن
عدن
خليج عدن
سقطرى
المحيط الهندي
أكسوم
الحبشة
تانا
باب المندب

كتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

كُتُب رسول الله ﷺ إلى الملوك ما كان جميعها على حد سواء. بل كان يكتب إلى كل بما يناسب حاله وقومه وبلاده. ونقدم إليك أربعة من كتبه ﷺ إلى أربعة ملوك، أعظم ملوك العالم إذ ذاك – هرقل إمبراطور الروم، وكسرى أَبْرَوَيْز إمبراطور فارس، والنجاشيّ ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر والإسكندرية.

فكتابه إلى هرقل: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل، عظيم الروم؛ سلام على من اتبع الهدى.أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسين[1]. ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.[2]

ونص كتابه إلى كسرى: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى، عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلى الناس كافة. أدعوك بدعاية الله عز وجل فإنى رسول الله إلى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم. فإن أبيت فعليك إثم المجوس".[3]

ولفظ كتابه إلى النجاشيّ: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشيّ ملك الحبشة. أما بعد فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، الملك

---

(١) أريسين : جمع أريس هو الفَلاّح وفى بعض رواية ابن اسحاق: فإن عليك إثم الأكارين وفى رواية المدائنيّ: فإن عليك إثم الفلاحين. وفى رواية: اليريسين، (بقلب الهمزة ياء) جمع يريس وفى أخرى: اليريسيين (بشد الياء بعد السين) جمع يريسيّ وفى رواية: أرّيسين(بشد الراء). راجع شرح المواهب (ج٥ ص٩) وفتح البارى (ج١ ص٩٩).

(٢) آل عمران: ٦٤ ونص الكتاب المذكور رواه البخارى فى بدء الوحي وفى الجهاد.

(٣) تاريخ الطبرى (ج٢ ص٢٩٦،٢٩٥).

القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاه إلى مريم البتول[1] الطيبة الحصينة،[2] فحملت بعيسى فخلقه من روحه، ونفخه كم خلق آدم بيده، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة[3] على طاعته وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جائنى؛ فإنى رسول الله. وإنى أدعوك وجنودك إلى الله تعالى. وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى، وقد بعثت إليكم ابن عمى جعفر ومعه نفر من المسلمين. والسلام على من اتبع الهدى".[4]

ونص كتابه إلى المقوقس: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس، عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام؛ أسلم تسلم. يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم القبط يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله؛ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".[6]

آثار الكتب

كانت هذه الملوك من الأبهة والهيبة فيما يدهش العرب، بالإضافة إلى أن كثيرا من العرب كانوا رعيتهم كعرب الحيرة واليمن.[7] وأهل الحجاز ما كان لهم من سلطة تُذكر، أو سطوة تُحذر. فما كان من الممكن أن يتشجع عربىّ أمىّ أن ينهض بفكرة ويتقدم بدعوة إلى أحد من هذه الملوك العظام لجلالة ملكهم فى نظره

---

(١) البتول: المنقطعة عن الرجال.

(٢) الحصينة: العفيفة.

(٣) الموالاة: المناصرة.

(٤) المواهب اللدنية (شرح المواهب: ج٥ ص١٩-٢١).

(٥) القبط: المراد رعاياه وإن لم يكونوا من القبط.

(٦) المواهب اللدنية (شرح المواهب: ج٥ ص٢٨،٢٧).

(٧) فإنهم كانوا تحت ملك الفرس.

وضآلة أمر العرب فى عينه. فمكاتبة رسول الله ﷺ لهؤلاء الأباطرة[1] والملوك أدل دليل على أنه النبيّ المرسل؛ كما أن تأثرهم بهذه الكتب أجل دليل على أنه الرسول المنتظر.

فإنه ﷺ لما راسلهم لم يُهن كتابه إلا من ليس عنده علم من الكتاب، ككسرى ملك فارس. فأما ملوك النصارى فكلهم أكرموا سفارة رسله. فمنهم من آمن به وأكرم كتابه غاية الاحترام كالنجاشيّ، ملك الحبشة. وضع كتابه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض. ثم أسلم على يدي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.[2] ومنهم من كاد يسلم فخاف خلاف قومه وزوال ملكه فاختار دنياه على أخراه كقيصر الروم.[3] ومنهم من أكرم رسوله ﷺ فرده بهدايا كثيرة كمقوقس، ملك مصر. فقد أهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاثة جوار– مارية وأختها سِيرين وأختهما فَيْصِير[4]– وعشرين ثوبا لينا وبغلة وحمارا وألف مثقال من ذهب وعسلا ومُكْحُلَةً ومرآة ومشطا.[5] وممن آمن به ملكا عمان وملك البحرين.[6] وما كان رسول الله ﷺ فى قوة من ملك أو كثرة من جند أو وفرة من مال حتى يخافه هؤلاء الملوك والأمراء. ولكن حملهم على هذا التأثر العميق حتى يسلموا أو يكرموا ما كان عندهم من علم عن النبيّ المبشر والرسول المنتظر.

---

(١) الأباطرة جمع إمبراطور (Emperor).

(٢) راجع تهذيب الأسماء (ج١ ص٥٥) وشرح المواهب (ج٥ ص٢٥) توفي هذا النجاشيّ فى رجب سنة تسع من الهجرة ونعاه النبيّ ﷺ يوم توفي. وصلى عليه بالمدينة. وأما النجاشيّ الذى ولي بعده وكتب له النبيّ ﷺ يدعوه إلى الإسلام فكان كافرا لم يعرف إسلامه ولا إسمه. (شرح المواهب: ج٥ ص٢٦،٢٥).

(٣) كما سيأتي.

(٤) فَيْصِير: بالفاء والياء والصاد.

(٥) شرح المواهب (ج٥ ص٣٢) المُكْحُلَةُ إناء الكحل.

(٦) تهذيب الأسماء (ج١ ص٥٥) وأما هوذة، ملك اليمامة فأكرم حامل الكتاب وأجازه بجائزة وكساه أثوابا. وشرط على إسلامه أن يجعل النبيّ ﷺ له بعض الأمر أى يشركه فى الأمر. فقال رسول الله ﷺ: 'لو سألنى سيابة من الأرض ما فعلت. بادَ وبادَ ما فى يديه'. ومات على كفره عام الفتح. وسيابة الأرض: قطعة منها. وباد: هلك. راجع شرح المواهب (ج٥ ص٤٥) وأما ملك تخوم الشام الحارث بن أبي شمر الغسانيّ فلم يسلم. (المصدر المذكور: ج٥ ص٦٥).

موقف قيصر من كتابه صلى الله عليه وسلم

إن كسرى أغزى جَيْشَهُ بِلاَدَ هرقل. فخربوا كثيرا من بلاد الروم. ثم استبطأ كسرى أميره فأراد قتله وتولية غيره.[١] فاطلع أميره على ذلك. فباطن[٢] هرقلَ على ملكه كسرى. فانهزم بجنود فارس عن بلاد الروم. فاسترد بذلك هرقل ما استلبته الفرس من بلاد الروم. فسار هرقل ماشيا على قدميه إلى بيت المقدس ليصلي فيه شكرا لله تعالى. فكانت البُسُط تبسط على طريقه وكانت الرياحين تُطْرَح عليها حتى انتهى إلى بيت المقدس فصلى فيه.

فبينما الملك ببيت المقدس إذ رأته بطارقته[٣] ذات غداة مهموما. فسألوه عن ذلك. فقال: "إنه قد رأى الليلة ملك الختان قد ظهر[٤]" فقالوا: ليس يختتن إلا اليهود[٥]. فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هو على ذلك أُتِيَ برجل أرسل به صاحب بصرى[٦]. وهذا الرجل هو دحية الكلبي رضي الله عنه. كان قد بعثه رسول الله ﷺ بكتاب إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى هرقل، ملك الروم. ففتشوا دحية فإذا هو مختتن. وسألوه عن قومه فإذا هم أيضا مختتنون. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

ثم قال هرقل لصاحب شرطته: 'قَلِّبِ الشام ظهرا لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه'. فوجدوا أبا سفيان بغزة[٧] من فلسطين الشام في ثلاثين

---

(١) حينما أبعد فى بلاد الروم فاتحا تأخر وبطئ عن ملكه. فاتهم الملك أنه قد استبد بممتلكاته وبما فتحها من البلاد. وقوله: 'بلادَ هرقل' مفعول ثان لأغزى. فخرّبوا :دمّروا. وقوله استبطأ كسرى أميره : رآه بطيئا متأخرا فى المجيئ اليه.

(٢) باطن هرقل: اصطلح معه سرا.

(٣) البطارقة : جمع بطريق (بكسر الباء) ؛ وهم خواص الدولة.

(٤) رآها فى المنام كما فى بعض الروايات أو حين نظر فى النجوم كما فى روايات أخرى.

(٥) وما كانوا يعلمون أن العرب مختتنون.

(٦) بصرى: مدينة بين يثرب ودمشق . وصاحب بصرى: هو الحارث بن أبي شمر الغسانى. فتح البارى (ج١ص٣٨).

(٧) غزة: مدينة فى أقصى الشام من نواحى فلسطين غربيّ عسقلان. (معجم البلدان (ج٤ ص٢٢٩).

رجلا من تجار قريش. فأحضروهم بمجلس الملك بين عظماء الروم. فسأل: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبيّ؟ فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبا. فسأله هرقل عن أشياء عن رسول الله ﷺ. وأمر أصحابه أن يُكذّبوه إن كذب.

حتى إذا انتهى السؤال والجواب قال هرقل: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب؛ فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها؛ وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلتُ لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتى بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه؛ وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفائهم؟ فذكرت 'أن ضعفائهم اتبعوه' وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: 'أنهم يزيدون' وكذلك أمر الإيمان حتى يتمّ. وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه. فذكرت 'أن لا'، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته[1] القلوب. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت 'أن لا'، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت 'أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف'؛ فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدميّ هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم. فلو أنى أعلم أنى أخلُص[2] إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فارتفعت الأصوات عنده؛ فأخرج أبو

---

(١) البشاشة : الفرح والسرور.
(٢) أخلص إليه: أصل إليه. لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ : لتكلّفته على مشقة.

سفيان وأصحابه. قال أبو سفيان: قلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِر[1] ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بنى الأصفر.[2] فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام. ثم لما عاد هرقل إلى حِمْص أذن لعظماء الروم فى دَسْكَرَة[3] له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم؟ فتبايعوا هذا النبيّ. فحاصوا حَيْصة حُمُر الوَحْش[4] إلى الأبواب. فوجدوها قد غلّقت. فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: 'ردوهم عليّ' فقال لهم: 'إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم. فقد رأيت' فسجدوا له ورضوا عنه.

ثم إن رسول الله ﷺ كتب إليه أيضا من تبوك يدعوه إلى الإسلام. فقارب الإجابة ولكنه لم يجب، وشَحَّ بِمُلكه وآثر الفانية على الباقية[5].

موقف كسرى من كتابه صلى الله عليه وسلم

إن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة ﷺ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين؛ فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه. فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.[6] ثم لم تسكن بذلك ثائرة[7] هذا الشقيّ بل أرسل إلى باذان، عامله على اليمن: 'أن ابعث من عندك رجلين

---

(١) أمِر: عظم. وأبو كبشة اسم زوج مرضعته حليمة السعدية. وكان قريش ينسبونه ﷺ إليه إذا غضبوا عليه.

(٢) بنو الأصفر: هم الروم لأن جدهم روم بن قيص تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد فقيل له الأصفر (فتح البارى: ج١ ص٤٠).

(٣) الدسكرة: القصر الذى حوله بيوت وكأنه دخل القصر ثم أغلقه وفتح أبواب البيوت التى حوله وأذن للروم فى دخولها ثم أغلقها ثم اطلع عليهم فخاطبهم خشية أن يثبوا به. (فتح البارى: ج١ص٤٣).

(٤) حاصوا حصية حمر الوحش: أى نفروا نفرتهم. والوحوش أشد من نفرة البهائم الإنسية.

(٥) راجع صحيح البخارى (٧/٦/١) مع فتح البارى (ج١ ص٢٣-٤٤) وتاريخ الطبرى (ج٢ ص٢٨٩-٢٩٣) والبداية والنهاية (ج٤ ص٣٠٥-٣١٠).

(٦) صحيح البخارى (٤٤٢٤/٨٣/٦٤).

(٧) الثائرة: الغضب الهائج.

جلدين[1] إلى هذا الرجل الذى بالحجاز، فليأتيانى به'. فقدم رسولا باذان على رسول الله ﷺ بالمدينة بكتاب يأمره فيه أن ينصرف معهما إلى كسرى.[2]

فقال النبيّ ﷺ لهما: "أبلغا صاحبكما أن ربىّ قد قتل ربه كسرى فى هذه الليلة" وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع. وإن الله تعالى سلط عليه ابنه شَيْرويه فقتله.[3] فعاد الرسولان إلى باذان وقصا عليه ما تنبأ به[4] رسول الله ﷺ. فلم يلبث باذان أن يأتيه كتاب شيرويه: 'أما بعد، فإنى قد قتلت كسرى. وإنى لم أقتله إلا غضبا لفارس[5] لما كان يستحل من قتل أشرافهم. فإذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قِبلك؛ وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهجه حتى يأتيك أمرى فيه.'

فلم يكن من باذان إلا أن أسلم. وأسلم بذلك من كان معه من الفرس فى بلاد اليمن.[6] فإنهم قد رأوا صدق تنبئه ﷺ حيث أعلن بموت كسرى يوم اغتياله مع بعد الشقة[7] بين الحجاز وفارس. حتى إن الخبر لم يصل إلى بلاد اليمن إلا بعد عود الرسولين إلى باذان. وأما دعاؤه ﷺ بتمزيق ملكهم فقد حققه الله تعالى فإن شيرويه لما قتل أباه قتل معه إخوته حرصا على الملك. ثم لم يلبث شيرويه بعد أبيه إلا ستة أشهر. فلم يجدوا للتتويج فى آل كسرى إلا بنْتَه 'بوران'.[8] فقال رسول الله ﷺ 'لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة'[9] فلم يزل مُلْكُهُمْ يتضاءل حتى انقرض[10] فى خلافة عمر رضي الله عنه[11]

---

(١) جلدين: قويّين.

(٢) تاريخ الطبرى (ج٢ ص٢٩٦).

(٣) طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٦٠) وفتح البارى (ج٨ ص١٢٧).

(٤) تنبأ به: أخبر به على سبيل الغيب.

(٥) إلا غضبا لفارس: إلا غضبا له من أجل الفرس' فالفارس هنا بمعنى الفرس.

(٦) راجع تاريخ الطبرى (ج٢ ص٢٩٧).

(٧) الشُقَّة: المسافة.

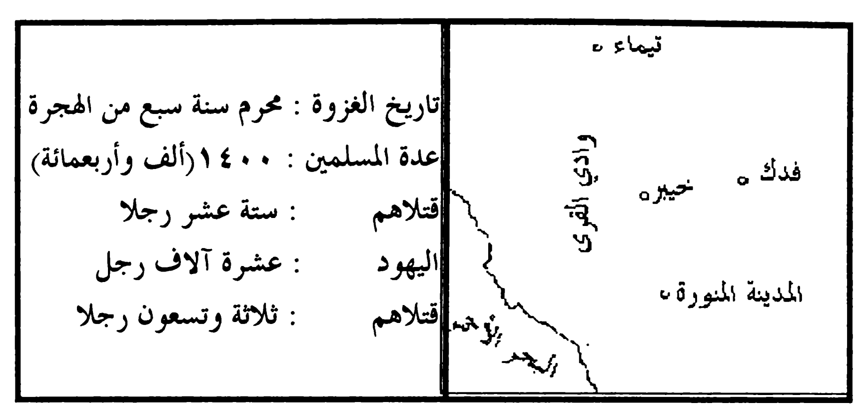
(٨) راجع فتح البارى (ج٨ ص١٢٨).

(٩) صحيح البخارى (٧٦١/٨٢/٦٤).

(١٠) يَتَضَاءَلُ: يتصاغر؛ وانْقَرَضَ: انقطع.

(١١) راجع فتح البارى (ج٨ ص١٢٨) وعمدة القارى (ج١٨ ص٥٨).

غزوة خيبر



خلاصة غزوة خيبر

كانت يهود خيبر على ساق استعداد لمحاربة المسلمين. فندب رسول الله ﷺ إلى خيبر من كان معه فى غزوة الحديبية. فخرج من المدينة بمن انتدب منهم. وكان الله تعالى قد وعده بفتحها عند منصرفه من الحديبية. سمع بذلك أهل خيبر. فكانوا يخرجون كل يوم مستعدين للقتال فلا يرون أحدا. فلما أصبحوا ذات ليلة خرجوا لأعمالهم إلى مزارعهم وبساتينهم. ففوجئوا برسول الله ﷺ والمسلمين. فولوا هاربين إلى حصوهم. فحاصرهم المسلمون وقاتلوهم ففتحوا حصوهم حصنا بعد حصن. فتحوا كلها عنوة إلا حصنين أخيرين. لجأ إليهما كل فَلّ[1] من كل حصن ففتحهما رسول الله ﷺ صلحا. صالحوا رسول الله ﷺ على حقن دمائهم وخروجهم من خيبر بذراريهم.

ثم إنّ رسول الله ﷺ سمح لهم. فأبقاهم بخيبر يعملون فيها على شطر غلتها. وأورث الله المسلمين فى هذه الغزوة مغانم كثيرة. ثم فتح رسول الله ﷺ سائر مراكزهم بجزيرة العرب – فدك ووادى القرى وتيمآء. وترك الأرض والأشجار

---

(١) الفل: المنهزم.

كخيبر بأيدى أهل هذه البلاد. فأقاموا بها حتى أجلاهم الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى عهده بظلمهم وعدوانهم.

سبب غزوة خيبر[1]

كان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود المدينة على المناصرة وترك المحاربة. ثم لما خانوه وغدروه وحاربوه أمر الله تعالى بقتالهم تخلصا من شرهم ومؤامراتهم. فأولهم غدرا بنو قينقاع. فجلاهم سنة اثنتين من الهجرة إلى أذرعات الشام، ثم بنو النضير فجلاهم سنة أربع من الهجرة؛ فنزل بعضهم بخيبر وبعضهم بأذرعات. ثم بنو قريظة كانوا أفظع اليهود غدرا وحرابة. فقاتلهم سنة خمس من الهجرة، فقتل رجالهم وسبى نسائهم وذريتهم. كل ذلك بظلمهم وعدوانهم. 'وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون'.

ثم إن يهود خيبر هم الذين استهدفوا تضييق المسلمين وتطويقهم[2] من الشمال والجنوب، بل قصدوا استئصال المسلمين فحالفوا قريشا وحزّبوا الأحزاب حتى وقعت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس. ثم لما أمن طريق الدعوة بصلح الحديبية سنة ست من الهجرة ما زالت يهود خيبر تعرقل مسير الدعوة؛ فحالفوا الأعراب لمحاربته[3]، وفاوضوا يهود فدك لمقاتلته[4].

تحرك جيش الإسلام إلى خيبر

فخرج إليهم رسول الله ﷺ بألف وأربعمائة[5] فى المحرم سنة سبع من الهجرة

---

(١) هي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد (ستة وتسعين ميلا) من المدينة الشريفة إلى جهة الشام. فتح البارى (ج٧ ص٤٦٤) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣١).

(٢) التطويق:الإحاطة والكبح والضبط.

(٣) حتى قصدت غطفان فى غزوة خيبر أن يظاهروا يهود عليه ﷺ ثم خافوا المسلمين فى أهليهم وأموالهم فرجعوا . راجع الكامل (ج٢ ص١٤٧). تُعَرْقِلُ : تُعَوِّقُ و تُصَعِّبُ.

(٤) فإنهم كانوا قد فاوضوا فى ذلك بني عمهم فى تيماء وفدك ووادى القرى. تاريخ الإسلام (ج١ ص١٣٣).

(٥) راجع دلائل النبوة للبيهقيّ (ج٤ ص٢٣٨،٢٣٧).

بعد أن استخلف على المدينة سِباع بن عُرفُطة الغفارىّ رضي الله عنه[١]. ونادى منادى رسول الله ﷺ: أن لا يخرج معى من المخلفين عن غزوة الحديبية إلا راغب فى الجهـاد[٢].

وكانت خيبر قاعدة حربية لليهود؛ وكانت فيها حصون منيعة. وكان الله تعالى قـد وعده بفتحها وحيازة غنائمها فى سورة الفتح عند منصرفه من الحديبية[٣]. فقـال تعالى: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مـا فى قلـوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكـان الله عزيـزا حكيما. وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما. وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا﴾[٤]

لقد استاء المنافقون واليهود[٥] كثيرا من تحرك المسلمين نحو خيبر، حـتى أن عبد الله بن أبىّ ابن سلول رئيس المنافقين أرسل إلى أهل خيبر:أن محمدا سائر إليكم فخذوا حذركم؛ ولا تخافوا منه؛ إن عددكم كثيرة وقوم محمد شـرذمة قليلـون، عزل[٦] لا سلاح معهم إلا قليل[٧]. وأما اليهود فقد أحرجوا المسلمين بالاستعجال فى طلب ديونهم حتى قال بعضهم: فلما تجهزنا نريد خيبر لم يبق أحد مـن يهـود

---

(١) كما رواه أحمد والحاكم. راجع فتح البارى (ج٧ ص٤٦٥) وقال ابن هشام اسـتعمل علـى المدينة نميلة بن عبد الله الليثىّ (ج٣ ص٣٧٨). ويمكن الجمع بأنه استخلف أحدهما أولا ثم عرض ما يقتضى استخلاف الآخر (سيرة زينى دحلان: ج٢ ص١٩٤)

(٢) فأما راغب الغنيمة فلا (السيرة الحلبية: ج٣ ص٣١) فلم يشهد خيبر أحد ممن لم يشهد الحديبية (دلائل النبوة للبيهقى: ج٤ ص٢٤٧).

(٣) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣١) وفتح البارى (ج٧ ص٤٦٤).

(٤) سورة الفتح ١٨-٢١. فقد اتفق المفسرون أن فى هذه الآيات التبشير بفتح خيبر. وإنما الخلاف فى أيها التبشير. فقال قتادة وابن ابى ليلى: فى قوله تعالى 'فتحا قريبا ومغانم كثيرة'. وقـال ابـن زيد فى قوله تعالى 'وعدكم الله مغانم كثيرة' وقال مجاهد فى قوله تعالى 'إفعجّل لكم هذه'. راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى رحمه الله تعالى (ج١٦ ص٢٤٩ـ٢٥٤).

(٥) الذين بقوا بالمدينة على شكل أُسَر فى ذمة الله وذمة رسوله حيث لم يشاركوا فى غـدر سـائر اليهود (التاريخ الإسلامىّ لمحمود شاكر: ج٢ ص٣٠٢).

(٦) جمع أعزل: من لا سلاح معه.

(٧) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٣).

المدينة، له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه. وكان لأبي الشحم - أحد اليهود على عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي خمسة دراهم؛ فاستعجله بقضائها حتى تحاكما إلى رسول الله ﷺ. فقال ﷺ 'أعطه حقه'. فباع عبد الله أحد ثوبيه بثلاثة دراهم، وطلب بقية حقه حتى قضى دينه[1].

هجوم المسلمين على خيبر

توجه جيش المسلمين نحو خيبر فجعل عامر بن الأكوع رضي الله عنه يرتجز[2] بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا

وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا؟ قال: أنا عامر. قال: 'غفر لك ربك' وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد. فنادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: 'يا نبيّ الله، لولا متّعتنا بعامر'[3]! فقتل يوم خيبر شهيدا.[4]

ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال للناس: 'قفوا' فوقف الناس. فقال: 'اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن،(ورب الرياح وما أذرين)[5] فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها؛ ونعوذ بك من شر هذه القرية، وشر أهلها وشر ما فيها؛ اقدموا بسم الله'.[6]

وكان أهل خيبر قد سمعوا بقصد رسول الله ﷺ غزوهم. فكانوا يخرجون فى

---

(١) راجع كتاب المغازى للواقدى (ج٢ ص٦٣٤). والتاريخ الإسلاميّ (ج٢ ص٣٠٣).

(٢) ينشد الشعر على بحر الرجز' والرجز وزنه: مستفعلن ستّ مرّات.

(٣) راجع صحيح مسلم: كتاب الجهاد، باب غزوة ذى قرد (رقم الحديث:١٨٠٧). ومعنى قوله لولا متعتنا بعامر هلا أبقيته لنا لنتمتع بشجاعته (فتح البارى:ج٧ ص٤٦٦) أى هلا أخرت الدعاء له بذلك إلى وقت آخر. (السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٢).

(٤) البداية والنهاية (ج٤ ص٢١٦) وابن هشام (ج٣ ص٣٧٩).

(٥) ابن هشام (ج٣ ص٣٧٩) أقللن: حملن. وأذْرَين: أطرن وفرقن.

(٦) البيهقى (ج٤ ص٢٠٤).

كل يوم متسلحين مستعدين فلا يرون أحدا؛ حتى إذا كانت الليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا فلم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك[١]. فلما أصبحوا خرجوا بمساحيهم[٢] ومكاتلهم. ففوجؤا برسول الله ﷺ والمسلمين. فقالوا: محمد، والله، محمد والخميس[٣]. فقال النبيّ ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر؛ إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[٤]. فولّوا هاربين إلى حصونهم وكان فيهم عشرة آلاف مقاتل[٥].

فتح الحصون

١	حصون النطاة :	حصن الناعم، حصن الصعب، حصن قلة.
٢	حصون الشق :	حصن أبيّ ، حصن بَرئ
٣	حصون الكتيبة :	حصن القموص،حصن الوطيح،حصن السُلالم[٦]

▫ فتح حصون النطاة

كانت حصون خيبر ثلاثة أقسام: الأول حصون النَطاة وهو مجموع من ثلاثة حصون – ناعم والصعب وقلة. والثانى حصون الشق. وهو حصنان – أُبيّ وبرئ.

---

(١) فتح البارى (ج٧ ص٤٦٨).

(٢) المساحى: جمع مسحاة وهى من آلات الحرث. والمكاتل: جمع مكتل وهو القفة الكبيرة التى يحول فيها التراب وغيره (فتح البارى: ج٧ ص٤٦٨) والقفة: الزنبيل من الخوص.

(٣) الخميس: الجيش العظيم. قيل له الخميس لأنه خمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة – وهما الجناحان – والقلب (السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٣) وصلى النبيّ ﷺ الصبح قريبا من خيبر بغلس (صحيح البخارى: ٦٤ /٣٨/ ٤٢٠٠) وكان إذا غزا قوما لم يغزهم حتى يصبح، فان سمع أذانا أمسك. فلما لم يسمع من أهل خيبر أذان الصبح دخلها بجيشه.راجع فتح البارى (ج٧ ص٤٦٨).

(٤) راجع صحيح البخارى (٦٤/٣٨/ ٤١٩٨،٤١٩٧).

(٥) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٣) وسيرة زينى دحلان (ج٢ ص١٩٦).

(٦) النطاة: بوزن حصاة (سيرة زينى دحلان: ج٢ ص٢٠٥). وقلة: حصن كان بقلة جبل أي رأسه. والشق بفتح الشين وكسرها، والفتح أعرف. والقموص: كصبور. وسلالم: بضم المهملة (السيرة الحلبية: ج٣ ص٤٠،٤١). والبرئ: بفتح فكسر فمد. والوطيح: بفتح فكسر. (شرح المواهب: ج٤ ص٢٦٥).

والثالث حصون الكتيبة. وهي ثلاثة حصون: القموص والوطيح وسلالم.[1] فبدأ المسلمون بحصن ناعم من حصون النطاة. فدام الحصار والقتال أياما حتى فتحه الله تعالى على يد عليّ بن أبي طالبﷺ. وأصاب المسلمين أثناء ذلك مجاعة شديدة؛ حتى شكى إلى رسول الله ﷺ بنو أسلم جهد الجوع. فدعا لهم وقال: اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا. فدفع اللواء إلى الحُباب بن المنذر. فتوجه بالمسلمين إلى الصعب.[2]

كان كل من سلم من الناعم قد التجأ إلى الصعب. ففتحه الله تعالى على يدي الحبابﷺ بعد محاصرة ومناوشة[3] ومقاتلة دامت يومين. فوجدوا فيه من الشعير والتمر والسمن والعسل والسكر والزيت والودك شيئا كثيرا. وما كان بخيبر حصن أكثر منه طعاما ومتاعا. فنادى منادى رسول الله ﷺ: كلوا وأعلفوا ولا تحملوا. فلما فتح الصعب انتقل كل فل إلى حصن قلة[4]. فحاصره المسلمون أشد الحصار؛ فقاوم أهله ثلاثة أيام حتى قطع المسلمون مياههم حينما عرفوا منابعها من بعض اليهود[5]. فخرجوا من القصر مضطرين وقاتلوا دونه مستميتين. ولكن المسلمين هزموهم واقتحموا حصنهم.

▫ فتح حصون الشق والكتيبة

ثم زحف المسلمون إلى حصون الشق. فبدؤوا بأولها: حصن أبيّ. فقاتل اليهود دونه قتالا عنيفا. ولكن لم يُجْدِهِمْ قتالهم نفعا. فوقع الحصن بكل ما فيها فى أيدى المسلمين. ولحق من هرب منه إلى حصن البرئ[6]. فتحرك المسلمون نحوه. فقاوم أهله أشد المقاومة، ورموا المسلمين بالنبل والحجارة. ولكن المسلمين ثبتوا واقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون؛ ووجدوا فيه آنية من نحاس وفخار.[7] فأذن رسول الله

---

(١) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٤٠ -٤١).
(٢) وهو الحصن الثانى من حصون النطاة.
(٣) المناوشة: المنازلة والمباراة (المقابلة والتحدى).
(٤) وهو آخر حصون النطاة.
(٥) كانت جداول تحت الأرض وكانوا يخرجون ليلا فيشربون منها.
(٦) وهو الحصن الثانى من حصون الشق. ومعنى زحف الجيش: مشوا فى ثقل لكثرتهم ومعنى لم يجدهم لم ينفعهم.
(٧) الفخار: الخزف وهو الإناء المعمول من الطين وشوي بالنار.

ﷺ بالطبخ فيها والأكل والشرب فيها، بعد تسخين الماء[1] فيها وغسلها وتنظيفها.

لما فتح المسلمون حصون النطاة وحصون الشق كلها هرب كل من سلم منها من اليهود إلى حصون الكتيبة. فكان أولُها حصنُ القموص أعظمَ حصون خيبر. ففتحه الله تعالى على يدي عليّ بن أبي طالب بعد ما حاصره المسلمون عشرين ليلة. ثم زحف المسلمون إلى الحصنين الباقيين؛ وهما الوطيح والسلالم. حاصروهما أربعة عشر يوما. فأهلهما لما انهارت[2] منهم المقاومة وأيقنوا من أنفسهم بالهلكة صالحوا رسول الله ﷺ على حقن دمائهم، وخروجهم من خيبر بذراريهم. ثم سمح لهم رسول الله ﷺ بالبقاء بخيبر يعملون فيها على شطر غلتها.[3]

عاقبة المكر وعقوبة الغدر

كان رسول الله ﷺ قد شرط على اليهود عند تأمينهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم أن لا يكتموا شيئا. فان فعلوا ذلك فلا ذمة لهم ولا عهد. فغيبوا مسكا[4] فيه مال وحليّ لحييّ بن أخطب. كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت بنو النضير. والذى تولى كتمانه رجلان من بنى أبي الحقيق – كنانة بن الربيع(بن أبي الحقيق) وحييّ بن الربيع (بن أبي الحقيق). وحلفا أنهم أنفقوه فى الحرب ولم يبق منه شيء.

فقال رسول الله ﷺ: برئت منكما ذمة الله وذمة رسوله، إن كان عندكما. فقالا نعم. فأشهد ﷺ عليهم بذلك. ثم علم رسول الله ﷺ من كلام غلام لهما موضع ذلك الكنْز. فأرسل إليه؛ فأتى به؛[5] فقوّم بعشرة آلاف دينار[6]. فضرب أعناقهما وسبى أهلهما.[7]

---

(١) لأن الماء الحار أقوى فى التنظيف وإزالة الدسومة.

(٢) انهارت المقاومة: وهنت المدافعة؛ والانهيار: الانكسار والسقوط.

(٣) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٩-٤١،٥٧) والبداية والنهاية (ج٤ ص٢٣٢-٢٣٤) وصحيح البخارى (٤٢٤٨/٤٠/٦٤).

(٤) الْمَسْكُ: وعاء من جلد.

(٥) راجع دلائل النبوة للبيهقيّ (ج٤ ص٢٣٢-٢٣٣).

(٦) فقد كان فيه أساور ودمالج وخلاخل وأقرطة وخواتم الذهب، وعقود الجواهر والزمرد، وعقود أظفار مجزعة بالذهب. والدمالج جمع دملج: حليّ يلبس فى المعصم؛والأظفار:نبات عطريّ يشبه الأظفار.

(٧) السيرة الحلبية (ج٣ ص٤٢).

انقلاب المرح ترحا

حينما سمعت قريش بمكة بخروج رسول الله ﷺ إلى خيبر، وقع بينهم تـراهن عظيم.[١] حتى راهن فريقان على مائة بعير. ففريق يقول: يغلب أهل خيبر وفريـق يقول: يغلب محمد وأصحابه[٢]. فكانوا يتشممون الأخبار. فأقـدم علـى مكـة الحجاج بن عِلاط السلميّ ودخل على امرأته أم شيبة[٣]. فقال: أخفي عليّ واجمعي لى ما كان عندك؛ فإني أريد أن أشترى من غنائم محمـد وأصـحابه. فـإنهم قـد استبيحوا[٤] وأصيبت أموالهم. ففشا ذلك بمكة. فحزن بـذلك المسـلمون حزنـا شديدا، وأظهر المشركون فرحا وسرورا.

بلغ الخبر العباس عم رسول الله ﷺ فدُهش منه حتى لم يستطع القيام. فخـلا به الحجاج فأسرّ إليه بما يسرّه ويكشف همه: 'أن رسول الله ﷺ قد افتـتح خيـبر وغنم أموالهم واصطفى لنفسه (ابنة ملكهم)[٥] صفية بنت حيىّ. وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو يلحقها بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته'.[٦] وكـان الحجاج ثريا كثير المال، وكان قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خيبر. ولكن لم يعلم بذلك قريش. فلما ظهر النبيّ ﷺ على خيبر قال: 'يـا رسـول الله، إن لى ذهبا عند امرأتى إن تعلم هي وأهلها بإسلامى فلا مال لى'. ثم استأذنه أن يأتي أهله بمكة ويقول فى حقه شيئا. فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء.

---

(١) دلائل البيهقىّ (ج٤ ص٢٦٥).

(٢) والأول حويطب بن عبد العزى وأصحابه والثانى عباس بن مرادس وأصحابه. (السيرة الحلبيـة: ج٣ ص٥١ وسيرة زينى دحلان: ج٢ ص٢١٠).

(٣) أخت بني عبد الدار بن قصىّ (دلائل البيهقىّ: ج٤ ص٢٦٥) وفى رواية ابن إسحاق: أم شـيبة بنت أبى طلحة. (البداية والنهاية: ج٤ ص٢٥٢).

(٤) قد استبيحوا : قد استهلكوا.

(٥) ما بين القوسين من رواية ابن إسحاق. راجـع البدايـة (ج٤ ص٢٥٢) والسـيرة الحلبيـة (ج٣ص٥٢).

(٦) راجع دلائل البيهقىّ (ج٤ ص٢٦٥-٢٦٦).

فلما كشف الحجاج للعباس عن وجه سره قال[1]: 'أخفِ عليّ ثلاثة أيام؛ ثم اذكر ما شئت.' أسرع الحجاج بماله؛ ومضت ثلاثة أيام. فقص العباس على الناس بحقيقة الواقعة، بعد ما قال لامرأة الحجاج: فان كان لكِ فى زوجك حاجة فالحقى به. فانقلب مرح المشركين ترحا كما انقلب ترح المسلمين فرحا.[2]

فتح فدك ووادى القرى وتيماء

ثم فتح رسول الله ﷺ سائر مراكز اليهود بجزيرة العرب ــ فدك ووادى القرى وتيماء. فأما فدك وتيماء ففتحتا صلحا؛ ووادى القرى ففتحت عنوة[3]. فقتل من يهود وادى القرى أحد عشر رجلا. وتركت الأرض والأشجار كخيبر بأيدى أهل هذه البلاد على شطر ما يخرج منها.[4] فأقاموا على ذلك فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر رضي الله عنه وأوائل خلافة عمر رضي الله عنه ثم لما تحقق بغيهم وتكرر عدوانهم أجلاهم عمر رضي الله عنه.

وأول بغيهم كان فى عهد رسول الله ﷺ. وذلك أن عبد الله بن سهيل رضي الله عنه وُجد قتيلا فى خيبر[5]. فزعمت اليهود أنهم ما قتلوه وحلفوا أنهم ما لهم به من علم. فوداه رسول الله ﷺ من عنده بمائة ناقة. ثم عدَوْا فى عهد عمر رضي الله عنه على مطهر بن رافع. قدم رضي الله عنه من الشام بعشرة عبيد له ليعملوا بأرضه بخيبر. فأغراهم بقتله بعض اليهود. وساعدوهم بالأسلحة. وقالوا لهم: فاقتلوه إذا خرجتم من قريتنا. فلما قتله هؤلاء العبيد دخلوا على يهود خيبر فآووهم وزوّدوهم إلى الشام.[6]

ثم إنهم بغوا على عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الليل حتى فُدِعت يداه

---

(١) أي قال الحجاج للعباس.

(٢) راجع مسند الإمام أحمد فيما رواه عن أنس (ج٣ ص١٣٨-١٣٩) ودلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٢٦٥-٢٦٨) والبداية والنهاية (ج٤ ص٢٥٣-٢٥٤).

(٣) عَنْوَةً : قهرا و قسرا.

(٤) راجع دلائل البيهقىّ (ج٤ ص٢٢٦).

(٥) عند حصن الشق.

(٦) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٥٨).

ورِ. لاه.[1] فقال عمرﷺ: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامَلَ يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا. ومن كان له مال فليلحق به فإنى مخرج يهود؛[2] فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى الحُقَيْق فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد(ﷺ) وعاملنا على الأموال؛ فقال عمر: أظننت أنى نسيت قول رسول اللهﷺ لك: 'كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك[3] ليلة بعد ليلة'. فأجلاهم وأعطاهم ما لهم من التمر[4] مالا وإبلا وعروضا.[5] وإنما أجلى عمرﷺ يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى؛ فإن الأولين من الحجاز والأخيرتين من أرض الشام. وإنما كانت وصية رسول الله ﷺ بإجلاء يهود الحجاز[6].

غنائم خيبر

قسمت غنائم خيبر على من شهد خيبر وكانوا ألفا وأربعمائة. فكان للفرس سَهمان، ولصاحبه سهم، ولكل راجل سهم. وكانت الخيل مائتى فرس فكانت جملة السُهمان ألفا وثمانمائة[7]. وكانت فى أثناء الغنيمة صحائف من التوراة؛ فجاءت يهود تطلبها فأمر النبيّ ﷺ بدفعها إليهم.[8]

قدم على رسول اللهﷺ، وهو بخيبر، أبو هريرةﷺ وأصحابه الدوسيون.[9]

---

(١) راجع صحيح البخارى(٢٧٣١/١٥/٥٤). والفدع: انقلاب العضو من مفصله.

(٢) أبو داود، كتاب الخراج والنسىء والغنيمة، باب ما جاء فى حكم أرض خيبر.

(٣) القلوص: الشابة من الإبل.

(٤) أي قيمة ما كان لهم من النصيب من التمر. وقوله مالا أى نقدا.

(٥) راجع صحيح البخارى (٢٧٣٠/١٤/٥٤).

(٦) حيث كان من آخر كلامه ﷺ أخرجوا اليهود من الحجاز. وهو مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها كالطائف لمكة وخيبر للمدينة. وأما قوله ﷺ لا يبقى دينان فى جزيرة العرب فالمراد بجزيرة العرب فيه الحجاز خاصة. راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٥٨).

(٧) فإن أصحاب الخيل مائتان فلهم ست مائة سهم. والباقون ألف ومائتان فلكل واحد منهم سهم. فالجملة ألف وثمانمائة سهم. راجع دلائل النبوة للبيهقىّ (ج٤ ص٢٣٧).

(٨) السيرة الحلبية (ج٣ ص٤٢).

(٩) فتح البارى(ج٧ ص٤٨٩،٤٨٨).

كما قدم عليه بخيبر جعفر بن أبي طالبﷺ وأصحابه[1] من مهاجرى الحبشة ونساء من مات هناك من المسلمين.[2] وكان معهم أبو موسى الأشعرىّﷺ وأصحابهُ، فأعطى رسول الله لهؤلاء جميعا من غنائم خيبر.[3] وكان أبو موسى وأخواه[4] وخمسون من قومه الأشعريّين قد خرجوا لما بلغهم باليمن[5] مخرج رسول اللهﷺ. فألقتهم سفينتهم إلى النجاشيّ بالحبشة. فوافقوا جعفرا؛ فأقاموا معه هناك.[6] ثم لما بعث رسول الله عمرو بن أمية الضمرىّﷺ إلى النجاشيّ أرسلهم الملك فى سفينتين. فقدم بهم عمرو، ورسول اللهﷺ بخيبر. فقبّل بين عينى جعفرﷺ، والتزمه وقال: ما أدرى بأيّهما أنا أسر- بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟[7]

وكان رسول الله ﷺ يرسل إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحةﷺ خارصا. فكان يأتيهم كل عام يخرص الثمار عليهم ثم يضمنهم الشطر عليهم فأرادوا أن يرشوه. فقال: يا أعداء الله، تطعمونى السحت؛ والله، لقد جئتكم من عند أحب الناس إلىّ، ولأنتم أبغض إلىّ من القرد والخنازير؛ ولا يحملنى بغضى إياكم وحبى إياه على أن لا أعدل. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.[8]

---

(١) وهم ستة عشر رجلا سوى النساء والولدان. راجع ابن هشام(ج٣ ص٤١٧).

(٢) راجع ابن هشام(ج٣ ص٤١٤-٤١٧).

(٣) والمراد بالغنائم هنا الفيئ لأن ما أعطاه رسول الله ﷺ لهؤلاء ما كان ذلك من غنائم خيبر؛ بل مما كان فى يده من فيء خيبر. فإن الوطيح والسلالم قد فتحا صلحا. فهما وما فيهما كانت فيئا.وسائر حصون خيبر وأرضها ونخلها كلها غنيمة؛ فإنها قد فتحت عنوة. راجع السيرة الحلبيّة (ج٣ ص٤٨،٤٧).

(٤) هما أبو بردة وأبو رهم رضى الله عنهما.

(٥) فلم يبلغه وأصحابه الأشعريين شأن النبيّ إلا بعد الهجرة بمدة طويلة. هذا إن أريد بالمَخرج (الذى فى حديث أبى موسى الأشعرىّ) البعثة، وإن أريد به الهجرة فيحتمل أن تكون بلغتهم الدعوة فأسلموا وأقاموا ببلادهم إلى أن عرفوا بالهجرة فعزموا عليها. وإنما تأخروا هذه المدة إما لعدم بلوغ الخبر إليهم بذلك، وإما لعلمهم بما كان المسلمون فيه من المحاربة مع الكفار؛ فلما بلغتهم المهادنة أمنوا وطلبوا الوصول إليه(فتح البارى:ج٧ص٤٨٥).

(٦) راجع صحيح البخارى(٤٢٣٠/٣٨/٦٤). وكان جعفر قد قال لهم: إن رسول الله بعثنا ههنا وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا. راجع صحيح البخارى (٣١٣٦/١٥/٥٧).

(٧) ابن هشام (ج٣ ص٤١٤) ودلائل البيهقىّ (ج٤ ص٢٤٦).

(٨) دلائل البيهقىّ (ج٤ ص٢٣٠) والسيرة الحلبية (ج٣ ص٥٧).

انتحار الشجاع

قال أبو هريرةﷺ شهدنا خيبر(١) فقال رسول الله ﷺ لرجل(٢) ممن معه يدعى الإسلام: هذا من أهل النار. فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة. فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة. فأهوى(٣) بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه. فاشتد رجال من المسلمين. فقالوا: يا رسول الله، صدّق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال: قم يا فلان(٤) فأذّن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر.(٥)

ساق سلمة رضي الله عنه

قال يزيد بن أبي عبيد رأيت أثر ضربة فى ساق سلمة(٦) فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتنى(٧) يوم خيبر، فقال الناس أصيب سلمة. فأتيت النبيّ ﷺ فنفث فيه(٨) ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة.(٩)

غلول المجاهد

قال زيد بن خالد الجهنيّﷺ: إن رجلا من أصحاب النبيّ ﷺ توفى يوم خيبر،

(١) شهدنا خيبر: شهدنا جيشها من المسلمين لأن الثابت أن أبا هريرة ﷺ إنما جاء بعد أن فتحت خيبر(فتح البارى: ج٧ ص٤٧٣).
(٢) لرجل: عن رجل.
(٣) فأهوى بيده: مدّ يده؛ الى كنانته: الى جعبة سهامه.
(٤) يا فلان: وهو بلال ﷺ كما ورد مفسرا فى كتاب القدر.
(٥) راجع صحيح البخارى (٤٢٠٣/٣٨/٦٤) وقد وقع نظير ذلك لقزمان الظفريّ بأحد ويكنى قزمان بأبى الغيداق (فتح البارى: ج٧ ص٤٧٢).
(٦) وهو سلمة بن الأكوع يكنى أبا مسلم.
(٧) وكانت هذه الضربة فى ركبته (فتح البارى: ج٧ ص٤٧٥).
(٨) فيه: أى فى موضع الضربة.
(٩) راجع صحيح البخارى (٤٢٠٦/٣٨/٦٤).

فذكروا لرسول الله ﷺ، فقال: صلوا على صاحبكم، فتغيرت وجوه الناس لذلك. فقال: إن صاحبكم قد غلّ فى سبيل الله، ففتشنا متاعه فوجدنا خرْزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين.(١)

▫ شاة مسمومة

قال أبو هريرة ﷺ: لما فتحت خيبر أهديت للنبيّ ﷺ شاة فيها سم؛فقال النبيّ ﷺ: 'اجمعوا لى من كان ههنا من يهود.' فجمعوا له. فقال: إنّ سائلكم عن شيء. فهل أنتم صادقِيّ(٢) عنه؟ قالوا: نعم؛ قال لهم النبيّ ﷺ من أبوكم؟ قالوا: 'فلان'. فقال النبيّ ﷺ: كذبتم، بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت قال: فهل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألت عنه؟ قالوا: نعم، يا أبا القاسم؛ وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا. فقال لهم: من أهل النار؟ قالوا نكون فيها يسيرا؛ ثم تخلفوننا(٣) فيها. فقال النبيّ ﷺ: اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا. ثم قال: هل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم، يا أبا القاسم. قال: 'هل جعلتم فى هذه الشاة سما؟' قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا أردنا إن كنت كاذبا نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك.(٤)

▫ رمَد برئ بالبصاق

كان عليّ ﷺ تخلف عن النبيّ ﷺ فى غزوة خيبر وكان رمِدا: فقال: أنا

---

(١) أبو داود (كتاب الجهاد، باب فى تعظيم الغلول) والنسائى (كتاب الجنائز، باب الصلاة على من غل) وابن ماجة (كتاب الجهاد، باب الغلول) ومسند الإمام أحمد (ج٤ ص١١٤) الخرز جمع خرزة وهو الجوهر ونحوه مما ينظم كما فى القاموس راجع بذل المجهود ج١٢ ص٢٨٥.

(٢) وفي بعض نسخ البخارى صادقونى. لكن الأول هو الصواب فى العربية، لأن أصله صادقونى فحذفت النون للإضافة فاجتمع حرفا علة سبق الأول بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت. ومثله وما أنتم بمصرخيّ وقوله أو مخرجيّ. (فتح البارى: ج١٠ ص٢٤٥).

(٣) كذا بالنونين فى كتاب الطب من البخارى. ولكن فى كتاب الجزية 'تخلفونا' بنون واحدة.

(٤) صحيح البخارى، كتاب الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفي عنهم (٥٨/٧/ ٣١٦٩) وكتاب الطب، باب ما يذكر فى سم النبيّ ﷺ (٥٧٧٧/٥٥/٧٦). والذى سمّ الشاة وأتى بها امرأة يهودية. وهى زينب بنت الحارث أخت مرحّب امرأة سلام بن مشكم. أسلمت عقيب ذلك فعفا ﷺ عنها. ثم لما مات بشر بن البراء، وكان ﷺ قد أكل من هذه الشاة المسمومة، أمرﷺ بقتلها. راجع فتح البارى (ج٧ ص٤٩٧)ودلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٢٦٢).

أتخلف عن النبيّ؟! فلحق به. فلما باتوا الليلة التى فتحت خيبر فى صباحها قال رسول الله ﷺ: لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فبات الناس يدوكون[١] ليلتهم: أيهم يعطاها: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو، يا رسول الله، يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه. فأتِيَ به. فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له. فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ففتح الله عليه.[٢]

خرج لقتاله من اليهود مَرحَبٌ[٣] فقال:

قَد علِمتْ خَيْبَرُ أنّى مَرْحبُ   شاكِي السلاح[٤] بَطَلٌ مُجَرّبٌ[٥]

إذا الحُرُوبُ أقْبَلَت تَلهَّبُ

فقال عليّ ﷺ:

أنا الذى سمّتْنِى أمّى حيْدَرَة[٦]   كلَيْثِ غاباتٍ[٧] كَريهِ المَنْظَرَه

أُوفيهمُ بالصاع كيلَ السَنْدَرَة[٨].

فضرب (عليّ ﷺ) رأس مرحب فقتله. ثم كان الفتح على يديه.[٩]

---

(١) يدوكون: يخوضون ويموجون.

(٢) راجع صحيح البخارى (٤٢٠٩/٣٨/٦٤) و (٤٢١٠/٣٨/٦٤) وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه .

(٣) مرحب: اسم صاحب الحصن.

(٤) شاكي السلاح: تام السلاح.

(٥) البطل: الشجاع. والمجرب: مجرب بالشجاعة وقهر الفرسان.

(٦) حيدرة: اسم الأسد. وكان عليّ ﷺ قد سمي أسدا فى أول ولادته. وكان مرحب قد رأى فى المنام أن أسدا يقتله.فذكره عليّ ﷺ ذلك ليخيفه ويضعف نفسه.(شرح مسلم: ج٦ ص٤٢٥).

(٧) الغابات: جمع غابة: الشجر الملتف. وتطلق على عرين الأسد. والعرين: مأوى الأسد.

(٨) السندرة: مكيال واسع. والمراد أقتل الأعداء قتلا واسعا ذريعا.

(٩) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذى قرد (٣٢ /١٣٢/٤٥).

□ حماية قبر بحماية خيمة

لما رجع رسول الله من خيبر أعرس بزوجته صفية فى قبة[1] ضربت فى الصهباء[2]. فبات ليلة زفافه أبو أيوب الأنصارىّ ﷺ، متوشحا سيفه، يحرسه ويطوف بتلك القبة حتى أصبح رسول الله ﷺ. فلما رأى بمكان ابى أيوب قال: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى.[3]

ثم مضى على هذه الدعوة أعوام بعد أعوام؛ بل مضى عليها أكثر من أربعين سنة. فتوفي أبو أيوب ﷺ بأرض الشام غازيا سنة خمسين من الهجرة.[4] وكان ﷺ فى جيش يزيد بن معاوية فى عهد أبيه معاوية ﷺ حين غزا القسطنطينية فدفن هناك.[5] وكان قد أوصى أن يدفن فى أقرب موضع من مدينة الروم[6] وقال: إذا مت فأدخلونى فى أرض العدو، فادفنونى تحت أقدامكم حيث تلقون العدو.[7]

فسألتهم الروم صبيحة دفنهم أبا أيّوب: لقد كان لكم الليلة شأن؟ قالوا: هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا وأقدمهم إسلاما؛ وقد دفناه حيث رأيتم.[8] فقالت الروم ليزيد: ما أحمقك وأحمق من أرسلك؟! أأمنت أن ننبشه بعدك فنحرق عظامه؟ فحلف لهم يزيد: 'لئن فعلوا ذلك ليهدمنّ كل كنيسة بأرض العرب وينبشنّ قبورهم.' فحينئذ حلفوا له بدينهم: لَيُكرِمُنَّ قبرَه وليُحَرِّمَنّه ما استطاعوا.[9] فقبره هنالك يستسقى به الروم إذا قحطوا.[10] فتلك إجابة دعوة رسول الله ﷺ بحماية أبى أيوب ﷺ قبل نصف قرن فى غزوة خيبر.

---

(١) القبة: الخيمة.

(٢) الصهباء: موضع على بريد من خيبر (فتح البارى: ج٧ ص٤٨٠).

(٣) السيرة الحلبية (ج٣ ص٤٤).

(٤) تهذيب الأسماء للنووىّ (ج٢ ص٤٦٩).

(٥) أسد الغابة (ج٥ ص٢٥).

(٦) السيرة الحلبية (ج٣ ص٤٤).

(٧) البداية والنهاية (ج٨ ص٧٦).

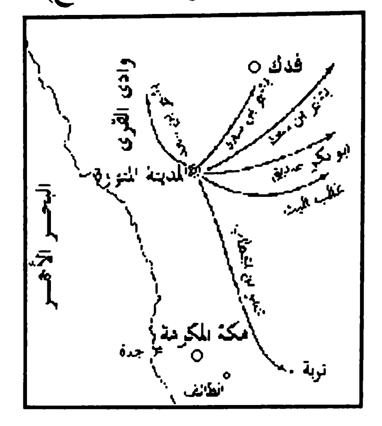
(٨) أسد الغابة (ج٥ ص٢٥).

(٩) السيرة الحلبية (ج٣ ص٤٤).

(١٠) البداية والنهاية (ج٨ ص٧٦) وأسد الغابة (ج٥ ص٢٥) والسيرة الحلبية (ج٣ ص٤٤).

سريات بين غزوة خيبر وعمرة القضاء

(شعبان – شوال سنة سبع)



١. سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه (فى شعبان) إلى تربة[1] فى ثلاثين رجلا فالقوم هربوا فلم يلق بها أحدا.[2]

٢. سرية أبي بكر رضي الله عنه (فى شعبان) إلى فزارة بنجد، فسبى منهم وقتل منهم.[3]

٣. سرية بشير بن سعد الأنصارىّ (فى شعبان) إلى بنى مرة بفدك فى ثلاثين رجلا. فقُتِلوا وارتُثَّ بشير فى القتلى ثم رجع إلى المدينة.[4]

٤. سرية غالب بن عبد الله الليثىّ (فى رمضان) إلى ميفعة،[5] فى مائتين وثلاثين رجلا. فهجموا على أهلها. فقتلوا بعضهم واستاقوا نعمهم وشياههم إلى

---

(١) تربة: واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها.
(٢) المواهب اللدنية (ج١ص٥٣٧).
(٣) المصدر المذكور.
(٤) الكامل (ج٢ ص١٥٣) والمواهب (ج١ص٥٣٧). اُرتُثَّ: حُمل من المعركة رثيثا. أى جريحا وبه رمق. اهـ قاموس.
(٥) ميفعة: على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد.

المدينة.[1]

٥. سرية بشير بن سعد (فى شوال) إلى يُمنٍ وجبار[2] فى ثلاثمائة رجل. وكان بها جمع قد تجمعوا للإغارة على المدينة تحت عيينة بن حصن. فأصاب المسلمون نعما وقتلوا مولى لعيينة. ثم لقوا القوم فهزموهم.[3]

عمرة القضاء

(ذو القعدة سنة سبع)

كان رسول الله ﷺ قد قاضى قريشا عام الحديبية على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفا ولا يقيم بمكة إلا ثلاثة أيام.[4] فخرج من المدينة فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة، بمن صُدَّ معه فى الحديبية[5] لعمرة القضاء،[6] بعد أن استخلف على المدينة أبا رُهم الغفارىّ رضي الله عنه[7] وخرج معه آخرون معتمرين. وهم ألفان سوى النساء والصبيان.[8] وساق ستين بدنة وقاد مائة فرس وحمل معه

---

(١) المواهب (ج١ص٥٣٨). والنعم هنا الإبل.

(٢) اليمن: (بضم فسكون) اسم ماء. والجَبَارُ (بالفتح، نحو جناب) اسم جبل وهما؛ من مساكن غطفان.

(٣) راجع الكامل (ج٢ ص١٥٣).

(٤) راجع صحيح البخارى (٦٤/٤٣/٤٢٥١-٤٢٥٢).

(٥) فلم يتخلف منهم إلا من استشهد بخيبر أو مات (راجع المواهب اللدنية: ج١ص٥٤٠).

(٦) ولها أربعة أسماء: عمرة القضاء والقضية والقصاص والصلح. فالمراد بالقضاء والقضية الفصل الذى وقع عليه الصلح. وأما تسميتها قصاصا فلما قيل إن قوله تعالى: 'والحرمات قصاص' نزلت فيها. وقال السهيلىّ سميت عمرة القضاء لأنه قاضى فيها قريشا، لا لأنها قضاء عن العمرة التى صد عنها، لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة. وقال آخرون :بل كانت قضاء عن العمرة الأولى. وهذا الخلاف مبني على الاختلاف فى وجوب القضاء على من اعتمر فصُد عن البيت. فقال الجمهور: يجب عليه الهدي دون القضاء وعن أبي حنيفة عكسه (راجع فتح البارى: ج٧ ص٥٠٠).

(٧) المواهب اللدنية (ج١ ص٥٤١).

(٨) فتح البارى (ج٧ ص٥٠٠).

السلاح[1] حَذَرا من غدر قريش.[2] وأحرم بذى الحليفة. ثم لما قرب من الحرم وضع السلاح فى 'بطن يأجج'[3] وخلف عليه مائتى رجل من أصحابه. ودخل مكة على ناقته القصواء، وقد أحدق به المسلمون متوشحين[4] سيوفهم وهم يلبون.[5]

خرجت أشراف قريش إلى رؤوس الجبال حتى لا يروا المسلمين يطوفون بالبيت.[6] وقالوا: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب.[7] فأمر أصحابه بالرمل فى الأشواط الثلاثة من طوفاتهم ليرى المشركون قوتهم.[8] ثم لما طافوا وسعوا وتحلّلوا أمر ناسا منهم أن يذهبوا إلى بطن يأجج فيقيموا على السلاح حتى يأتي من كان بها فيقضوا نسكهم. وأقام رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ثم انصرف إلى المدينة.[9]

وبهذا تحقق ما رأى فى منامه قبل سنة كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[10]

---

(١) المواهب (ج١ ص٥٤١)
(٢) فتح البارى (ج٧ ص٥٠٠).
(٣) بطن يأجج: (كينصر) موضع بقرب مكة.
(٤) متوشحين سيوفهم: متقلديها، أى واضعين حمائلها على مناكبهم.
(٥) راجع المواهب مع شرح الزرقانى (ج٣ ص٣١٤-٣١٧).
(٦) المصدر المذكور (ج٣ ص٣١٦).
(٧) فأطلعه الله تعالى على ما قالوا. وهنتهم (بتخفيف الهاء وتشديدها) أضعفتهم(فتح البارى: ج٧ ص٥٠٩).
(٨) راجع صحيح البخارى (٦٤/٤٣/٤٢٥٤).
(٩) المواهب اللدنية (ج١ ص٥٤٤).
(١٠) سورة الفتح: ٢٧

غزوة ذات الرقاع

(سنة سبع من الهجرة[1])

بلغ رسول الله ﷺ أن بنى محارب وبني ثعلبة من قبائل غطفان بنجد قد جمعوا الجموع لمحاربتهﷺ.[2] فخرج إليهم، بعد أن استخلف على المدينة أبا ذر

---

(١) وفى تاريخ هذه الغزوة خلاف بين العلماء فعند ابن اسحاق: قبل الخندق سنة أربع؛ وعند ابن سعد وابن حبان: سنة خمس؛ ومال البخارى إلى أنها بعد خيبر. واستدل عليه بوجوه. راجع أوجز المسالك شرح موطأ مالك(ج ٤ ص ١٣) وعلى الأول أكثر أهل السير والمغازى. ورجح الثاني الإمام النووىّ فى شرح مسلم(ج٣ ص٣٩١)، ورجح الثالث الحافظ العسقلانى فى فتح البارى (ج٧ ص٤٢٣) لوجوه تأتي:

الأول: لا خلاف فى أنه ﷺ لم يصل صلاة الخوف فى الخندق كما اتفقوا أنه صلاها فى ذات الرقاع؛ وإنما الخلاف فى أن أول صلاة صلاها صلاة الخوف هل هى فى عسفان أو ذات الرقاع. فظاهرأنها لم تشرع قبل الخندق. والخندق سنة خمس فلا تكون ذات الرقاع سنة أربع.

والثانى: أن أبا موسى الأشعرىّ ﷺ قد شهد ذات الرقاع كما فى البخارى(٣١/٦٤/ ٤١٢٨) وإنما كان قدومه على رسول الله ﷺ من الحبشة بعد وقعة خيبر سنة سبع كما يستفاد من البخارى (٣٨/٦٤/٤٢٣٠ـــ ٤٢٣٣) والثالث: أن أبا هريرة ﷺ إنما جاء إلى رسول الله ﷺ فأسلم والنبيّ ﷺ بخيبر. راجع صحيح البخارى (٣٨/٦٤/٤٢٠٣) وفتح البارى (ج ٧ ص ٤٧٣) ومع ذلك شهد غزوة ذات الرقاع كما فى البخارى (٣١/٦٤/٤١٣٧)

والرابع: أن جابرا ﷺ قال: إن النبي ﷺ صلى بأصحابه فى الخوف فى غزوة السابعة ـــ غزوة ذات الرقاع كما فى البخارى (٣١/٦٤/٤١٢٥) 'والسابعة' إما أن يكون معناها السنة السابعة؛ فالمقصود ظاهر؛ وإما أن يكون السفرة السابعة من الغزايا الثمان التى وقع فيه القتال. فالمطلوب أيضا ظاهر. ولا جائز أن يكون المراد بها سفرته السابعة مطلقا. فإن السابعة من الغزوات تقع حينئذ قبل أحد. ولم يذهب أحد إلى أن ذات الرقاع قبل أحد. راجع فتح البارى (ج٧ ص٤٢٠،٤١٨-٤٢٣) وعمدة القارى (ج٦ ص٢٥٧،٢٥٦) وأوجز المسالك (ج٤ ص٦-١٣). وقال بعضهم إن غزوة ذات الرقاع مرتان: مرة سنة أربع ومرة بعد الخندق جمعا بين الروايات. فعلى هذا شرعت فى ذات الرقاع الأولى صلاة الخوف لا صلاة شدة الخوف ففى الخندق لم يستوفروا شرط صلاة الخوف وهو الأمن من هجوم العدوّ. وصلاة شدة الخوف التى تودّى عند التحام القتال أو خوف هجوم العدو إنما شرعت بعد الخندق فلذا أخرﷺ الصلاة فى غزوة الخندق عن وقتها. راجع السيرة الحلبية (ج٢ ص٣٢٣) وأما تسمية الأولى بذات الرقاع فلأنهم رقّعوا فيها راياتهم أو لشجرة كانت بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع. راجع ابن هشام (ج٣ ص٢١٤).

(٢) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٧٠).

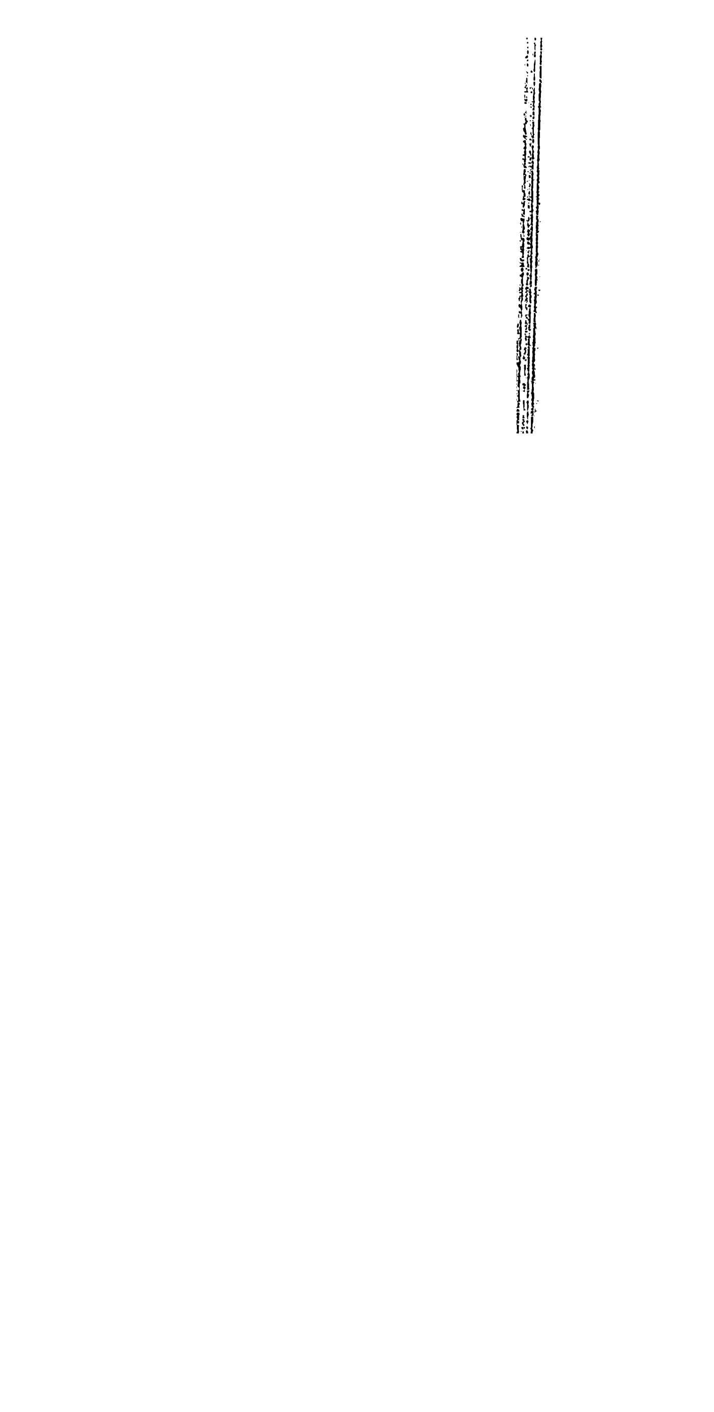
الغفارىّ ﷺ[1] فى أربعمائة من أصحابه.[2] وكان فيهم أبو موسى الأشعرىّ ﷺ وأصحابه. فكان ستة منهم يتناوبون بعيرا. فنقبت أقدامهم حتى سقطت أظفار أبى موسى. فلفوا على أرجلهم الخرق.[3] فسميت هذه الغزوة غزوة ذات الرقاع.[4] فلقي رسول الله ﷺ بنجد جمعا عظيما من غطفان. فتقارب الجمعان وقد خاف بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف. ولكن لم يقع قتال بين الفريقين.[5]

كان المسلمون قد أصابوا منهم نسوة قبل اللقاء فحلف زوج واحدة منهن: لا ينتهى حتى يهريق فى أصحاب رسول الله ﷺ دما. فخرج يتتبع أثره ﷺ، حتى إذا نزل رسول الله ﷺ عند مرجعه فى شعب واد قال: من يكلؤنا ليلتنا هذه؟ فانتدب لذلك عمار بن ياسر المهاجرىّ وعباد بن بشر الأنصارىّ. فاختار عمار لحراسته آخر الليل وعباد أوله. ففى أول الليل نام عمار؛ وقام عباد يصلى فأتى ذلك الرجل الحالف ورمى عبّادا بسهم. فنزعه عباد وواصل صلاته، فرماه بسهم آخر، فنزعه وواصل صلاته، ثم رماه بثالث فنَزعه وأتم صلاته. ثم أيقظ صاحبه فلما علم الرامى أنهما قد علما بمكانه هرب.

فحينما رأى عمار ما بصاحبه من الدماء قال: سبحان الله: أفلا أهْبَبْتَنى أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة أقرأها. فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها. فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك.[6] وأيم الله، لولا أنى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسى.[7]

---

(١) أو عثمان بن عفان. ابن هشام (ج٣ ص٢١٤).
(٢) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٧٠).
(٣) راجع صحيح البخارى (٤١٢٨/٣١/٦٤).
(٤) هذا هو الصحيح فى سبب تسميتها (شرح مسلم للنووى: ج٣ ص٣٩١).
(٥) ابن هشام (ج٣ ص٢١٤).
(٦) ابن هشام (ج٢ ص٢٢٠-٢٢١).
(٧) السيرة الحلبية (ج٢ ص٢٧٢).



السنة الثامنة

الحدث	التاريخ
١. سريات قبل معركة مؤتة	صفر، ربيع الأول
٢. معركة مؤتة	جمادى الأولى
٣. سرية ذات السلاسل	جمادى الآخرة
٤. سرية الخبط	رجب
٥. غزوة فتح مكة	رمضان
٦. غزوة حنين	شوال
٧. غزوة الطائف	شوال
٨. إسلام صفوان	ذو القعدة
٩. إسلام هوازن	ذو القعدة
١٠. عمرة الجعرانة	ذو القعدة

وفى ذى الحجة من هذه السنة ولد إبراهيم بن محمد رسول الله ﷺ من مارية القبطية رضى الله عنهما.

سريات قبل معركة مؤتة

(صفر، ربيع الأول سنة ثمان)

١. سرية غالب بن عبد الله الليثىّ رضى الله عنه (فى صفر) – فى بض عشر رجلا إلى بنى المُلوَّح بالكديد[١]. فهجموا عليهم[٢] لـيلا فقتلـوا وسـ واستاقوا نَعمهم. فجاء على إثرهم ما لا قِبَل لهم به من الجيش ففوجئوا[٣] فى وا قديد بسيل حال بين الفريقين حتى صار المشركون ينظرون وهم لا يقدرون.

٢. سرية غالب بن عبد الله الليثىّ رضى الله عنه (فى صـفر) – فى مـ رجل إلى بنى مرة بفدك[٤]. فأحاطوا بالعدو وقاتلوهم فقتلوهم واستا قوا نعمهم.

٣. سرية شجاع بن وهب الأ سدى رضي الله عنه (فى ربيع الأول) – ـ رأس أربعة وعشرين مقاتلا إلى جمع[٥] من هوازن. فأصابوا نعما كثيرة. ولم يمضـ فى طلب العدو حيث نهاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك.

٤. سرية كعب بن عمير الغفارىّ رضى الله عنه(فى ربيع الأول) – ومع خمسة عشر رجلا إلى ذات أطلاح[٦] من أرض الشام يدعوهم إلى الإسلام.فقتـ القوم أفراد السرية جميعا بعد معركة شديدة إلا أن كعب بن عمير نجا فرجع سـ إلى المدينة.[٧]

---

(١) موضع بين الحرمين بين عسفان وقديد على اثنين وأربعين ميلا من مكة.

(٢) أى هجم المسلمون على بنى الملوح.

(٣) أى فوجئ هذا الجيش العظيم الذى جاء على إثر المسلمين.

(٤) قرية بينها وبين المدينة ستة أميال؛ وهنا أصيب أصحاب بشر بن سعد من قبل.

(٥) وهم بنو عامر بالسِّيء ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة – وبنو عامر بطن م قبيلة هوازن شرقىّ الطائف.

(٦) موضع وراء وادى القرى.

(٧) انظر السيرة الحلبية (ج٣ ص١٨٨–١٩٠) وسيرة زينى دحلان(ج٢ ص٢١٧–٢٢٣).

معركة مؤتة[1]

التاريخ	: جمادى الأولى ، سنة ثمان
المسلمون	: ثلاثة آلاف (٣٠٠٠)
قائدهم	: زيد بن حارثة ﷺ
شهدائهم	: اثنا عشر رجلا (١٢)
الكفار	: مائتا ألف (٢٠٠٠٠٠)
قائدهم	: تِيُودور(Tudor) أخو هرقل
قتلاهم	: خلق كثير

كانت بلاد الشام تحت سيطرة قيصر، ملك الروم. وكان على هذه البلاد أمراء من جهته. وكان رسول الله ﷺ قد كتب إلى قيصر وأمرائه يدعوهم إلى الإسلام. فبعث الحارث بن عمير الأزدىّ ﷺ بكتابه إلى أمير بصرى فقتله بمؤتة شرحبيل بن عمرو الغسانى. وكان شرحبيل من أمراء قيصر بالشام. فجهّز رسول الله ﷺ إلى مؤتة، حيث قتل رسوله، فى جمادى الأولى، سنة ثمان من الهجرة، جيشا قوامه ثلاثة آلاف،[2] وقال: "زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم".[3]

خرج الجيش من المدينة يوم الجمعة.[4] فودع الناس أمراء الجيش فبكى عبد

---

(١) هذه المعركة سرية حيث لم يشهدها رسول الله ﷺ (السيرة الحلبية: ج٣ ص٧٠). ولكن سماها بعض المورخين والمحدثين بالغزوة لكثرة جيش المسلمين. (سيرة زينى دحلان: ج٢ ص٢٢٣). ومؤتة [بالوجهين] – مؤتة بالهمز، وموتة بلا همز (انظر فتح البارى: ج٧ ص٥١٠): قرية قرب الكرك من عمل البلقاء بالشام على مرحلتين من بيت المقدس؛ بينها وبين المدينة مائة وألف كيلو متر تقريبا.

(٢) انظر فتح البارى (ج٧ ص٥١١).

(٣) رواه البيهقى فى الدلائل (ج٤ ص٣٦١-٣٦٢).

(٤) ابن كثير (ج٤ ص٢٨٣).

الله بن رواحة قال: "أما، والله، ما بى حب الدنيا ولا صبابة[١] بكم، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[٢] فلست أدرى كيف لى بالصدَر[٣] بعد الورود؟"[٤] وخرج رسول الله ﷺ مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فقال: "أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا؛ أغزوا باسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام؛ وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ولا كبيرا فانيا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء".[٥]

ولما بلغ الجيش 'معانا' من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد جمع لهم مائتى ألف – مائة ألف من الروم ومائة ألف من العرب المتنصرة. فتشاوروا فيما بينهم أيطلبون من رسول الله ﷺ مددا أم يقدمون على الحرب.[٦] فقال عبد الله بن رواحة: "ما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به. فانطلقوا فإنما هى إحدى الحُسْنَيَيْنِ – إما ظهور وإما شهادة".[٧] فاشتدت حماسة المسلمين وتحركوا لملاقاة الأعداء حتى وصلوا إلى مؤتة حيث التقت ثلاثة آلاف بمائتى ألف. فدامت هذه المعركة سبعة أيام.

فلما التقى الناس حمل الراية القائد الأول زيد بن حارثة رضي الله عنه[٨] فقاتل حتى قتل. فحملها القائد الثانى جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه وهو يقول:

يا حبّذا الجَنّةُ واقترابُها طيِّبة باردةٌ شرابها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها عليّ إن لا قيتُها ضِرابُها[٩]

---

(١) صبابة : الشوق والولع الشديد.
(٢) سورة مريم : ٧١
(٣) الصدر: الرجوع.
(٤) ابن كثير (ج٤ ص٢٨٢).
(٥) السيرة الحلبية (ج٣ ص٦٦) وسيرة زينى دحلان (ج٢ ص٢٢٤).
(٦) فأقاموا بمعان ليلتين يتفاوضون ويشاورون
(٧) انظر ابن كثير(ج٤ ص٢٨٣، ٣٠١)
(٨) زيد بن حارثة رضي الله عنه: هو مولى رسول الله ﷺ وأول من أسلم من الموالى.
(٩) دلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٣٦٣) وفى ابن كثير (ج٤ ص٢٨٥) وابن هشام(ج٣ ص٤٣٤)

فقاتل جعفر مقبلا غير مدبر حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله فقطعت فاحتضن[1] الراية بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[2] فوجدوا فى مقدّم جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية وضربة.[3] وعرض عليه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما الماء ، فقال : "إنى صائم، فضعه فى ترس عند رأسى فإن عشت حتى تغيب الشمس أفطرت" فاستشهد صائما قبل غروب الشمس.[4]

فلما قتل جعفر حملها القائد الثالث عبد الله بن رواحة فتقدم وهو يقول:

يا نفسِ إن لا تُقتَلِي تَموتِي   هذا حِمَام الموت[5] قد صَليتِ

وما تَمنَّيتِ فَقدْ أُعطِيتِ   إن تَفعَلِى فِعْلَهُما[6] هُدِيتِ[7]

فقاتل الأعداء حتى قتل. ثم اصطلح الناس على خالد بن الوليد. فأخذ الراية وقاتل يومه؛ فانحاز بجيشه فلما أصبح فى الغد غَيّر نظمَ الجيش، فجعل ساقته مقدمته وميسرته ميمنته، وتقدم بهم، فظنت الروم أن المسلمين جاءهم المدد فرعبوا وانهزموا. فلم يتبعهم خالد لكثرتهم ولقلة المسلمين[8].ودفنوا يومئذ زيدا وجعفرا وابن رواحة رضي الله عنهم فى حفرة واحدة.[9] ولم يقتل من المسلمين فى هذه المعركة الساحقة إلا اثنا عشر مسلما حينما قتل من العدو خلق كثير.[10]

لقد ظهرت فى هذه الموقعة معجزات باهرة. منها استشهاد هؤلاء الأمراء الثلاثة – زيد وجعفر وعبد الله ، على الترتيب الذى ذكره رسول الله ﷺ . ومنها

زيادة مصراع بين مصراعى البيت الأخير وهو: 'كافرةٌ بعيدةُ أنسابُها'.

(١) احتضن الراية: أخذها بحضنه. والحضن ما تحت العضد.

(٢) ابن هشام (ج٣ ص٤٣٤).

(٣) انظر صحيح البخارى (٤٢٦٠،٤٢٦١/٤٤/٦٤).

(٤) السيرة الحلبية (ج٣ ص٦٩).

(٥) حمام الموت: الموت المقدر.

(٦) أى فعل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما.

(٧) ابن هشام (ج٣ ص٤٣٥)، وابن كثير (ج٤ ص٢٨٥).

(٨) انظر فتح البارى (ج٧ ص٥١٤) ودلائل النبوة للبيهقى (ج٤ ص٣٦٩-٣٧٠).

(٩) فتح البارى(ج٧ ص٥١١). وقبرهم مشهور بأرض مؤتة من الشام على نحو مرحلتين من بيت المقدس رضى الله عنهم (تهذيب الأسماء للنووى: ج١ ص١٥٥).

(١٠) ابن كثير (ج٤ ص٣٠١) وفتح البارى(ج٧ ص٥١٦).

أنه وصف المعركة بالمدينة، ومؤتةُ ببُعْد بَعيدٍ بالشام. فلماالتقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام؛ فهو ينظر إلى معتركهم.[1] فنعاهم رسول الله ﷺ إلى الناس قبل أن يجيء الخبر. قال: وعيناه تذرفان: "أخذ الراية زيد فأصيب؛ ثم أخذها جعفر فأصيب؛ ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب. ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم".[2] وقد انْدَقَ بيد خالد يومئذ تسعة أسياف.[3]

سرية ذات السلاسل

(جمادى الآخرة، سنة ثمان من الهجرة)

بعث رسول الله ﷺ عمروبن العاص رضي الله عنه (فى جمادى الآخرة) فى ثلاثمائة، إلى ذات السلاسل[4] حيث يسكن أخوال أبيه - العاص بن وائل ليستنفر العرب إلى الإسلام،[5] ولقتال من أراد الإغارة على المدينة من قضاعة.[6] فلما دنا من العدو خاف من كثرتهم؛ فأمدّه رسول الله ﷺ بمائتين فى إمرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وكان فيهم أبو بكر وعمر[7] رضى الله عنهما. ولكن عَمرًا رضى الله عنه كان

---

(١) ابن كثير(ج٤ ص ٢٨٧).

(٢) أنظر صحيح البخارى (٦٤/ ٤٤/ ٤٢٦٢) ودلائل البيهقى (ج٤ ص٣٦٦) ظاهر هذا الحديث أن المسلمين هزموا جموع العدو، كما صرح المورخان الشهيران، الواقدى وموسى بن عقبة. ففى رواية الأول: "فرهبوا وانكشفوا منهزمين" وفى رواية الثانى:" فهزم الله العدو، وأظهر المسلمين". وأما ابن اسحاق فقد ذهب إلى أن خالدا إنما جاش بجيشه وحازهم حتى تخلص من العدو فقط. ورجح الأولَ (الظهور والفتح) الحافظ البيهقى فى دلائله (ج٤ ص٣٧٥). وجمع بين الاتجاهين الحافظ ابن كثير (ج٤ ص٢٨٩) بأن خالدا جاش بالمسلمين أولا حتى خلصهم من أيدى العدو. فلما أصبح وغير نظم الجيش توهم العدو أن ذلك مدد جاء المسلمين.فهزمهم المسلمون باذن الله.

(٣) صحيح البخارى (٦٤/٤٤/٤٢٦٦).

(٤) بفتح السين الأولى وكسر الثانية على المشهور موضع على حدود الشام وراء وادى القرى على عشرة أيام من المدينة. وتسمى هذه السرية سرية عمرو بن العاص.

(٥) دلائل النبوة للبيهقىّ (ج٤ ص٣٩٩).

(٦) سيرة الحلبي (ج٣ ص١٩٠).

(٧) دلائل البيهقى (ج٤ ص٣٩٨).

أحد دهاة العرب[1]، عارفا بمكائد الحرب. قال رسول الله ﷺ: إنى لأؤمّر الرجل على القوم، فيهم من هو خير منه، لأنه أيقظ عينا، وأبصر بالحرب.[2]

وصل المدد عمرا. فصاروا خمسمائة، فقاتلوا العدوّ، وهزموهم، واغتنموا بعض النعم[3]. ثم انصرفوا راجعين. فاخبروا رسول الله ﷺ، فيما أخبروا، بما نقموا به على أميرهم عمرو بن العاص ﷺ : أنه منع جيشه فى بعض الليالى الباردة من إيقاد النار، وأنه صلى بالناس متيمما وهو جنب، وأنه نهاهم عن اتباع العدو عند انهزامهم، فقال عمرو إنه نهاهم عن إيقاد النار لئلا يرى العدوّ قلّتهم، وعن اتباع العدو مخافة أن يكون لهم مدد من خلفهم ، وصلى متيمما من شدة البرد لقوله تعالى:[4] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[5]

سرية الخبط

(رجب، سنة ثمان من الهجرة)

بعث رسول الله ﷺ أباعبيدة بن الجراح ﷺ ومعه ثلاثمائة راكب قِبل ساحل البحر يرصدون عيرا لقريش[6] ويقصدون حيا من جهينة.[7] وكان ذلك بعد نكث قريش عهد الحديبية وقبل فتح مكة[8] فأقاموا نصف شهر ينتظرون العدو

---

(١) دهاة: جمع داه بصير بالأمر جيد الرأي، والمراد هنا جودة الرأى فى الحروب.

(٢) دلائل البيهقى(ج٤ ص٤٠٠).

(٣) المصدر المذكور (ص٤٠١).

(٤) النساء: ٢٩

(٥) انظر السيرة الحلبية (ج٣ ص١٩١) وابن كثير(ج٤ ص٣١٨). الآية التى نقلها عمرو هى فى الحلبية ' ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة' (البقرة: ١٩٥).

(٦) انظر صحيح البخارى (٤٣٦١/٦٥/٦٤).

(٧) انظر ما رواه مسلم فى صحيحه عن عبيد الله بن مِقسم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (٢١/٤/٣٤[١٩٣٥]). وهذا الحي من جهينة مسكنهم بالقَبَلِيّة مما يلى ساحل البحر بينهم وبين المدينة خمس ليال (طبقات ابن سعد).

(٨) انظر سيرة زينى دحلان (ج٢ ص٢٣٣).

فنفد ما عندهم من الزاد، وأصابتهم مجاعة شديدة حتى أكلوا الخبط[1] فألقى لهم البحر حوتا عظيما؛ وكان عنبرا ميتا[2]. فأقاموا هناك نصف شهر يأكلون منه.[3] فلما يئسوا من لقاء العدو انصرفوا إلى المدينة، ولم يلقوا كيدا.[4] فقال لهم رسول الله ﷺ هو رزق أخرجه الله لكم . فهل معكم من لحمه شيء؟ فتطعمونا.[5] فأتاه بعضهم بعضو فأكله[6] وتسمى هذه السرية سرية سِيف البحر[7] وسرية أبي عبيدة رضي الله عنه .

---

(١) الخبط : ورق السلم (فتح الباري ج٨ ص٧٩)الخبط : ما يتساقط من ورق الشجر بالخبط والنفض (المعجم الوسيط).

(٢) عنبر: Sperm Whale

(٣) انظر صحيح البخارى (٦٤/٦٥/٤٣٦١ــ٤٣٦٢).

(٤) طبقات ابن سعد.

(٥) صحيح مسلم (٣٤/٤/١٧[١٩٣٥]).

(٦) صحيح البخارى (٦٤/٦٥/٤٣٦٢).

(٧) السيف: ساحل البحر.

غزوة فتح مكة

(رمضان، سنة ثمان من الهجرة)

١. صورة مجملة لفتح مكة
٢. أسباب الغزوة
٣. التجهز لفتح مكة
٤. التوجه لصوب مكة
٥. يوم المرحمة لا يوم الملحمة
٦. دخول مكة
٧. دخول الكعبة
٨. أذان بلال على ظهر الكعبة
٩. مبايعة الرجال والنساء
١٠. عدل لايفرق بين الشريف والضعيف
١١. إزاحة الأوثان وإزالة الأصنام
١٢. كشف الأسرار
١٣. سعة الرحمة
١٤. أوبة المهدرين

صورة مجملة لفتح مكة

نقضت قريش عهد الحديبية حيث ظاهروا حلفاءهم بنى بكر على خزاعـ
حلفاء المسلمين حتى قُتِل من خزاعة ما يربو على العشرين. فشكت خزاعة رسو
الله ﷺ فوعدهم بالنصر. وأما قريش ففطنت لخطر الغدر؛ فأوفدوا أبا سـفيان إ
المدينة لإطالة مدة الصلح؛ لكن سفارته قد أخفقت فرجع خائبا إلى مكة.

أراد رسول الله ﷺ أن يفاجئ بجيشه مكة حتى يفتحها بلا قتـل ولا قتـا
فخرج بعشرة آلاف من أصحابه فى عاشر رمضان من السنة الثامنة. وعميـت[1]
الأخبار على قريش. فخرج أبو سفيان بن حرب مع حكيم بن حزام وبـديل بـ
ورقاء فى بعض الليالى يتحسسون الأخبار. فظفر بهم حـرس رسـول الله ﷺ بمـ
الظهران. فأسلموا بين يدى رسول الله ﷺ .

لما أراد ﷺ دخول مكة أمَّن أهلَها. فأسرع إليهم أبو سفيان؛ فنادى فيهم بهذ
الأمان . وأمر ﷺ أمراءه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم. وأمر خالد بن الوليـد رضي الله عنه أ
يدخل فى جماعة من أسفل مكة. فقابله بعض الناس بسيوفهم، فقاتلهم حـتى قُتـ
منهم ثمانية وعشرون رجلا ومن المسلمين رجلان. ودخل رسول الله ﷺ من أعل
مكة؛ فلم يلق مقاتلا ولا ممانعا.

فطاف البيت سبعا ثم دخله، فمحا ما كان فيه من الصور وكسر ما كـا
حوله من الأوثان. ثم خطب الناسَ، فقال لقريش: اذهبوا فأنتم الطلقاء. وأمر بلا
فأذن على ظهر الكعبة. ثم جلس ﷺ على الصفا، فجاءه النـاس يبايعونـه علـ
الإسلام. فتم بذلك فتح مكة وجعل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا.

ثم نادى منادى رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع ف
بيته صنما إلا كسره، ثم بعث السرايا لهدم الأصنام حول مكة. وأقام بمكة ثمانيـ
عشر يوما. ثم انصرف إلى حنين بعد أن استخلف على مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه. ث
انصرف من حنين إلى الطائف فبعد غزوة الطائف أتى الجعرانة حيث حبست غنائ
حنين؛ ففرقها بين الناس. ثم أحرم منها بالعمرة فدخل مكة لـيلا وأدى نسـكه

---

(١) عَمِيَتْ: خفيت.

فرجع من ليلته ثم ارتحل بأصحابه إلى المدينة. فقدمها لثلاث بقين من ذى القعدة.

أسباب الغزوة

كان بين خزاعة وبنى بكر دماء فى الجاهلية . تشاغل الناس عنها بالإسلام[١]. فلما كانت هدنة الحديبية دخلت بنو بكر فى عهد قريش ؛ وخزاعة فى عهد رسول الله ﷺ[٢] . ثم لم تلبث خزاعة أن تدخل فى الإسلام[٣] . وتمسّك المسلمون جميعا بشروط الهدنة . ولكن قريشا وحلفاءهم بادروا بالغدر . فلم تمض على العقد ثمانية عشر شهرا حتى وثبت بنو بكر على خزاعة بماء الوتير[٤]، ليصيبوا من خزاعة بالثأر القديم . فظاهرهم قريش على خزاعة، ظاهروهم سرّا بالسلاح والرجال، حتى قتل منهم ما يربوعلى العشرين .

خرج وفد خزاعة إلى المدينة يشكون ويستنصرون فقال وافدهم الأول عمروبن سالم الخزاعىّ:

يارب إنى ناشد محمدا حلفَ أبينا وأبيه الأتْلَدا[٥]

قد كنتم وُلْدا وكنّا والدا ثُمّتَ أسْلمنا فلمْ نَنْزِع يَدا[٦]

حتى قال عمرو:

هم بيّتونا بالوتير هُجّدا[٧] وقتّلونا رُكعا وسجدا[٨]

---

(١) حيث صار المشركون يدا واحدة على المسلمين.

(٢) راجع ابن هشام(ج٤ ص٤).

(٣) راجع شرح المواهب (ج٣ ص٣٨٣) والتاريخ الإسلامى لمحمود شاكر(ج٢ ص٣٢٧).

(٤) الوتير:ماء لخزاعة بقرب مكة.

(٥) ناشد: طالب ومذكر.والأتلد: القديم أوصاحب الجاه. فهو على الأول نعت حلف، وعلى الثانى نعت أبينا وأبيه.

(٦) لم ننْزع يدا: لم نترعها عن الوفاء والطاعة.

(٧) بيتونا : هاجمونا وقاتلونا بياتا (ليلا). هجدا: جمع هاجد وهو النائم أو المصلى ليلا.

(٨) راجع ابن هشام (ج٤ ص١٠).

سفارة أبي سفيان

وعد رسول الله ﷺ وفد خزاعة بالوفاء والنصر. وفطنت قريش لخطر الغدر؛ فأوفدوا أبا سفيان إلى المدينة . وكان رسول الله ﷺ قد أخبر بذلك قبل خروجه: 'كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة.' فلما قدم أبوسفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوَتْه. فقال : يا بنية، ما أدرى أرغبتِ بى عن هذا الفراش أو رغبت به عنى. فقالت: هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس؛ فما أحب أن تجلس على فراشه. فقال: يا بنية، والله، لقد أصابكِ بعدى شر.[1]

ثم كلم أبو سفيان رسول الله ﷺ فى العهد وإطالة مدته. فلم يردّ عليه شيئا.[2] ثم كلم أبو سفيان أبابكر ثم عمر ثم عليا ثم فاطمة رضى الله عنهم؛ لكن لم يظفر بشىء من الشفاعة؛ فطلب من عليّ ﷺ نصيحة. فقال: والله ما أعلم شيئا يغنى عنك؛ ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك . فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : "أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس". ثم انطلق راكبا على بعيره ، آيبا إلى بلده ، خائبا من رجائه. فلما قصّ على قريش قصته قالت: ويحك، مازادك الرجل (عليّ بن أبي طالب) على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلتَ. فقال: لا والله، ما وجدت غيرذلك.[3]

التجهّز لفتح مكة

أخفقت سفارة أبي سفيان، فاحتارت قريش فيما يفعلون، وعادوا فيما بينهم يتشاورون، وأراد رسول الله ﷺ أن يفاجئ بجيشه مكة حتى يفتحها بلا قتل ولا قتال. فأمرالناس بالجهاز كما أمرهم بالكتمان. ودعا الله تعالى فى ذلك:" اللهم خذ

---

(١) البداية والنهاية (ج٤ ص٣٢٥).

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٩) وابن هشام (ج٤ ص١٣).

(٣) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص٣٢٥-٣٢٦). فَأَجَرْتُ: أَمَّنْتُ من أَجَارَ يُجِيرُ

على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة". [١]

أجاب الله دعو ة نبيه، وأطلعه على ما كاد يكشف عن سره. وذلك أن حاطب بن أبي بلتعة ﷺ كان حليفا لقريش وما كان له فيهم قرابة. فخاف على أهله وولده بمكة. فأراد أن يصانع قريشا. فبعث إليهم امرأة بكتاب يعلمهم بجهازه ﷺ لقتالهم. وجعل لها عشرة دنانير على ذلك. فأتى رسول الله ﷺ الخبر بذلك من السماء. [٢] فبعث رسول الله ﷺ عليا والزبير ومعهما المقداد وأبو مرثد الغنوى ﷺ [٣] فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ. فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوامنها. [٤]

انطلق النفر على خيلهم على جناح السرعة حتى وجدوها بالروضة. قالت: ما معى كتاب. فقالوا: لتُخرجِنّ الكتاب أو لنُلقِيَنّ الثياب. فأخرجته من عِقاصها. [٥] فأتوا به رسول الله ﷺ. فقال ﷺ يا حاطب ماهذا؟ فتعذر بمرامه وقال إنه لم يفعله رضا بالكفر بعد الإسلام بل ليتخذ عند قريش يدا يحمون بها قرابته. فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله، دعنى أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه قد شهد بدرا. وما يدريك لعل الله اطّلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. [٦] فأنزل الله تعالى فى ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [٧]

التوجه لصوب مكة

خرج رسول الله ﷺ من المدينة بعشرة آلاف من أصحابه، اليوم العاشر من

---

(١) البداية والنهاية (ج٤ ص٣٢٧).
٢) راجع ابن هشام (ج٤ ص١٦) وفتح البارى (ج٧ ص٥٢٠-٥٢١).
٣) راجع فتح البارى (٧ ص٥٢٠).
٤) صحيح البخارى (٤٢٧٤/٤٦/٦٤) وخاخ: موضع بين مكة والمدينة (عمدة القارى: ج١٧ ص٢٧٤)، على بريد من المدينة (شرح المواهب: ج٣ ص٣٨٨).
٥) العقاص: ضفائر الشعر.
٦) راجع صحيح البخارى (٤٢٧٤/٤٦/٦٤).
٧) الممتحنة: ١

رمضان،سنة ثمان من الهجرة[1] بعد ما استخلف على المدينة أبا رهم الغفارى رضي الله عنه.[2] حتى إذا بلغوا الكديد[3] أفطر، وأفطر المسلمون.[4] وفى الطريق لقيه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث وصهره عبد الله بن أبى أمية.[5] فعفا عنهما فأسلما كما لقيه فى الطريق عمه العباس رضي الله عنه. وكان قد خرج من مكة بأهله وعياله مسلما مهاجرا.[6] فقال له: هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوتى آخر نبوة.[7]

فلما نزل المسلمون بمرّ الظهران[8] أمرهم رسول الله ﷺ فأوقدوا النيران؛ أوقدوا بأمره عشرة آلاف نار.[9] وكانت الأخبار قد عُمّيت عن قريش. فخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يتحسّسون الأخبار.[10] حتى إذا أتوا مرّ الظهران فإذاهم بنيران كنيران عرفة[11] فأفزعهم منظر هذه النيران. وزاد روعهم أن ظفرهم حَرَس رسول الله ﷺ فأجارهم العباس رضي الله عنه.[12] فأسلموا بين رسول الله ﷺ.[13] فلما أصبح أبو سفيان رأى

---

١) فتح البارى (ج٨ ص٤) ودلائل البيهقى (ج٥ ص٢٠). وكان ذلك يوم الأربعاء (المواهب مع الزرقانى: ج٣ ص٣٩٦) وعمدة القاري للعلامة العينى (ج١٧ ص٢٧٥) ودلائل البيهقى (ج٥ ص٢٥).

(٢) ابن هشام (ج٤ ص١٧). استخلفه على القضايا والأحكام وأما الصلاة فاستخلف عليها ابن أم مكتوم (زينى دحلان: ج٢ ص٢٤٧).

(٣) الكديد: ماء بين عسفان وقُدَيد.

(٤) صحيح البخارى (٤٢٧٦/٤٧/٦٤) ودلائل البيهقى (ج٥ ص٢٢) جامع الترمذى (١٦٨٤/١٣/٢٤).

(٥) هو أخو أم سلمة أم المؤمنين.

(٦) ابن هشام (ج٤ ص١٨) وابن كثير (ج٤ ص٣٣٢-٣٣٣) فرافق العباس جيش المسلمين وأرسل أهله وعياله إلى المدينة (الحلبية: ج٣ ص٧٨).

(٧) رواه الطبرانى (سيرة زينى دحلان: ج٢ ص٢٤٨).

(٨) مر الظهران: موضع على مرحلة من مكة ويسمى وادى فاطمة.

(٩) فتح البارى (ج٨ ص٧).

(١٠) ابن هشام (ج٤ ص١٨).

(١١) صحيح البخارى (٤٢٨٠/٤٨/٦٤).

(١٢) راجع فتح البارى (ج٨ ص٨) وابن كثير (ج٤ ص٣٣٤). وكان العباس قد خرج على بغلة رسول الله ﷺ لعله يجد أحدا يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ حتى يستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة.

(١٣) راجع فتح البارى (ج٨ ص٨).

المسلمين يتكففون لوَضوء رسول الله ﷺ. فقال: ما رأيت (ملكا قط)[1] كالليلة، ولا مُلك كسرى وقيصر. ولما رآهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال: يا عباس، ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه! قال: نعم، لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه.[2]

يوم المرحمة لا يوم الملحمة

رجع حكيم وبُديل رضي الله عنهما إلى مكة بعد أن اعتنقا الإسلام.[3] وأما أبوسفيان فلما أرادالانصراف قال رسول الله ﷺ 'يا عباس، احبسه بمضيق الوادي، عند خطم الجبل[4] حتى تمرّ به جنود الله فيراها.[5]' فمرت به القبائل على راياتها، كتيبة إثر كتيبة. فكلما مرّت عليه كتيبة سأل عنها فيقول: مالي ولبني فلان؟ حتى إذا مرّ به رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء[6] قال: مالأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة؛ والله، يا أبا الفضل[7]، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما. قال العباس : يا أبا سفيان، إنها النبوة.[8]

وكانت راية الأنصار بيد سعد بن عبادة ﷺ. فلما مر بأبي سفيان قال: 'اليوم يوم الملحمة؛ اليوم تستحل الحرمة' فلم يرتض رسول الله ﷺ بهذه المقالة.[9] قال: 'يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم يعزّ الله قريشا' وأخذ الراية من سعد

(١) وما في القوسين ثابت في دلائل البيهقي (ج٥ ص٤٠).
(٢) ابن كثير (ج٤ ص٣٣٧).
(٣) راجع فتح الباري (ج٨ ص٧).
(٤) الخطم: أنف الجبل.
(٥) ابن هشام (ج٤ ص٢٢).
(٦) وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها(ابن هشام: ج٤ ص٢٣) والخضراء هنا بمعنى السوداء أو السمراء.
(٧) أبو الفضل : كنية العباس ﷺ.
(٨) ابن هشام (ج٤ ص٢٢-٢٣).
(٩) مقالة سعد لأبي سفيان.

فدفعها إلى ابنه قيس رضى الله عنهما.[1]

دخول مكة

أهل مكة هم الذين طردوا، واضطهدوا رسول الله ﷺ، وآذوا أصحابه كل إيذاء، وقتلوا كثيرا منهم من أجل إسلامهم، وتآمروا على قتله حتى اضطرّ إلى مهاجرة قومه ووطنه إلى المدينة. ولكنه رسول الرحمة؛ فلم يرد بأعدائه النقمة، بل أراد بهم النصح والهداية، كما أراد فتح البلد الحرام بلا سفك الدماء. ومن أجل ذلك لما علم بغدرهم أرسل إليهم رجلا يخيرهم بين أن يدفعوا دية قتلى خزاعة أو يتبرّؤا من حلف بنى بكر أو ينبذوا عهد المسلمين. فأبوا إلا النبذ والحرب[2] فكان ذلك سبب خروجه ﷺ بجيشه إلى مكة.

ثم لما أراد رسول الله ﷺ دخول مكة أمَّن أهلها فقال: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فأسرع أبو سفيان فنادى بهذا الأمان فى أهل مكة.[3] وأمرﷺ أمراءه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم.[4] وأمر خالد بن الوليد فى قبائل من العرب أن يدخل مكة من أسفلها.[5] فقابله بعض الناس بسلاحهم فقاتلهم خالد ﷺ حتى انهزموا فقتل منهم ثمانية وعشرون رجلا[6] ومن المسلمين رجلان.[7] وأما رسول الله ﷺ فلم يلق

---

(١) راجع فتح البارى (ج٨ ص٩).

(٢) راجع شرح المواهب اللدنية للزرقانى (ج٢ ص٣٤٩).

(٣) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص٣٣٦-٣٣٧) وابن هشام (ج٤ ص٢٣،٢٢) وقوله ﷺ هنا من دخل دار أبى سفيان فهو آمن إلى آخره فهو من زيادة الإحتياط لهم فى الأمان وإلا فقد صالحهم بمر الظهران قبل دخوله مكة. راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٨٤).

(٤) البداية والنهاية (ج٤ ص٣٤٤) والبيهقىَ (ج٥ ص٦٢).

(٥) من ثنية كَدىً (كقوى بالقصر والتنوين – الحلبي): جبل بأسفل مكة.

(٦) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٨٣) وسيرة زينى دحلان (ج٢ ص٢٦٠) وفتح البارى (ج٨ ص١١) وهذه المقاتلة من خالد ﷺ لا تنافى كون مكة فتحت صلحا لأنه ﷺ صالحهم بمر الظهران قبل دخوله مكة. راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٨٤) والمشهور عن الشافعى أنها فتحت صلحا لأنها لم تقسم . راجع ابن كثير (ج٤ ص٣٥٢).

(٧) وهما حبيش بن الأشعر وكرزبن جابر الفهرى رضى الله عنهما.راجع صحيح البخارى (٤٢٨٠/٤٨/٦٤). وفى بعض الروايات قتل من المسلمين ثلاثة رجال.

مقاتلا ولا ممانعا. فاغتسل لدخول مكة ثم دخلها من أعلاها[١] فى وسط رمضان[٢] فاستشرفه الناس كأنه ملك فاتح. ولكنه ﷺ دخل عبدا شاكرا متواضعا متخشعا منحنيا متطأطئا حتى كاد ذقنه يمس رحله، وقد أردف على راحلته خادمه أسامة بن زيد، وهو يقرأ سورة الفتح.[٣] وكان دخوله مكة فى هذا اليوم بغير إحرام بإجماع المسلمين.[٤]

دخول الكعبة

أمر رسول الله ﷺ الزبير ﷺ برايته. فغرزها بالحجون.[٥] فنزل بها فى قبة ضربت له، ومعه زوجتاه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما[٦]. ثم أتى البيت فطاف به على راحلته ثم أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ﷺ. ففتح الكعبة فدخلها[٧]. فمحا ما كان فيها من الصور[٨] وكبر فى نواحيها.[٩] وصلى عند المقام وشرب من زمزم.[١٠] وطهر البيت من الأوثان. وكان حوله ثلاثمائة وستون

---

(١) من ثنية كَداء (كسحاب بالمد والتنوين): جبل بأعلى مكة. راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٨٥).

(٢) عمدة القارى للعينى (ج١٧ ص٢٧٧). فكان دخوله لست عشرة كما عند مسلم أو ثماني عشرة كما عند أحمد وفى رواية فى تسع عشرة أو سبع عشرة بالشك. فتح الباري (ج٨ ص٤) وفى رواية للبيهقى عن ابن شهاب وافتتح مكة لثلاث عشرة بقيت من رمضان (دلائل البيهقى ج٥ ص٢٤). والأول (أن دخوله لست عشرة كما عند مسلم) هو الأقرب بناء على الراجح المشهور أنه ﷺ أقام بمكة ثمانية عشر يوما وخرج منها إلى حنين سادس شوال. فإذا كان دخوله فى سادس عشر رمضان وخروجه فى سادس شوال تحقق بينهما ثمانية عشر يوما سوى يومي الدخول والخروج. وقال ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى فى ما روى ابن اسحاق عن جماعة من مشايخه أن الفتح كان فى عشر بقين من رمضان: 'فإن ثبت حمل على أن مراده أنه وقع فى العشر الأوسط قبل أن يدخل العشر الأخير'. فتح البارى (ج٨ ص٤).

(٣) راجع دلائل البيهقى (ج٥ ص٦٥-٧٤).

(٤) شرح مسلم (ج٦ ص٣٧٢).

(٥) الحجون: جبل بمعلاة مكة. وشعبه هو شعب أبي طالب حيث أقام رسول الله ﷺ مدة منابذة قريش قبل الهجرة.

(٦) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٨٥). والقبة: الخيمة.

(٧) ابن كثير (ج٤ ص٣٤٧).

(٨) من صور الملئكة والأنبياء وصورة مريم. كانت هذه الصور مرسومة على جدار الكعبة. راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٨٧).

(٩) ابن كثير (ج٤ ص٣٤٩) والسيرة الحلبية (ج٢ ص٨٥).

(١٠) السيرة الحلبية (ج٣ ص٨٨).

(٣٦٠) صنما. فصار يطعن كل صنم بقضيبه قائلا: 'جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا'.[١]

وقف رسول الله ﷺ على باب الكعبة فخطب الناس خطبة الفتح. فقال فيها: 'لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده؛ ألا كلُّ مأثُرةٍ[٢] أو دم أو مال يُدّعى فهو موضوع تحت قدميّ هاتين إلا سِدانة[٣] البيت وسقاية الحاج، وقال: يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نَخْوة[٤] الجاهلية، وتعظمها بالآباء. الناس من آدم وآدم من تراب.'' ثم تلا هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾[٥]

ثم قال رسول الله ﷺ: يا معشر قريش، ما تُرَون أني فاعل فيكم؟ قالوا، خيرا؛ أخ كريم وابن أخ كريم. قال: 'اذهبوا فأنتم الطلقاء' ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد. فقام إليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يارسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. فدعا ﷺ عثمان بن طلحة[٦]؛ فقال له: 'هاك مفتاحك يا عثمان؛ اليوم يوم برّ ووفاء'.[٧]

---

(١) ابن كثير (ج٤ ص٣٤٨-٣٤٩) وصحيح مسلم (٣٢/٣٢/٨٧[١٧٨١]).
(٢) المأثرَة: المكرمة المتوارثة.
(٣) سدانة البيت: خدمته.
(٤) النخوة: الكبر والفخر.
(٥) الحجرات: ١٣
(٦) وكان عثمان بن طلحة قدم المدينة فأسلم قبل فتح مكة مع خالد بن الوليد وعمروبن العاص رضي الله عنهم. راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٩٨) وشرح المواهب للزرقاني (ج٣ ص٤٧٢).
(٧) راجع ابن هشام (ج٤ ص٣١-٣٢) وابن كثير (ج٤ ص٣٤٨-٣٤٩) وعثمان بن طلحة رضي الله عنه قتل أبوه طلحة يوم أحد كافرا؛ وهاجر عثمان رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ . وكانت هجرته في هدنة الحديبية مع خالد بن الوليد فلقيا عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي يريد الهجرة فاصطحبوا جميعا فأسلموا. وشهد عثمان فتح مكة فدفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إليه وإلى شيبة بن عثمان. ثم نزل عثمان المدينة فأقام بها إلى أن توفي رسول الله ﷺ ثم انتقل إلى مكة

أذان بلال رضي الله عنه على ظهر الكعبة

أمر رسول الله ﷺ بلالا رضي الله عنه. فأذن على ظهر الكعبة.[1] وكان ذلك وقت الظهر.[2] وكان فى هذا الأذان إعلان بالفتح والانتصار؛ فإن هذا المؤذن كان فى هذه البلدة قبل سنوات يعذب فى الرمضاء بصخرة على صدره حيث قال: 'اشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله'. فهو اليوم قد يعلن بهذه الشهادة ببطن مكة بأندى صوت، فى أعلى مكان؛ كما كان فى هذا الأذان إيذان بمساواة بنى الإنسان بلا فرق بين بيض وسود. فإن هذا المؤذن رجل أسود قضى فى ذلة الرق عدة أعوام.

قرع مدى صوت الأذان جميع الآذان كما قرع صدى صوته جميع الأذهان. فأنكر بعض المشركين ما سمعوا من هتاف التوحيد، كما أنكر بعضهم ما رأوا من اعتلاء العبد الأسود على البيت العتيق. فكان أبو سفيان بن حرب وعَتّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوسا بفناء الكعبة. فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث: أما والله، لو أعلم أنه مُحِق لاتبعته. فقال أبو سفيان: 'لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا'. فأدهشهم أنهم فوجؤا برسول الله ﷺ يخبرهم بما تكلموا فيما بينهم. فقال عتاب والحارث: 'نشهد أنك رسول الله؛ ما اطلع على هذا أحد كان معنا'.[3] وقال بعض بنى سعيد بن العاص: لقد أكرم الله سعيدا إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة.[4]

فسكنها حتى توفي بها فى أول خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين. راجع عمدة القارى للعلامة العينى (ج١٨ ص٣٩،٣٨).

(١) ابن كثير (ج٤ ص٣٥١).

(٢) ابن الأثير (ج٢ ص١٧٢).

(٣) راجع ابن هشام (ج٤ ص٣٣) وابن كثير (ج٤ ص٣٥٠).

(٤) ابن كثير (ج٤ ص٣٥١). وقال جماعة نحو هذا القول ثم أسلموا وحسن إسلامهم رضى الله عنهم (الكامل: ج٢ ص١٧٢).

مبايعة الرجال والنساء

لما فرغ رسول الله ﷺ من طوافه ارتقى الصفا حتى نظر إلى البيت؛ فرفع يديه يحمد الله ويَدْعُوهُ بما شاء.[١] ثم جلس على الصفا[٢] يبايع الناس فجاءه الكبار والصغار والرجال والنساء يبايعونه على الإسلام. بايع الرجال أولا ثم النساء. وإنما كان يبايعهن بالكلام. وجعل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا. فقال رسول الله ﷺ هذا ما وعدنى ربى ثم قرأ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾.[٣] وجاء رسولَ الله ﷺ رجل عند مبايعته الناس فأخذته الرعدة فقال له: هوِّن عليك. فإنى لست بملك؛ إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد.[٤]

عدل لا يفرق بين الشريف والضعيف

سرقت امرأة مخزومية فى غزوة الفتح فأهم قريشا شأنها. فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؛ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة. فقال رسول الله ﷺ: أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف

---

(١) راجع صحيح مسلم (٣٢/٣١/٨٤[١٧٨٠]).
(٢) كما فى الحلبية (ج٣ ص٩٤) والكامل (ج٢ ص١٧١) ولكن فى دلائل البيهقى (ج٥ ص٩٤): أنه جلس للمبايعة عند قرن مسفلة. ومسفلة موضع بأسفل مكة.
(٣) سورة النصر ١-٣ أخرجه الحلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (ج٣ ص٩٧) فنزول سورة النصر على هذا قبل فتح مكة ويؤيده ما فى البحر المحيط: أنها نزلت منصرفه من غزوة خيبر (ج٨ ص٥٢٤) وسيأتي فى كتابنا هذا أنها نزلت فى حجة الوداع (ص٣٧٤) على ما رواه الحافظان البزار والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه (راجع تفسير ابن كثير ج٤ ص٦٠٠) ولكن قال الحافظ ابن رجب إن إسناده ضعيف جدا (راجع روح المعاني ج١٥ ص٤٩١) وعلى الأول كلمة 'إذا' على بابها وجوابها فسبح وعلى الثاني هي بمعنى إذ متعلقة بمحذوف تقديره: أكمل الله الأمر إذا جاء نصر الله إلخ (راجع حاشية الصاوي على الجلالين ج٤ ص٣٤٢).
(٤) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٩٤-١٠٣) القديد : اللحم المقطع المجفف (اللحم القديم اليابس)

ترَّره؛ وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها.[١]

إزاحة الأوثان وإزالة الأصنام

فتحت مكة ودخل الناس فى دين الله ونفضوا أيديهم عن عبادة الأوثان. ونادى منادى رسول الله ﷺ بمكة: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره". ثم بعث السرايا لهدم الأصنام، التى كانت حول مكة.[٢] فأرسل إلى مناة بالمشلّل[٣] سعدَ بن زيد الأشهلى ﷺ فى عشرين فارسا. فخرجت إلى سعد امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها. فضربها سعد حتى قتلها ثم هدم الصنم. وذلك لست بقين من رمضان.[٤] وأرسل إلى العزى بنخلة[٥] خالد بن الوليد ﷺ فى ثلاثين فارسا لخمس بقين من رمضان فهدمها. فلما رجع قال ﷺ: هل رأيت شيئا؟ قال: لا. قال: فإنك لم تهدمها. فرجع إليها خالد. فإذا هو بامرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس. فجعل السادن يصيح بها. فضربها خالد بسيفه فجزلها جزلتين.[٦] فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: 'نعم تلك العزى. وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا'. وأرسل إلى سواع[٧] عمرو بن العاص ﷺ فى جماعة من أصحابه فى رمضان نفسه. فلما هدمه قال سادنه: أسلمت لله.[٨]

---

(١) راجع صحيح البخارى(٦٤/٥٣/٤٣٠٤) وصحيح مسلم (٢٩/٢/٩،٨ [١٦٨٨]).
(٢) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٠٣).
(٣) مناة : صنم للأوس والخزرج بجبل المشلّل(ابن هشام: ج١ ص٩٠). والمشلل جبل على ساحل البحر يهبط منه إلى القديد[بقرب مكة](شرح المواهب ج٣ ص٤٩١).
(٤) المواهب اللدنية (ج١ ص٥٩٤) والسيرة الحلبية (ج٣ ص١٩٦).
(٥) ونخلة: موضع على ليلة من مكة. وكانت العزى صنما لقريش وبنى كنانة جميعا (المواهب اللدنية ج١ ص٥٩٣). وقال ابن هشام (ج٤ ص٦٤):كانت بيتا يعظمه هذا الحىّ من قريش وكنانة ومضر كلها.
(٦) جزلها جزلتين: قطعها قطعتين. وكانت هذه العجوز شيطانة خرجت من أصل العزى . وكانت العزى شجرة معبودة عند مجاهد، وأحجارا مسندة إلى الشجرة عند الضحاك. راجع شرح المواهب (ج٣ ص٤٨٧).
(٧) سُواع : صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة .
(٨) المواهب اللدنية (ج١ ص٥٩٣) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٩٦).

وأقام رسول الله ﷺ بمكة فى هذه الغزوة ثمانية عشر يوما يقصر الصلاة فى هذه المدة.[1] واستقرض من قريش بمكة مائة ألف وثلاثين ألفا من الدراهم ثم فرّقها على أهل الضعف من أصحابه.[2] وولّى ﷺ أمر مكة عتّاب بن أسيد ﷺ وعمره إذ ذاك احدى وعشرون سنة. وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة.[3] وترك بمكة معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعرىّ رضى الله عنهما يعلّمان القرآن والفقه فى الدين[4] وحج عتاب بالناس فى هذه السنة على ماكانت العرب تحج.[5]

كشف الأسرار

١- لما رأى الأنصار من رسول الله ﷺ يوم الفتح الرأفة بأهل مكة ظنوا أنه يختار المقام بمكة. فشق ذلك عليهم[6] فقالوا فيما بينهم: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة فى قريته (وكان رسول الله ﷺ حينئذ على الصفا يدعوالله تعالى[7]) فنزل الوحى عليه؛ فأخبرهم بمقالتهم. ثم قال: كلا؛ إنى عبدالله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليكم. والمحيا محياكم، والممات مماتكم[8]. فقالوا وهم يبكون: 'ما قلنا إلا ضِنّا[9] بالله ورسوله' قال: فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذِرانكم.[10]

---

(١) سنن أبي داود (٢/١٠[١٢٢٩]). وحسنه الترمذي لأن له شواهد. وصحت رواية عشرين وتسعة عشر وسبعة عشر. ويجمع بحمل عشرين على عد يومى الدخول والخروج وتسعة عشر على عد أحدهما وسبعة عشر أو خمسة عشر بتقدير صحتها على أنه بحسب علم الراوى. وغيره (أى غير هذا الراوى يعنى راوى ثمانية عشر) زاد عليه فقدّم (تحفة المحتاج بشرح المنهاج للعلامة ابن حجر الهيتمى: ج٢ ص٣٧٨).

(٢) استقرض من صفوان بن أمية خمسين ألفا ومن عبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبدالعزى كليهماأربعين ألفا(راجع دلائل النبوة للبيهقى: ج٥ ص٩٩).

(٣) السيرة الحلبية (ج٣ ص ١٠٥).

(٤) كما رواه الواقدى والحاكم . شرح المواهب (ج٤ ص٢٨).

(٥) الكامل (ج٢ ص١٨٥).

(٦) راجع شرح مسلم (ج٦ ص٣٧١).

(٧) وما بين القوسين من دلائل البيهقىّ (ج٥ ص٥٦).

(٨) فإخباره بمقالتهم وكذا إخباره عما يكون من موته بالمدينة كلاهما من معجزاته ﷺ. راجع شرح مسلم (ج٦ ص٣٧١).

(٩) ضنا: بخلا وشحا وحرصا. قال النووىّ: هو بكسر الضاد (ج٦ ص٣٧١) وقال الزرقانى: ولعله الرواية وإلا ففتحها لغة أيضا. (ج٣ ص٤٥٩).

(١٠) راجع صحيح مسلم (٣١/٣٢/٧٤-٧٦[١٧٨٠]). وقوله: يعذرانكم: (بكسر الذال) يقبلان عذركم.

٢- أراد فضالة[1] بن عمير الليثيّ قتل النبيّ ﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم فضالة، يا رسول الله، قال: ما ذا كنت تحدث به نفسَك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله عزوجل. فضحك النبيّ ﷺ ثم قال: استغفر الله. ثم وضع يده على صدره؛ فسكن قلبه؛ فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدرى؛ حتى ما من خلق الله شيء أحبُّ إليّ منه. فرجع فضالة إلى أهله فمَرّ بامرأة كان يتحدث إليها؛ فقالت: "هلم إلى الحديث"؛ فقال:لا. ثم انبعث يقول:

قالت:هلم إلى الحديثِ، فقلتُ:لا يأبى عليكِ اللهُ والإسلامُ[2]

٣- كان أبو سفيان قد تفوه بالإسلام ولم يطمئن قلبه بالإيمان. فجلس ذات يوم بعد الفتح يحدث نفسه: 'لو جمعت لمحمد جمعا' فبينما هو فى ذلك إذ ضرب النبيّ ﷺ بين كتفيه، وقال: 'إذا يخزيك الله' فرفع رأسه فإذا النبيّ ﷺ قائم على رأسه فقال: 'ما أيقنت أنك نبيّ حتى الساعة إن كنتُ لأحدث نفسي بذلك.'[3]

سعة الرحمة

قد عفا رسول الله ﷺ عن جميع أعدائه حين صارت أنفسهم فى قبضته ورقابهم تحت قدميه ولواستأصلهم جميعا لما كان ذلك ظلما وعدوانا. فإنهم الذين آذوه وأخرجوه وقاتلوه؛ كما آذوا وأخرجوا وقاتلوا أصحابه؛ بل قد قتلوا كثيرا من أصحابه من أجل تصديقه والإيمان به. فمع كل ذلك صفح عنهم صفحا جميلا، وعفا عنهم عفوا عميما. ولكن أهدر منهم نفرا سمّاهم حيث عظمت جرائمهم فأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة[4] وهم ثمانية رجال وأربع نسوة.[5]

---

(١) فضالة: بفتح الفاء.

(٢) ابن هشام (ج٤ ص٣٧) وابن كثير (ج٤ ص٣٥٥).

(٣) دلائل البيهقى (ج٥ ص١٠٢).

(٤) راجع البداية والنهاية (ج٤ ص٣٤٤).

(٥) راجع فتح البارى (ج٨ ص١١،١٢). هذا إذا جعلت المغنيتان المهدرتان اللتان سمّيتا فى بعض الروايات فُرْتَنى وقُرَيْبَة هما اللتين سميتا فى روايات أخرى أرنب وأم سعد على أن الاختلاف فى الاسم باعتبار اللقب والكنية وإلا تكن النسوة المهدرات ستا لا أربعا. راجع فتح البارى (ج٨ ص١٢) وشرح المواهب (ج٣ ص٤٢٧،٤٢٤).

ثم إن رسول الرحمة قد عفا عن هؤلاء المجرمين المهدرين جميعا حين أتوه تائبين، إلا أربعة[1] لم يسلموا ولم يستسلموا فحقت عليهم كلمة العذاب. وهم هؤلاء:

١ .عبد الله بن خَطل[2]: كان قد أسلم فأرسله رسول الله ﷺ مصدِّقا[3]. فلما نزل منزلا قتل غلامه المسلم لنومه عن صنع الطعام، ثم ارتد مشركا. وكان شاعرا يهجو رسول الله ﷺ[4]. وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ . فقتل بأمره ﷺ.[5] فأما القينتان فقتلت إحداهما وأسلمت الأخرى كما يأتي عن قريب.

٢. الحُويرث بن نُقيذ: كان يؤذى رسول الله ﷺ بمكة وينشد الهجاء فيه. وكان أيام الهجرة قد نخس[6] جَمل بنتى رسول الله ﷺ فاطمة وأم كلثوم رضى الله عنهما، حين حملهما عليه العباس ﷺ من مكة يريد بهما المدينة حتى سقطتا إلى الأرض. فلما كان يوم الفتح هرب الحويرث من بيته فقتله عليّ بن أبي طالب ﷺ حين لقيه.[7]

٣. مِقيَس بن صُبابة : كان أخوه هشام بن صبابة ﷺ قد قتله رجل من الأنصار فى غزوة بنى المصطلق خطأً. فجاء مِقيَس يظهر الإسلام ويطلب دية أخيه .

---

(١) وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمهم الحارث بن طلاطل الخزاعى، قتله عليّ. (فتح البارى: ج٨ ص١١) ولكن فى اسمه وسبب موته خلاف. فذكره ابن هشام (ج٢ ص١٦) فى عظماء المستهزئين باسم الحارث بن الطُّلاطِلَة (بضم الطاء الأولى وكسر الثانية وتاء التأنيث فى آخره) وقال الحلبي (ج١ ص٣١٩) عند عده المستهزئين: 'والحارث بن عيطلة وفي لفظ ابن الطلاطلة قال بعضهم وهو اشتباه لأن ابن الطلاطلة اسمه مالك لا حارث'. وفى شرح المواهب للزرقانىَ (ج١ ص٤٦٦) عن ابن اسحاق: أن الحارث هذا مرّ به النبيّ ﷺ فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فقتله كافرا. اهـ ولعل ذلك هو السبب لعدم ذكره من المهدرين غير أبي معشر اهـ.

(٢) وسماه بعضهم عبد العزى بن خطل ولعله لما أسلم غير اسمه فسمي عبد الله. راجع البداية والنهاية (ج٤ ص٣٤٤).

(٣) مصدّقا: آخذ صدقة النعم من الناس. (شرح المواهب: ج٣ ص٤٣٧).

(٤) السيرة الحلبية (ج٣ ص٩١).

(٥) راجع ابن هشام (ج٤ ص٢٩-٣٠).

(٦) نخس: طعن وأزعج. واسم هذا الناخس فى الأحكام السلطانية للماوردى (ص١٦٩) الحويرث بن نفيل بالفاء واللام.

(٧) السيرة الحلبية (ج٣ ص٩١) وابن الأثير (ج٢ ص١٦٩) وابن هشام (ج٤ ص٣٩) وابن كثير (ج٤ ص٣٤٤).

فأعطاه رسول الله ﷺ دية أخيه . ثم عدا مقيس على قاتل أخيه فقتله وخرج إلى مكة مشركا . فأنشد فيما أنشد :

حَلَلتُ به وِتْرِي وأدركتُ ثُؤرتي وكنتُ إلى الأوثان أوّلَ راجع(١).

فلما أهدره رسول الله ﷺ يوم الفتح قتله ابن عمه نُميلة بن عبد الله الليثي ﷺ وهو يشرب الخمر مستخفيا مع جماعته.(٢)

٤. قُرَيْبَة(٣): إحدى قينتى عبد الله بن خطل. كانت تغنى بهجاء رسول الله ﷺ وكان هذا الهجاء مما يصنعه سيدها ابن خطل.(٤)

أوبة المهدرين

فالباقون من المجرمين المهدرين كلهم استأمنوا واستسلموا؛ فأمنهم رسول الله ﷺ فأسلموا. وهم هؤلاء الثمانية:(٥)

---

(١) راجع ابن هشام (ج٣ ص٣٣٨،٣٣٧). الوِتر: الانتقام و طلب الثار. والثؤرة: الثأر. وأما قوله: وكنت إلى الأوثان أول راجع . فذلك فى زعمه فإنه لم يسلم باطنا وإنما أظهر الإسلام خدعة لأخذ ثار أخيه من قاتله. واسم الرجل فى الأحكام السلطانية مقيس بن حبابة بالحاء.

(٢) ابن الأثير(ج٢ ص١٦٩) وابن كثير(ج٤ ص٣٤٤) وابن هشام (ج٤ ص٢٩) والسيرة الحلبية (ج٣ ص٩١).

(٣) قريبة: بضم القاف مصغرا. (المواهب اللدنية: ج١ ص٥٧٢) وقال الصغانى: قريبة : بفتح القاف وكسر الراء. (شرح المواهب: ج٣ ص٤٢٣).

(٤) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٩١) والكامل (ج٢ ص١٧٠) وقع ذكر هذه المغنية فى بعض نسخ فتح البارى (ج٨ ص١١) باسم قرينة: بالنون بدل الباء.

(٥) فأما الحارث بن هشام وزهير بن أمية الذان أجارتهما أم هانئ بنت أبى طالب فقال رسول الله ﷺ "أجرنا من أجرت يا أم هانئ" فعدهما العلامة الحلبي فى المهدرين كما عد منهم صفوان بن أمية الذى استُأمِن له فأمنه رسول الله ﷺ (راجع السيرة الحلبية: ج٣ ص٩٣-٩٤) وعدّ ابن الأثير فى جملة المهدرين صفوان بن أمية وعبد الله بن الزِبَعرىَ الذى أتى رسول الله ﷺ معتذرا وأسلم (الكامل: ج٢ ص١٦٧-١٦٩) ولكن هؤلاء الأربعة ليسوا ممن أهدرهم رسول الله ﷺ بل هم من الذين ردّواأمان رسول الله ﷺ واستعدوا لحربه؛ فهربواعند الفتح خائفين على أنفسهم ثم استأمنوا فأُمنوا. راجع شرح المواهب للزرقانى(ج٣ ص٤٢٧).

١. عبد الله بن سعد(بن أبي سرح)ﷺ : كان قد أسلم وكتب الوحيَ لرسول الله ﷺ ثم رجع مرتدا إلى قريش. وكان يفترى على رسول الله ﷺ وعلى كتابه القرآن. فأُهدر يوم الفتح ففرّ خائفا إلى عثمان بن عفان ﷺ. وكان عثمان أخاه من الرضاعة فاستأمن له رسولَ الله ﷺ؛ فأعرض؛ فلم يزل به عثمان حتى أمنه؛ فأسلم وحسن إسلامه.(١)

٢. عكرمة بن أبي جهل ﷺ: كان كأبيه يؤذى رسول الله ﷺ ، وينفق على محاربته. وكان ممن جمع جيشا بالخندمة(٢) لمنع رسول الله ﷺ من مكة يوم الفتح حتى هزمهم خيل خالد ﷺ(٣). فلما سمع بإهدار دمه فرّ خائفا إلى اليمن. فاستأمنت له امرأته أم حكيم(٤) بعد أن أسلمت؛ فأمنه رسول الله ﷺ فخرجت فى طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم؛ وكان من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

٣ .هَبّار بن الأسود ﷺ : هو الذى آذى زينب بنت رسول الله ﷺ حتى وضعت حملها. وذلك أن أبا العاص بن الربيع زوج زينب رضى الله عنها كان فى أسرى بدر. فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يطلق زينب إلى المدينة. فأرسل ﷺ فى

---

(١) ولم يظهر منه ما ينكر عليه بعد ذلك وهو أحد النقباء العقلاء الكرماء من قريش وفارس بني عامر بن لؤيّ المعدود فيهم. ثم ولاّه عثمان بعد ذلك مصر سنة خمس وعشرين وفتح على يديه أفريقية سنة سبع وعشرين وغزا منها الأساود من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين و هادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم. وغزا الصواريَ من أرض الروم سنة أربع وثلاثين فلما رجع من وفاداته منعه ابن أبي حذيفة من دخول الفسطاط فأقام بعسقلان حتى قتل عثمان ﷺ وقيل بل أقام بالرملة فارّا من الفتنة ودعا ربه. فقال: اللّهم اجعل خاتمة عملى صلاة الصبح فتوضأ ثمّ صلى فقرأ فى الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات وفي الثانية بأمّ القرآن وسورة ثمّ سلم عن يمينه ثمّ ذهب يسلم عن يساره فقبضه الله روحه اهـ ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ج٩ ص١٧٦) والذهبي فى سير أعلام النبلاء (ج٣ ص٣٥) [راجع تفسير القرطبي (ج٧ ص٣٨]

(٢) الخندمة: (بخاء معجمة ونون) جبل بأسفل مكة. (شرح المواهب: ج٣ ص٤١٥ والحلبية: ج٣ ص٨٣).

(٣) راجع ابن هشام (ج٤ ص٢٦).

(٤) بنت الحارث بن هشام وهي بنت عم عكرمة .

إثره رجلين من أصحابه ليأتيا بها[١]. فلما قدم أبو العاص مكة خلى سبيل زينب إلى أبيها. فقدّم لها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرا. ثم خرج يقود بها[٢] وهي فى هودجها. فأسرع إليها هبّاربن الأسود فى رجال من قريش؛ فَرَوَّعَهَا بالرمح. وكانت حاملا. فلما رِيعَت[٣] وضعت حملها.[٤] فقابلهم كنانة بسهامه حتى انصرفوا. فلم يزل بها مرضها حتى ماتت. فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بإحراقه ثم أمربقتله. وقال: إنما يعذب بالنار ربّ النار. ولكن هبّارا قد هرب واختفى. ثم أتى المدينة مسلما مستأمنا مستعفيا لرسول اللهﷺ فأمنه وعفا عنه.[٥]

٤. هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضى الله عنهما: كانت تؤذي رسول الله ﷺ بمكة ثم فعلت بحمزة رضى الله عنه ما فعلت. مثلت به ولاكت كبده بفيها. فجائت يوم الفتح إلى رسول الله ﷺ مسلمة مستسلمة، مؤمنة مستأمنة. فكسرت كل صنم فى بيتها وقالت لقد كنا معكم فى غرور.[٦]

٥. كعب بن زهير ﷺ : كان ممن يهجو رسول الله ﷺ فهرب من القتل يوم الفتح ثم أتاه فأسلم.[٧]

٦. وحشيّ بن حربﷺ: قتل حمزة ﷺ يوم أحد . ثم هرب يوم الفتح إلى الطائف ثم أتاه فأسلم[٨].

٧. سارة مولاة لبعض بنى المطلب رضي الله عنها[٩]: كانت مغنية بمكة تغنى بهجاء رسول الله ﷺ . وأتت رسول الله ﷺ بالمدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة

---

(١) من بطن يأجج (موضع بين مكة والمدينة) كان قد قال لهما أن زينب تمربهما فى هذاالموضع.

(٢) إلى بطن يأجج.

(٣) خافت وذعرت.

(٤) راجع ابن هشام (ج٢ ص٢٩٧ -٢٩٩).

(٥) السيرة الحلبية (ج٣ ص٩١-٩٢).

(٦) ابن الأثير (ج٢ ص١٧٠) والسيرة الحلبية (ج٣ ص٩٤) و شرح المواهب (ج٣ ص٤٢٦).

(٧) السيرةالحلبية (ج٣ ص٩٤).

(٨) ابن الأثير (ج٢ ص١٦٩).

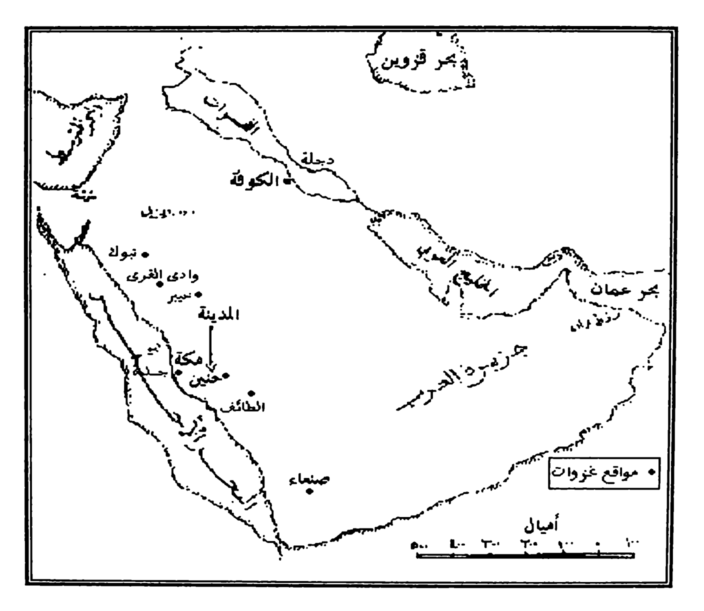
(٩) أى مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن المطلب. راجع شرح المواهب (ج٣ ص٤٢٤) مولاة عمرو بن عبد المطلب بن هاشم. ابن الأثير (ج٢ ص١٧٠).

فوصلها وأوقر لها بعيرا طعاما. فرجعت إلى قريش. وهى التى وُجد معها كتاب حاطب إلى مكة. فاستؤمن لها عند الفتح فأسلمت.(١)

٨. فَرْتَنَى رضى الله عنها،(٢) مولاة عبد الله بن خطل: كانت تغنى بمكة بهجاء رسول الله ﷺ مما ينشئه سيدها. فهربت يوم الفتح ثم استؤمن لها فأسلمت.(٣)

غزوة حنين(٤)

(شوال ، سنة ثمان)



بفتح مكة سقطت فى بلاد العرب دولة الاوثان ودانت قبائل العرب لـدين

---

(١) ابن الأثير (ج٢ ص١٧٠) وشرح المواهب (ج٣ ص٤٢٤) وابن هشام (ج٤ ص٣٠) والحلبية (ج٣ ص٩٣).

(٢) فرتنى: بفتح الفاء وسكون الراء.

(٣) ابن هشام (ج٤ ص٣٠) وشرح المواهب (ج٣ ص٤٢٣).

(٤) حنين : واد بين مكة والطائف وراء عرفات (شرح مسلم للنووى: ج٦ ص٣٥٩).

الإسلام؛ ولكن قد أصر على عنادهم بعض الاقوام. وكان من هؤلاء هوازن[1] وثقيف.أجمعوا أمرهم على المسير إلى حرب المسلمين. وكان قائدهم مالك بن عوف النصرىّ. أمر الناس أن يسوقوا معهم أموالهم وأبناءهم ونساءهم. فلما نزلوا بأوطاس[2] قال دُريد بن الصمةالجُشَمىّ، وهو شيخ كبير مجرب فى الحروب: يا مالك، مالى أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير،وبكاء الصغير، ويعار الشاء، وخوار البقر؟[3]. قال مالك: "سُقتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم، أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم". فزجره دريدٌ وقال: وهل يَرُدُّ المنهزِمَ شئ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحتَ فى أهلك ومالك. فقال مالك: والله لا أفعل ذلك إنك قد كبِرت وكبِر عقلك.[4]

لما سمع بهم رسول الله ﷺ أرسل إليهم رجلا يأتى بخبرهم.[5] فلما رجع من عندهم بنبأ يقين خرج إليهم رسول الله ﷺ باثني عشر ألفا[6]، خرج بهم من مكة،

---

(١) هوازن: بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر (عمدة القارى للعلامة العينى: ج١٧ ص٢٩٦). فكان منهم بنو سعد بن بكرقوم حليمة السعدية. ولم يحضر من هوازن بطنان كعب وكلاب. راجع ابن هشام (ج٤ ص٦٥) و(ج١ ص١٧٢).

(٢) واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين. ولذلك تسمى أيضا غزوة أوطاس (انظر شرح المواهب: ج٣ ص٥) كما تسمى غزوة هوازن (السيرة الحلبية: ج٣ ص١٠٥).

(٣) الرُغاء والنهاق والبكاء واليُعار والخوار : الصوت والصياح.

(٤) انظر ابن هشام (ج٤ ص٦٦) وابن كثير (ج٤ ص٣٧٣) ودلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص١٢٢) والسيرة الحلبية (ج٣ ص١٠٦) وكان عدد المشركين مجموعهم من سائر العرب ثلاثين ألفا (السيرة الحلبية لزيني دحلان ج٢ ص٢٩٤) وما فى بعض كتب التفاسير من أن عددهم أربعة آلاف فهم من اجتمع من بني سعد وثقيف دون من إنضم إليهم من سائر العرب.

(٥) وهو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمى.

(٦) عشرةآلاف من المهاجرين والأنصار [الذين كانوا معه فى فتح مكة] وألفان من الطلقاء [وهم الذين أسلموا عند الفتح] (تفسير الطبرى: ج٦ ص٣٤٠). و كان عدد المشركين فى غزوة حنين ثلاثين ألفا. وفى تفسير القرطبى ج٨ ص٣٣ ثمانية آلاف؛ وفى تفسير النسفى ج٢ ص١٢١ وتفسير البغوى ج٣ ص٩٣ وتفسير البيضاوى وحاشية الخفاجى عليه ج٤ ص٣١٤ :

سادس شوال، سنة ثمان من الهجرة[١]، بعد ما استعمل عليها عتاب بن أَسيد ﷺ[٢] وأعطى لواء المهاجرين لعليّ بن أبي طالب ﷺ ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ﷺ ولواء الأوس لأسيد بن حضير ﷺ.وكذلك كان لكل قبيلة لـواء يحملـه رجـل منها.[٣] وقد أُعجب المسلمون بكثرتهم حتى قال بعضهم: 'لن نُغلب اليـوم مـن قلة.'[٤] فإنه أكثر عدد خرجوا فيه وأكبر جند غزوا فيه. ولكـن لم تغـن عنـهم كثرتهم شيئا. فُوجئوا فى غلس الليل بالعدو غداة العاشر من شوال هـذه السـنة. كانو قد كمنوا بوادى حنين[٥] فحملوا على المسلمين حملة رجـل واحـد حـتى أصبحوا منهزمين.

أما رسول الله ﷺ فقد ثبت على بغلته فى ساحة الحرب يركض بغلتـه نحـو

أربعة آلاف. والأقرب ما قال العلامة السيد زينى دحلان رحمه الله تعالى فى كتابه السيرة النبوية: وكان جملة من اجتمع من بنى سعد وثقيف أربعة آلاف، وانضم اليهم من أعداد سائر العـرب جموع كثيرة، وكان مجموعهم كلّهم ثلاثين ألفا. (راجع سيرة زينى دحلان فى هـامش السـيرة الحلبية ج٢ ص٢٩٤).

(١) راجع فتح البارى (ج٨ ص٢٧) والمواهب اللدنية (ج١ ص٥٩٦). وكان ﷺ قد استعار مـن صفوان بن أمية – وهو إذ ذاك مشرك – مائة درع بما يكفيها من السلاح (انظر ابن هشـام: ج٤ ص٦٨). واستعار ﷺ من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثـة آلاف رمـح (سيرة الحلبي: ج٣ ص١٠٧).

(٢) دلائل البيهقى (ج٥ ص١٢١) وابن كثير (ج٤ ص٣٧٥). عتّاب: كعلاّم؛ وأسـيد: بفـتح فكسر. راجع شرح المواهب (ج٣ ص٤٩٨).

(٣) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٠٧).

(٤) قاله رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة. وذكر ابن الجوزى عن سعيد بن المسـيب أن القائل لذلك أبوبكر. وحكى ابن جرير الطـبرى (ج٦ ص٣٤٠) وكـذا ابـن هشـام(ج٤ ص٧٣): أن القائل لذلك رسول الله ﷺ وفيه بُعد لأنه كان فى جميع أحواله متـوكلا علـى الله عزوجل، لا يلتفت إلى كثرة العدد ولا إلى غيره.(انظر تفسير الخازن: ج٣ ص٩٣). والصحيح أن القائل غيره ﷺ يدل عليه آخر الحديث المذكور: فساء رسول الله قوله، وما رواه البيهقى فى الدلائل (ج٥ ص١٢٣) أن رجلا قال يوم حنين 'لن نغلب من قلة'. فشق ذلك رسول الله ﷺ.

(٥) فى شعابه وأجنائه ومضايقه (ابن هشام: ج٤ ص٧١) والأجناء: الجوانب.

الكفار.[1] والعباس﷛ آخذ بركابه الأيمن وأبو سفيان﷛ بركابه الأيسر،[2] وهــو يقول:

أنا النبيّ لا كذب   أنا ابن عبد المطلب[3]

ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا نفر من أصحابه.[4] وكان ينادى:أيــن؟ أيهــا الناس! هلموا إلىّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.[5] ولكن لا يلوى عليه أحد بل لايلوى أحد على أحد حيث ضاقت الأرض بالمنهزمين. ثم أمر رســول الله ﷺ عمه العباس وكان جهير الصوت، فنادى بأعلى صوته: 'يــا معشرالانصــار، يــا أصحاب الشجرة'؛ فقَصدَ الصوتَ كلٌّ من سمعه سراعا يبتدرون[6]، حتى اجتمــع حول رسول الله ﷺ جمع من المسلمين.[7] فأنزل الله سكينته وجنوده عليهم فكروا جميعا على المشركين، حتى أضحوا منهزمين، تا ركين أموالهم ونساءهم وأبنــاءهم. فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون. فقالت امرأة من المسلمين :

---

(١) ابن كثيرٍ (ج٤ ص٣٨٢).

(٢) وهما يثقلانه لئلا يسرع السيرَ (عمدة القارى للعلامة العينى: ج١٧ ص٢٩٤) و أبو ســفيا ن هذا هو ابن عمه ﷺ الحارث. وفى صحيح مسلم (٧٦/٢٨/٣٢) أن العباس آخذ بلجام بغلــة رسول الله ﷺ يكفها إرادة أن لا تسرع وأبوسفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ . ولا ينافي هذا ما تقدم لجواز أن يكون آخذا بزمامها بعد أن أخذه بركابه ﷺ (السيرة الحلبية: ج٣ ص١٠٩).

(٣) ليس بشعر وإن كان على وزن الشعر؛ فإنه صدرمنه من غير قصد. قال تعالى:'ومــا علّمنــاه الشعر وما ينبغى له'وقوله' انا النبيّ. إلى آخره. رواه البخــارى (٤٣١٥/٥٤/٦٤) ومســلم (٧٨/٢٨/٣٢).

(٤) من المهاجرين والأنصار وأهل بيته. وممن ثبت أبو بكر وعمر وعليّ والعباس وابنــه الفضــل وأسامة بن زيد وغيرهم (انظر ابن هشام: ج٤ ص٧٢).

(٥) ابن كثير (ج٤ ص٣٧٧). لا يَلْوِى: لا يقف ولا ينتظر

(٦) حتى إن من لم يقدر على أن يثنى بعيره (لزحمة المنهزمين) كان يأخذ أسلحته ويترك بعيره فيــؤم الصوت (انظر ابن هشام: ج٤ ص٧٤).

(٧) والذين اجتمعوا أولا مائة كما فى رواية البيهقى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما. وفيهــا فوالله، ما رجعت راجعة الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتفون (دلائل النبوة للبيهقى: ج٥ ص١٢٩).

غَلَبْتِ خيلَ الله خَيلَ اللاّتِ وَخيلُهُ أحقُّ بالثَباتِ[1]

دروس وعبر فى غزوة حنين

إن الله تعالى أذاق المسلمين أوّلا حلاوةالنصر حينما فتحوا مكة؛ ثم أذاقهم مرارة الهزيمة فى حنين فى أول المعركة. فاهال عليهم حزب الشيطان بالشتيمة والشماتة. وأحس حزب الله بالوحشة والدهشة؛ حتى خضعوا جميعا لعظمته واستكانوا جميعا لعزته، فتاب الله عليهم فجأة بخلع النصر[2]؛ وصب على عدوهم بغتة سوط القهر؛ ليتبين للناس أن من نصره فلا غالب له؛ وأن من خذله فلا ناصر له؛ وأنه لا ينبغى لهم أن يتكلوا على كثرة عددهم أو على وفرة عُددهم.

وكان رسول الله ﷺ على صدق اليقين بوعد الله تعالى ونصره . ونرى ذلك بارزا فى نبوءته[3] المتبسّمة. وذلك أنه ﷺ أتاه، وهو فى مسيره إلى حنين، رجل فارسى فأعلمه أن هوازن قد اجتمعوا بنسائهم ونعمهم إلى حنين. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: 'تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله'[4] ولكنه ﷺ لم يكترث بالعدد والعُدد فلم يرها إلا وسائل المدد. وقال رجل من الأنصار يقال له سلمة بن سلامة: 'لن نُغلَب اليوم من قلة'. فساء رسولَ الله ﷺ كلامُه.[5] وفى رواية فشق ذلك على رسول الله ﷺ.[6]

---

(١) ابن هشام (ج٤ ص٧٩) غَلبتِ: خطاب للخيل. خيل الله: منصوب على النداء. وضمير خيله إلى الله تعالى. وخيل اللات: مفعول غلبت.

(٢) الخلع (جمع خلعة): الثوب الذى يعطى منحة.

(٣) النبوءة هنا: الإخبارعن الغيب والمستقبل.

(٤) سنن أبى داود. كتاب الجهاد، باب فضل الحرس فى سبيل الله (٢٤٩٨/١٧) ودلائل البيهقى (ج٥ ص١٢٦).

(٥) تفسير الخازن (ج٣ ص٩٣).

(٦) رواه البيهقى فى الدلائل (ج٥ ص١٢٣).

إنما أتت الفتنة من جفاة مكة[1]. فكان منهم من لم يستقر الإيمان فى قلبه، ومن فى قلبه مرض، ومن لم يستعد للقتال بالأسلحة الكافية، ومن خرج لمتاع الدنيا من الغنيمة والسبايا؛ وفوق كل ذلك كان منهم من يتربص بالمسلمين الدوائر. فهم الذين فتحوا باب الفرار. وأما المهاجرون والأنصار فلم يحصل الفرار من جميعهم؛ ومن اضطر إلى الفرار لم يبتعد.[2]

معجزات ظهرت فى غزوة حنين

قد أظهر الله فى هذه الغزوة على يدي رسوله معجزات باهرة: منها أن العدو لما غشوه نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: شاهت الوجوه[3]. فما خلق الله منهم انسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين.[4]

ومنها أن الله تعالى أمد نبيه ﷺ يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.[5] فلماانتهى رجال من المشركين إلى رسول الله ﷺ وهو على بغلته البيضاء تلقاهم رجال بيض حسان الوجوه فقالوا: شاهت الوجوه، ارجعوا. فولوا بذلك مدبرين.[6]

---

(١) انظردلائل النبوة للبيهقى(ج٥ ص١٢٨).والجفاة جمع جاف،وهوغليظ المعاشرةغيرمهذب الخلق.

(٢) انظر شرح مسلم للإمام النووى (ج٦ ص٣٦٠ و ص٣٦٢) وقد خرج معهﷺوأصحابه ثمانون من المشركين. منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو (السيرة الحلبية: ج٣ ص١٠٧).

(٣) شاهت الوجوه: قبحت الوجوه.

(٤) انظر صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين (٨١/٢٨/٣٢) وقصة رميه ﷺ العدو يوم حنين وردت بعدة طرق فى عدة أحاديث . ففى بعضها أنه رماهم بقبضة من تراب وفى بعضها بحصيات. قال الإمام النووى رحمه الله فى شرحه لصحيح مسلم (ج٦ ص٣٦١): يحتمل أنه أخذ قبضة من حصى وقبضة من تراب، فرمى بذا مرة، وبذا مرة؛ ويحتمل أنه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب.

(٥) رواه الطبرى عن سعيد فى تفسيره (ج٦ ص٣٤٣؛ رقم الحديث: ١٦٥٩٧).

(٦) روى ذلك من عدة طرق عمن كانوا فى جيش المشركين يوم حنين (انظر تفسير الطبرى (ج٦ ص٣٤٣-٣٤٤ رقم الحديث:١٢٢٠١،١٢٥٩٦).

ومنها أن شيبة بن عثمان لما قصد رسول الله ﷺ بسيفه[1] حينما انهزم عنه أصحابه، رأى بينه وبينهﷺ شواظا من نار فخاف أن يحرقه فوضع يده على بصره ومشى القهقرى. فقال رسول الله ﷺ يا شيب، يا شيب، اُدنُ منّى؛ اللهم أذهب عنه الشيطان. قال شيبة: 'فرفعت إليه بصرى ولهو أحب إلىَّ من سمعى وبصرى'. ثم أمره ﷺ أن يقاتل الكفار.[2]

كما أبدى الله تعالى عنايته بعباده المؤمنين فى هذه الغزوة، حيث ختمها لهم بالنصر والبشر، حينما ردّ المشركين بخيبة الرجاء، عقب ماتمتعوا بفرحة النجاح. فخسرت بذلك محاولتهم الأخيرة لاستئصال شأفة الإسلام. فأسلم عند ذلك كثير من أهل مكة[3] وناس من غيرهم.[4]

قال تعالى: لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين. ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم[5].

غزوة الطائف[6]

(شوال، سنة ثمان من الهجرة)[7]

صار المنهزمون من حنين ثلاث فرق: فرقة عسكروا بأوطاس،[8] برياسة

---

(١) لان أباه وعمه قتلا يوم أحد. قتلهما عليّ وحمزة رضي الله عنهما.
(٢) انظر دلائل البيهقى (ج٥ ص١٤٥) والبداية والنهاية (ج٤ ص٣٨٥).
(٣) البداية والنهاية (ج٤ ص٣٨٦). والشأفة: الأصل.
(٤) السيرة الحلبية (ج٣ ص١١٤).
(٥) سورة التوبة: ٢٥- ٢٧
(٦) بلد كبير مشهور كثير الأعناب والنخيل، على مرحلتين من مكة المكرمة من جهة المشرق. راجع تهذيب الأسماء (ج٣ ص١٨١) وفتح البارى (ج٨ ص٤٣).
(٧) دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص١٥٦) وابن كثير (ج٤ ص٣٩٩).
(٨) ابن هشام (ج٤ ص٨٤).

دُريد بن الصِمّة.[١] فبعث إليهم رسول الله ﷺ جيشا، قتلوا دريدا، وهزموا أصحابه.[٢] وتسمى هذه الموقعة بغزوة أوطاس؛ وفرقة لحقوا بالنخلة[٣] فتبعتهم خيله ﷺ؛[٤] وفرقة بالطائف فكان منهم مالك بن عوف وأشراف من قومه.[٥] فسار إليهم رسول الله ﷺ بمن معه. فحاصرهم ثمانية عشر يوما[٦]. وكانوا قد تحصنوا بحصونهم وأغلقوا أبواب مدينتهم ومعهم قوت سنة؛[٧] فرموا المسلمين بالنبل حتى جرح منهم كثير؛ ومات منهم اثنا عشر رجلا.[٨]

فلما كثر النبل وكثر الجرحى نقل ﷺ جيشه إلى موضع آخر وأمرباستخدام المنجنيق[٩] لرمى عدوهم، والدَبّابة[١٠] لنقب حصنهم.فأرسلوا على المسلمين سكك[١١] الحديد مُحماة بالنار.[١٢] فأمرﷺ بقطع أعنابهم ونخيلهم. فناداه أهل الحصن أن دعها لله وللرحم.[١٣] فقال: فإنى أدعها لله وللرحم. ثم أمر ﷺ من ينادى: 'أيما عبد نزل من الحصن فخرج إلينا فهو حرّ'. فخرج منهم بضعة عشر رجلا. فأسلموا فأعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجل منهم إلى من يمونه من

---

(١) كمافى رواية البزار. انظر عمدة القارى للعلامة العينى (ج١٧ ص٣٠٢).
(٢) انظر صحيح البخارى، كتاب المغازى باب غزوة أوطاس. (٦٤/٥٥/٤٣٢٣).
(٣) النخلة: محلة بين مكة والطائف (الحلبية: ج١ ص٣٥٧). ولم يكن فيمن توجه إليها إلا بنو غيرة من ثقيف (البداية والنهاية ج٤ ص٣٩٠).
(٤) انظر(ابن هشام: ج٤ ص٨٤). والخيل هنا الفوارس وركاب الخيل.
(٥) السيرة الحلبية (ج٣ ص١١٤).
(٦) كما ذكره ابن سعد ورجحه الحلبي (ج٣ ص١١٦) وفيه أقوال أخر. وعلى كل لا تنقص المدة عن عشرة أيام. ولا تزيد على أربعين يوما (انظر عمدة القارى للعلامة العينى(ج١٧ ص٣٠٥).
(٧) وكان رسول الله ﷺ جعل على مقدمة الجيش خالد بن الوليدﷺ. فناداهم لبراز فلم ينْزِل منهم أحد (انظر الحلبية: ج٣ ص١١٧).
(٨) المصدر المذكور (ج٣ ص١١٥، ١١٦).
(٩) المنجنيق: بفتح الميم وقد تكسر: آلة حربية ترمى بها القذائف.
(١٠) آلة حربية تتخذ من الجلود يدخل فى جوفها الرجال فيندفعون فيها إلى الأسوار والحصون لينقبوها. انظر السيرة الحلبية (ج٣ ص١١٧).
(١١) قضبان الحديد وقطعها.
(١٢) ابن كثير (ج٤ ص٤٠٣) والحلبي (ج٣ ص١١٧).
(١٣) انظر دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص١٦١، ١٦٢).

المسلمين، وسماهم عتقاء الله.[١]

فلما طال من المسلمين الحصار ومن العدو التمانع أمر رسول الله ﷺ بالرحيل ودعا لهم: 'اللهم اهد ثقيفا واكفنا مؤنتهم وائت بهم مسلمين'.[٢] وجملة من استشهد فى غزوة الطائف اثنا عشر رجلا. وكان عبد الله بن أبي بكر ممن جرح فيها. فمات بهذا الجرح فى خلافة أبيه أبي بكر[٣] رضى الله عنهما. وفقئت فيها عين أبي سفيان بن حرب ﷺ[٤] فأتى رسول الله ﷺ وعينه فى يده. فقال ﷺ 'إن شئتَ دعوتُ فرُدّت عينك وإن شئت فالجنة'. قال: 'فالجنة' ورمى بعينه من يده. وقلعت عينه الأخرى يوم اليرموك، فى قتال الروم، فى آخر خلافة الصديق ﷺ.[٥]

غنائم حنين

اغتنم المسلمون فى هذه الغزوة غنائم كثيرة. حتى أحرزوا من السبي ستة آلاف، ومن الإبل أربعة وعشرين ألفا، ومن الغنم أكثر من أربعين ألفا، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية. وكان فى السبيِ الشيماء بنت الحارث أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة. فلما عرفها بسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وخيرها بين إقامتها عنده مُحبَّبةً مكرمة وبين رجوعها إلى قومها مُمَتَّعةً. فاختارت الرجوع. فمتعها وردّها إلى قومها.[٦] ولما انصرف رسول الله ﷺ من حنين إلى الطائف أمر بالغنائم والسبى فحبست بالجعرانة[٧]؛ وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفارى،[٨] ثم لما انصرف من

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص١٥٨، ١٥٩) والسيرة الحلبية (ج٣ ص١١٨) وابن هشام (ج٤ ص١٣٠) والبداية والنهاية (ج٤ ص٤٠٢، ٤٠٣).

(٢) ابن كثير (ج٤ ص٤٠٦) ودلائل النبوة (ج٥ ص١٦٩) والسيرة الحلبية(ج٣ ص١١٨).

(٣) ابن هشام (ج٤ ص١٣٢،١٣١) والسيرة الحلبية (ج٣ ص١١٨) وابن كثير (ج٤ ص٤٠٦).

(٤) تهذيب الاسماء للإمام النووى (ج٢ ص٥٢١).

(٥) السيرة الحلبية (ج٣ ص١١٥).

(٦) ابن هشام (ج٤ ص٩٢٩).

(٧) الجعرانة: (بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء عند أهل التحقيق. وقال بعضهم: بكسر العين وتشديد الراء) وهي بين الطائف ومكة. وهى إلى مكة أقرب (تهذيب الأسماء للنووى: ج٣ ص٥٥). وبين الجعرانة وبين مكة بريد. وأما ماوقع فى الصحيح أنها بين مكة والمدينة فوهم وإنما هى بين مكة والطائف (شرح المواهب للزرقانى: ج٤ ص٢٨).

(٨) انظر ابن هشام (ج٤ ص٩٢) وابن كثير(ج٤ ص٣٨٩).

الطائف إلى الجعرانة خَمَّس الغنائم؛ فأعطى من خمسه ﷺ المؤلفة. وهم من أسلم من أهل مكة. فأعطى كل رجل منهم مائة من الإبل.[١] وكان أولهم أبا سفيان بن حرب ﷺ. أعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل وأعطى كلا من بنيه كذلك.[٢]

ثم أمر بإحصاء الناس والغنائم. وهى الأربعة الأخماس الباقية.[٣] ثم قسمها بين الناس. فلما رأى الأنصار أن رسول اللهﷺ أجزل العطاء لقريش وسائر العرب وجد بعضهم فى أنفسهم. فجمع ﷺ جميع الأنصار فى حَظيرة[٤]؛ فقام فيهم خطيبا، فحمد الله تعالى فأثنى عليه ثم قال: "يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالا فهداكم الله تعالى وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟ أما والله لو شئتم لقُلْتُم فصَدَقتُم وصُدّقتم: 'جئتنا طريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، وخائفا فأمّنّاك، ومخذولا فنصرناك.' وجدتم فى أنفسكم يامعشر الأنصار، فى لُعاعَة[٥] من الدنيا تألفتُ بها قوما لِيُسلِموا، ووكّلتُكم إلى ماقسم الله لكم من الإسلام، أفلا تَرضون يا معشر الأنصار أن يَذهب الناس إلى رحالهم بالشاه والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شِعبا[٦] وسلكت الأنصار شعبا لسلكتُ شعب الأنصار.[٧] ولولا الهجرةُ لكنتُ امرءا من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار". فبكى القوم حتى أَخضَلوا لحاهم[٨] وقالوا: رضينا بالله ورسوله قسما.[٩]

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى(ج٥ ص١٧٨).
(٢) السيرة الحلبية (ج٣ ص١١٩).
(٣) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٢١).
(٤) الحظيرة: موضع يحاط عليه لتأوى إليه الماشية (shed)
(٥) اللعاعة: بقلة حمراء ناعمة شُبّه بها زهرة الدنيا ونعيمها.
(٦) الشعب: الطريق بين الجبلين.
(٧) لماكانت العادة أن المرء يكون فى نزوله وارتحاله مع قومه – وأرض الحجاز كثيرة الأودية والشعاب – فإذا تفرقت فى السفرالطرق سلك كل قوم منهم واديا وشعبا. أراد أنه مع الانصار.
(٨) بلّوها بالدموع.
(٩) دلائل النبوة للبيهقى (ج ٥ ص١٧٧).

إسلام صفوان بن أمية رضى الله عنه

(ذو القعدة سنة ثمان)

كان شديدا على النبيّ ﷺ. وهو الذى حرّض عُمير بن وهب ﷺ على قتل رسول الله ﷺ بعد غزوة بدر حتى تولى دينه وعياله على ذلك. فانبعث عُمير بسيفه المسموم إلى المدينة. فأدركته عناية الله تعالى، فانصرف من المدينة مسلما داعيا إلى دين الله.(١) ولكن صفوان استمرّ مشركا معاندا حتى جمع الجيش مع عكرمة وسهيل لمنع رسول الله ﷺيوم الفتح عن مكة. فقابلهم خيل خالد ﷺ.ففرّ صفوان فيمن فر. وفى ذلك يقول حِماسُ بن قيس(٢) لامرأته

إنكِ لو شهدتِ يومَ الخَندَمة(٣) إذ فَرّ صفوانُ وفرّ عكرمة(٤)

فرّ صفوان يوم الفتح إلى جدة ليركب منها إلى اليمن فاستأمن له عمير بن وهب رسول الله ﷺ فقال: 'إنه آمن' وأعطاه عمامته التى دخل بها مكة علامةَ أمانه. وكان خائفا مذعورا. فقال له عمير: 'إنه أفضل الناس، وأبرالناس، وأحلم الناس'؛ حتى جاء به. فقال صفوان لرسول الله ﷺ : اجعلنى بالخيار شهرين. فقال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر. فأقام معه كافرا وشهد معه حنينا والطائف؛ ثم أسلم وحسن إسلامه.(٥) وكان سبب إسلامه أن رسول الله ﷺ لما فرق غنائم حنين بالجعرانة جعل صفوان يرمق شعبا ملآنا نعما. فقال له رسول الله ﷺ : يعجبك هذا؟

---

(١) راجع ابن هشام (ج٢ ص٣٠٦-٣٠٩).

(٢) وكان حماس يعد سلاحا. فسألته امرأته عن ذلك فقال إنه لقتال محمد وأصحابه وقال: والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم (أى أن أجعل بعض المسلمين عبدا يخدمكِ) فلما هزمهم خالد بالخندمة دخل حماس بيته وقال لها: "اغلقى عليّ بابى" فقالت: فأين ما كنت تقول؟ فأنشد: إنك لو كنت إلى آخر الأبيات. وجواب 'لو' ما فى المصراع الآخر من أبياته: لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة'. راجع ابن كثير (ج٤ ص٣٤٣). وكانت امرأته قد أسلمت سرّا. فلما التمس المخبأ والملجأ قالت له: فأين الخادم (الحلبية: ج٣ ص٨٣).

(٣) الخندمة: جبل بمكة (الحلبية: ج٣ ص٨٣).

(٤) ابن هشام (ج٤ ص٢٦، ٢٧).

(٥) الكامل لابن الأثير (ج٢ ص١٦٨) وابن هشام (ج٤ ص٣٨).

قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقال: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نبيّ فأسلم رضى الله عنه[1]

إسلام هوازن

فبعد ما قَسَم رسول الله ﷺ السبي والغنائم بالجعرانة جاءه وفد هوازن تائبين مسلمين.[2] فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم. فقال ﷺ: فاختاروا إحدى الطائفتين، إما السبي وإما المال وقد كنت استأنيتُ بكم.[3] وكان أنْظَرَهم رسولُ الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف.[4] فقالوا: فالحسبُ أحب إلينا ولا نتكلم فى شاة ولا بعير.[5] فقال رسول الله ﷺ: أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم. فقال المهاجرون والأنصار فما كان لنا فهو لرسول الله ولكن بعض الأعراب[6] قد ضنّوا بحظهم . فقال رسول الله ﷺ : من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ستّ فرائض[7] من أول سبي أصيبُه.[8] فقال الناس: قد طيّبْنا ذلك لهم، يا رسول الله.[9] فردّوا إلى هوازن أبناءهم ونساءهم.[10]

وكان مالك بن عوف قد هرب إلى الطائف، ولحق بثقيفَ. فقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن: أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل. فخرج مالك ليلا وقومه لا يشعرون، فلحق برسول الله ﷺ

---

(١) السيرة الحلبية (ج٣ ص٩٤).
(٢) انظر فتح البارى(ج٨ ص٣٤).
(٣) استأنيت: استنظرت أى أخّرت قسم السبي لتحضروا فأبطأتم.
(٤) انظر صحيح البخارى (٤٣١٨/٥٤/٦٤).
(٥) فتح البارى (ج٨ ص٣٣).
(٦) كالأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس السلمى.
(٧) الفرائض جمع فريضة وهو البعير هنا. وأصل معناه البعير المأخوذة فى الزكاة ثم اتسع فيه حتى سمي لبعير غير الزكاة كما فى النهاية. انظر عون المعبود شرح سنن أبى داود(ج٧ ص٢٥٦) والسيرة الحلبية(ج٣ ص١٢٧).
(٨) ابن هشام (ج٤ ص١٣٥، ١٣٦).
(٩) صحيح البخارى (٦٤/ ٥٤/ ٤٣١٨).
(١٠) ابن هشام (ج٤ ص١٣٦).

بالجعرانة. فردّ عليه أهله وماله؛ وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه. فاستعمله ﷺ على قومه هوازن. فانصرف ما لك قائلا:

مَاإن رَأَيْتُ وَلا سَمِعْتُ بِمِثْلِه ... فى النّاسِ كُلّهِم بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ.

أوفى وأعْطَى لِلجَزِيل إذا اجْتُدِى ... ومتَى تَشَا يُخبِرْك عمّا فى غَدٍ.[١]

العمرة من الجعرانة والعودة إلى المدينة

ثم إن رسول الله ﷺ أحرم من الجعرانة ودخل مكة بليل؛ فطاف بالبيت فسعى فتحلل ثم رجع من ليلته. وهذه العمرة تعرف بعمرة الجعرانة. وكانت إقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة.[٢] ثم ارتحل بجيشه إلى المدينة . ووصلها لثلاث بقين من ذى القعدة . وقد غاب عن المدينة شهرين وستة عشر يوما.[٣]

ثم بعث ﷺ بعوثا إلى اليمن. فبعث المهاجربن أبى أمية إلى صنعاء وزياد بن لبيد إلى حضرموت، وقيس بن سعد[٤] إلى قبيلة صداء باليمن. فأتى زياد بن الحارث الصُدائى فقال: يا رسول الله أنا لك بقومى، فاردد الجيش. فردّ ﷺ سرية قيس بن سعد من قناة[٥] فبعد خمسة عشر يوما قدم زياد بخمسة عشر رجلا فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام. فلما رجعوا إلى قومهم فشا فيهم الإسلام. ثم وافاه زياد بمائة من صُداء فى حجة الوداع.[٦]

---

(١) ابن هشام (ج٤ ص١٣٧–١٣٨). إذا اجتُدى: إذا طلبت منه الجدوى وهي العطية.

(٢) السيرة الحلبية (ج٣ ص١٢٩). فإنه ﷺ دخل الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذى القعدة وانصرف منها إلى المدينة ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة. راجع المواهب اللدنية (ج١ ص٦١٤).

(٣) راجع المواهب مع الزرقانى (ج٤ ص٢٨) وكان خروجه لفتح مكة فى عاشر رمضان ووصوله المدينة بعد فتح مكة وغزوة حنين والطائف وعمرة الجعرانة لثلاث بقين من ذى القعدة. فجملة الأيام فيما بين المخرج والمرجع ستة وسبعون يوما. وذلك شهران وستة عشر يوما.

(٤) هو الصحابىّ بن الصحابىّ، الجواد بن الجواد: قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما (شرح المواهب: ج٤ ص٢٨).

(٥) وكانت السرية قد عسكرت بقناة. وهى واد بالمدينة.

(٦) راجع المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى (ج٤ ص٢٨–٢٩).

السنة التاسعة

١. عام الوفود	: سنة تسع
▫وفد تميم	: محرم
▫وفد بنى حنيفة	: سنة تسع
٢. سرية عليّ وإسلام عديّ	: ربيع الآخر
٣. غزوة تبوك	: رجب
٤. وفد ثقيف	: شهر رمضان
٥. حجة أبى بكر	: ذو الحجة

وفى رجب هذه السنة توفي النجاشى ملك الحبشة رحمه الله تعالى. فنعاه رسول الله ﷺ بالمدينة وصلى عليه بأصحابه صلاة الغائب.

وفى شعبان منها توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ زوج عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

وفى ذى القعدة منها مات رأس المنافقين عبد الله بن أبى، قبحه الله، بعد أن مكث مريضا عشرين يوما. فكان رسول الله ﷺ يعوده فى مرضه. ولما مات سأله ابنه قميصه ليدفن أباه فيه فأعطاه رسول الله ﷺ. وذلك مكافأة لما كان ابن أبيّ قد كسى العباس رضي الله عنه قميصا حين قدم المدينة فلم يجدوا قميصا يصلح له إلا قميص ابن أبيّ. ثم قام رسول الله ﷺ يصلى عليه فقال عمر رضي الله عنه، وقد أخذ بثوبه، "يا رسول الله، تصلى عليه وقد نهاك الله عنه؟" فقال: "إن ربى خيّرنى فقال:"استغفر لهم أولا تستغفر لهم. إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم" وسأزيد على السبعين." ثم صلى عليه وقام على قبره حتى انصرف منه . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (التوبة ٨٤).[1]

١) راجع البداية والنهاية (ج٥ ص٤٢، ٤٨) والكامل لابن الأثير (ج٢ ص١٩٩).

عام الوفود

(السنة التاسعة)

كانت العرب تربص بالإسلام أمر قريش فإهم كانوا قادة العرب، وأهل البيت والحرم، وصفوة ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام . فلما فتحت مكة وأسلمت قريش دانت العرب للإسلام، وضربت إلى رسول الله ﷺ الوفود من كل وجه.[1] وَرَدوا عليه فى مركز دعوته، ومقر رسالته، مؤمنين أو مستأمنين، مسلمين أو مستسلمين. وكانت القبائل تتوافد من قبل، وتتوارد من بعد، ولكن هذا العام – عام التسع – قد امتاز بكثرة الوفود، ففيه كان قدوم عامة وفود أحياء العرب حتى سمّي عام الوفود.[2]

كان رسول الله ﷺ يقابل هذه الوفود بكرم وإحسان، ويعلمهم مبادئ الإيمان وشرائع الإسلام، حتى صارت هذه الوفود من أعظم وسائل الدعوة فى شتى قبائل الجزيرة. وجملة الوفود أكثر من أن تحصر. فكل مورخ ذكر ما تيسر. فأورد منها محمد بن سعد[3] فى طبقاته أكثر من سبعين وفدا.[4] وأورد شمس الدين الشامى[5] فى سيرته أكثر من مائة وفد.[6] لا تسع بسطها إلا المطولات ولا يحمل سَردها حَجْمُ المختصرات. فلا تقف فى هذا المختصر إلا على نماذج من أشهر الوفود. فإن شئت فاقرأ قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾ ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾[7]

---

(١) راجع سيرة ابن هشام (ج٤ ص٢٢١-٢٢٢).
(٢) راجع البداية والنهاية (ج٥ ص٤٨).
(٣) المتوفي سنة ٢٣٠هـ.
(٤) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٩١-٣٥٩).
(٥) المتوفي سنة ٩٤٢هـ.
(٦) راجع شرح المواهب (ج٥ ص١١٤).
(٧) سورة النصر: ١-٣

وفد تميم

(محرم سنة تسع)[١]

بعث رسول الله ﷺ بشر بن سفيان إلى بنى كعب من خزاعة لأخذ صدقاتهم. فمنعهم من أدائها بنو تميم. وكانوا قد نزلوا بجوار بنى كعب.[٢] فرجع بشر إلى رسول الله ﷺ بهذا الخبر. فأرسل إليهم عيينة بن حصن الفزارى فى خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجرىّ ولا أنصارىّ. فأغار على بنى تميم وأخذ منهم أحد عشر رجلا وإحدى عشرة[٣] امرأة وثلاثين صبيا. فجاء فى إثرهم وفد من رؤساء بنى تميم حتى يكلموا فى أسراهم.[٤]

دخل الوفد المسجد بالمدينة، فعجلوا ونادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته حتى تأذى بصياحهم. فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾[٥] وكان بلال ﷺ قد أذن بالظهر. فخرج رسول الله ﷺ فتعلقوا به وقالوا: نحن ناس من بنى تميم. جئنا بشاعرنا وخطيبنا. نشاعرك ونفاخرك. فقال لهم النبيّ ﷺ ما بالشعر بعثنا ولا بالفَخار أمرنا. ثم مضى رسول الله ﷺ فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد.[٦]

قال القوم: فائذن لخطيبنا وشاعرنا. فقال: لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر

---

(١) السيرة الحلبية (ج٣ ص٢١٢) وشرح المواهب (ج٤ ص٣٠).
(٢) فكانوا يساكنون ويجاورون بنى كعب على ماء.
(٣) كذا فى طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٩٣-٢٩٤) ولكن فى السيرة الحلبية (ج٣ ص٢٠٠) احدى وعشرين امرأة.
(٤) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٩٤) والحلبية (ج٣ ص٢٠٠).
(٥) الحجرات: ٤-٥
(٦) السيرة الحلبية (ج٣ ص٢٠٠ ،٢٠١).

ولكن هاتوا.[١] فقام خطيبهم عطارد بن حاجب[٢] يعدد مفاخر تميم. فأمر ﷺ خطيب المسلمين، ثابت بن قيس بن شماس ﷺ فأجابهم، ثم قام شاعر القوم ينشد عن شرفهم ومجدهم. فأمرﷺ شاعر المسلمين، حسان بن ثابت ﷺ، فأجابهم. فقالوا: والله، لخطيبه أبلغ من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وَلَهُم أحلم منا.[٣] فلما فرغ القوم أسلموا.[٤] فرد عليهم رسول الله ﷺ الأسرى والسبي وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفد.[٥] وبقوا فى المدينة مدة يتعلمون الدين والقرآن.[٦]

وفد بنى حنيفة[٧]

(سنة تسع من الهجرة)[٨]

قدم وفد بنى حنيفة على رسول الله ﷺ وكانوا سبعة عشر رجلا وفيهم مسيلمة الكذاب.[٩] فنَزلوا دار رملة بنت الحدث.[١٠] فلما قدموا المسجد أسلموا. وكانوا قد خلفوا مسيلمة فى رحالهم. ولما أرادوا الانصراف أعطاهم

---

(١) السيرة الحلبية (ج٣ ص٢٠١).

(٢) كان رسول الله ﷺ قد استعمله بعد أن أسلم على صدقات بنى تميم ولكنه ارتد بعده ﷺ مع سجاح ثم أسلم. وهو القائل فيها: أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاح ومن بالكفرأغوانا

راجع شرح المواهب (ج٤ ص٣١).

(٣) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٩٣-٢٩٤).

(٤) ابن هشام (ج٤ ص٢٣٢).

(٥) طبقات ابن سعد (ج١ ص٢٩٤).

(٦) السيرة الحلبية (ج٣ ص٢٠٣).

(٧) بنو حنيفة: قبيلة شهيرة كانوا قد نزلوا اليمامة بين مكة واليمن.

(٨) فتح البارى (ج٨ ص٨٧).

(٩) المصدر المذكور.

(١٠) الحدث : بالدال لا بالراء: ورملة بنت الحدث امرأة أنصارية نجارية صحابية كانت دارها دار الوفود. وهى زوجة معاذ بن عفراء الصحابيّ المشهور. راجع هدى السارى (ص٥٠٦) و شرح المواهب(ج٥ ص١٤٦) وفتح البارى (ج٨ ص٩٢).

رسول اللهﷺ جوائزهم، خمس أواق من فضة، وأمر لمسيلمة بمثل ما أعطاهم لما ذكروا أنه فى رحالهم وقال: إنه ليس بشرّكم مكانا[1] لحفظه ركابكم ورحالكم.[2]

وكان إقامة مسيلمة فى ركابهم باختياره استكبارا أن يحضر مجلس النبيّ ﷺ. فأرادﷺ استئلافه بالقول والفعل. فلما لم يفد ذلك توجه بنفسه إليه ليقيم عليه الحجة ويعذر إليه بالإنذار.[3] وكان مسيلمة يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته. فأقبل عليه رسول الله ﷺ وفى يده قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه. فقال: 'لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها. ولن تعدوَ أمر الله فيك؛ ولئن أدبرت ليعْقرنك الله،[4] وإنى لأراك الذى أُريتُ فيه ما رأيتُ. وهذا ثابت يجيبك عني'. وكان ثابت بن قيس مع رسول اللهﷺ[5] ثم انصرفﷺ عنه.[6]

فأما ما رآه ﷺ فى حق مسيلمة فهو أنه ﷺ رأى فى منامه فى يديه سوارين من ذهب، فأهمه شأنهما. فأمره الله تعالى – فنفخهما؛ فطارا. فأولَهما رسول اللهﷺ الكذابين اللذين هو بينهما. أحدهما الأسود العنسى صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة.[7] وقد صدق الله رؤيا رسوله ﷺ فقد تنبّأ الأسود العنسى باليمن. فقتله فيروز بن الديلمى فى آخر عهدهﷺ وأما مسيلمة فقد تنبأ حين رجع مع الوفد إلى اليمامة، فافتتن به الناس حتى قتله المسلمون فى معركة اليمامة فى أيام الصديقﷺ.[8]

---

(١) البداية والنهاية (ج٥ ص٦٥).

(٢) طبقات ابن سعد (ج١ ص٣١٧).

(٣) راجع فتح البارى (ج٨ ص٨٩ –٩٠) وشرح المواهب (ج٥ ص١٥٧).

(٤) ولئن أدبرت ليعقرنّك الله: ولئن خالفت الحق ليهلكنك الله تعالى.

(٥) فإنه خطيب الأنصاريّين، فاكتفى ﷺ بجوامع الكلم. وأعلم مسيلمة أنه إن كان يريد الإسهاب فهذا الخطيب يقوم عنه فى ذلك. راجع فتح البارى (ج٨ ص٩٠).

(٦) راجع صحيح البخارى: كتاب المغازى، باب وفد بنى حنيفة (٤٣٧٣/٧٠/٦٤) وصحيح مسلم: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبيّ ﷺ (٢١/٤/٤٢[٢٢٧٣]).

(٧) راجع صحيح البخارى (٤٣٧٤/٧٠/٦٤-٤٣٧٥).

(٨) دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٣٣٦) وفتح البارى (ج٨ ص٩٠).

زعم مسيلمة أني أُشركت معه فى الأمر وجعل يتكلم بالهذيان يضاهى بها القرآن. فمن ذلك قوله: "والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، والخابزات خبزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما" كما وضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا.[1] وحاول أن يظهر آيات من عنده ليضاهي بها النبيّ ﷺ؛ فافتضح فى كل ذلك. تفل للبركة فى بئر فملُح ماؤها، وفى بئر أخرى فغار ماؤها؛ ومسح بيده على رأس صبيّ فصار أقرع، وعلى عيني رجل فابيضت عيناه، وعلى ضرع شاة فارتفع درّها ويبس ضرعها. ودعا لرجل فى ابنين له فوجد أَحَدُهما قد سقط فى بئر، والآخر قد أكله الذئب. وأدخل بيضة فى قارورة فعُورِض بأن البيضة بنتَ يومِها إذا ألقيت يوما وليلة فى النُّوشادر المضروب فى الخل تمتد كالخيط فإذا جعلت فى القارورة وصب عليها الماء جمدت.[2]

وكتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك أما بعد فإني قد أُشركت فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر. ولكن قريشا قوم يعتدون. فكتب إليه رسول الله ﷺ :" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب؛ سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين". وكانت هذه المراسلة فى أواخر سنة عشر .[3]

---

(١) السيرة الحلبية (ج٣ ص٢٢٤).

(٢) راجع المواهب مع شرح الزرقانى (ج٥ ص١٤٩) والسيرة الحلبية (ج٣ ص٢٢٤) وسيرة زينى دحلان (ج٣ ص٢٣) النوشادر أو نشادر: مركب غازي: Amonia.

(٣) دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٣٣١). والبداية والنهاية ج٥ ص٦٢ ولفظ الدلائل "ولكن قريش" بدل لفظ البداية والنهاية لابن كثير "ولكنَ قريشا".

سرية عليّ وإسلام عدىّ رضي الله عنهما

(ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة)

بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ﷺ، فى ربيع الآخر فى مائتي رجل إلى ديار طيّء.[1] فهدم الفُلْس[2] وغنم سبيا ونعما وشاء. وكان فى السبي سفّانة[3] بنت حاتم الجواد المشهور.[4] فطلبت من رسول الله ﷺ المنّ عليها. فقال: خلّوا عنها؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق،والله يحب مكارم الأخلاق.[5] ثم أمرها فمكثت حتى قدم رهط من قومها، لها فيهم ثقة وبلاغ.[6] فأرسلها معهم، بعد أن كساها وحملها وأعطاها نفقة.

فخرجت سفّانة مع هذا الرهط حتى قدمت الشام حيث فرّ أخوها عديّ بن حاتم حين رأى جيش المسلمين. فقالت له: أرى والله، أن تلحق به سريعا؛ فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله؛ وإن يك ملكا فلن تزل فى عز اليمن، وأنت أنت. فقال: " إن هذا الرأي" فخرج حتى لقىَ رسول الله ﷺ وهو فى مسجده بالمدينة. فانطلق رسول الله ﷺ بعديّ بن حاتم إلى بيته. فاستوقفته ﷺ فى طريقه، امرأة ضعيفة كبيرة. فوقف لها طويلا، تكلمه فى حاجتها. ثم مضى بعديٍّ حتى دخل بيته. فتناول وسادة من أدم محشوّة ليفا. فأجلس عديًّا عليها. وجلس هو بالأرض. فمن هذه الأمور فهم عديّ أنه ليس بملك.[7] ثم جرى بين عديّ ورسول الله ﷺ حوار:-

النبيّ ﷺ : يا عديّ بن حاتم، أسلم تسلم (ثلاثا).

عديّ ﷺ : إنى على دين.

---

(١) طيّء: قبيلة هاجرت من اليمن إلى شمالّ الجزيرة بعد خراب سد مأرب.

(٢) الفلس: (بضم الفاء وسكون اللام) اسم صنم لطيّء ومن حولهم.

(٣) سفانة: بفتح السين وتشديد الفاء.

(٤) المواهب اللدينة (ج١ ص٦٢٠).

(٥) رواه الإمام أحمد (البداية والنهاية: ج٥ ص٨٠).

(٦) الثقة: الوثوق؛ والبلاغ.

(٧) البداية والنهاية (ج٥ ص٧٦-٧٧).

النبيّ ﷺ : أنا أعلم بدينك منك.

عديّ ﷛ : أنت تعلم بديني مني؟!

النبيّ ﷺ : نعم ، ألست من الركوسية ؟[1] وأنت تأكل مِرباع[2] قومك. هذا لا يحل لك فى دينك.

عديّ ﷛ : نعم.

النبيّﷺ : أما إنى أعلم الذى يمنعك من الإسلام . تقول: 'إنما اتبعه ضعفة النـــاس ومن لا قوة لهم وقد رَمَتْهم العرب'. أتعرف الحيرة ؟

عديّ ﷛ : لم أرها. وقد سمعت بها.

النبيّ ﷺ : فوالذى نفسى بيده، ليتمنّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة[3] مـــن الحيرة؛ حتى تطوف بالبيت، فى غير جوار أحد؛ وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز.

عديّ ﷛ : كنوز ابن هرمز ؟ !

النبيّ ﷺ : نعم، كسرى بن هرمز؛ وليبذلنّ المال حتى لا يقبله أحد.[4]

فأسلم عديّ ﷛ واستبشر بذلك وجه رسول الله ﷺ.[5] وكان قدومه على رسول الله ﷺ فى شعبان سنة تسع من الهجرة وعاش بعد ذلك إلى أن مــات ســـنة تسع وستين من الهجرة . وشهد فتوح العراق فى عهد عمر بـــن الخطـــاب ﷛.[6] فرأى بعينيه تأويل ما أخبره رسول الله ﷺ . فقال : هذه الظعينة تأتى مـــن الحـــيرة تطوف بالبيت فى غير جوار ؛ ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى ؛ والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها.[7]

---

(١) الركوسية: قوم لهم دين بين النصارى والصابئين.

(٢) المرباع : رُبع الغنيمة . وكان الرؤساء فى الجاهلية يأخذ ون ربع الغنيمة

(٣) الظعينة : المرأة فى الهودج ، وقد يطلق على المرأة بلا قيد.

(٤) راجع ما نقله ابن كثير (ج ٥ ص ٧٨، ٧٩) عن الإمام أحمد .

(٥) راجع ما نقله ابن كثير (ج ٥ ص ٧٨) عن الإمام أحمد

(٦) تهذيب الاسماء للنووى (ج ١ ص ٣٠١ــ ٣٠٢)

(٧) رواه الإمام أحمد . البداية والنهاية (ج ٥ ص ٧٩)

غزوة تبوك

(رجب سنة تسع من الهجرة)

١. عصارة غزوة تبوك

٢. سبب غزوة تبوك

٣. التجهز لغزوة تبوك

٤. لوعة البكاءين

٥. مخرج المسلمين إلى تبوك

٦. المسلمون بتبوك

٧. العودة إلى المدينة

٨. قصة أبى خيثمة فى غزوة تبوك

٩. قصة كعب بن مالك ﵁ فى غزوة تبوك

١٠. معجزات ظهرت فى غزوة تبوك

عصارة غزوة تبوك[1]

بلغ رسول الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام لقتال المسلمين. فأمرهم بالجهاز لغزو الروم. وحض أغنياءهم على مساعدة فقرائهم حتى يخرجوا فى سبيل الله. فكان أولهم إنفاقا أبا بكر ﷺ وأعظمهم إنفاقا عثمان بن عفان ﷺ. وكانت الساعة ساعة عسرة حتى سميت الغزوة غزوة العسرة. فخرج رسول الله ﷺ بما يزيد على ثلاثين ألفا من أصحابه فى رجب سنة تسع من الهجرة. واستخلف محمد بن مسلمة ﷺ على المدينة؛ وخلّف عليّ بن أبي طالب ﷺ على أهله.

لما مر بمساكن ثمود بالحجر[2] أمرهم أن يدخلوها باكين؛ ولما نزلوها أمرهم أن يهريقوا ما استقوا من مائها ويعلفوا ما عجنوا به إبلهم وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. وسار حتى انتهي إلى تبوك؛ فأتاه أهل أيلة وجَرباء وأذرُح[3] فصالحوه. فكتب لهم كتاب أمَنة وذمة. ثم بعث ﷺ خالد بن الوليد ﷺ إلى أُكَيدر ملك دُومة الجندل؛[4] فأتى به خالد بن الوليد ﷺ رسول الله ﷺ. فصالحه على الجزية. وأقام ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ثم رجع ولم يلق كيدا، ولم يقدم عليه العدوّ.

نزل ﷺ فى مرجعه بذى أوان[5]. فنـــزل عليه القرآن يُطلعه على حقيقة مسجد الضرار، الذى بناه طائفة من المنافقين. فأرسل إليه مالك بن الدُّخشُم ومَعن بن عدىّ فحرّقاه وهدماه فتفرق عنه أهله . فلما قدم المدينة جاءه المخلفون من المنافقين، جاءوا يعتذرون . فقبل منهم علانيتهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى.

---

(١) تبوك: موضع بين وادى القرى والشام على اثنتي عشرة مرحلة من المدينة (وفاء الوفا للسمهودى: ج٤ ص١١٥٩) وتبوك غير منصرف على المشهور(حاشية المرقاة على المشكوة ج٣ ص٢٢٤) للعلمية والتأنيث على قصد البقعة ومنصرف على تأويل المكان هذا على أن تبوك فعول. وأما على أنه تفعل فهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل (المرقاة ج١ ص٧٩).

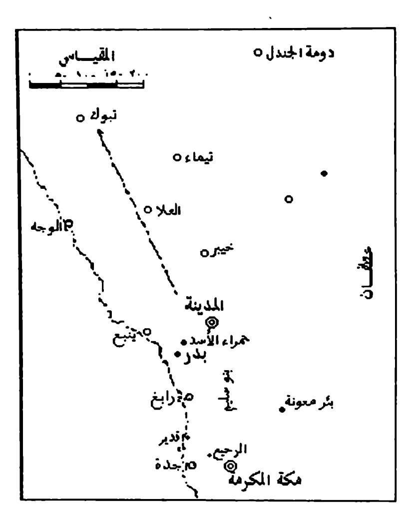
(٢) الحجر: موضع بين تبوك والحجاز (فتح البارى: ج٦ ص٣٧٩)وهى على يوم من وادى القرى. بها كانت منازل ثمود وهناك بئر ثمود (وفاء السمهودى: ج٤ ص١١٨٤).

(٣) أيلة : مدينة بالشام على ساحل البحر. وجرباء (بالمد) أو جربا (بالقصر): بلد بالشام تلقاء السراة. وأذرح : مدينة بالشام. وأيلة كانت مكان العقبة اليوم وجرباء مكانها اليوم فى الأردن على بعد خمسين كيلومترا من عمان وأذرح على بعد عشرين كيلومترا من معان.

(٤) دومة الجندل: موضع على سبعة مراحل من دمشق قرب جبلي طيّء، أجاء وسلمى.

(٥) ذو أوان: موضع على ساعة من المدينة.

وكان نفر من المسلمين قد تخلفوا من غير شك وارتياب . فكان منهم أبو خيثمة وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية‏ﷺ. فأما أبو خيثمة فقد لحق برسول الله ﷺ وهو بتبوك . وأما الثلاثة الآخرون فقد اعترفوا بأنه ما كان لهم من عذر. فأخر ﷺ أمرهم حتى يقضي الله فيهم . ونهي المسلمين أن يكلموا هؤلاء الثلاثة . ثم لما مضت أربعون ليلة أمرهم[1] أن يعتزلوا نساءهم . ونزلت توبتهم بعد ما تم خمسون يوما من هِجْرَانِهِمْ. ففرحوا بذلك كما فرح به رسول الله ﷺ والمسلمون.



سبب غزوة تبوك

كانت دولة الروم أكبر دولة، وأعظم قوة فى ذاك العصر، وكانت مرهوبة الجانب فى نظر العرب وبلغت هذه الدولة أوجها حين هزمت جيوش الفرس الجرّارة[2] وأوغلت فى ديارهم سنة سبع من الهجرة[3]. فلم يمض على هذا الانتصار

(١) أي هؤلاء الثلاثة

(٢) الجرارة : الكثيفة لأنها تجرّ غبار الحرب.

(٣) راجع فتح البارى (ج١ ص٣١).

الرائع عامان حتى بلغ رسول الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء.[1]

فكان من اللوازم إرهاب هذه الدولة المجاورة، والقبائل العربية المتنصرة الخاضعة لهذه الدولة الجائرة؛ كما كان من الواجب إدخال الرعب فى القبائل العربية الباقية على الكفر والشرك والجهل والضلال، يعرقلون مسير الدعوة الإسلامية. وذلك للفت نظرهم إلى شوكة الإسلام العادلة الناشئة التى تهديهم إلى السعادة الأبدية. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2].

التجهز لغزوة تبوك

أمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم وكان قلما يخرج فى غزوة إلا كنّى بها؛ ولكنه صرح للناس بمقصدهم فى هذه الغزوة. وذلك لبعد الشقة[3]، وشدة الزمان، وعسرة الناس، وحدة الحر، وكثرة العدوّ، وجدب البلاد. كما كانت هذه الغزوة حين طابت الثمار والظلال، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها. فطفق المسلمون يتجهزون. وقال المنافقون: لا تنفروا فى الحر وذلك زهادة فى الجهاد، وشكا فى الحق، وإرجافا برسول الله ﷺ.[4] قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.[5]

---

(١) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص١٢٩) وأن هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب عزموا على قصده ﷺ (الكامل لابن الأثير: ج٢ ص١٨٩). وروى الطبرانى أن هرقل بعث رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين الفا (المواهب: ج١ ص٦٢٦) والبلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى.

(٢) التوبة: ١٢٣

(٣) الشقة: المسافة.

(٤) ابن هشام (ج٤ ص١٦٩، ١٧٠) والإرجاف: توليد الأخبار الكاذبة.

(٥) التوبة: ٨١، ٨٢

جَدَّ رسول الله ﷺ فى سفره، وأمر الناس بالجهاز، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان[1]. فكان أولهم إنفاقا أبا بكرﷺ؛ جاء بجميع ماله،أربعة آلاف درهم. فقال له رسول الله ﷺ هل أبقيت لأهلك شيئا؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. وجاء عمر بن الخطاب ﷺ بنصف ماله فقال له رسول الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئا ؟ قال النصف الثانى. وجاء عبد الرحمن بن عوف ﷺ بمائة أوقية؛ وعاصم بن عدىّ بسبعين وسقا من تمر؛ وبعثت النساء رضي الله عنهن بكل ما يقدرن عليه من حليهنّ[2]. وكان أعظمهم إنفاقا يومئذ عثمان بن عفان ﷺ[3]. فلما حثهم رسول الله ﷺ وَعَدَ بمائة بعير ثم لما حثهم الثانية وعد بمائتي بعير. ثم لما حثهم الثالثة وعد بثلاثمائة بعير.[4] وفى رواية جاء بألف دينار فنثرها فى حجر رسول الله ﷺ فجعل يقلبها وهو يقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، مرتين.[5]

لوعة البكّاءين[6]

جاء سبعة نفر[7] إلى رسول الله ﷺ فاستحملوه. وكانوا أهل حاجة؛ فقال: "لا أجد ما أحملكم عليه" فتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون. كان منهم أبو يعلى بن كعب وعبد الله بن مغفل رضي الله عنهما فلقيهما يامين بن عمرو، وهما يبكيان؛ فأعطاهما ناضحا وزوّدهما شيئا من تمر[8]. وكان منهم

---

(١) أى على بذل المعسرين النفقة والحملان. والحملان : ما يركب ويحمل عليه من الدواب.

(٢) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص١٣٠). وتصدّقُ أبى بكرﷺ بجميع ما عنده وعمر بنصف ما عنده رواه أبو داود (٣/٤٠/١٦٧٨) والترمذى (٥٠/١٦/٣٦٧٥). وليس فيه أنه فى تجهيز تبوك. ولكن صرح بذلك محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوى فى تعليقه على بذل المجهود (ج٨ ص٢٢٧) كما أورده فى هذه الغزوة (غزوة تبوك) بعض أهل السير كالحلبي وزيني دحلان.

(٣) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٢١٤).

(٤) راجع سنن الترمذى (٥٠/١٩/٣٧٠٠).

(٥) راجع سنن الترمذى (٥٠/١٩/٣٧٠١).

(٦) اللَوْعَة: حرقة الحزن.

(٧) وهم سالم بن عُمير وعُلبة بن زيد وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب وعمر بن حُمام بن الجموح وعبد الله بن المغفَل المزنى وهَرَمِيُ بن عبد الله وعرباض بن سارية الفزارى (ابن هشام: ج٤ ص١٧٢).

(٨) ابن هشام (ج٤ ص١٧٢). والناضح: الجمل الذى يستقى عليه الماء. فكانا يعتقبانه مع رسول الله ﷺ (ابن الأثير: ج٢ ص١٩٠) واسم الرجل يامين بن عمرو فى دلائل البيهقى (ج٥

عُلبة بن زيد، فبكى بعد صلاته من ليلته من فقده جهاز جهاده بيده وبيد رسول الله ﷺ . فقال: "إنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى مال أو جسد أو عرض." ثم أصبح مع الناس. فقال رسول الله ﷺ: أين المتصدق هذه الليلة؟ فلم يقم أحد ثم قال: أين المتصدق؟ فليقم. فقام إليه علبة. فقال ﷺ أبشر فوالذى نفس محمد بيده، لقد كُتبت فى الزكاة المُتقبّلة.(١)

مخرج المسلمين إلى تبوك

خرج رسول الله ﷺ من المدينة فى رجب سنة تسع من الهجرة(٢)، بعد ما استخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاريّ ﷺ، ومعه ما يزيد على ثلاثين ألفا من الناس(٣). وكان معهم عشرة آلاف فرس٤. وخلّف عليّ بن أبى طالب(على أهله) فقال: يا رسول الله أتخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال: ‹أما ترضى أن تكون منى بِمنــــزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدى›.(٥)

ثم إن عليا ﷺ أتاه، وهو نازل بالجُرُف(٦) فقال: يا رسول الله، زعم المنافقون ‹أنك إنما خلفتنى تستثقلنى وتخفف عنى› فقال رسول الله: ‹كذبوا، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى فارجع، فاخلفنى فى أهلى وأهلك؛ ألا ترضى، يا عليّ، أن تكون منى بِمنْزلة هارون من موسى؛ إلا أنه لا نبيّ بعدى›. فرجع إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ لسفره.(٧)

ص٢١٨) وابن يامين بن عمير فى ابن هشام (ج٤ ص١٧٢) وفى ابن كثير (ج٥ ص٩). وفيهما " وزودهما شيئا من تمر" كما ذكرنا. وفى بعض نسخ البيهقى:" وزودهما شيئا من لبن ".

(١) دلائل النبوة للبيهقيّ (ج٥ ص٢١٩) وقوله: كُتبتْ: أي تلك الصدقة.

(٢) ابن هشام (ج٤ ص١٦٩) وابن كثير (ج٥ ص٥) وتعليق عبد المعطى على دلائـــل البيهقـــى (ج٥ ص٢٢٨) وكانت غزوة تبوك يوم الخميس فى رجب سنة تسع من الهجرة بـــلا خـــلاف. وذكر البخاريِ لها بعد حجة الوداع لعله خطأ من النساخ. المواهـــب اللدنيـــة (ج١ ص٦٢٥) وفتح البارى (ج٨ ص١١١).

(٣) دلائل البيهقى (ج٥ ص٢١٩).

(٤) فتح البارى (ج٨ ص١١٨) والمواهب اللدنية للقسطلانى (ج١ ص٦٣٠).

(٥) رواه الشيخان فى صحيحيهما كلاهما فى كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عليّ بن أبى طالب ﷺ.

(٦) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

(٧) دلائل البيهقى (ج٥ ص٢٢٠)

المسلمون بتبوك

لما مر رسول الله ﷺ بمساكن ثمود بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم[١]. ثم لما نزلوها استقوا من آبارهم وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين[٢]. وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة.[٣]

سار رسول الله ﷺ حتى انتهى بأصحابه إلى تبوك. فأتاه أهل أيلة وأهل جرباء وأهل أذرح فصالحوه وأعطوه الجزية وكتب لهم كتاب أمَنة وذمة . وأعطى أهل أيلة مع كتابه بردة أمانا لهم[٤]. ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ فى أربعمائة وعشرين فارسا إلى أكيدر بن عبد الملك الكندى النصرانىّ ملك دومة الجندل فقال لخالد: 'إنك ستجده يصيد البقر' فوجده كذلك. قد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة يصيد البقر الوحشىّ فأخذه خالد وأتى به رسول الله ﷺ. فصالحه على الجزية ثم خلى سبيله.[٥]

العودة إلى المدينة

أقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ثم رجع ولم يلق كيدا[٦]. ولم يقدم عليه الروم ولا العرب المتنصرة[٧]. وسار حتى نزل بذى أوان فجاءه خبر مسجد الضرار من السماء. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا

(١) راجع صحيح البخارى (٦٠/ ١٧/ ٣٣٨٠) ومسلم (٣٩/١/٥٣).
(٢) قال الحافظ العسقلانى: وفى الحديث كراهة الاستقاء من بيار ثمود ويلتحق بها نظائرها من الآبار والعيون التى كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره. (فتح البارى: ج٦ ص٣٨٠). وذكر الإمام النووى من فوائد هذا الحديث مجانبة آبار الظالمين والتبرك بآبار الصالحين (شرح مسلم: ج٩ ص٣٣٩).
(٣) راجع صحيح البخارى (٣٣٧٩/١٧/٦٠) ومسلم (٤٠/١/٥٣).
(٤) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٢٤٧-٢٤٨).
(٥) راجع دلائل البيهقى (ج٥ ص٢٥٠-٢٥١).
(٦) المواهب اللدنية للقسطلانى (ج١ ص٦٣٣).
(٧) ابن الأثير (ج٢ ص١٩٢).

بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ (1)

كان طائفة من المنافقين بنوا هذا البناء فى صورة مسجد قريبا من مسجد قباء. وأرادوا أن يصلى لهم رسول الله ﷺ فيه حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد.(2) فأتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه. فقال رسول الله ﷺ إنى على جناح سفر، فلو قد رجعنا إن شاء الله عز وجل أتيناكم فصلينا لكم فيه. فلما أتاه خبر السماء بذى أوان أرسل مالك بن الدُخشُم ومعن بن عدىّ فحرقاه وهدماه وتفرق عنه أهله.(3)

ولما قدم النبيّ ﷺ المدينة تلقاه الناس على ثنية الوداع(4) وجعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع(5)

وجاءه المخلفون من المنافقين يحلفون ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله ﷺ(6).

قصة أبى خيثمة فى غزوة تبوك

وكان نفر من المسلمين قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك عن غير

---

(1) التوبة (١٠٧،١٠٨).

(2) البداية والنهاية (ج٥ ص٢٧).

(3) راجع دلائل البيهقى (ج٥ ص٢٦٠).

(4) راجع صحيح البخارى (٣٠٨٣/١٩٦/٥٦).

(5) دلائل البيهقى (ج٥ ص٢٦٦) والبداية والنهاية (ج٥ ص٢٩).

(6) ابن الأثير (ج٢ ص١٩٢).

شك ولا ارتياب. منهم أبو خيثمة، وكعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية رضى الله عنهم فكانوا رهط صدق لا يتهمون فى إسلامهم[1]. ثم إن أبا خيثمة رجع، بعد مسير رسول الله أياما، إلى أهله فى يوم حار، فوجد امرأتين له فى عريشين[2] لهما فى حائط؛ قد رشّت كل واحدة منهما عريشها وبرّدت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاما. فلما قام على باب العريشين قال : رسول الله ﷺ فى الضح[3] والريح والحر، وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء فى ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف[4]. لا والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ. فأمرهما فهيأتا له زادا. فخرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى إذا دنا منه وهو نازل بتبوك. قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل. فقال رسول الله ﷺ: "كن أبا خيثمة[5]" فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة.[6]

قصة كعب بن مالك رضي الله عنه فى غزوة تبوك

كان كعب بن مالك رضي الله عنه قد شهد مع رسول الله ﷺ جميع المشاهد إلا بدرا . ولم يعاتب أحدا تخلف عن بدر لأنه خرج يريد عير قريش فوقعت الحرب مع النفير على غير ميعاد. ولما تجهز رسول الله ﷺ والمسلمون لغزوة تبوك طفق كعب يغدو كل يوم ليتجهز مع الناس فيرجع ولم يقض شيئا حتى ارتحل رسول الله ﷺ والمسلمون معه. فأراد أن يلحقهم لكن ما قُدّر له ذلك. وقد أحزنه أنه إذا خرج فى الناس لم ير إلا منافقا أو ضعيفا.

ثم لما بلغه أن رسول الله ﷺ توجه قافلا طفق يتذكر الكذب ليخرج من

---

(١) دلائل البيهقى (ج٥ ص٢١٩).

(٢) العريش: شبيه بالخيمة يظلل فيكون أبرد الأخبية والبيوت.

(٣) الضِحّ: الشمس.

(٤) النصف: بالكسر الإنصاف.

(٥) أى: أنت أبو خيثمة أو اللهم اجعله أبا خيثمة أو لتوجد يا هذا الشخص أبا خيثمة حقيقة. وهذا الأخير هو المعنى الأشبه كما قال النووى فى شرح مسلم (ج٩ ص١٠٨).

(٦) دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٢٢٣).

سخطه واستعان على ذلك بكل ذى رأي من أهله. فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عنه الباطل فأجمع صدقه.

وصل رسول الله ﷺ المدينة فبدأ – كعادته – بالمسجد وصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس فجاءه المخلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلا يعتذرون ويحلفون فقبل علانيتهم ووكّل سرائرهم إلى الله. فلما جاء كعب بن مالك فسلم عليه تبسم تبسُم المغضب. وسأله عن عذره. فلم يكذب خوفا من سخط الله وحدث بصدقه رجاء عفوه. قال: 'لا والله ما كان لى من عذر'. فقال رسول الله ﷺ: 'أما هذا فقد صدق. قم حتى يقضي الله فيك.' فأشار عليه رجال من أهله بنى سَلِمَة أن يعتذر إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون. قال لهم: هل لقي هذا معى أحدٌ؟ قالوا: 'مرارة بن الربيع وهلال بن أمية' فاتخذهما أسوة وكانا بدريين.

نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين المخلفين. فلبثوا على ذلك خمسين يوما. فمرارة وهلال رضي الله عنهما استكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان. وأما كعب فكان أشب القوم فيشهد الجماعة ويطوف فى الأسواق ولا يكلمه أحد؛ ويأتي رسول الله ﷺ فيسلم عليه فلا يستيقن هل حرك شفتيه بردّ السلام أم لا. وبينما هو يمشى بسوق المدينة إذا نبطىّ من أنباط الشام أتاه بكتاب من ملك غسان. فإذا فيه: أما بعد: فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة[1] فالْحَقْ بنا نُواسِك. فقال كعب لما قرأه: 'وهذا أيضا من البلاء' فقصد به التنور فسجّره[2] به.

ولما مضى أربعون ليلة من الخمسين مدة الهجر أمرﷺ الثلاثة أن يعتزلوا نساءهم ثم إنه ﷺ أَذِن امرأةَ هلال فى خدمته حيث كان شيخا ضائعا بلا خادم. ومضت لهم على ذلك عشر ليال حتى كملت لهم خمسون ليلة؛ فَأَذَّنَ رسول الله

---

(١) استكانا : خضعا وذلا. والأنباط : هنا الفلاحون. 'ولا مضيعة': أى حيث يضيع حقك

(٢) سجره: أشعله وأحرقه.

بتوبة الله عليهم حين صلى صلاة الفجر. فذهب الناس إليهم يهنؤون ويبشرون.[١]

قال الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[٢]

معجزات ظهرت فى غزوة تبوك

الوحدة عند الوفاة

أبطأ على أبي ذر رضي الله عنه بعيره فى مسيره إلى تبوك. فحمل متاعه على ظهره وتبع رسول الله ﷺ ماشيا. فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشى على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: 'كن أبا ذر.' فلما تأمله القوم قالوا: 'يا رسول الله، هو والله أبو ذر' فقال رسول الله ﷺ يرحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده![٣]

ثم مضت الأيام فالأعوام وأبو ذر رضي الله عنه بالمدينة، فى عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه. فلما مات أبو بكر رضي الله عنه خرج إلى الشام[٤]. وكان زاهدا متقللا من الدنيا. وكان مذهبه أنه يحرم على الإنسان ادّخار ما زاد على حاجته.[٥] ففى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وقع فى ذلك خلاف بين أبي ذر ومعاوية أمير الشام حيث أوجب

---

(١) راجع صحيح البخارى: كتاب المغازى، باب حديث كعب بن مالك (٤٤١٨/٧٩/٦٤) وصحيح مسلم: كتاب التوبة: باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٥٣/٩/٤٩).

(٢) التوبة: ١١٧-١١٩

(٣) دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٢٢١-٢٢٢).

(٤) البداية والنهاية (ج٧ ص١٩٩).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووى رحمه الله (ج٢ ص٥١٣).

التصدق بما فضل عن القوت، يتأول قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]

بلغ الخبر عثمانﷺفاستقدم أبا ذر إلى المدينة واسترجعه عن رأيه فلم يرجع. ثم إنه استأذن عثمان فنــزل بالربذة[2]. فأقام بها[3] حتى مات وليس عنده إلا امرأته وأولاده.[4] فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال: إذا متُّ فأغسلاني وكفناني من الليل ثم ضعاني على قارعة الطريق؛ فأوّل ركب يمرّون بكم فقولوا: هذا أبو ذر(صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه[5]) فلما مات فعلوا به كذلك. فاطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركابهم[6] تطأ سريره، فإذا عبد الله بن مسعودﷺفى رهط من أهل الكوفة[7] فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر. فاستهلّ[8] ابن مسعود يبكي وقال: صدق رسول اللهﷺ: يرحم الله أبا ذر! يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، فنــزل فوليه بنفسه حتى أجنّه.[9]

دعوة عند عطش الجيش

نزل المسلمون فى مسيرهم إلى تبوك فى منــزل؛ فأصابهم فيه عطش شديد حتى إن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه[10] فيشربه، ويجعل ما بقى على كبده[11]. فقال أبو بكر الصديقﷺ 'يا رسول الله، إن الله قد عودك فى الدعاء خيرا؛ فادع

---

(١) التوبة: ٣٤

(٢) الربذة: قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام منها (وفاء الوفا: ج٣ ص١٠٩١).

(٣) حتى لا يشتد الخلاف بين المسلمين بسببه حيث خالف مذهبه فى ذلك مذهب جمهور الصــحابة وذاك مجرد اجتهاده فهو مثاب فى ذلك.

(٤) راجع البداية والنهاية (ج٧ ص١٨٨، ١٩٩).

(٥) ما بين القوسين من حلية الأولياء لأبى نعيم (ج١ ص١٢٩).

(٦) الركاب: الإبل.

(٧) أى كان فى ذلك الركب رهط من أهل الكوفة وكان ابن مسعود فى هذا الرهط.

(٨) استهل يبكى: رفع صوته باكيا.

(٩) البداية والنهاية (ج٥ ص١٣) ودلائل البيهقى (ج٥ ص٢٢٢) ومعنى أجنه: قبره ودفنه.

(١٠) الفرث: السرجين ما دام فى الكرش.

(١١) تبريدا له.

الله لنا' فرفعﷺيديه فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت[1]. فملؤوا ما معهم. ثم ذهبوا ينظرون فلم يجدوها قد جاوزت العسكر.[2]

دعوة عند مجاعة الجيش

نفدت أزواد المسلمين فى طريقهم إلى تبوك؛ فأصابتهم مجاعة حتى همّ بعضهم بنحر إبلهم. فقال عمرﷺ 'يا رسول الله، لو جَمَعْتَ ما بقي من أَزواد القوم، فدَعَوْتَ الله عليها' فأمرﷺ بنطع[3] فبسطه ثم دعا بفضل أَزوادهم فجاء ذو البُرِّ ببُرّه وذو التمر بتمره وذو الكسرة بكسرته وذو النوى بنواه[4] حتى اجتمع على النطع شيء يسير. فدعا رسول اللهﷺ بالبركة ثم أمرهم، فأخذوا فى أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة[5]. فقال رسول الله ﷺ: اشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة.[6]

راحلة ضلت وداهية كُشفت[7]

ضلت ناقته ﷺ فى طريقه إلى تبوك؛ فذهب بعض أصحابه فى طلبها. فقال ﷺ لمن عنده، وفيهم عمارة بن حزم الأنصاري ﷺ: 'إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويخبركم خبر السماء؛ وهو لا يدري أين ناقته؟ ! وإني، والله، ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها؛ هي من الوادي فى شعب كذا، قد حبستها الشجرة بزمامها' فانطلقوا فجاؤا بها. فخرج عمارة إلى رحله؛ فحدثهم بذلك فقال

---

(١) سكبت: صبّت.

(٢) راجع مجمع الزوائد للهيثمى (ج٦ ص١٩٤، ١٩٥) ودلائل النبوة للبيهقـــى (ج٥ ص٢٣١). والبداية والنهاية (ج٥ ص١٣، ١٤).

(٣) النطع: بساط متخذ من أديم.

(٤) كانوا يمصّون النوى ويشربون عليه من الماء. راجع صحيح مسلم (١/١٠/٤٤).

(٥) فضلت فضلة: بقيت بقية من الطعام على النطع.

(٦) راجع صحيح مسلم (١/١٠/٤٤، ٤٥).

(٧) الداهية: المصيبة (والمراد هنا المنافق).

رجل منهم: إنما قال ذلك زيد بن اللصيت[1]. وكان زيد فى رحل عمارة قبل أن يأتي. فأقبل عمارة على زيد يجأ[2] فى عنقه، ويقول: إن فى رحلي لداهية، وما أدري، أُخرج عنى يا عدو الله، فلا تصحبنى.[3]

غزارة الماء بعين تبوك

قال رسول الله ﷺ فى مسيره إلى تبوك: 'إنكم ستأتون غدا، إن شاء الله عين تبوك؛ وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار.' وكانت العين تبِضُّ[4] بشيء من ماء. فلما جاؤوها غرفوا منها بأيديهم قليلا قليلا حتى اجتمع فى شيء،[5] وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها. فجرت العين بماء غزير حتى استقى الناس ثم قال ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملِئ جنانا.[6]

ريح ألقت الرجل بجبلي طيّء

مرّ رسول الله ﷺفى طريقه إلى تبوك بحديقة لامرأة، بوادي القرى[7]. فخرصها[8]ﷺ عشرة أوسق[9] وقال لها: 'أحصيها حتى نرجع إليك' ثم لما وصل وادي القرى قافلا من تبوك سألها: كم بلغ ثمرها؟ فقالت عشرة أوسق[10]. وقال رسول الله ﷺ حينما قدموا تبوك: 'ستهبّ عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها

---

(١) اللصيت: هكذا وجدنا بالتاء فى ابن كثير وابن الأثير والمواهب ولكن فى الإصابة أنه بالباء الموحدة. والرحل: المنْزل والمأوى.

(٢) يجأ: يضرب كوضع يضع (القاموس)

(٣) راجع ابن كثير (ج٥ ص١٤) ودلائل البيهقى (ج٥ ص٢٣٢) وابن الأثير (ج٢ ص١٩١) والمواهب للقسطلانى (ج١ ص٦٣١).

(٤) تبضّ بشيء: تسيل بقليل جدا.

(٥) فى شيء : فى إناء من الآنية. وفى نسخة المواهب (ج١ ص٦٣٢): فى شنٍّ.

(٦) راجع صحيح مسلم (٣/٤٣/١٠-٧٠٦). والجنان: البساتين والعمران.

(٧) وادي القرى: واد كثير القرى بين المدينة والشام (وفاء والوفا: ج٤ ص١٣٢٨).

(٨) الخرص: حزر ما على النخل من الرطب تمرا.

(٩) أوسق: جمع وسق وهو ستون صاعا.

(١٠) راجع صحيح مسلم (٣/٤٣/١١).

أحد منكم، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيّئ[1]. وقال يزيد بن نمران: رأيت رجلا بتبوك مُقعَدا.[2] فقال: مررت بين يدي النبي ﷺ وأنا على حمار. وهو يصلي: فقال: 'قَطع صلاتنا. قطع الله أثره[3].' فما مشيتُ عليها بعد.[4]

وفد ثقيف

(شهر رمضان سنة تسع)

كانت ثقيف قوما جفاة؛ فلما أتاهم رسول الله ﷺ قبل الهجرة، يلتمس منهم النصرة، ردّوه بالخيبة، وقابلوه بالحجارة. فلم يمقتهم ولم يلعنهم بل قال: أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله، لا يشرك به شيئا.[5] ثم لما حاصرهم سنة ثمان تمّنعوا وقاوموا، فلم يسلموا ولم يسالموا، فرفع الحصار وأمر بالرحيل. فلم يدع عليهم بل دعا لهم: اللهم اهد ثقيفا واكفنا مؤنتهم وائت بهم مسلمين.[6] فأجاب الله دعوته، وحقق رغبته؛ فتولى هدايتهم، وكفى المؤمنين مؤنتهم، وأتى بهم مسلمين.[7] فالحمد لله رب العالمين.

وذلك أن عروة بن مسعود الثقفي كان من سادات ثقيف وأحد السفراء

---

(١) المصدر المذكور. وجبلا طيّء: مشهوران. أحدهما أجاء والآخر سلمى. وطيّء: على وزن سيد، أبو قبيلة باليمن (شرح مسلم: ج٨ ص٤٨).

(٢) المقعد: من لا يقدر على القيام لزمانة به

(٣) أثره: مشيه.

(٤) راجع سنن أبي داود (٢/١٠٩/٧٠١ ، ٧٠٢). وقوله "فما مشيت" أى ما سرت على تلك الأقدام بعدُ أي بعد دعوة النبيّ ﷺ عليّ. وفى رواية المستغفرى فى دلائل النبوة لفظ عليهما أي على القدمين، راجع تعليق الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي على بذل المجهود فى حل أبي داود (ج٤ ص٣٧٩) وأما ما فى عون المعبود شرح أبي داود (ج٢ ص٢٨١) 'عليها' أي على الحمار وكذا ما فى بذل المجهود فى حل أبي داود (ج٤ ص٣٧٩) 'عليها' أي على الأقدام والأرض والحمار فبعيد.

(٥) انظر البداية والنهاية (ج٣ ص١٥٩).

(٦) السيرة الحلبية (ج٣ ص١١٨) والبداية والنهاية(ج٤ ص٤٠٦)ودلائل النبوة (ج٥ ص١٦٩).

(٧) فى شهر رمضان سنة تسع من الهجرة (ابن هشام: ج٤ ص١٩٤).

الذين فاوضوا رسول الله ﷺ فى صلح الحديبية وكان باليمن أيام غزوة الطائف.[١] فلما عاد إلى وطنه أسرع إلى رسول الله ﷺ يعلن بإسلامه حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة. واستأذنه فى العودة إلى قومه بالإسلام. فقال ﷺ 'إنهم قاتلوك' قال: عروة 'يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبكارهم' فقدم الطائف عشية اليوم ودعا ثقيفا إلى الإسلام، حتى إذا أصبح صعد غرفة داره؛ فأذن بصلاة الفجر. فرشقوه بالنبال حتى مات مغتبطا بتضحية نفسه فى سبيل الله: 'كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلىّ' ودُفن كما أوصى مع شهداء غزوة الطائف.[٢]

شعرت ثقيف بخطر جرمها ومدى ضعفها عن حرب المسلمين حيث دانت قبائل العرب للإسلام. فلم يلبثوا أن يرسلوا وفدا[٣] إلى رسول الله ﷺ يفاوضونه ويسالمونه[٤] فضرب لهم رسول الله ﷺ قبة فى ناحية المسجد[٥]، ليسمعوا القرآن وليروا صلاة المسلمين.[٦] فلم يزالوا يفاوضونه أياما حتى أسلموا. وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يدع لهم صنمهم 'اللات' ثلاث سنين.[٧] فأبي ذلك. فسألوا سنتين. فأبي، فطلبوا سنة فأبى حتى سألوه شهرا: ولكنه أبي إباء حاسما بلا هوادة. وطلبوا منه إعفاءهم عن كسر أوثانهم بأيديهم وعن إقامة الصلاة. فقال: أمّا كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك؛ وأما الصلاة فإنه لا خير فى دين لا صلاة

---

(١) كان مع غيلان بن سلمة بُجَرَش من اليمن يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور (ابن هشام: ج٤ ص١٢٢). والضُبور (جمع ضبر): آلة حربية تشبه الدبابة تغشى بالجلد تتقرب الرجال تحتها للحصن للقتال.

(٢) انظر دلائل البيهقي (ج٥ ص٣٠٤) وابن هشام (ج٤ ص١٩٤).

(٣) وهم ستة نفر يرأسهم عبد يا ليل (ابن هشام: ج٤ ص١٩٦). وقيل بضعة عشر يرأسهم كنانة بن عبد يا ليل (انظر ابن كثير: ج٥ ص٣٧). وكان قدومهم بعد مقتل عروة بأشهر.

(٤) انظر دلائل البيهقي (ج٥ ص٣٠٠).

(٥) انظر ابن هشام (ج٤ ص١٩٧) وابن كثير (ج٥ ص٣٧) والقبة هنا: الخيمة.

(٦) دلائل النبوة للبيهقي (ج٥ ص٣٠٠).

(٧) ليتألفوا قومهم ويتسلموا من سفهائهم وكراهة أن يروعهم بهدم طاغيتهم، لا لعبادتها ولا لتعظيمها بعد كونهم مسلمين.

فيه.[1]

وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص ﷺ. وكان أصغرهم ولكنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلم القرآن.[2] وعهد إليه أمورا. وكان آخر ما عهد إليه: يا عثمان تجوز فى الصلاة، واقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة.[3] وشكى إليه وجعا يجده فى جسده. فقال له: ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شرما أجد وأحاذر.[4]

ولما رجع الوفد إلى الطائف كتموا إسلامهم أولا وقالوا: 'جئنا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف، وأمر بهدم الربّة، اللات وحرم الربا والزنا والخمر' نفرت ثقيف مما سمعوا من وفدهم وقالوا: لا نطيع لهذا أبدا. ثم لما ألقى الله تعالى الرعب فى قلوبهم وذهبت عنهم نخوة الشيطان أظهر الوفد إسلامهم. فعند ذلك أسلمت ثقيف جميعا. فأرسل رسول الله ﷺ إليهم من يهدم طاغيتهم اللات[5] وبذلك صارت الطائف معقل الإسلام.

حجة أبي بكر رضي الله عنه

(ذو الحجة ، سنة تسع من الهجرة)[6]

كانت العرب قد نبذوا وراء ظهورهم دين أبيهم إبراهيم ﷺ. فاتخذوا من دون الله أندادا وعبدوا الأصنام والأوثان. ومع ذلك كله كانوا يعظمون البيت

---

(١) ابن كثير (ج٥ ص٣٧) وابن هشام (ج٤ ص١٩٧).

(٢) ابن كثير (ج٥ ص٣٨) وكانوا يغدون على رسول الله ﷺ كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم لأنه أصغرهم . فكان عثمان كلما رجع الوفد إليه وقالوا بالهاجرة (قيلولة الاستراحةِ) عمد إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الدين واستقرأه القرآن. وكان إذا وجده نائما عمد إلى أبي بكر ﷺ. وكان يكتم ذلك من أصحابه (دلائل البيهقى: ج٥ ص٣٠١).

(٣) ابن كثير (ج٥ ص٣٨).

(٤) رواه مالك وأحمد ومسلم وأهل السنن.

(٥) انظر ابن كثير (ج٥ ص٤١) ودلائل البيهقى (ج٥ ص٣٠٣).

(٦) راجع المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى (ج٤ ص١١٤).

الحرام؛ كما كانوا يتدينون بالحج والطواف.[1] ولكنهم قد مسخوا مشاعر النسك وأدخلوا فيها بدعا فضيحة.[2] فكانت قريش ومن دان دينها[3] يقفون بالمزدلفة.[4] وكانوا يُسمَّون الحُمس.[5] وكان سائر العرب يقفون بعرفات.[6] كما كانت العرب لا يطوفون إلا فى ثياب الحمس. فالحمس يعطيهم الثياب: الرجال الرجال والنساء النساء فمن لم يجد شيئا منها طاف بالبيت وهو عريان.[7] ولكن رسول الله ﷺ كان إذا حج فى تلك الأيام يقف بعرفة خلاف ما يفعله سائر الحمس.[8]

لم تزل العرب على ذلك حتى فتح رسول الله ﷺ مكة واستعمل عليها عتاب بن أسيد ﷺ. فحج المسلمون معه سنة ثمان.[9] ثم لما آن موسم الحج سنة تسع أرسل رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ ليحج بالناس. فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة. ثم نزلت على رسول الله ﷺ أوائل سورة براءة تعلن بنبذ عهود المشركين. فأرسل

---

(١) فكانت قريش فى الجاهلية لا يتركون الحج إلا لسفر أو لضعف. راجع فتح البارى (ج٨ ص١٠٧).

(٢) فمن الفواحش التى كانوا عليها الطواف بالبيت عراة. راجع شرح مسلم (ج٤ ص٤٥٦).

(٣) وهم من ولد قهم قريش. فقد كانت قريش إذا خطب إليهم الغريب من سائر القبائل اشترطوا عليه أن ولدها (أي القرشية) على دينهم فمن كانت له من أمهاقم قرشية فهو كقريش من الحمس كبعض خزاعة وكنانة وثقيف وبني صعصعة وغزوان والخزرج. راجع فتح البارى (ج٣ ص٥١٦، ٥١٧).

(٤) فمزدلفة من الحرم، وعرفات بالحل خارج الحرم. فقالت قريش نحن أهل الله لا نخرج من الحرم. راجع فتح الباري (ج٣ ص٥١٦).

(٥) فقريش ومن ولدهم قريش يسمّون الحمس .والحمس جمع أحمس وهو الشديد . سُمّوابذلك لأنهم تحمسوا أي تشددوا فى دينهم. راجع فتح البارى (ج٣ ص٥١٦) وشرح مسلم (ج٤ ص٤٥٦).

(٦) صحيح البخارى،كتاب التفسير، باب ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس (٤٥٢٠/٣٥/٦٥) وصحيح مسلم كتاب الحج ، باب فى الوقوف (١٥/ ٢١/ ١٥١[١٢١٩]).

(٧) راجع صحيح البخارى (١٦٦٥/٩١/٢٥) وصحيح مسلم (١٥٢/٢١/١٥[١٢١٩]).

(٨) راجع صحيح البخارى (١٦٦٤/٩١/٢٥) وصحيح مسلم (١٥٣/٢١/١٥[١٢٢٠]).

(٩) راجع فتح البارى (ج٣ ص٥١٦ و ج٨ ص٨٢).

علي بن أبي طالب على أثر أبي بكر رضي الله عنهما، ليقرأ على الناس هذه الآيات وليؤذن فيهم يوم النحر بمني: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشـــرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو له إلى مدتـــه، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر.[1] فأذن على ﷺ بما أمر، وساعده أبو بكر ﷺبمؤذنين يعلنون برسالة عليّ فى مجامع الناس.[2]

---

(١) راجع دلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٢٩٥-٢٩٧).

(٢) راجع فتح البارى (ج٨ ص٣١٨).

السنة العاشرة

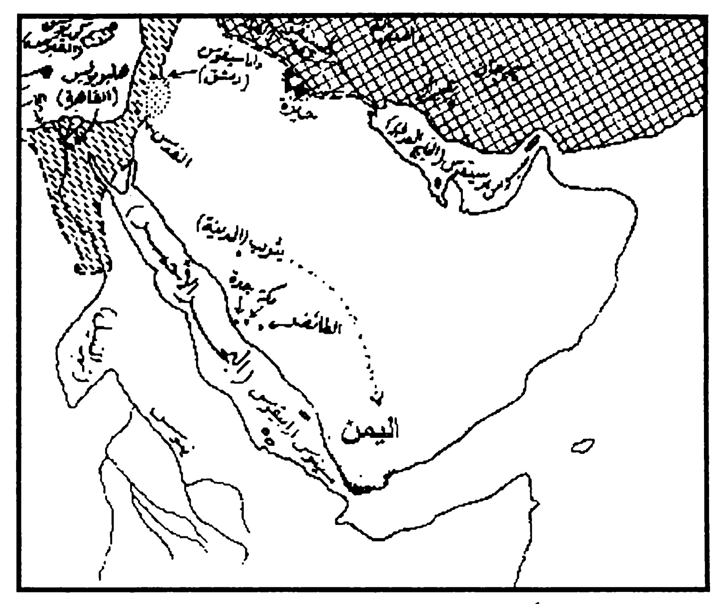
الدعوة ببلاد اليمن

البعوث إلى اليمن

حجة الوداع

- الإحرام بذى الحليفة
- الطواف بالبيت الحرام
- التوجه إلى منى
- أعمال يوم النحر وأيام التشريق
- العودة إلى المدينة
- خطبات حجة الوداع
- خطبة يوم النحر
- خطبة يوم النفر

الدعوة ببلاد اليمن



كانت اليمن من أخصب بلاد جزيرة العرب وكانت موطن شعب قحطا
ن العرب. فلما تصدع سد مأرب تفرقت القبائل فى الشمال والغرب من بلا
لعرب. ولكن قد بقي بها كثير من قبائل حمير وكندة ومذحج والأشعريون وغيرها
ولعب الحميريون دورا مديدا فى سياسة اليمن، فى عصور ما قبل الإسلام، حتى
ملكهم ذو نواس الحميرى؛ فكان متعصبا لليهودية[1] حتى أحرق بالنار نصارى
نجران سنة ٥٣٤م . فبعث إليه النجاشى النصرانى[2] صاحب الحبشة جيشا فى قياد
أرياط الحبشى؛ فغلب أرياط على ذى نواس؛ وجعل يحكم اليمن مِن قِبَل النجاشى
حتى اغتاله قائده أبرهة فاسترضى النجاشيَّ ومَلَك صنعاءَ إلى أن قتله الله شر قتلة فى
حادثة الفيل.

فبعد أبرهة خلفه أبناؤه فأذلوا أهل اليمن فاستنجد عليهم سيف بن ذى يز

(١) كان نصرانيا كقومه ثم اعتنق اليهودية فى أواخر أيامه .
(٢) حسب إرشاد ملك الروم.

الحميرى بقيصر ملك الروم فلم يجبه ؛ فاستنجد بكسرى ملك الفرس فأجابه حتى هزم بجيشه الأحباش من اليمن، وملّك عليها واليا من قبله. فما زالت ولاة كسرى تتعاقب على اليمن حتى كان آخرهم باذان. وكان باذان ممن أجاب إلى الإسلام. فأقره رسول الله ﷺعلى ولايته على اليمن. ولم يكن حكم باذان عاما بل كانت باليمن مخاليف أخرى يحكمها أقيال[1] القبائل. فأرسل إليهم رسول الله ﷺ من يدعوهم إلى الإسلام. فالمشركون لبوا لدعوة الإسلام. وأما أهل الكتاب فمنهم من أسلم ومنهم من صالح على الجزية.

فكانت وِفادات من شتى قبائل اليمن قد أتت المدينة تعلن بإسلامها بين يدى رسول الله ﷺ. ذكر منها محمد بن سعد فى طبقاته ما يربو على الأربعين؛ منها وفد الأشعريين، ووفد خولان، ووفد كندة، ووفد همدان، ووفد بُجيلة، ووفد خثعم، ووفد حضر موت، ووفد حمير، ووفد نجران.[2]

البعوث إلى اليمن

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ فى أربعمائة من المسلمين فى شهر ربيع الأول[3] إلى بنى الحارث بنجران يدعوهم إلى الإسلام فأجابوا وأسلموا. فأقام خالد بين أظهرهم مدة يعلمهم شرائع الإسلام حتى استقدمه رسول الله ﷺ . فقدم المدينة بوفد من بنى الحارث. فأجازهم النبيّ ﷺ بعشر أواق؛ وأمّر عليهم رجلا منهم؛ وانصرفوا فى شوال. فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ.[4] وكان رسول الله ﷺ بعث إليهم فى أثرهم عمرو بن حزم يفقههم فى الدين ويأخذ منهم صدقاتهم.[5]

وأما نصارى نجران فقد كتب إليهم رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الإسلام.

---

(١) أقيال: جمع قَيْل. و القيل: الملك والرئيس.
(٢) راجع طبقات ابن سعد (ج١ ص٣٢١-٣٥٩).
(٣) كما ذكره ابن سعد (ج١ ص٣٣٩). وفى البداية والنهاية (ج٥ ص١١٦) ودلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٤١١) عن ابن إسحاق: فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى.
(٤) راجع ابن سعد (ج١ ص٣٣٩-٣٤٠).
(٥) البداية والنهاية (ج٥ ص١١٧) ودلائل النبوة للبيهقى (ج٥ ص٤١٣).

فأرسلوا إليه رجلين من رؤسائهم - السيد والعاقب[1] فى نفر من أشرافهم. فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام. فأبوا ذلك فتلا عليهم القرآن. ثم قال: إن أنكرتم ما أقول لكم، فَهَلُمَّ أُباهِلُكم. وخرج رسول الله ﷺ للمباهلة ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين. فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها. فخافوا عن المباهلة ورضوا بالمصالحة. فصالحوا رسول الله ﷺ على بذل ما يحب من مال. فجعل لهم ذمة الله وعهده: أن لا يفتنوا عن دينهم ولا يُعَشَّروا بشرط أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به.[2]

وبعث رسول الله ﷺ (فى ربيع الآخر[3]) أبا موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى اليمن - أبا موسى إلى الجهة السفلى ومعاذا إلى الجهة العليا. وقال لهما: "يسّرا ولا تعسّرا؛ وبشّرا ولا تنفّرا."[4] وأركب رسول الله ﷺ معاذا ومشى ﷺ فى ظل راحلة معاذ. يوصيه ويودعه حتى قال: "يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، ولعلك أن تمرّ بمسجدى وقبرى". فبكى معاذ خشَعا لفراق النبيّ ﷺ.[5] وكان فيما أوصاه رسول الله ﷺ "إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين"[6] ثم إن أبا موسى رجع إلى مكة فى حجة الوداع.[7] وأما معاذ فلم يزل على اليمن إلى أن قدم فى عهد أبي بكر ﷺ ثم توجه إلى الشام حيث توفى بها.[8]

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ إلى همدان باليمن يدعوهم إلى

---

(١) السيد اسمه الأَيْهَم كان صاحب رحالهم؛ والعاقب اسمه عبد المسيح كان صاحب مشورتهم (فتح البارى: ج٨ ص٩٤).

(٢) راجع صحيح البخارى مع فتح البارى (ج٨ ص٩٤–٩٥) والكامل لابن الأثير (ج٢ ص٢٠٠) وطبقات ابن سعد (ج١ ص٣٥٧).

(٣) شرح المواهب (ج٤ ص١٣٢).

(٤) راجع صحيح البخارى (٦٤/٦٠/٤٣٤١) مع فتح البارى (ج٨ ص٦١).

(٥) رواه الإمام أحمد. راجع البداية والنهاية (ج٥ ص١١٨).

(٦) رواه الإمام أحمد. راجع البداية والنهاية (ج٥ ص١٢٠).

(٧) دلائل البيهقى (ج٥ ص٤٠٤).

(٨) شرح المواهب (ج٤ ص١٣٧). وكان معاذ قاضيا للنبيّ ﷺ وحاكما فى الحروب ومُصَدّقا، إليه تدفع الصدقات، كما كان يصلى بالناس الخمس. (البداية والنهاية: ج٥ ص١٢٢).

الإسلام. فأقام على ذلك ستة أشهر. فلم يجيبوه. فأرسل إليهم النبيّ ﷺ عليًا ؓ وأمر خالدا أن يرجع. فصف عليّ الجيشَ صفا واحدا ثم تقدم يقرأ على القوم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعا. فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ. فخرّ ساجدا ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان، السلام على همدان.[1] ثم أرسل ﷺ عليّا ؓ إلى نجران (فى شهر رمضان[2]) ليجمع صدقاتهم وجزيتهم. (فقدم من اليمن حاجا)[3] فلقي النبيّ ﷺ بمكة فى حجة الوداع.[4]

حجة الوداع[5]

(ذو الحجة، سنة عشر من الهجرة)

حج رسول الله ﷺ قبل الهجرة حججا لا يدرى عددها، وبعدها لم يحج إلا حجة واحدة. وهى حجة الوداع.[6] أما عمرته فكانت أربع مرات – عمرة الحديبية وعمرة القضية وعمرة الجعرانة وعمرة مع حجة الوداع.[7] فلما أراد حجة الوداع أذن فى الناس بذلك فقدم المدينة بشر كثير، كل يلتمس أن يأتم به ويصاحبه فى حجة الإسلام.[8] فخرج رسول الله ﷺ من المدينة بعد الظهر، يوم الخميس لِست

---

(١) راجع دلائل البيهقى (ج٥ ص٣٩٦) وفتح البارى (ج٨ ص٦٦) والكامل (ج٢ ص٢٠٥).

(٢) ما بين القوسين من المواهب اللدنية (ج١ ص٦٤٤).

(٣) راجع صحيح البخارى (٤٣٥٣/٦١/٦٤).

(٤) الكامل (ج٢ ص٢٠٥).

(٥) حجة الوداع: بكسر حاء حجة وبفتحها وبكسر واو الوداع وبفتحها (فتح البارى: ج٨ ص١٠٣) سميت بذلك لأن النبيّ ﷺ ودع الناس فيها ولم يحج بعد الهجرة غيرها (شرح مسلم: ج٤ ص٤٠٨).

(٦) فتح البارى (ج٨ ص١٠٣– ١٠٤).

(٧) كل ذلك كان فى ذى القعدة إلا عمرته مع حجته ففى ذى الحجة . راجع صحيح البخارى: كتاب العمرة، باب كم اعتمر النبيّ ﷺ (١٧٧٨/٣/٢٦ ، ١٧٧٩، ١٧٨٠).

(٨) راجع صحيح مسلم : كتاب الحج، باب حجة النبيّ ﷺ (١٤٧/١٩/١٥[٨٨٦]).

بقين من ذى القعدة سنة عشر من الهجرة[1] بعد أن استعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ﷺ[2] وكان معه مائة ألف وأربعة عشر ألفا. وكان معه جميع أزواجه رضى الله عنهن أجمعين.[3]

الإحرام بذى الحليفة

نزل رسول الله ﷺ بذى الحليفة[4] فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها حتى أصبح ثم أقام بها حتى صلى الظهر فاغتسل وتطيب ثم أحرم[5] بالحج مفردا. وأما الصحابة فكان منهم متمتع ومنهم قارن كما كان فيهم مفرد.[6] فلبى رسول الله ﷺ

---

(١) فإنه كان قلّما يخرج لسفر فى غير يوم الخميس وكان يحب الخروج فى يوم الخميس. فخرج يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة بعدما صلى الظهر بالمدينة أربعا وصلى العصر بذى الحليفة وبات بها ليلة الجمعة وصلى بها الصبح والظهر ثم خرج منها محرما يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة . فقول عائشة رضى الله عنها : خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذى القعدة ولا نرى إلا أنه الحج (مسلم ١٢٥/١٧/١٥ [١٢١١]). فكأنها لم تحسب المرحلة التي بين المدينة وذى الحليفة لكونها قريبة فأرادت الخروج من ذى الحليفة كما يظهر مما رواه البخارى (١٥٤٥/٢٣/٢٥) من ابن عباس رضى الله عنهما من أن اندفاعه ﷺ من ذي الحليفة بعد أن بات بها كان لخمس بقين من ذى القعدة . ولا يصح أن يكون خروجه من المدينة يوم الجمعة لما صح عن أنس ﷺأنه ﷺ صلى الظهر بها أربعا يوم خروجه (البخارى: ١٥٤٦/٢٤/٢٥، ١٥٤٧) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٢٥٧) وعمدة القارى للعلامة العينى (ج٩ ص١٦٨) وحاشية العلامة ابن حجر الهيتمي على إيضاح المناسك للعلامة النوويّ (ص٤٠).

وذهب بعضهم إلى أنه ﷺ خرج من المدينة يوم السبت لأربع بقين من ذى القعدة وحملوا ما ورد من أنه خرج لخمس بقين على عد يوم الخروج أو على تقدير الشهر تاما فاتفق نقصانه فى تلك السنة لاتفاقهم على أن أول ذى الحجة يوم الخميس وآخر ذى القعدة يوم الأربعاء . وأيدوا قولهم بما رواه الحاكم فى الإكليل عن محمد بن جبير بن مطعم قال: خرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة. راجع ابن كثير (ج٥ ص١٣٢) وفتح البارى (ج٣ ص٤٠٧) و (ج٨ ص ٢٧٢).

(٢) ابن هشام (ج٤ ص٢٧٢).

(٣) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٢٥٧).

(٤) ذوالحليفة: على أربعة أميال من المدينة.

(٥) ابن كثير (ج٥ ص١٣٤-١٣٦).

(٦) راجع صحيح البخارى (٤٤٠٨/٧٧/٦٤).

ولبى المسلمون بتلبيته: 'لبيك اللهم لبّيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.'[1] ثم سار حتى وصل ذا طوى[2] فبات بها حتى أصبح. فصلى الصبح ثم اغتسل فدخل مكة من الثنية العليا جهرة علانية ليراه الناس.[3] وكان دخوله مكة حين ارتفع النهار، وقت الضحاء، يوم الأحد رابع ذى الحجة.[4]

الطواف بالبيت الحرام

لما وقع بصره على البيت رفع يديه فقال: اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد مَن شَرّفَه وعَظّمه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا وبرا ومهابة. ثم دخل المسجد الحرام من باب بنى شيبة[5]. وهذا هو الباب الذى دخل منه النبيّ ﷺ حين تشاجرت قريش فيمن يضع الحجر الأسود فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب.[6] فاختار هذا الباب لدخوله فى هذا اليوم فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة. وأمر الناس[7] بالتحلل فقال: من لم يكن معه هدي فليحلّ وليجعلها عمرة فحل الناس كلهم إلا النبيّ ﷺ ومن كان معه هدي.[8]

---

(١) راجع صحيح مسلم (١٤٧/١٩/١٥[١٢١٠]).

(٢) قريب من مكة متأخم للحرم.

(٣) ابن كثير (ج٥ ص١٧٦).

(٤) ابن كثير (ج٥ ص١٩٣).

(٥) المعروف الآن بباب السلام (حاشية ابن حجر على إيضاح النووىّ: ص٢١١ ومرآة الحرمين: ج١ ص٢٣٠).

(٦) راجع ابن كثير (ج٥ ص١٧٦-١٧٧).

(٧) أي من لم يكن له هدي

(٨) أمر الناس (أى من لم يكن معه هدي) بفسخ الحج إلى العمرة. لعل وجهه أن زمن الحج يطول وواجباته أكثر من واجبات العمرة وربما يخل ببعضها فيجبره بالهدي الذي معه. قال مالك وأبو حنيفة والشافعي كان ذلك من خصائص الصحابة ثم نسخ جواز الفسخ لغيرهم لقول أبي ذر رضي الله عنه : لم يكن فسخ الحج إلى العمرة إلا لأصحاب محمد ﷺ (رواه مسلم) أما الإمام أحمد فقد ذهب

التوجه إلى منى

بعد ان انصرف من الطواف والسعي نزل بالأبطح[1] فأقام هنالك أربعة أيام.[2] فلما كان ثامن ذى الحجة توجه بالمسلمين إلى منى[3] فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر حتى اذا طلعت الشمس ركب ونزل بنمرة[4] حيث ضربت له قُبّة ثم أتى بطن وادى عُرَنة[5] فخطب الناس ثم صلى الظهر والعصر جمع تقديم[6] فركب القصواء حتى أتى الموقف. فلم يزل واقفا به مستقبلا حتى غربت الشمس فدفع من عرفة وهو يقول: أيها الناس؛ السكينة، السكينة حتى أتى مزدلفة. فصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير. ثم اضطجع حتى طلع الفجر فأتى المشعر الحرام.

إلى جوازه لغير الصحابة. (ابن كثير: ج٥ ص١٩٢). وأما رسول الله ﷺ فالصحيح أنه كان أولا مفردا ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا. قال الإمام النووى: هذا هو طريق جمع الروايات المختلفة فى صفة حجه ﷺ . راجع شرح مسلم (ج٤ ص٤٠٨). وإنما كان لمصلحة بيان الإحرام بالعمرة فى أشهر الحج، فكان ذلك خصوصية لهﷺ (إن قلنا بمنع إدخال العمرة على الحج على الصحيح فى مذهبنا). فالإفراد هو الأفضل لاختيارهﷺ له أولا.ولذا واظب عليه أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ . راجع حاشية ابن حجر الهيتميّ على إيضاح الإمام النوويّ (ص١٤٩-١٥١)

(١) هو بين مكة ومنى يضاف إلى كل منهما. ويقال له البطحاء(وهو شرقيّ مكة). راجع تهذيب الأسماء (ج٣ ص١٦).

(٢) بقية يوم الأحد ويوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ولم يعد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها .راجع ابن كثير (ج ٥ ص ١٩٤).

(٣) وأحرم الذين كانوا قد حلوا بالحج من الأبطح حين توجهوا إلى منى (ابن كثير: ج ٥ ص ١٩٦)

(٤) نمرة (بفتح النون وكسر الميم): موضع بجنب عرفات وليست من عرفات (شرح مسلم:ج٤ ص٤٤١).

(٥) عرنة (بضم العين وفتح الراء) هذه الوادى ليست من عرفات عند غير مالك رحمه الله.

(٦) لأنه لم يقم بمكة إقامة تقطع السفر لأنه دخلها فى اليوم الرابع وخرج يوم الثامن فقد صلى بها عشرين صلاة من ظهر الرابع إلى فجر الثامن يقصر تلك الصلوات فالجمع للسفر.(راجع شرح المواهب: ج١١ ص٣٩١).

أعمال يوم النحر وأيام التشريق

رَقَى ﷺ المشعرَ الحرام بعد الفجر؛ فلم يزل واقفا به ذاكرا لله تعالى مستقبلا للقبلة حتى أسفر؛ فدفع قبل الطلوع حتى أتى جمرة العقبة، فرماها سبع مرات بسبع حصيات ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة.[1] وأمر عليا رضي الله عنه فنحر ما غبر؛[2] ثم أمر الحلاق، فحلق رأسه، فجعل يعطى شعره الناس. وفى رواية فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس.[3] ثم ركب فأفاض إلى البيت فطاف به طواف الإفاضة ثم رجع فصلى الظهر بمنى[4] فبات بها ليالى أيام التشريق يرمى الجمرات الثلاث سبعا سبعا بعد زوال كل يوم.[5] ثم نفر يوم الثلاثاء آخر أيام التشريق فنَزل بالمحصب[6]. فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء وهجع هجعة ثم أذن بالرحيل إلى البيت العتيق فصلى عنده الصبح بأصحابه. ثم طاف به طواف الوداع ثم ارتحل راجعا إلى المدينة من أسفل مكة من ثنية كُدى.[7]

العودة إلى المدينة

ولما دنا من المدينة بات بذى الحليفة لئلا يدخلها ليلا .ثم لما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون. صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ثم دخل المدينة نهارا.[8]

---

(١) بعدد سنه ﷺ وفى ذلك إشارة إلى منتهى عمره ﷺ (السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٦٩).

(٢) راجع صحيح مسلم (١٥/١٩/١٤٧[١٢١٨]) وكان هديه ﷺ مائة بدنة. فنحر عليّ رضي الله عنه ما غبر من المائة أى ما بقى منها.

(٣) راجع صحيح مسلم (١٥/٥٦/٣٢٣-٣٢٦[١٣٠٥]).

(٤) راجع صحيح مسلم (١٥/١٩/١٤٧[١٢١٨] و ١٥/ ٥٨/٣٣٥[١٢٠٨]). وفى الأول أنه صلى بمكة الظهر وفى الثانى أنه رجع فصلى الظهر بمنى . وجمع بينهما الإمام النوويّ بأنه صلى الظهر بمكة أول وقتها ثم أعادها بمنى باصحابه حين سألوه ذلك متنفلا بالثانية (شرح مسلم: ج٤ ص٤٥٢).

(٥) راجع أبا داود، كتاب الحج، باب فى رمي الجمار (٥/٧٨/١٩٧٣).

(٦) المحصب: واد بين مكة ومنى (ابن كثير:ج٥ ص٢٣٦). ويقال له الحَصْبَة والأبطح والبطحاء وخيف بنى كنانة (راجع شرح مسلم: ج٥ ص٧٠).

(٧) راجع ابن كثير (ج٥ ص٢٣٥-٢٣٩).

(٨) السيرة الحلبية (ج٣ ص٢٧٧).

هذه هى حجة الوداع وحجة البلاغ وحجة الإسلام؛ قد أصبحت قدوة لجميع الحجات التالية التى يقوم بها كل عام الملايينُ الوافدون من كل فج من فجاج الأرض متزينين بلبسة واحدة، ملبين بلغة واحدة، وقد جاؤا من مختلف الجهات، متكلمين بمختلف اللغات حتى تمثلوا أخوة الإيمان، ووحدة الإسلام لغة وفكرة ولبسة وتحية ناسين جميع الفروق - فروق الأجناس والألوان والأشكال والأقطار.

خطبات حجة الوداع

خطب رسول الله ﷺ فى حجة الوداع أربع خطب.[1] الأولى اليوم السابع من ذى الحجة بعد الظهر. فقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا كان قبل يوم التروية بيوم خطب الناس وأخبرهم بمناسكهم[2]: والثانية يوم عرفة بوادى عُرَنة[3] بقرب عرفات بعد الزوال وقبل صلاة الظهر. فقال فيها: إن دمائكم وأموالكم (وأعراضكم)[4] حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا. ألا كل شىء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمىّ. ودماء الجاهلية موضوعة؛ وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث. وكان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع؛ وأول ربا أضع ربانا - ربا العباس بن عبد المطلب - فإنه موضوع كله.

ثم قال: واتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرّح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى إن اعتصمتم به: كتاب الله؛ وأنتم تسألون عنى فما

---

(١) راجع شرح المهذب للإمام النووى (ج٨ ص٨٢،٨٩-٩١).

(٢) رواه البيهقى بإسناد جيد. شرح المهذب (ج٨ ص٨٠). ويوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة.

(٣) حيث يقع مسجد إبراهيم.

(٤) ما بين القوسين من رواية النسائى. راجع البداية والنهاية (ج٥ ص١٩٨).

أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكُتها[1] على الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد. ثلاث مرات.[2]

وقال فى هذه الخطبة: أيها الناس، إن الله أدى إلى كل ذى حق حقه، وإنه لا يجوز وصية لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر. ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا.[3] ونزل على رسول الله ﷺ عشية عرفة قوله تعالى:[4] ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾[5]

خطبة يوم النحر

أما خطبته الثالثة فقد ألقاها يوم النحر بين الجمرات حين ارتفع الضحى، بعد أن رمى جمرة العقبة، وهو على بغلة شهباء، والناس بين قائم وقاعد. هي خطبة عظيمة تواترت بها الأحاديث.[6] قال ﷺ فى هذه الخطبة: يا أيها الناس، أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: فأىّ بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال: فأىّ شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. قال: 'فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا' فأعادها مرارا. ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.[7]

كما قال فيها: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات

---

(١) ينكتها: يقلبها.

(٢) رواه مسلم عن جابر ﷺ فى كتاب الحج : باب حجة النبيّ ﷺ (١٤٧/١٩/١٥[١٢١٨]).

(٣) رواه الترمذي والنسائى وابن ماجة عن عمرو بن خارجة ﷺ . راجع البداية والنهاية (ج٥ ص١٩٩).

(٤) رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم و الترمذي والنسائي . المصدر المذكور (ج٥ ص٢٠٥).

(٥) المائدة: ٣

(٦) راجع البداية والنهاية (ج٥ ص٢٢٥،٢٢٧،٢٣٠).

(٧) راجع صحيح البخارى: كتاب الحج باب الخطبة أيام منى.

والأرض. السنة اثنا عشر شهرا. منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان.[١] وقال بأعلى صوته: ألا تسمعون؟ فقال رجل من طوائف الناس: يا رسول الله، ما ذا تعهد إلينا؟ فقال: اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا إذا أمرتم تدخلوا جنة ربكم.[٢] ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى بلدكم هذا، ولكن سيكون له طاعة فى بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى. ألا وإن ربا الجاهلية يوضع. لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون.[٣]

خطبة يوم النفر

خطبته الرابعة ما ألقاها بمنى يوم النفر الأول. وهو اليوم الثانى من أيام التشريق. وذلك حين نزلت عليه سورة النصر[٤] - إذا جاء نصر الله والفتح — فى أوسط أيام التشريق. فعرف أنه الوداع. فأمر براحلته القصواء، فرحلت[٥] له ثم ركب. فوقف للناس بالعقبة فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين.[٦] فقال فى خطبته: "أيها الناس، أتدرون فى أي شهر أنتم؟ وفي أي يوم أنتم؟ وفي أي بلد أنتم؟ قالوا: فى يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام. قال: فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا إلى أن تلقوه. ثم قال: اسمعوا منى تعيشوا، ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا، إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه؛ ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت فى الجاهلية تحت قدمى هذه إلى يوم القيامة. وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث

---

(١) رواه الإمام أحمد. البداية والنهاية (ج٥ ص٢٢٦).
(٢) رواه الإمام أحمد البداية والنهاية (ج٥ ص٢٢٩).
(٣) رواه الإمام أحمد البداية والنهاية (ج٥ ص٢٢٩).
(٤) راجع حاشية صفحة ٣١٦ تحت رقم (١).
(٥) رُحلت: وضع الرحل عليها
(٦) كما فى حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار. راجع البداية والنهاية (ج٥ ص٢٣٤).

بن عبد المطلب. كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هـذيل. ألا إن كـل ربـا فى الجاهلية موضوع وإن الله قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب. لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون.

ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ثم قرأ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾[1] ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكنه فى التحريش بينكم، واتقوا الله فى النساء فإهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا وإن لهن عليكم حقا ولكم عليهن حقا – أن لا يوطئن فرشكم أحدا غيركم ولا يأذن فى بيوتكم لأحد تكرهونه. فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرّح، ولهن رزقهن وكسوهّن بالمعروف وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها". وبسط يدهﷺ وقال: "ألا هل بلغت! ألا هل بلغت!" ثم قال: "ليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ أسعد من سامع".[2]

صورة مجملة لحجته ﷺ

الخروج من المدينة	: يوم الخميس ٢٣ ذو القعدة
النُزول بذى الحليفة	: يوم الخميس ٢٣ ذو القعدة
الخروج محرما من ذى الحليفة	: يوم الجمعة ٢٤ ذو القعدة
المسير من ذى الحليفة إلى ذى طوى	: يوم الجمعة – يوم السبت ذو القعدة

---

(١) سورة التوبة: ٣٦

(٢) رواه الإمام أحمد. راجع البداية والنهاية (ج٥ ص٢٣٣).

٢٤–٢٩ ذو الحجة ١–٣

النُزول بذى طوى	: يوم السبت ذو الحجة ٣
دخول مكة	: يوم الأحد ذو الحجة ٤
طواف القدوم	: يوم الأحد ذو الحجة٤
الإقامة بالأبطح	: يوم الأحد–يوم الخميس، ذو الحجة ٤–٨
التوجه إلى منى	: يوم الخميس ذو الحجة ٨
المبيت بمنى	: ليلة الجمعة ذو الحجة ٩
الوقوف بعرفة	: يوم الجمعة ذو الحجة ٩
المبيت بالمزدلفة	: ليلة السبت ذو الحجة ١٠
الوقوف بالمشعر الحرام	: صباح السبت ذو الحجة ١٠
رمي العقبة ثم النحر ثم الحلق	: غدوة السبت ذو الحجة ١٠
طواف الإفاضة	: يوم السبت ذو الحجة ١٠
الرجوع إلى منى	: يوم السبت ذو الحجة ١٠ بعد الظهر
المبيت بمنى والرمي إلى الجمرات	: الأحد–الثلاثاء ذو الحجة ١١–١٣
النفر من منى	: يوم الثلاثاء ذو الحجة ١٣ بعد الزوال
الإقامة بالمحصب	: الثلاثاء–الأربعاء ذو الحجة ١٣–١٤ (من الظهر إلى العشاء)
طواف الوداع	: يوم الأربعاء ذو الحجة ١٤ بعد الصبح
الخروج إلى المدينة	: يوم الأربعاء ذو الحجة ١٤ بعد طواف الوداع

الأزواج والأولاد

١. زواج النبيّ صلى الله عليه وسلم
٢. عدد أزواجه صلى الله عليه وسلم
٣. جدول أزواجه صلى الله عليه وسلم
٤. تعدد أزواجه صلى الله عليه وسلم
٥. لا لتوفير وسائل اللذة؛ بل لتيسير وسائل الدعوة
٦. أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
٧. أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها
٨. أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما
٩. أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
١٠. أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها
١١. أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها
١٢. أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها
١٣. أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها
١٤. أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما
١٥. أم المؤمنين صفية بنت حييّ بن أخطب رضي الله عنها
١٦. أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن رضي الله عنها
١٧. أمثلة من حكم تعدد أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم
١٨. ظروف تزوجاته صلى الله عليه وسلم
١٩. أولاده صلى الله عليه وسلم

زواج النبيّ صلى الله عليه وسلم

ما كان سيدنا محمدﷺ إلها معبودا فلا يكون له صاحبة ولا ولد. وما كا ملكا مجبولا بلا شهوة. فلا يميل إلى زوجة ولا يرغب فى ولد. بل كان كسا الأنبياء والرسل بشرا كريما. فكان يأكل ويشرب وينام ويتزوج. وما كان بدعا ه الرسل حتى يعيش متعزبا مترهبا بلا أهل ولا أولاد. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْ رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾.[1]

فالزواج سنة الرسل؛ فكان منهم من اكتفى بواحدة كآدمعليه السلام؛ ومنهم مـ عدد فى الزوجات كإبراهيم ويعقوب وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام. وأ عيسى عليه السلام فلم تنته حياته. فهو إذا نزل عاش فى الأرض بقية حياته فيتزو ويولد له كما رواه ابن الجوزىّ عن النبيّ ﷺ قال: ينْزل عيسى بن مريم عليهم السلام عند قرب الساعة فيتزوج ويولد له.[2]

كان سيدنا محمدﷺ نبيا رسولا بعث لبيان شريعة الله تعالى قولا وفعـ وتقريرا. فكان أكله وشربه ونومه وزواجه كل ذلك تشريعا. وكان زواجه بكـ امرأة من أزواجه بأمر الله تعالى. كما قالﷺ: ما تزوجت شيئا من نسائى ولا زوجـ شيئا من بناتى إلا بوحي جائنى به جبريل عليه السلام من ربى عزوجل.[3] فهوﷺ كرجـ من الرجال رغب فى الزواج والأولاد. ولكن اكتفى بزوجة واحدة فى ربيع حياته عدد فى الأزواج فى أواخر حياته حسب مآرب الدعوة الإسلامية وأداء الرسا الربانية. وذلك التعدد كما سيأتى بعد ما مضى من عمره ثلاث وخمسون سنة.

---

(١) سورة الرعد: ٣٨

(٢) رواه ابن الجوزىّ فى كتاب الوفاء.راجع مشكاة المصابيح،كتاب الفتن،باب نزول عيسىعليه السلام (ص٤٨٠).

(٣) الحلبي (ج٣ ص٣٢٥).

عدد أزواجه صلى الله عليه وسلم

تزوج رسول الله ﷺ فى حياته، فى أوقات متعددة؛ وفى مناسبات مختلفة ثلاث عشرة امرأة. فاثنتان منهن لم يدخل بهما بل فارقهما؛ أسماء بنت النعمان الكندية وعمرة بنت يزيد الكلابية. طلق الأولى لبرصها والثانية لسوء خلقها. فجملة من بنى بهن من النساء احدى عشرة امرأة. واثنتان منهن قد توفيتا فى حياته. وهما خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة رضي الله عنهما. ومات عن التسع الباقية[1]. وهن هؤلاء :

عائشة وحفصة وسودة   صفية ميمونة ورملة

هند وزينب كذا جويرية   للمؤمنين أمهات مرضية

وهؤلاء التسع هن اللاتى خيرهن رسول اللهﷺ بأمره تعالى بين اختياره على ضيقه وفقره وبين تسريحهن سراحا جميلا. فاخترن الله ورسوله. فحظر الله تعالى نبيه أن يتزوج عليهن أحدا من النساء. قال تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ ﴾.[2] وذلك مجازاة لهن وشكرا على حسن اختيارهن؛ كما أكرمه بحظرهن على غيره من بعده[3] حيث جعلهن أمهات المؤمنين. قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾.[4] ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾.[5]

---

(١) راجع ابن هشام(ج٤ ص٣٢١-٣٢٥) وأما قول العلامة الحلبى فى سيرته(ج٣ ص٣١٣)'لا يخفى أن أزواجه المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة'.فهو لأجل عد ريحانة بنت زيد من أزواجه كما ذكره بعضهم. ولكن الأضبط كما قال بعض العلماء أنها ليست من الأزواج بل كانت سريتهﷺ. راجع السيرةالحلبية(ج٣ ص٣٢٢).

(٢) الأحزاب: ٥٢

(٣) راجع طبقات ابن سعد(ج٨ ص١٩٥).

(٤) الأحزاب:٦

(٥) الأحزاب: ٥٣

جدول أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم

القوم	اسم الزوجة	البطن أو القبيلة	سنة الزواج	سنة الوفاة
عربية قرشية	خديجة رضي الله عنها	اسد بن عبد العزى	٢٨ (قبل الهجرة)	٣ (قبل الهجرة)
عربية قرشية	سودة رضي الله عنها	عامر	٣ (قبل الهجرة)	٥٤ (من الهجرة)
عربية قرشية	عائشة رضي الله عنها	تيم	٣ (قبل الهجرة)	٥٨ (من الهجرة)
عربية قرشية	حفصة رضي الله عنها	عدىّ	٣هـ	٤٥ هـ
ربية غير قرشية	زينب بنت خزيمة رضي الله عنها	هلال	٣ هـ	٤ هـ
عربية قرشية	ام سلمة رضي الله عنها	مخزوم	٤ هـ	٦١ هـ
ربية غير قرشية	زينب بنت جحش رضي الله عنها	أسد بن خزيمة	٥ هـ	٢٠ هـ
ربية غير قرشية	جويرية رضي الله عنها	خزاعة	٥ هـ	٥٠ هـ
عربية قرشية	ام حبيبة رضي الله عنها	أمية	٧ هـ	٤٤هـ
عجمية	صفية رضي الله عنها	النضير	٧ هـ	٥٠ هـ
ربية غير قرشية	ميمونة رضي الله عنها	هلال	٧ هـ	٥١ هـ

تعدد أزواجه صلى الله عليه وسلم

إن الله تعالى منح الإنسان ما حرَمه سائر الحيوان؛ ومن أعظمها العقل والفهم واللسان. ومنح الذكر ما حرمه الأنثى؛ ومن أعظمها كمال العقل والشجاعة والشهامة. ومنح الأنبياء ما حرمه سائر البشر؛ ومن أعظمها الوحي والنبوة والمعجزات. وخص بعض الأنبياء من مزيد فضله بالرسالة. وتلك الرسل فضل بعضهم على بعض. فخلق آدم عليه السلام بلا أب وأم. وخلق عيسى عليه السلام بلا أب. واتخذ إبراهيم عليه السلام خليلا. وكلم موسى عليه السلام تكليما. فإن الله تعالى فعّال لما يريد؛ ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فكما خص أولئك البشر بأولئك النعم، كذلك أكرم حبيبه محمدا ﷺ بكرامات لم يمنحها سائر رسله. منها عموم رسالته وتخليد شريعته وختم النبوة به وتحليل الغنائم له ورعب العدوّ له من مسيرة شهر وجعل الأرض له مسجداوطهورا. ثم خصه بأمور لم يبذلها لأحد من أمته. ففرض عليه أشياء لم يفرضها على أمته. منها التهجد[1] والضحى والأضحى والوتر والسواك والمشاورة فى غير الشرائع وتخيير النساء بين مفارقته واختياره[2] وقضاء دين من مات معسرا ومصابرة العدوّ مع كثرهم. وحرم عليه أشياء لم يحرمها على أمته. منها الكتابة والشعر والزكاة والصدقة[3] ونكاح الأمة ونكاح الكتابية. وأباح له أمورا لم يبحها لأمته. منها صوم الوصال وبقاء الزوجية بعد وفاته وكون تركته صدقة من بعد موته والزيادة على أربع زوجات.[4]

---

(١) كان التهجد واجبا عليه، ثم نسخ وجوبه (روضة الطالبين للإمام النووىّ(ج٥ ص٣٤٧).

(٢) فمن شاء منهن صبر على الضيق والفقر معه ومن شاء منهن فارقها لتعيش فى رغد العيش.

(٣) فالزكاة حرام عليه وعلى آله؛ والصدقة حرام عليه مالم تكن هدية تنبئ بالتكريم والتودد.

(٤) راجع روضة الطالبين (ج٥ ص٣٤٤-٣٦٢) وتهذيب الأسماء (ج١ ص٦١-٦٦) والخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطى (ج٢ ص١٨٧-٢٦٢).

فالنبيّ الذى أرسل بالرسالة العامة والشريعة الخالدة أباح الله تعالى له ولرجال أمته كما أباح لبعض رسله من قبله التعدد فى الأزواج ثم أباح له خاصة دون أمته الزيادة فوق الأربع من الأزواج.

لا لتوفير وسائل اللذة، بل لتيسير وسائل الدعوة

لماذا أباح الله تعالى لحبيبه محمدﷺ عقد الزواج؟ ولماذا شرع له التعدد فى الازواج؟ ثم لما ذا سوغ له الزيادة على أربع دون من عداه من أمته من الرجال؟ ما كان شيء من ذلك لتوفير وسائل اللذة. بل كل ذلك كان لتيسير وسائل الدعوة. فمن الأظهر من ضوء النهار أنه ما كان رجلا يسير وراء شهواته ولا ميالا إلى هوى ملذاته. بل كان أكمل الناس نزاهة وأشهرهم عفة وأزهدهم فى الدنيا وأبعدهم عن أغراض الدنيا. أرسله ربه ليتمم مكارم الأخلاق حتى يكون قدوة الناس جميعا فى جميع الأمصار فى جميع الأعصار.

لقد نشأ بين ألدّ أعدائه وعاش بينهم طيلة حياته. فلم يجد أحد منهم مغمزا فى سيرته، قبل النبوة ولا بعدها. ولن يستطيع أحد أبدا أن يشير بإصبع الملام أو ينظر بعين الاتِّهَام إلى نقطة من حياته. فقد كان فى ذروة النَّزاهة وفى قمة الزهادة طول حياته ليلا ونهارا، سرا وجهارا، صِبا وشبابا. عاش خمسة وعشرين سنة؛ من عمره بلا شريكة فى حياته، فقضى بذلك مدة مديدة من ربيع شبابه فى العزوبة غير مفكر فى زوجة ولا زواج. و قد نشأ فى قوم اعتادوا التبكير فى الزواج. فأبوه عبد الله قد تزوج آمنة وهو ابن ثماني عشر سنة. ولكن سيدنا محمدا ﷺ لم يبكر بالزواج، بل لم يفكر فى الزواج إلا بعد خمس وعشرين سنة من عمره. فتزوج فى هذا السن السيدة الكريمة خديجة الكبرى رضي الله عنها. وهي أرملة ثيبة ذات أولاد فارقها قبله زوجان، وقد بلغت من عمرها الأربعين. وهو لم يخطبها؛ بل هي خطبته لِما رأت فيه من المكارم حتى اشتهر بالأمين، ولِما سمعت عنه من الخوارق حتى أظله الغمام.

ولو شاء لزوجه أيّ بطن من بطون قريش من شاء من الأبكار الحسان. ولكنه قد رضي بهذه الأرملة شريكة حياته. وحينما تزوجها، وهو فى عنفوان[1] شبابه، كان يتركها أياما طويلة يعتكف فى غار حراء متبتلا إلى ربه. وقد عاش معها خمسا وعشرين سنة إلى أن ماتت فى خمس وستين من عمرها وهو ابن خمسين سنة. ففى هذه المدة المديدة لم يتزوج عليها أحدا من النساء؛ بل اكتفي بهذه الأرملة المسنة الوحيدة طول حياتها. وقد نشأ فى قوم يتفاخرون بكثرة الأزواج والأولاد.

لما توفيت السيدة الكريمة خديجة الكبرى رضي الله عنها تزوج ﷺ أرملة أخرى – سودة بنت زمعة رضي الله عنها. ثم تزوج السيدة عائشة الطهرى رضي الله عنها. ثم تزوج سائر أزواجه حسب الأسباب والمناسبات. فهوﷺ لم يعدد فى زوجاته إلا بعد ما جاوز من عمره ثلاثا وخمسين سنة. ونساء هذه الفترة لم تلد له أحد منهن شيئا من الاولاد. فجميع أولاده ما عدا إبراهيم من حليلته الأولى خديجة الكبرى رضي الله عنها. وأما إبراهيم فمن سريته مارية القبطية.

وأزواجه كلهن ثيبة أرملة، فارقها زوج أو زوجان، إلا عائشة رضي الله عنها. ولو شاء لزوجه أصحابه ما شاء من الأبكار الحسان. فإنهم كانوا يَفْدُونَه بأنفسهم ونفائسهم. وبالجملة لم يتزوج حتى بلغ خمسا وعشرين سنة، ولم يتزوج فى حياته بكرا إلا واحدة، ولم يعاشر ولم يباشر إلا زوجة واحدة حتى جاوز ثلاثا وخمسين سنة. ثم لما عدد اختار الأرامل الثيبات. وهؤلاء لم يلدن له ذكرا ولا أنثى. وما كان هذا شأن رجل يلبّى شهواته ويروّى ملذاته. ولو كان كذلك لم يترك عَنفوان شبابه بلا زوج، ولم يكتف فى ريعان[2] فتوته بواحدة، ولم يترك هذه الوحيدة فى بيتها يذهب إلى غار حراء متعبدا، ولم يختر حينما أراد التعدد هذه الأرامل دون الأبكار، ولم يخير هذه الأرامل بين ملازمته وبين مفارقته.

---

(١) العنفوان: الأول.

(٢) الريعان: الأول.

أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

هي خديجة بنت خويلد[١] القرشية الأسدية. وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم.[٢] وكانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة.[٣] وكانت سيدة نساء قريش وأوسطهن نسبا، واعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، وأحسنهن جمالا.[٤] كانت قد تزوجت قبل رسول الله ﷺ بعُتّيق بن عابد[٥] المخزوميّ. فولدت له جارية اسمها هند. ثم هلك عنها. فتزوجها بعده أبو هالة[٦] التميميّ، فولدت له غلامين – هندا وهالة. فهند بنت عتيق وهند وهالة ابنا أبي هالة كلهم إخوة أولاد رسول الله ﷺ. ثم توفي عنها أبو هالة.[٧]

فرغب فى نكاحها كثير من الرجال، حتى قيل: إن كل قومها كان حريصا على نكاحها. ولكنها لم تقبل.[٨] وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات مال وشرف كما كانت حازمة لبيبة. فلما رأت وسمعت ما ظهر من السيد الأمين ﷺ من الخصال الحميدة والخوارق العجيبة أرسلت إليه؛ فقالت: إنى رغبت فيك لقرابتك منى. وشرفك فى قومك، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك وصدق حديثك.[٩] فخطبها

---

(١) ابن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب.

(٢) من بنى عامر بن لؤيّ.

(٣) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٠٧، ٦٠٨) وأسد الغابة (ج٦ ص٨١ –٨٢).

(٤) السيرة الحلبية (ج١ص١٣٧) وأسد الغابة (ج٦ ص٨٣، ٨٤) وابن هشام (ج١ ص٢٠٥).

(٥) وفى بعض الروايات 'عائذ' بدل 'عابد'.

(٦) أبو هالة: هذا كنيته. ونقل له الحافظ العسقلانى فى فتح البارى (ج٧ ص١٣٤). أربعة أسماء – هند ومالك وزرارة والنباش.

(٧) وكان موته فى الجاهلية . فتح البارى (ج٧ ص١٣٤). فأما هند بن أبى هالة عاش وأسلم مع أمه وقتل فى عسكر عليّ ﷺ يوم الجمل؛ وهند بنت عتيق أسلمت وتزوجت. راجع كتاب أزواج النبيّ ﷺ للإمام محمد بن يوسف الدمشقيّ (ص٦٤).

(٨) راجع السيرة الحلبية (ج١ ص١٣٧).

(٩) السيرة الحلبية (ج١ص١٣٨) وابن هشام (ج١ ص٢٠٥) وأسد الغابة (ج٦ ص٨٣).

رسول اللهﷺ وحضر فى عمومته، فزوجها منه عمها عمروبن أسد؛ وهى ابنة أربعين سنة وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة[١]. وكان ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة، وقبل الهجرة بثمان وعشرين سنة.

كانت خديجة أول النساء إسلاما بالاتفاق، وأول الناس إسلاما عند كثير من العلماء.[٢] فخفف الله بذلك عن رسول اللهﷺ. لا يسمع شيئا يكرهه إلا تثبته وهون عليه أمر الناس.[٣] فكانت وزيرة صِدق على الإسلام.[٤] وكانت رضي الله عنها أول امرأة تزوجها رسول اللهﷺ. لم يتزوج قبلها امرأة ولا تزوج فى حياتها امرأة أخرى.[٥] وقالﷺ: ما أبدلنى الله عزوجل خيرا منها. قد آمنت بى إذ كفر بى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها أولادا إذ حرمنى أولاد النساء.[٦] فهي أم أولاده كلهم إلا إبراهيم. فإنه من مارية القبطية رضي الله عنهم أجمعين.[٧]

بشَّر رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها ببيت فى الجنة[٨] كما أقرأها تحية السلام من ربها ومن جبريلعليه السلام.[٩] وكانﷺ يكثر ذكرها بعد وفاتها وربما ذبح

---

(١) الحلبية (ج١ص١٣٧،١٤٠) وأسد الغابة (ج٦ ص٨٣).

(٢) راجع تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٠٨) وأزواج النبيﷺ لمحمد بن يوسف الدمشقيّ (ص٥٨).

(٣) راجع أسد الغابة (ج٦ ص٨٥).

(٤) أسد الغابة (ج٦ ص٨٨).

(٥) راجع صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها(٤٤/١٢/٧٧ [٢٤٣٦]) وعاش ﷺ بعد أن تزوجها ثمانا وثلاثين سنة.انفردت خديجة منها بخمس وعشرين سنة. وهي نحو الثلثين من المجموع. فمع طول المدة صان قلبها فيها من الغيرة من نكد الضرائر(فتح البارى: ج٧ ص١٣٧).

(٦) رواه أحمد. راجع ابن كثير (ج٣ ص١٤٩) ومجمع الزوائد (ج٩ ص٢٢٤) وأسد الغابة (ج٦ ص٨٨).

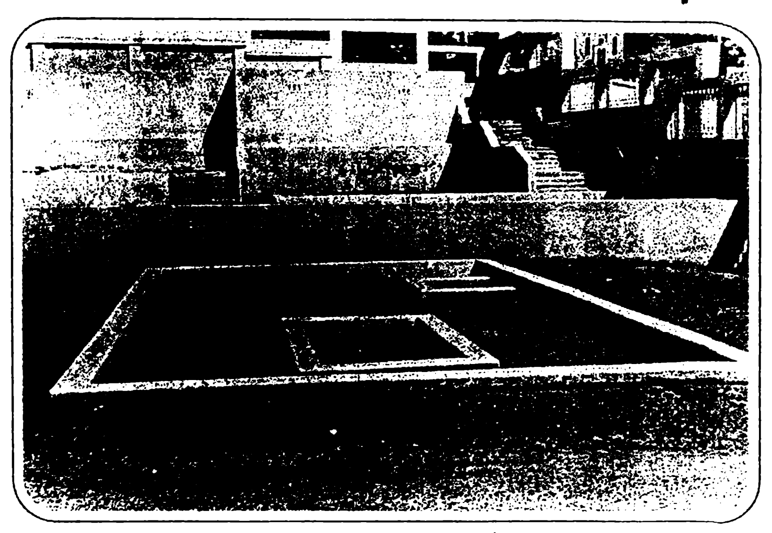
(٧) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٠٧) فتح البارى (ج٧ ص١٣٧).

(٨) مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين (٤٤/١٢/٧٣ [٢٤٣٤]).

(٩) راجع صحيح البخارى؛ كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبيﷺ (٦٣/٢٠/٣٨٢٠) أقرأها: أبلغها.

الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة.[١] وهي من خير نساء العالمين حيث قال رسول الله ﷺ: حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون.[٢] وهي من أفضل نساء الجنة حيث قال ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد ﷺ ومريم ابنة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون.[٣]

أقامت خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة.[٤] ثم توفيت فى رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام،وقد عاشت رضي الله عنها خمسا وستين سنة، ودفنت بالحجون[٥].



مكان قبر السيدة خديجة رضي الله عنها بالمعلاة (الحجون) وبجوارها ابنها القاسم فى ركن المكان

---

(١) راجع صحيح البخارى، الموضع المذكور (٣٨١٨/٢٠/٦٣).
(٢) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل خديجة (٣٨٧٨/٦٢/٥٠).
(٣) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى برجال الصحيح. مجمع الزوائد (ج٩ ص٢٢٣).
(٤) فتح البارى(ج٧ ص١٣٤).
(٥) تهذيب الأسماء(ج٢ ص٦٠٧ ،٦٠٨) والحجون (على وزن فعول):جبل مطل على المسجد الحرام بأعلى مكة على ميل ونصف من البيت.وهو مقبرة أهل مكة اليوم (فتح البارى: ج٣ ص٤٠٧، وعمدة القارى: ج٩ص١٦٩).

أم المؤمنين سودة رضي الله عنها

هي سودة بنت زمعة[١] القرشية العامرية.[٢] وأمها الشموس بنت قيس.[٣] كانت تحت ابن عمها السكران بن عمرو[٤] رضي الله عنهما. أسلما قديما وهاجرا إلى الحبشة فى الهجرة الثانية. فلما قدما مكة توفي عنها زوجها. فتزوجها رسول اللهﷺ بعد أن انقضت عدتها. وكان ذلك سنة عشر من النبوة، فى شهر رمضان بعد وفاة خديجة بأيام.[٥] فكانت أول امرأة تزوجها رسول اللهﷺ بعد خديجة. فدخل بها بمكة وهاجر بها إلى المدينة.[٦]

كانت خولة بنت حكيم[٧] رضي الله عنها هي التي أشارت على رسول اللهﷺ بزواج سودة بعد وفاة خديجة، كما أشارت عليه بزواج عائشة رضي الله عنها. فخطبتها له بأمره فرضيت سودة ورضي أبوها؛ وقال: 'هو كفء كريم' فتزوجهاﷺ (وأصدقها أربعمائة درهم[٨]). فلما علم بذلك أخوها عبد الله بن زمعة حثا التراب على رأسه. ولكنه هداه الله تعالى فيما بعد، فتاب وأسلم رضي الله عنه.[٩]

ولما كبرت سودة رضي الله عنها وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها[١٠]

---

(١) ابن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ (بفتح الواو) من بنى عامر بن لؤيّ .
(٢) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٣).
(٣) من بنى النجار من الأنصار. (طبقات ابن سعد:ج٨ ص٥٢).
(٤) ابن عبد شمس بن عبد ودّ (المصدر المذكور).
(٥) فكان زواجهﷺ من سودة قبل عقده على عائشة فإن الأول كان فى رمضان والثانى كان فى شوال. راجع السيرة الحلبية (ج١ ص٣٤٨).
(٦) راجع طبقات ابن سعد (ج٨ ص٥٣) وتهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٣).
(٧) هي خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنهما (طبقات ابن سعد :ج٨ ص٥٧) وليست هي خولة بنت حكيم الأنصارية. راجع أسد الغابة (ج٦ ص٩٦).
(٨) مابين قوسين من ابن هشام (ج٤ ص٣٢٢).
(٩) راجع مجمع الزوائد (ج٩ ص٢٤٦) وكتاب أزواج النبيّ ﷺ لمحمد الدمشقيّ (ص١٧٥).
(١٠) صحيح مسلم،كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها (١٤٦٣/١٤/١٧)

تبتغي بذلك رضا رسول اللهﷺ.[1] وكانت سودة زاهدة كريمة. بعث إليها عمر بن الخطابﷺ ذات يوم بغرارة من دراهم. فأمرت جاريتها ففرقتها.[2] وكانت سودة كزينب بنت جحش رضي الله عنهما لا تخرج للحج بعد رسول اللهﷺ، حينما كانت أمهات المؤمنين كلهن يحججن. قالتا: 'والله، لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ'. وذلك أنه ﷺ لما حج بنسائه حجة الوداع قال لهن: هذه الحجة ثم ظهور الحصر.[3] وقالت سودة أيضا: حججت واعتمرت، فأنا أقر فى بيتى كما أمرنى الله عزوجل.[4]

وكانت سودة تمازح رسول اللهﷺ فتضحكه فى الاحيان.[5] وتوفيت رضي الله عنها بالمدينة، فى شوال سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما.[6]

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[7]

هي عائشة بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما. فهي الصديقة بنت الصديق؛ وأمها أم رومان بنت عامر من بنى مالك بن كنانة.[8] ولدت عائشة بعد البعثة بأربع سنين[9] وأسلمت صغيرة.[10] وتزوجها رسول اللهﷺ بمكة فى شوال

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الهبة، باب هبة المرأة... (٢٥٩٣/١٥/٥١).

(٢) طبقات ابن سعد (ج٨ ص٥٦).

(٣) راجع طبقات ابن سعد (ج٨ ص٥٥).

(٤) المصدر المذكور.

(٥) طبقات ابن سعد (ج٨ ص٥٤).

(٦) المصدر المذكور (ج٨ ص٥٥).

(٧) عائشة: بالهمزة على أفصح اللغات وعليه الأكثرون وقد حكيت عايشة بالياء (تهذيب الأسماء: ج٢ ص٦١٦).

(٨) أسد الغابة (ج٦ ص١٩١)؛ وأم رومان: بضم الراء وسكون الواو على المشهور. وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب: بفتح الراء وضمها (تهذيب الأسماء: ج٢ ص٦١٥).

(٩) الإصابة (ج٢ ص٦١٥) وأزواج النبيّ ﷺ(ص٧٨) وشرح المواهب (ج٤ ص٣٨٢).

(١٠) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٥). أي كانت من أول حياتها مسلمة حيث ولدت فى الإسلام.

بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وهي بنت ستّ؛ وبنى بها بالمدينة فى شوال بعد سبعة أشهر من الهجـرة، وهـي بنـت تسع.(١) ولم يتزوج رسول اللهﷺ بكرا غيرها.(٢)

أراها جبريلعليه السلام رسول اللهﷺ قبل تزوجه منها فى منامه مرات. فقال: هذه امرأتك.(٣) وفي رواية: إن هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة.(٤) فلما ماتت خديجـة رضي الله عنها جائت خولة بنت حكيم - امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنهما - إلى رسول اللهﷺ فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: ممن؟ قالت:إن شـئت بكرا، وإن شئت ثيبا. فقال: ومن البكر؟ ومن الثيب؟ فقالت: أما البكر فابنة أحب الخلق إليك، عائشة بنت أبي بكر؛ وأما الثيب فسودة بنت زمعة؛ قد آمنـت بـك واتبعتك. قالﷺ: فاذهبى فاذكريهما عليّ.

أتت خولةُ أمَّ رُومان فكلمتها فقالت: وددتُ، فانتظرى أبا بكر. فلما جاء أبو بكرﷺ كلمته. فأتى أبو بكر مطعم بن عدىّ. وكان مطعم قد ذكر عائشة على ابنه؛ وكان لا يخلف وعدا قط. فاستشار مطعم زوجته فأشفقت على الفتى أن يصبأ ويعتنق الإسلام؛ فوافقها المطعم. رجع أبو بكر بما رجاه؛ فأجاب خطبة رسول

---

(١) راجع أسد الغابة (ج٦ ص١٩١) والبداية والنهاية (ج٨ ص١١٦) وصحيح مسلم (١٦/١٠/٦٩،٧٠،٧٢ /١٤٢٢) وشرح المواهب (ج٤ ص٣٨٢). وفي رواية لمسلم (١٦/١٠/٧١ [١٤٢٢]) أن النبيّﷺ تزوجهاوهي بنت سبع. جمع بينهاوبين ما فى أكثر الروايات من الست الإمام النووىّ بأنه كان لها ست وكسر؛ ففي روايات الست اقتصرت على السنين، وفي رواية السبع عُدّت السنة التي دخلت فيها (راجع شرح مسلم: ج٥ ص٢٢٤)وكذا جمع الإصابة أنها أكملت السادسة ودخلت فى السابعة (شرح المواهب: ج٤ ص٣٨٣).

(٢) أزواج النبيّ ﷺ(ص٨٧).

(٣) راجع صحيح البخارى: كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبيّ ﷺ عائشة رضـي الله عنـها (٦٣/٤٤/٣٨٩٥) وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشـة رضـي الله عنها (٤٤/١٣/٧٩[٢٤٣٨]).

(٤) راجع سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل عائشة (٥٠/٦٣/٣٨٨٠).

اللهﷺ. فتزوجها ﷺ.[١] ثم وقعت الهجرة إلى المدينة ومضت من بعدها أيام وشهور. ولكن رسول اللهﷺ لم يبن بعائشة رضي الله عنها فقال أبو بكرﷺ: يا رسول الله ما يمنعك أن تبني بأهلك؟ قال: الصداق. فأعطاه أبو بكرﷺ اثنتي عشرة أوقية ونشا[٢] فبعث بها إليها وبنى بها.[٣]

لم تلد عائشة قط. فما كانت أم أحد من الأولاد. وكناها رسول الله ﷺأم عبد الله بابن أختها عبد الله بن الزبيرﷺ.[٤] وذلك حين شكت إليه: أن لكل صواحبها كُنًى.[٥] وهي التي سلم عليها جبريلﷺ. فقد روى الشيخان: أن النبيّﷺ قال لها: يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام. فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى.[٦] وكان الناس يتحرى بهداياهم إلى رسول اللهﷺ يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ[٧] حتى كلمته فى ذلك أم سلمة رضي الله عنها. فقال: لا تؤذيني فى عائشة. فإن الوحي لم يأتني وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة. قالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله.[٨]

مكثت عند النبيّﷺ تسع سنين[٩] وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة.[١٠] وتوفيت ليلة الثلاثاء السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين من الهجرة.

---

(١) راجع أزواج النبيّ ﷺ(ص٨٢) ومجمع الزوائد للهيثميّ (ج٩ ص٢٢٥).

(٢) الأوقية: أربعون درهما والنش: نصف أوقية (عشرون درهما). وكانت الأواقي والنش من ذهب. فجملة الصداق خمسمائة درهم شرعيّ. راجع السيرة الحلبية(ج١ ص١٣٩).

(٣) مجمع الزوائد (ج٩ ص٢٢٨).

(٤) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٥).

(٥) أبو داود: كتاب الأدب، باب فى المرأة تكنى (٤٩٧٠/٧٠/٣٥).

(٦) راجع صحيح البخارى فى بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢١٧/٦/٥٩)

(٧) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل عائشة (٨٢/١٣/٤٤[٢٤٤١]).

(٨) راجع البخارى: كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض (٢٥٨١/٨/٥١).

(٩) طبقات ابن سعد (ج٨ ص٦١).

(١٠) راجع صحيح مسلم:كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة (٧١/١٠/١٦[١٤٢٢]).

وصلى عليها أبو هريرةﷺ.[1] فدفنت من ليلتها بالبقيع كما أوصت بذلك وكان عمرها يومئذ سبعا وستين سنة.[2] وقالوا: لم نر ليلة أكثر ناسا منها.[3] وهي من أكثر الصحابة رواية. روي لها عن رسول الله ﷺ ألفان ومائتان وعشرة أحاديث. وروى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين.[4] وكانت أعلم نساء النبيّ ﷺ بل كانت أعلم النساء على الإطلاق.[5] قال عروة بن الزبيرﷺ: ما رأيت امرأة أعلم بطب ولا بفقه ولا بشعر من عائشة.[6] وكانت رضي الله عنها من أتقى الناس لله تعالى. فلما احتضرت دخل عليها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فمدحها وبشرها؛ فقالت: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده، لوددت أني كنت نسيا منسيا.[7]

أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وأمها زينب بنت مظعون.[8] ولدت قبل المبعث بخمس سنين. كانت قبلهﷺ تحت خنيس بن حذافة السهميّﷺ فتوفي عنها بالمدينة بجراحات أصابته ببدر.[9] فعرضها عمر ﷺ على عثمان[10] فأبى، ثم على أبي بكر فأبى. فخطبها رسول الله ﷺ[11] فتزوجها وزوج

---

(١) كان أبو هريرة إذذاك خليفة مروان بالمدينة.

(٢) (البداية والنهاية (ج٨ ص١١٩).

(٣) راجع تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٦).

(٤) المصدر المذكور.

(٥) البداية والنهاية (ج٨ ص١١٧).

(٦) رواه الطبراني. (مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٤٢).

(٧) راجع البداية والنهاية (ج٨ ص١١٩)'نسيا' شيئا متروكا 'منسيا': غير مذكور وغير معروف (جلالين في تفسير آية مريم ٢٣)

(٨) أخت عثمان بن مظعون.

(٩) طبقات ابن سعد (ج٨ ص٨١).

(١٠) وكان ذلك عند وفاة زوجة عثمان – رقية بنت رسول اللهﷺ (أسد الغابة: ج٦ ص٦٨).

(١١) راجع صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب عرض الإنسان إبنته أو أخته على أهل الخير (٥١٢٢/٣٤/٦٧).

ابنته أم كلثوم من عثمان رضي الله عنهما. فقال لعمر: 'قد زوج الله عثمان خيرا من ابنتك، وزوج ابنتك خيرا من عثمان'. وكان زواجه من حفصة فى شعبان سنة ثلاث من الهجرة.[١] وكان صداقها أربعمائة درهم.[٢]

ثم إن رسول الله ﷺ طلق حفصة تطليقة واحدة. فأتاه جبريل عليه السلام فقال: 'راجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك فى الجنة؟!'[٣] فراجعها رسول الله ﷺ[٤] وكان سبعة من أهلها قد شهدوا بدرا أبوها عمر وعمها زيد وزوجها خُنيس وأخوالها عثمان وعبد الله وقدامة بنو مظعون وابن خالها السائب بن عثمان بن مظعون.[٥] وكانت حفصة رضي الله عنها من المهاجرات إلى المدينة. وروي لها عن رسول الله ﷺ ستون حديثا. وتوفيت رضي الله عنها بالمدينة فى شعبان سنة خمس وأربعين من الهجرة. وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة.[٦] وكانت سنها عند وفاتها ثلاثا وستين سنة.

أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

هي أم المساكين زينب بنت خزيمة[٧] الهلالية. كانت قبله ﷺ تحت عبد الله بن جحش رضي الله عنه. فقتل عنها يوم أحد.[٨] فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة بعد شوال.[٩] وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا.[١٠] وسميت أم المساكين لكثرة

---

(١) طبقات ابن سعد (ج٨ ص٨٣).
(٢) ابن هشام (ج٤ ص٣٢٣).
(٣) أبو نعيم فى الحلية (ج٢ ص٥٠) والهيثمى فى مجمع الزوائد (ج٩ ص٢٤٥).
(٤) أبو داود: كتاب الطلاق، باب فى المراجعة (٢٢٨٠).
(٥) أزواج النبي ﷺ (ص١٤٤)
(٦) تهذيب الأسماء (ج٢ ص ٦٠٥، ٦٠٦) وابن سعد (ج٨ ص٨٦).
(٧) خزيمة: ابن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر (أسد الغابة: ج٦ ص١٣٣).
(٨) دلائل البيهقىّ (ج٣ ص١٥٩).
(٩) المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى (ج٤ ص٤١٦-٤١٨).
(١٠) راجع طبقات ابن سعد (ج٨ ص١١٥).

إطعامهاالمساكين.[1] وتوفيت فى ربيع الأول سنة أربع من الهجرة.[2] فلم تلبث معه إلا يسيرا.[3] وقد بلغت من العمر نحو ثلاثين سنة ودفنت بالبقيع.[4] ولم تمت من أزواجهﷺ فى حياته إلا هي وخديجة رضي الله عنهما.[5]

أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

هي أم الحكم زينب بنت جحش الأسدية. وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول اللهﷺ. كانت زينب رضى الله عنها من السابقات إلى الإسلام، ومن المهاجرات الى المدينة.[6] فأراد رسول اللهﷺ تزويجها لمولاه زيدبن حارثة. وكان زيد رقيقا لحكيم بن حزام بن خويلد. قدم به من الشام؛ فوهبه حكيم لعمته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها. ثم وهبته خديجة لرسول الله ﷺ؛ فأعتقه وتبناه. وكان ذلك قبل مبعثهﷺ. (وكان سن زيد حينذاك ثمان سنين)[7]. ثم قدم عليه أبوه حارثة بمكة فخيره رسول اللهﷺ. فاختار الإقامة معه دون الانطلاق مع أبيه (وقال: ما أنا أختار عليك أحدا؛ أنت منّى مكان الأب والعمّ)[8]. فلم يزل عند رسول اللهﷺ حتى بعثه الله فآمن به وأصبح مسلما.[9]

فلما بلغ زيد وشب زوجه رسول اللهﷺ مولاته أم أيمن رضي الله عنها[10] ثم أراد أن يزوّجه بنت عمته زينب بنت جحش رضى الله عنها. فأبت كما أبى أخوها

---

(١) رواه الطبرانى (مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٤٨).
(٢) أزواج النبيّ ﷺ(ص١٩٥) وشرح المواهب (ج٤ ص٤١٨).
(٣) مجمع الزوائد (ج٩ ص٢٤٨).
(٤) طبقات ابن سعد (ج٨ ص١١٦).
(٥) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣١٩).
(٦) راجع تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١١).
(٧) مابين القوسين من السيرة الحلبية (ج١ ص٢٧٢).
(٨) مابين القوسين من الحلبية (ج١ ص٢٧٢).
(٩) راجع ابن هشام (ج١ ص٢٦٧).
(١٠) راجع تهذيب الأسماء (ج١ ص١٩٩ وَ ج٢ ص٦٢١).

عبد الله بن جحشﷺ لكونها قرشية شريفة وبيضاء جميلة حينما كان زيد مولى، كما كان رجلا أسود. وكانت العرب يكرهون تزويج بناتهم من الموالى. فأنزل الله تعالى قوله من سورة الأحزاب: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝ ﴾. فلم يروا بدًا من القبول. فزوجها النبيّ ﷺ زيد بن حارثة وأعطاهاﷺ عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا و ملحفة وخمسين مُدّا من الطعام وثلاثين صاعا من التمر.

فلما دخل زيدعلى زينب لم يتحمل تعظمها وتعززها، فشكا ذلك الى رسول اللهﷺ، فامره بالتصبروالتحمل؛ فلم يزل على ذلك إلى أن ضاقت نفسه؛ فعزم على طلاقها وأخبره بذلك وتكرر ذلك من زيد. حتى صارت العشرة بين هذين الزوجين ضربا من العبث. فأمر الله تعالى نبيه أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد؛ حسما لهذا الشقاق، وحفظا لشرفها وإبطالا لعادة العرب من تحريم زوج المتبنّى، حيث عدّوا الولدالمتبنى كولد الصلب. ولكن رسول الله ﷺ خشي من لوم العرب واليهود فى زواجه بزوج ابنه. فقال لزيد: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾. وأخفي فى نفسه ماأخبره تعالى: أنها تصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد.

فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾.[1] فلما طلقها زيد وانقضت عدتها تزوجها رسول اللهﷺ. وكان ذلك سنة خمس من الهجرة.[2] وكانت اذ ذاك بنت خمس

---

(١) الأحزاب:٣٧

(٢) راجع تهذيب الأسماء (ج٢ ٦١٠) وطبقات ابن سعد (ج٨ ص١١٤) والبداية والنهاية(ج٤ ص١٧٣) والمواهب اللدنية مع شرح الزرقانى (ج٤ ص٤١٣).

وثلاثين سنة.[1] وما كان زواجه منها من رغبة حب أو شهوة غرام. فحاشاه من ذلك. فهي ابنة عمته وكان يراها منذ صغرها حتى نزلت آية الحجاب. فإن كانت له أيّ رغبة فى زواجها لم يزوجها مولاه ومتبناه حتى يلومه الناس بأن محمدا قد تزوج زوج ابنه. بل كان زواجه بأمرالله تعالى ابطالا لعادة جاهلية.

فلماخطب رسول الله زينب استخارت الله.[2] ولمابشرت بزواجه منها سجدت لله، ونذرت صوم شهرين شكرا لله.[3] كانت زينب بنت جحش امرأة صالحة صوامة قوامة.[4] وكانت أوّاهة متخشعة متضرعة[5] كما كانت امرأة صناعة اليد. فكانت تدبغ و تخرز وتتصدق فى سبيل الله.[6] فبشرها رسول اللهﷺ بسرعة لحوقها به. قال: 'أسرعكن بى لحوقا أطولكن باعا.' وإنما أراد بطول اليد الصدقة. فكانت زينب أول نسائه موتا بعد وفاته.[7] قالت عائشة رضى الله عنها.ما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة.[8]

أرسل إليها عمربن الخطابﷺ اثنى عشر ألف درهم كما فرض لنساء النبيّ ﷺ. فأخذتها وفرقتها فى ذوى قرابتها وأيتامها. ثم قالت: 'اللهم لايدركنى عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا'. فماتت.[9] فلم تأخذ عطاءها من عمر إلا عاما واحدا.

---

(١) طبقات ابن سعد (ج٨ ص١١٤).
(٢) ابن سعد (ج٨ ص١٠٤).
(٣) ابن سعد (ج٨ ص١٠٢).
(٤) طبقات ابن سعد (ج٨ ص١٠٣).
(٥) أسد الغابة (ج٦ ص١٣١). الأواهة: الشاكية إلى الله، والمتضرعة: المتذللة إلى الله.
(٦) ابن سعد (ج٨ ص١٠٨).
(٧) المصدر المذكور.
(٨) أسد الغابة (ج٦ ص١٣٠).
(٩) أسد الغابة (ج٦ ص١٣١).

فإنها رأت المال فتنة.[1] ما تركت درهما ولادينارا. كانت تصدق بكلّ ما قدرت عليه وكانت مأوى المساكين.[2]

وتوفيت زينب بنت جحش رضى الله عنها سنة عشرين وهي بنت خمسين سنة.[3] وصلى عليها عمرﷺ ودفنت بالبقيع.[4] ولما توفيت قالت عائشة رضي الله عنها: ذهبت حميدة فقيدة مفزع اليتامى والأرامل[5]. رضي الله عنها و عن جميع أمهات المؤمنين.

أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها

هي أم سلمة هند بنت أبي أمية[6] القرشية المخزومية. وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة. كانت قبل رسول اللهﷺ عند أبي سلمةﷺ.[7] فهاجر بها أبو سلمة إلى الحبشة الهجرتين جميعا.[8] بل هما أول من هاجر إلى الحبشة.[9] ولدت لأبي سلمة سلمة وعمر ودَرَّة وزينب.[10] وكانا من المهاجرين إلى المدينة بل كانا أول من هاجر إلى المدينة.[11] فلما أجمع أبو سلمة الهجرة رحلها وابنها سلمة على بعيره ثم

---

(١) راجع ابن سعد (ج٨ ص١١٠).
(٢) ابن سعد(ج٨ ص١١٤).
(٣) الإصابة ج٨ ص١٥٥
(٤) تهذيب الأسماء(ج٢ ص٦١١).
(٥) طبقات ابن سعد(ج٨ ص١١٠) والفقيدة:من يكترث الناس بفَقْدِها وغيبتها للنفع بها فى حياتها. والمفزع: الملجأ.
(٦) ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (أسد الغابة: ج٦ ص٣٥١).
(٧) هو ابن عمة رسول الله ﷺ – برة بنت عبد المطلب (أزواج النبيّ ﷺ:ص١٤٨) وأخوه من الرضاعة (السيرة الحلبية: ج٣ ص٣١٩).
(٨) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٢٤).
(٩) المصدر المذكور (ج٢ ص٦٢٥).
(١٠) أسد الغابة (ج٦ ص٣٥١).
(١١) راجع ابن هشام (ج٢ ص٧٧).

خرج يقود بعيره. فاعترضه القوم فأخذ أم سلمة رهطها بنو المغيرة، وأخذ ابنها بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة؛ وواصل أبو سلمة هجرته إلى المدينة.[1]

فلم تزل أم سلمة محبوسة عند بنى المغيرة، وقد فُرِّق بينها وبين زوجها وبين ابنها، شاكية باكية زهاء سنة حتى شفع فيها رجل من بنى عمها. فأذن لها بنو المغيرة فى الهجرة ورد عليها بنو عبد الأسد ابنها. فخرجت به إلى المدينة، وليس معها أحد من خلق الله؛ حتى إذا كانت بالتنعيم رآها عثمان بن طلحة، فرقَّ لها فأخذ بخطام بعيرها، فانطلق يقودها حتى قدم بها المدينة. فكانت أم سلمة تقول: ما أعلم أهل بيت أصابهم فى الإسلام ما أصاب آل أبى سلمة؛ وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة.[2]

شهد أبو سلمة بدرا وأحدا وجرح بها واندمل جرحه ثم انتقض جرحه فمات منه[3] فى جمادى الآخرة سنة أربع. فلما انقضت عدها تزوجها رسول الله ﷺ فى شوال سنة أربع.[4] ولما خطبها رسول الله ﷺ قالت: إني امرأة غيرَى[5]، وإنى امرأة مصبية،[6] وليس أحد من أوليائى شاهد. فقال رسول الله ﷺ: أما قولك 'إنى امرأة غيرى' فسأدعو الله فيذهب غيرتك؛ وأما قولك 'إني امرأة مصبية' فستُكْفَيْن صبيانَك؛[7] وأما قولك 'ليس أحد من أوليائى شاهد' فليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك[8].

---

(١) أسد الغابة (ج٦ ص٣٥٢).

(٢) المصدر المذكور.

(٣) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٥٢١).

(٤) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٢٥) وطبقات ابن سعد (ج٨ ص٨٧).

(٥) غَيْرَى: كثيرة الغيرة.

(٦) مصبية: ذات صبيان.

(٧) وفي رواية فإن الله سيكفيك صبيانك. وفي أخرى وأما العيال فإلى الله ورسوله . راجع أزواج النبي ﷺ (ص١٥١).

(٨) أسد الغابة (ج٦ ص٣٥٢).

وكان أبو سلمة قد دعا الله لها فقال: اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا منى، لا يُحزنها، ولا يؤذيها. فلما مات قالت: من هذا الذى هو خير لى من أبى سلمة؟ فلما تزوجها رسول الله ﷺ علمت أنه دعوة أبى سلمة.(١) وكان من أبرز فضلها شَوْرُها على رسول الله ﷺ بالحلق فى قصة الحديبية لما امتنع منه أكثر الصحابة.(٢) وتوفيت أم سلمة رضي الله عنها سنة إحدى وستين من الهجرة،(٣) ولها أربع وثمانون سنة. ودفنت بالبقيع. وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة.(٤)

أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها

هي جويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية رضي الله عنها. كانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقيّ. ففي غزوة بنى المصطلق قتل مسافع وسبيت جويرية. فوقعت فى سهم ثابت بن قيس رضي الله عنه. وذلك سنة خمس من الهجرة. فأسلمت جويرية فكاتبها ثابت بن قيس على تسع أواق. فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها. فقال: أوخير من ذلك – أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم. فأدى عنها كتابتها وتزوجها. فقال الناس: 'أصهار رسول الله ﷺ!' فأرسلوا ما فى أيديهم من سبي بنى المصطلق، حتى أعتق الله بها مائة بيت من بنى المصطلق. قالت عائشة رضي الله عنها: ما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها. وجاء أبو جويرية الحارث إلى رسول الله ﷺ يلتمسها منه. فخيرها رسول الله ﷺ. فقالت: 'فإنى اخترت رسول الله ﷺ'. تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت عشرين سنة. وتوفيت سنة خمسين من الهجرة وهي بنت خمس وستين سنة.(٥)

---

(١) راجع أزواج النبيّ ﷺ (ص :١٥٣).

(٢) راجع صحيح البخارى (٢٧٣١/١٥/٥٤). والشور: عرض رأي وإظهاره.

(٣) على ما صححه ابن عساكر (التهذيب: ج٢ ص٦٢٥) وذكره الحافظ فى الإصابة (ج٨ ص٢٢٥). والإمام الدمشقى فى أزواج النبيّ ﷺ (ص ١٥٨).

(٤) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٢٥) وأزواج النبيّ ﷺ (ص١٥٨).

(٥) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٠٤،٦٠٣) وطبقات ابن سعد (ج٨ ص١١٦-١٢٠) وأزواج النبيّ ﷺ (ص٢٠٧-٢١١).

أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

هي أم حبيبة رملة[١] بنت أبي سفيان بن حرب القرشية الأموية رضي الله تعالى عنهما. وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان بن أبي العاص.[٢] كانت أم حبيبة من السابقين إلى الإسلام. وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله[٣] بن جحش فولدت له بها حبيبة. فتنصر عبيد الله وأكب على الخمر حتى مات بها نصرانيا.[٤] وثبتت أم حبيبة بالحبشة على الإسلام.[٥]

فأصبحت هذه الأرملة وحيدة فى أحزان الوحشة والأَيْمَةِ والغُرْبَةِ بصِبْيَتِها اليتيمة. فأدركتها أيدى الرحمة من رسول الرحمة. بعثﷺ عمرو بن أميةرضي الله عنه إلى النجاشيّ ملك الحبشة بكتابين - كتاب يدعوه إلى الإسلام، وكتاب يأمره أن يزوجه أم حبيبة. فأسلم النجاشيّ وشهد شهادة الحق وزوجها لرسول اللهﷺ وأصدقها أربعمائة دينار. وجهزها (إلى المدينة[٦]) وكان الذى تولى نكاحها ابن عم أبيها خالد بن سعيد بن العاص. وكان ذلك فى المحرم سنة سبع.[٧] وكان لها عندئذ بضع وثلاثون سنة.[٨] ولما بلغ الخبر أبا سفيان - وهو إذ ذاك مشرك - قال: ذلك الفحل لا يُقدع أنفه.[٩]

---

(١) رملة: هذا هو الصحيح المشهور؛ وقيل اسمها هند (تهذيب الأسماء: ج٢ ص٦٢٢).

(٢) أسد الغابة لابن الأثير(ج٦ ص١١٩).

(٣) عبيد الله بن جحش هو أخو عبد الله بن جحش الذي استشهد يوم أحد(تهذيب الأسماء: ج٢ ص٦٢٢).

(٤) طبقات ابن سعد (ج٨ ص٩٧).

(٥) أسد الغابة (ج٦ ص١١٩).

(٦) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٢٢).

(٧) فكان النجاشيّ وكيل رسول الله ﷺ وخالد بن سعيد وليها ووكيلها (راجع السيرة الحلبية: ج٣ ص٥٠ و ج٣ ص٣٢٢) وطبقات ابن سعد: ج٨ ص٩٨-٩٩).

(٨) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٢٢).

(٩) أسد الغابة (ج٦ ص١٢٠) والمراد: أنه كُفُء كريم لا يُردّ. وذلك أنهم إذا رأوا فحلا غير كريم يركب الناقة الكريمة يضربون أنفه بالرمح أو غيره ليرتدع.

ولما وفد أبو سفيان المدينة ليكلم رسول الله ﷺ فى زيادة مدة الصلح دخل على ابنته أم حبيبة. فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه. فقال: يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عنى أم رغبت بى عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك. فقال: 'يا بنية لقد أصابك بعدى شرّ'.[١] وكانت أم حبيبة رضي الله عنها تقية ورعة. فكان مما يدل على ورعها أنها قالت عند موتها لكل من عائشة وأم سلمة: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر؛ فغفر الله ذلك كله وتجاوزه، وحَللتُكِ من ذلك كله.[٢] ومما يدل على تقواها ما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'من صلى اثنتي عشرة ركعة فى يوم وليلة بني له بهن بيت فى الجنة؛ فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ'.[٣]

وتوفيت أم حبيبة رضي الله عنها بالمدينة سنة أربع وأربعين فى خلافة أخيها معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهم أجمعين.[٤]

أم المؤمنين صفية رضي الله عنها

هي صفية بنت حييّ بن أخطب النضيرية[٥] من ذرية هارون بن عمران أخى موسى عليهما الصلاة والسلام. وأمها برّة بنت شَمَوْأَل[٦] من بنى قريظة[٧]. ولما أجلى رسول الله ﷺ بنى النضير من المدينة ذهب عامتهم إلى خيبر. وكان فيهم حييّ بن أخطب؛ وبنته صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ.[٨]

---

(١) طبقات ابن سعد (ج٨ ص٩٩).
(٢) طبقات ابن سعد (ج٨ ص١٠٠).
(٣) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافر، باب فضل السنن الراتبة (٧٢٨).
(٤) طبقات ابن سعد (ج٨ ص١٠٠) وتهذيب الأسماء (ج٢ ص٦٢٢).
(٥) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٤).
(٦) هكذا بالشين المعجمة فى فتح البارى (ج٧ ص٤٦٩) ولكن فى بعض نسخ التهذيب (ج٢ ص٦١٤) وأسد الغابة (ج٦ ص١٧١) سَمَوْأَل بالسين المهملة.
(٧) فتح البارى (ج٧ ص٤٦٩).
(٨) البداية والنهاية (ج٤ ص٢٣٠).

تزوجها أولا سلاّم بن مِشْكم القرظىّ[1]. ثم لما فارقها تزوجها كنانة بن الربيع النضيرىّ[2] سيد بنى النضير.[3] وكان سلام وكنانة كلاهما شاعرا.[4] ولم تلد صفية رضي الله عنها لأحد منهما.[5] فرأت صفية وهي عروسة بكنانة أن قمرا وقع فى حجرها فعرضت رؤياهاعلى زوجها.[6] فلطم وجهها وقال: أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك؟! فما كان إلا مجىء رسول اللهﷺ وحصاره إياهم فى غزوة خيبر. فكانت صفية فى جملة السبي وكان زوجها فى جملة القتلى.[7] وكان ذلك فى مُحرم سنة سبع من الهجرة.[8]

فجاء دحية الكلبىﷺ فقال: يا رسول الله، أعطنى جارية من السبي. قال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حييّ. فجاء رجل إلى رسول اللهﷺ؛ فقال: يا نبيّ الله، أعطيت دحية صفية بنت حييّ، سيدة قريظة والنضير! ما تصلح إلا لك. فأمرﷺ دحية أن يأخذ من السبي جارية غيرها.[9] فأخذ دحية أخت كنانة زوج صفية.[10] وأعطاه زيادة على ذلك سبعة أرؤس من السبي تطييبا لخاطره.[11]

فاصطفى رسول اللهﷺ صفية لنفسه[12] وخيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي من أهلها وبين أن تسلم فيتزوجها. فقالت:أختار الله ورسوله. فأسلمت

---

(١) سلام بن مِشْكم: بتخفيف اللام وتشديدها (من سلام) وبكسر الميم وسكون الشين وفتح الكاف (من مشكم). راجع أزواج النبيّﷺ للدمشقىّ (ص٢١٤).

(٢) فتح البارى (ج٧ ص٤٦٩).

(٣) أزواج النبيّﷺ للدمشقىّ (ص٢١٤).

(٤) أسد الغابة (ج٦ ص١٧١).

(٥) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٢٢).

(٦) البداية والنهاية (ج٤ ص٢٣٢).

(٧) البداية والنهاية (ج٤ ص٢٣٠).

(٨) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٤).

(٩) أبو داود. (البداية والنهاية: ج٤ ص٢٣٠).

(١٠) السيرة الحلبية (ج٣ ص٤٣).

(١١) راجع المواهب مع شرح الزرقانىّ (ج٣ ص٢٧٢).

(١٢) فإنه لما قيل له: إنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من يساويه ومن فوقه فى الصحابة وقلة مثل صفية فى السبي لنفاستها. فلو خصه بها لأمكن تغير

فأعتقها رسول الله ﷺ؛ ثم تزوجها[1] وجعل عتقها صداقها.[2] وبنى بها بالصهباء[3] عند مرجعه من خيبر. وأولم عليها هناك.[4] واعتذر إليها رسول الله ﷺ وأطلعها على أسباب قِتَالِهِ قَوْمَها وَقَتْلِهِ زوجَها وأباها حتى رضيت قلبا وطابت نفسا.[5]

وكانت صفية من عقلاء النساء، وتزوجها رسول الله ﷺ ولم تبلغ سبع عشرة سنة.[6] بكت يوما حين افتخرت عليها بعض نسائه ﷺ. فقال لها النبيّ ﷺ: ألا قلت لهن كيف تكن خيرا منى، وأبي هارون، وعمى موسى، وزوجى محمد ﷺ.[7] لما حوصر عثمان رضي الله عنه، تنقل إليه الماء والطعام.[8] وتوفيت رضي الله عنها سنة خمسين ودفنت بالبقيع.[9]

أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن[10] الهلالية. وأمها هند بنت عوف[11] الجرشية. كان مسعود بن عمرو تزوجها فى الجاهلية ثم فارقها. فخلف عليها أبو رُهم بن عبد العُزّى؛ فتوفي عنها[12].فتزوجها رسول الله ﷺ فى عمرة القضاء فى

خاطر بعضهم. فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاص النبيّ ﷺ بها.فإن فى ذلك رضا الجميع (فتح البارى: ج٧ ص٤٧٠).

(١) بعد العدة أي الاستبراء. (فتح البارى: ج٧ ص٤٨٠).

(٢) السيرة الحلبية(ج٣ ص٤٣).

(٣) موضع على بريد من خيبر.

(٤) أزواج النبيّ ﷺ(ص٢١٨ -٢١٩).

(٥) مجمع الزوائد (ج٩ ص٢٥٩) وأزواج النبيّ ﷺ للدمشقىّ (ص٢٢٠-٢٢٢).

(٦) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٤).

(٧) راجع الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبيّ ﷺ(٣٨٩٢).

(٨) راجع ابن سعد (ج٨ ص١٢٨).

(٩) تهذيب الأسماء (ج٢ ص٦١٤).

(١٠) من بنى هلال بن عامر بن صعصعة.

(١١) كذا فى طبقات ابن سعد (ج٨ ص١٣٢). ولكن فى تهذيب النووى(ج٢ ص٦٢٠) هند بنت عمرو.

(١٢) طبقات ابن سعد (ج٨ ص١٣٢).

ذي القعدة سنة سبع. تزوجها بمكة وهو حلال[1] ثم بنى بها وهو حلال بسرف[2] عند مرجعه إلى المدينة. زوجها منه العباس بن عبدالمطلب.[3] وكان العباس يلى أمرها؛ وكانت تحته أختها أم الفضل بنت الحارث الهلالية. وكانت ميمونة آخرامرأة تزوجها رسول الله ﷺ.[4]

أصدقها رسول الله ﷺ خمسمائة درهم. وكان اسمها برة؛ فسماها رسول اللهﷺ ميمونة.[5] وكان رسول اللهﷺ يشاركها فى مزاحها. فهذا محمد بن سعد يروى عنها أنها قالت: خرج رسول اللهﷺ ذات ليلة من عندى؛ فأغلقت دونه الباب. فجاء يستفتح الباب؛ فأبيت أن أفتح له الباب. فقال: أقسمت إلا فتحتِه لى. فقلت له: تذهب إلى أزواجك فى ليلتى هذه؟ قال: مافعلت؛ ولكن وجدت حَقْنا من بولى[6]. وقالت عائشة رضي الله عنها: إنها (ميمونة) كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم.[7]

وكانت من أخواتها أم الفضل لبابة الكبرى زوج العباس ولبابة الصغرى زوج الوليدبن المغيرة. فهي خالة ابن عباس وخالة خالد بن الوليدﷺ.[8] ومن أخواتها لأمها أسماء بنت عميس زوج جعفرالطيار الشهيد وسلمى بنت عميس زوج حمزة الكرار الشهيد.[9] وتوفيت ميمونة رضي الله عنها بسرف حيث بنى بها رسول اللهﷺ سنة احدى وخمسين من الهجرة ودفنت بها.[10]

---

(١) فكانﷺ قد قدم مكة وهومحرم فلما حل تزوجها (طبقات ابن سعد: ج٨ ص١٣٥).
(٢) سرف: موضع على عشرة أميال من مكة (المصدر المذكور: ج٨ ص١٣٢).
(٣) أسد الغابة (ج٦ ص٢٧٥-٢٧٦).
(٤) راجع طبقات ابن سعد (ج٨ ص١٣٢).
(٥) المصدر المذكور (ج٨ ص١٣٧).
(٦) المصدر الكذكور (ج٨ ص١٣٨).
(٧) المصدر المذكور.
(٨) راجع أزواج النبيﷺ لمحمد الدمشقىّ (ص١٩٨،١٩٧).
(٩) المصدر المذكور(ص١٩٨).
(١٠) تهذيب الاسماء (ج٢ ص٦١٩) وأسد الغابة (ج٦ ص٢٧٦).

أمثلة من حِكَم تعدد أزواجه صلى الله عليه وسلم

لقد كان فى تعدد زوجاتهﷺ حِكَم كثيرة. منها تخريج محدِّثات ينقلن منهﷺ أحواله الزوجية وأفعاله المنْزِلية. فكان لأمهات المؤمنين دور كبير فى نقل هذه الأخبار خصوصا من طالت حياتها منهن كعائشة رضي الله عنها[١]. ومنها تخريج معلّمات وموجّهات للنساء. فعن طريقهن تيسر تفقه النساء فى دين الله. فقد كان بعض النساء يستحيين من سؤال النبيّﷺ عن بعض الأمور كالحيض والنفاس والجنابة ونحوها من الأحكام.

كما كان رسول اللهﷺ أشد الناس حياء. فكان يكنى بلا صراحة فى بعض الأحيان عن بعض مسائل النساء. فكان مرجعهن فى البيان والتفسير أمهات المؤمنين. فذات يوم سألته أنصارية عن غسل المحيض، فعلّمها رسول اللهﷺ الغسل. ثم قال لها: خذي فِرْصَةً[٢] من مسك فتطهرى بها. قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: تطهرى بها. قالت: كيف؟ فقال 'سبحان الله! تطهرى'. فاجتذبتها عائشة رضي الله عنها إليها ثم بينت لها مرادهﷺ.[٣]

ومنها الاتصال بشتى القبائل والبطون بالمصاهرة والقرابة حتى تلتقي القلوب حول دعوته فى إكبار وإجلال. كما جمع بذلك بين شتى القبائل والعشائر. فقد صاهرﷺ أكبر القبائل من قريش وأقوى البطون من سائر العرب وبنى إسرائيل. وكانت المصاهرة عند العرب باب التقرّب والتألف. ومنها إبطال بعض العادات

---

(١) روي أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا فى الإيلاج بدون إنزال؛ هل يوجب الغسل أم لا؟ فسألوا عائشة رضي الله عنها، فقالت: فعل ذلك رسول اللهﷺ فاغتسلنا جميعا (روح المعانى: ج٧ ص١٥٩).

(٢) الفرصة: القطعة(من قطن أو جلدة أو صوف).

(٣) راجع صحيح البخارى (٦/١٣/٣١٤) وصحيح مسلم (٣/١٣/٦٠ [٣٣٢]).

الجاهلية المستنكرة كما فى زواجه ﷺ زينب بنت جحش مُطلقةَ زيد بن حارثة من إبطال بدعة التبنّي[1].

ومنها الإكرام والمكافئة لأعظم أصحابه. فقد كان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب ﷺ وزراءه الأربعة فى حياته، وخلفاءه الأربعة بعد وفاته كما كانوا أعظم الرعيل الأول فى الإسلام. فأكرمهم رسول الله ﷺ بالمصاهرة أعظم إكرام وكافئهم بها أجل المكافئة. وذلك أنه ﷺ صاهر أبا بكر بتزوجه ابنته عائشة، وصاهر عمر بتزوجه ابنته حفصة كما صاهر عثمان وعليا بتزويجهما بناته ﷺ.

ظروف تزوجاته صلى الله عليه وسلم

قد كانت هناك ظروف خاصة لكل زواج من تزوجاته ﷺ.

- فأول أزواجه خديجة رضي الله عنها كانت أرملة ذات أولاد. وقد توفي عنها زوجان؛ ولكنها كانت ذات حسب ونسب كما كانت ذات مال وشرف. فرغبت فى نكاح السيد الأمين لمكارمه وخوارقه. فكانت عند البعثة سندا لدعوته وسلوة من أذية قومه. وكان منها جميع أولاده إلا إبراهيم ﷺ.

- وأما زواجه ﷺ من سودة فقد كان غاية الإحسان حيث كانت أرملة توفي عنها زوجها السكران رضي الله عنهما كانا من السابقين إلى الإسلام ومن المهاجرين إلى الحبشة؛ فلو رجعت إلى أهلها المشركين لأكرهوها على الردة، ولأرهقوها بالفتنة. فاختار ﷺ كفالتها بالزواج.

- وعائشة رضي الله عنها ابنة أحب الخلق إليه؛ فاختارها ﷺ أحب النساء إليه. وهي البكر الوحيدة التي تزوجها ﷺ. وكانت أزكى وأحفظ وأعلم نساء المؤمنين، ومن أكثر الصحابة رواية عن سيد

---

(١) فإنه كانوا يعدون المتبني فيهم كولد الصلب. فلا يتزوجون مطلّقته كما لا يتزوجون مطلقة ولد الصلب. فرفع الإسلام هذه العادة الباطلة.

العالمين. وقد عاشت بعده ﷺ قريبا من خمسين سنة مرجع الأمة فى الحديث والفتوى.

➢ وحفصة رضي الله عنها كانت أرملة خُنيس البدرىّ. فعرضها أبوها عمر بن الخطاب على عثمان فأبى ثم على أبي بكر فأبى فحزن لذلك عمر رضي الله عنهم أجمعين. فتزوجها رسول الله ﷺ فكفلها وجعلها من أمهات المؤمنين.

➢ وزينب بنت خزيمة رضي الله عنها كانت أرملة عبد الله بن جحش ﷺ. استشهد عنها فى غزوة أحد. فلم يبق لها مُعَيِّل[1] ولا معين. فتزوجهاﷺ فصار لها خير معيّل وخير معين.

➢ وزينب بنت جحش رضي الله عنها هي بنت عمته. فزوجها رسول الله ﷺ مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنهما. فلما ساءت العلاقات بينهما طلقها زيد. فتزوجها رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى إبطالا لعادة التبنى.

➢ وأم سلمة رضي الله عنها هي أول مهاجرة فى الإسلام هاجرت الهجرتين إلى الحبشة. ثم لما خرجت مهاجرة إلى المدينة مع زوجها حبسها أهلها سنة حتى إذا خلصت منهم وصلت بزوجها بالمدينة. ثم توفي عنها زوجها لجرح أصابه بأحد؛ فصارت أرملة ذات أيتام. فآواها رسول الله ﷺ وجبر خاطرها بالزواج.

➢ وجويرية رضي الله عنها سبيت فى غزوة بنى المصطلق. وقتل فيها زوجها وهي إبنة سيدهم. فخيرها ﷺ فاختارت الإسلام. فأعتقها وتزوجها فأطلق المسلمون كل ما بأيديهم من سبي بنى المصطلق، لكونهم أصهار رسول اللهﷺ. فهذه المعاملة الجزيلة هدت بنى المصطلق إلى دين الإسلام.

---

(١) معيّل: من يكفي مؤنتها.

- وأم حبيبة رضي الله عنها فارقها زوجها بالحبشة فأصبحت فى أحزان الغربة والأيمة والوحشة. فتزوجها رسول الله ﷺ. وكان أبوها أبو سفيان إذذاك رأس أعداء الإسلام وحامل لوائهم فى ساحات القتال. فهذا الزواج كان سببا لتخفيف عداوته وتأليف قلبه وقلوب قومه.
- وصفية رضي الله عنها كانت بنت حييّ سيد بنى النضير، من ولد هارون عليه السلام. ففي غزوة خيبر قتل أبوها وزوجها وصارت من السبي. فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها حتى صارت بذلك فى عز الدنيا والآخرة.
- وميمونة رضي الله عنها هي أرملة فارقها زوجان. فتزوجها رسول الله ﷺ وخلصها من الأحزان.

وبالجملة فى كل زواج عقده ﷺ حكمة تعليمية أو حكمة تشريعية أو حكمة اجتماعية أو حكمة دعوية أوحكمة المواساة والمكافئة.

أولاده صلى الله عليه وسلم

أولاده ﷺ سبعة: ثلاثة ذكور وأربع إناث. وهم القاسم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله[1] ثم إبراهيم رضي الله عنهم. فالستة الأولى كلهم من زوجته خديجة رضي الله عنها. وأما إبراهيم فهو من سريته مارية القبطية رضي الله عنها. وكلهم ولدوا بمكة قبل البعثة إلا عبد الله وإبراهيم. فعبد الله ولد بمكة بعد البعثة وإبراهيم ولد بالمدينة بعد الهجرة.

وأبناؤه كلهم ماتوا صغارا. فأولهم موتا أولهم ولادة؛ وهو القاسم. وبه تَكَنّى رسول الله ﷺ فتَسَمّى بأبى القاسم. ولما مات ابنه عبد الله قال العاص بن وائل السهميّ: قد انقطع نسله فهو أبتر. فأنزل الله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر؛ فصل لربك وانحر؛ إن شانئك هو الأبتر. ولما مات آخر أبنائه إبراهيم كسفت الشمس فى ذلك اليوم. فقال الناس كَسَفت الشمسُ لموت إبراهيم. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) ويسمى الطيب والطاهر لأنه أول ولديه الذين ولدا فى الإسلام.

إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله[١].

وأما بناته ﷺ فكلهنّ بلغن وأسلمن وهاجرن. ولكن كلهن متن قبله إلا فاطمة. فتوفيت بعده بستة أشهر.

فأما زينب فتزوجها أبو العاص بن الربيع؛ فأبى أن يسلم. ثم لما أسر ببدر أطلقه رسول الله ﷺ على أن يأذن لزينب للهجرة إلى المدينة. ثم أسلم أبو العاص وهاجر إلى المدينة. فرد إليه رسول الله ﷺ زوجه زينب رضي الله عنهما. وولدت له ذكرا وأنثى – عليا وأمامة. فأما عليّ فمات صغيرا، وأمامة فتزوجها عليّ بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة. وتوفيت زينب سنة ثمان من الهجرة[٢]. رضي الله عنهم أجمعين.

وأما رقية رضي الله عنها فتزوجها عتبة بن أبي لهب. فلما نزلت تبت يدا أبي لهب طلقها بأمر أبيه[٣]. طلقها قبل أن يدخل بها. فتزوجهاعثمان بن عفان رضي الله عنه. وتوفيت سنة اثنتين من الهجرة، وهي ابنة عشرين سنة[٤]. وقد ولدت له عبد الله. ما ت سنة أربع من الهجرة، وعمره ست سنين .

وأما أم كلثوم رضي الله عنها فكان عتيبة بن أبي لهب قد تزوجها ففارقها قبل الدخول بها بأمر أبيه[٥] كما فعل أخوه عتبة برقية رضي الله عنها. فتزوجها عثمان

---

(١) راجع صحيح البخارى (١٠٤٣/١/١٦). وقوله: فإذا رأيتم أي شيئا من ذلك (فتح البارى: ج٢ ص٥٢٩).

(٢) وكانت ولادتها سنة ثلاثين من مولده ﷺ.

(٣) أسلم عتبة بن أبي لهب مع أخيه معتب فى الفتح (شرح المواهب: ج٤ ص٣٢٢).

(٤) فقد كانت ولادة رقية سنة ثلاث وثلاثين من مولده ﷺ (المصدر المذكور).

(٥) وعتيبة حين فارقها سطا على رسول الله ﷺ وشق قميصه وهو خارج مع أبيه أبي لهب إلى الشام. فقال رسول الله ﷺ: "اللهم سلط عليه كلبا من كلابك" فلما نزلوا بالزرقاء من الشام ليلا، قريبا من صومعة راهب أمرهم أبو لهب. فجمعوا متاعهم على صومعة الراهب وبات عتيبة فوق المتاع وهم حوله فجاء أسد فشم وجوههم ثم وثب إلى عتيبة فوق المتاع فقطع رأسه. راجع المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى (ج٤ ص٣٢٥-٣٢٦) ومنه يعلم أن الأسد يطلق عليه الكلب (حاشية الشهاب على البيضاوي ج٨ ص٤٠٩)

بن عفان بعد وفاة رقية فى ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة. ولم تلد له شيئا، حتى توفيت سنة تسع من الهجرة.

وأما فاطمة الزهراء رضي الله عنها فتزوجها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فى السنة الثانية من الهجرة، ولها خمس عشرة سنة ونصف سنة ولعليٍّ إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر. وكانت ولادتها سنة إحدى وأربعين من مولده ﷺ.[١] وتوفيت فى رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة وهي ابنة أربع وعشرين سنة. وولدت لعليّ خمسة ـــ الحسن والحسين والمُحسّن[٢] وأم كلثوم وزينب. وقد مات محسّن صغيرا.

ولم يكن لرسول الله ﷺ عقب إلا من ابنته فاطمة.[٣] وانتشر نسله الشريف من جهة السبطين الحسن والحسين رضي الله عن كلهم أجمعين[٤].

---

(١) لا منافاة بينه وبين ما تقدم من أنّ كُلّهُمْ ولدوا قبل البعثة إلا إبراهيم وعبد الله لاحتمال كون ولادتها فى أوّل جزء من سنة إحدى وأربعين والنبوة على رأس الأربعين عرفا الصادق بتأخرها قليلا. (راجع الزرقاني ج٤ ص٣٣١-٣٣٧)

(٢) المحسن: بضم الميم وفتح الحاء وكسرالسين المشددة (شرح المواهب: ج٤ ص٣٣٩).

(٣) المصدر المذكور.

(٤) راجع السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٠٨-٣١٨) والمواهب اللدنية مع شرح الزرقانى (ج٤ ص٣١٣-٣٥٦) وابن كثير (ج٥ ص٣٥١،٣٥٢).

السنة الحادية عشرة

١. آخر البعوث: بعث أسامة رضي الله عنه

٢. وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

- مقرب وفاته صلى الله عليه وسلم
- إمامة أبي بكر رضي الله عنه
- آخر خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
- آخر وصية وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
- وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- دهشة الصحابة رضي الله عنهم
- تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم

آخر البعوث – بعث أسامة رضي الله عنه

(صفر، سنة إحدى عشرة من الهجرة)

جهز رسول الله ﷺ جيشا فى إمارة أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى أُبنى[١] من أرض الشام لغزو الروم الذين قتلوا زيد بن حارثة ﷺ. وكان ذلك يوم الاثنين لأربع بقين من صفر سنة إحدى عشرة. فبينما هم على ذلك ابتدئ رسول الله ﷺ بوجعه الذى قبضه الله تعالى فيه، وقد عسكر جيش أسامة بالجُرف[٢] فلما اشتد وجعه ﷺ احتبس الجيش ولم يَتَقَدَّمُوا.

وكان فى هذا الجيش كثير من كبار المهاجرين والأنصار. فتكلم قوم فى إمارة أسامة حيث كان غلاما حدثا.[٣] فخطبهم رسول الله ﷺ عاصبا رأسه وجالسا على المنبر، فقال أيها الناس أنفذوا بعث أسامة. ثم أخبرهم أن طعنهم فى إمارته كطعنهم فى إمارة أبيه من قبل؛[٤] وكلاهما خليق بالإمارة ومن أحب الناس إليه حتى قال: فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم.

ثم لما توفي رسول الله ﷺ دخل الجيش المدينة، وغرزوا اللواء الذى عقده ﷺ بيده لأسامة بباب داره. ثم تولى الخلافة أبو بكر ﷺ. فكان أول أعماله أن سيّر جيش أسامة، كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ. فخرج أسامة ﷺ هلال ربيع الآخر سنة إحدى عشرة إلى أبني. فشنّ الغارة عليهم فقتل منهم وأسر منهم. وقتل قاتل أبيه ثم رجع إلى المدينة ولم يُصَبْ أحد من المسلمين. وكان بعث أسامة آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ وأول بعث بعثه أبو بكر ﷺ.[٥]

---

١) أبنى: (بضم الهمزة وسكون الباء) موضع ببلقاء الشام. وكان أبوه قد قتل بمؤتة. ومؤتة: من عمل بلقاء الشام.

٢) الجرف: مكان على ثلاثة أميال من المدينة من ناحية الشام.

٣) لم يتجاوز السابعة عشر من عمره.

٤) كل من الطعنين على ما توهموه – أن مدار الإمارة على نحو السن.

٥) راجع البداية والنهاية (ج٥ ص٢٥٦,٢٥٧) وابن هشام (ج٤ ص٣١٩) والمواهب اللدينة (ج١ ص٦٤٧–٦٥٠).

مقرب وفاته صلى الله عليه وسلم

كتاب الله تعالى قد نطق بكل صراحة أن محمدا صلى الله عليه و سلم ممن يفارق الدنيا يوما من الأيام ككل حيّ من سائر الأنام. فقد قال تعالى:

١. ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (١)

٢. ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾. (٢)

٣. ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾. (٣)

٤. ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾. (٤)

فلما أدى ﷺ -بإذن الله تعالى- أمانته وبلغ بأمره رسالته، حتى دوّت فى الآفاق دعوته وخفقت فى الجو رايته، دعاه ربه إلى دار رحمته وكرامته، حتى يتمتع بأنواع نعمته، بعد ما قرّت عينه فى الدنيا باعتلاء ملته واعتزاز أمته. فطفق يتهيأ للقاء ربه بمزيد توبته وعبادته كما أمره تعالى بذلك فى سورة النصر- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾ ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾. (٥)

وكان فى هذه السورة نعي رسول الله ﷺ. (٦) فألقى خطبته- خطبة الوداع، فى حجته - حجة الوداع. ونحر بيده بمني ثلاثا وستين بَدَنَةً بعدد سنوات عمره. (٧) وقال بمنى، وهو على راحلته: لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدرى لعلى لا أحج بعد

---

(١) الزمر: ٣٠-٣١

(٢) الأنبياء: ٣٤

(٣) الأنبياء: ٣٥

(٤) آل عمران: ١٤٤

(٥) النصر: ١-٣

(٦) كما اتفق عليه الصحابة ﷺ (حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: ج٤ ص٣٤١). فما صلى بعدها صلاة إلا ويقول فيها: سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك اللّهم اغفرلي كما رواه البخاري فى كتاب التفسير.

(٧) راجع البداية والنهاية (ج٥ ص٢١٨).

حجتي هذه.(١) وكان يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام؛ وكان جبريل عليه السلام يعرض عليه القرآن فى كل رمضان مرة. فلما كان رمضان من العام الذى توفي فيه اعتكف عشرين يوما وعرض عليه جبريل عليه السلام القرآن مرتين.(٢)

ثم لما دنا رحيله ودّع الأحياء والأموات. فذات ليلة زار أهل البقيع فسلّم عليهم ودعا لهم ثم انصرف إلى أهله فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك.(٣) وبعد ذلك زار شهداء أحد،(٤) فصلى عليهم.(٥) وذلك بعد ثمان سنين من موقعة أحد. ثم طلع المنبر فقال: إِنّي بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض.(٦) وكان ابتداء مرضه فى آخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة. وكان مرضه الحمّى.

قالت عائشة رضي الله عنها: دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام فى شكواه الذى قبض فيه فَسَارَّهَا بشيء فبكت؛ ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت فسألنا عن ذلك. فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يقبض فى وجعه الذى توفي فيه، فبكيت؛ ثم سارني، فأخبرني أَنِّي أول أهله يتبعه؛ فضحكت.(٧) وأعتق رسول الله ﷺ فى مرضه هذا أربعين نفسا. وكانت عنده ﷺ سبعة دنانير أو ستة فوضعها فى كفه وقال: 'ما ظن محمد بربه أن لو لقي الله وهذه عنده'. فأمر عائشة أن تتصدق بها.(٨)

---

(١) راجع صحيح مسلم (١٥/٥١/٣١٠ [١٢٩٧]).

(٢) راجع البخاري (٣٣/١٧/٢٠٤٤ و٦٦/٧/٤٩٩٨).

(٣) البداية والنهاية (ج٥ ص٢٥٨).

(٤) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٤٣).

(٥) أي دعا لهم كدعائه للميت (السيرة الحلبية: ج٢ ص٢٤٩).

(٦) كما فى حديث رواه البخاري. انظر البداية والنهاية لابن كثير (ج٤ ص٥١) ووفاء الوفا للسمهودي (ج٣ ص٩٣١).

(٧) صحيح البخاري ٦٤/٨٣/٤٤٣٤). وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع فوقع كما قال: فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت رسول الله ﷺ بعده حتى من أزواجه (فتح الباري: ج٨ ص١٣٦).(قول عائشة فسألنا عن ذلك)وكان هذا السؤال بعد وفاة رسول الله ﷺ.

(٨) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٥٣).

وما ترك دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة.[١] وتوفي ودرعه مرهونة عند يهوديّ بثلاثين صاعا من شعير.[٢]

إمامة أبي بكر رضى الله عنه

استمر مرضه صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر يوما.[٣] فكان فى خلالها ينتقل على بيوت نسائه،[٤] حتى اشتد عليه وجعه فى بيت ميمونة فجمعهن واستأذنهن أن يمرض فى بيت عائشة. فبعد ما انتقل[٥] إليه أمر بسبع قرب من الماء فصبّت عليه، حتى إذا خفت حرارة الحمى خرج إلى الناس عاصبا رأسه. فصلى بهم ثم خطبهم جالسا على المنبر فأثنى على أصحاب أحد ودعا لهم. ثم أثنى على الأنصار وأوصى بهم ثم قال: أيها الناس، إن الله خيّر عبدا بين الدنيا[٦] وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله. فلم يفطن لذلك إلا أبو بكر فجعل يبكى حتى عجب الناس لبكائه. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلم الصحابة. ثم قال: إنَّ أَمَنَّ الناس عليّ فى صحبته وماله أبو بكر. لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن خلة الإسلام ومودّته. لا يُبْقَى فى المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر.[٧] وإن قوما ممن كان قبلكم يتخذون قبور

---

(١) إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة. رواه البخاري فى صحيحه (٤٤٦١/٨٣/٦٤).

(٢) انظر صحيح البخاري (٤٤٦٧/٨٦/٦٤).

(٣) كما عليه الأكثر (انظر فتح الباري: ج٨ ص١٢٩).

(٤) عدلا وإنصافا بينهن وتطييبا لقلوبهن بغاية وسعه.

(٥) متكئا على رجلين: عباس بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما. وكان دخوله بيتها يوم الاثنين (فتح الباري: ج٨ ص١٤١).

(٦) وفي رواية لأحمد بين أن يعيش فى الدنيا ما شاء أن يعيش فيها يأكل من الدنيا ما شاء أن يأكل منها وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه. (البداية والنهاية: ج٥ ص٢٦٥).

(٧) وذلك ليخرج منه إلى الصلاة بالمسلمين. فهو إشارة إلى خلافته (انظر المصدر المذكور: ج٥ ص٢٦٦).

أنبيائهم وصلحائهم مساجد. فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك.[١] وكانت هذه الخطبة قبل وفاته بخمسة أيام.[٢] ثم لما تعذر عليه الخروج للصلاة والناس عكوف[٣] فى المساجد ينتظرونه لصلاة العشاء قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا رقيقا، إذا قرأ القرآن لا يملك نفسه. فقال رضي الله عنه: يا عمر، صل بالناس. فقال: أنت أحق بذلك. فصلى بهم أبو بكر رضى الله عنه.[٤]

فلم يزل أبو بكر رضى الله عنه يصلي بالناس إلى وفاته صلى الله عليه وسلم. ولكنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى المسجد مرّات أثناء هذه الأيام. خرج متكئا[٥] وصلى جالسا. فصلى مرة أو مرّات خلف أبي بكر رضى الله عنه وصلى مرة يؤم الناس[٦] وأبو بكر قائم يبلغهم حركاتهﷺ.[٧] و جملة ما صلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس سبع عشرة صلاة.[٨]

آخر خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه و سلم

رأت الأنصار رسول الله ﷺ يزداد وجعا. فأطافوا بالمسجد. فلما علم بمكانهم خرج معصوب الرأس متوكئا على عليّ بن أبي طالب وفضل بن العباس، والعباس

---

(١) هذه خلاصة أحاديث رواها الشيخان وأحمد والبيهقي (انظر البداية والنهاية: ج٥ ص٢٦٤,٢٦٥).

(٢) المصدر المذكور (ج٥ ص٢٦٥).

(٣) أي مجتمعون منتظرون لخروج النبيّ ﷺ (شرح مسلم ج٢ ص٣٧٧).

(٤) صحيح مسلم (٤١٨/٢١/٤).

(٥) متكئا على رجلين من أهل بيته كما فى الأحاديث الصحيحة.

(٦) فصلى مرة خلف أبي بكر رضي الله عنه وصلى أبو بكر خلفه ﷺ مرة أخرى, كما حققه البيهقي وابن كثير. وصلى خلف أبي بكر ثلاث مرات على ما قاله الترمذي. (انظر السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٤٩؛ والبداية والنهاية: ج٥ ص٢٧٢).

(٧) البداية والنهاية: (ج٥ ص٢٧٢).

(٨) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٤٨) وسيرة زيني دحلان (ج٣ ص٣٤٠) ومرقاة المفاتيح (ج٣ ص٩٦).

أمامهم حتى جلس[1] فى أسفل مرقاة من المنبر، وثار الناس إليه. فحمد الله وأثنى عليه وقال:

"أيها الناس، بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم، فهل خلد نبيّ قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم؛ ألا إنى لا حق بربى وإنكم لاحقون بى، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا، وأوصى المهاجرين فيما بينهم، فإن الله تعالى يقول ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾.

"وإن الأمور تجرى بإذن الله؛ ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عزّ وجل لا يعجّل بعجلة أحد. ومن غَالَبَ اللهَ غلبه، ومن خَادَعَ اللهَ خدعه ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ ﴾.

"وأوصيكم بالأنصار خيرا، فإنهم الذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلكم، أن تحسنوا إليهم؛ ألم يشاطروكم فى الثمار؟ ألم يوسعوا لكم فى الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم؛ ألا، ولا تستأثروا عليهم".

"ألا وإني فرط لكم، وأنتم لاحقون بى؛ ألا فإن موعدكم الحوض، ألا فمن أحب أن يرد عليّ غدا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي".[2]

---

(١) وفي حديث رواه البخاري فى هذه القصة: فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك. فلعل الراويَ عبر عن الجلوس بالصعود. ومن المورخين من جعل روايات خطبته ﷺ فى مرضه قصة واحدة. فحملوها على ماخطب حينما خرج بعد ما اغتسل بسبع قرب من الماء فصلى بهم. وسياق الآخرين عَدُّ تلك وهذه خطبتين فى يومين. بل سياق البعض أنه خطب مرات فى أيام مرضه.

(٢) السيرة الحلبية (ج٣ ص٣٤٨) وسيرة زيني دحلان (ج٣ ص٣٤١).

آخر وصيّة وصى بها صلى الله عليه وسلم

قالت عائشة وابن عباس‬ﷺ: لما نزل[١] برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة[٢] له على وجهه، فإذا اغتم[٣] كشفها عن وجهه؛ فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.[٤] وقالت أم سلمة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يقول فى مرضه: الله، الله، الصلاة، وما ملكت أيمانكم، فجعل يتكلم بها وما يفيض.[٥] وقال أنس ﷺ: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: الصلاة وما ملكت أيمانكم. جعل يغرغر بها فى صدره، وما يفيض بها لسانه.[٦] وقالت عائشة رضي الله عنها: فكانت آخر كلمة تكلم بها (رسول الله ﷺ): اللّهم الرفيق الأعلى.[٧]

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بينما المسلمون فى صلاة الصبح يوم الاثنين إذ كشف رسول الله ﷺ ستر حجرة عائشة. فنظر إليهم ثم تبسم[٨] ضاحكا. فنكص[٩] أبو بكر ﷺ وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. وهمّ المسلمون أن يفتتنوا[١٠] فى صلاتهم

(١) نزل: رُوي معلوما ومجهولا.
(٢) الخميصة: كساء له أعلام.
(٣) اغتم: احتبس نفَسه من الخروج من شدة الحر.
(٤) رواه البخاري (٤٤٤٣/٨٣/٦٤) ومسلم (٢٢/٣/٥[٥٣١]).
(٥) أخرجه ابن ماجه فى الجنائز (١٦٢٥/٦٤/٦) والبيهقي(ج٧ ص٢٠٥). (قوله:الصلاة) أي ألزموها واهتمّوا بها (ما ملكت أيمانكم) من الأموال أو البعيد والإماء (ما يفض بها لسانه) أي ما يجرى ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه اهـ راجع حاشية السندي على ابن ماجه.
(٦) أخرجه ابن ماجه فى الوصايا (٢٦٩٧/١/٢٢).
(٧) صحيح البخاري (٤٤٦٣/٨٤/٦٤).
(٨) فرحا من اجتماعهم على صلاقم وعلى إمامهم واتفاق كلمتهم وإقامتهم شريعتهم بالإضافة إلى تأنيسهم بتوديعهم بهذه النظرة الراضية. (راجع شرح مسلم: ج٢ ص٣٧٩).
(٩) تأخر ورجع إلى ورائه قهقرى.
(١٠) أي قصدوا إبطال الصلاة بإظهار السرور قولا أو فعلا (عمدة القاري للعلامة العينيّ: ج١٨ ص٧٠).

فرحا برسول الله ﷺ. فأشار إليهم: أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفي من يومه ذلك.[1]

توفيﷺ فى بيت عائشة رضي الله عنها وفي يومها ومستندا إلى صدرها. وقالت فاطمة رضي الله عنها حين رأت شدة وجعه ﷺ: واكرب أباه! فقال لها: 'ليس على أبيك كرب[2] بعد اليوم'. فلما احْتُضِرَ اسْتَنَّ كأحسن ما كان مستنًّا.[3] ثم جعل يدخل يديه فى ركوة،[4] فيها ماء، فيمسح بهما وجهه قائلا: 'لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات.[5] ثم نصب يده وشخص بصره،[6] فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى[7] حتى قبض ومالت يده.[8] وكانت وفاته عند زوال يوم الاثنين الثاني عشر

---

(١) راجع صحيح البخاري (٤٤٤٨/٨٣/٦٤) وصحيح مسلم (٤١٩/٢١/٤).

(٢) والمراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت ليتضاعف له الأجر. وكان فيما يصيب جسده من الآلام كسائر البشر. راجع فتح الباري (ج٨ ص١٤٩).

(٣) وقالت عائشة رضي الله عنها دخل عبد الرحمن بن أبي بكر, ومعه سواك يستن به فنظر إليه رسول الله ﷺ. فقلت له: أعطني هذا السواك, يا عبد الرحمن. فأعطانيه فقضمته, ثم مضغته, فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به وهو مستند إلى صدري. (صحيح البخاري: ٤٤٥٠/٨٣/٦٤). ومعنى استن: استاك, واستعمل السواك فى أسنانه. ومعنى قضمته: كسرته بأطراف أسناني.

(٤) الركوة: إناء صغير من جلد.

(٥) مشقات عظيمة حق للأنبياء وأرباب الكمالات, فاستعدوا لتلك الحالات واطلبوا من الله تهوينه للأموات. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ج١١ ص٢٣٩).

(٦) نصب: رفع؛ شخص: ارتفع أو رفع.

(٧) والمراد بالرفيق الأعلى: الجماعة المذكورة فى آية النساء من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ومعنى كونهم رفيقا تعاونهم على طاعة الله تعالى وارتفاق بعضهم ببعض. والحكمة فى اختتام كلام المصطفى ﷺ بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع. فلا يضره إذا كان قلبه عامرا بالذكر (فتح الباري: ج٨ ص١٣٨).

(٨) راجع صحيح البخاري: كتاب المغازي, باب مرض النبي ﷺ (رقم ٤٤٣٨ و٤٤٤٩ و٤٤٥٠ و٤٤٥١ و٤٤٦٢).

من ربيع الأول، السنة الحادية عشرة من الهجرة.[1] (٨ يونيو ٦٣٢م) وعمره ثلاث وستون سنة[2] قمرية كاملة، وإحدى وستون شمسية وأربعة وثمانون يوما.

دهشة الصحابة رضي الله عنهم

كان يوم وفاته ﷺ أعظم الأيام مصيبة على المسلمين. قال أنس بن مالك ﷺ: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء. فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء.[3] فحينما علمت الصحابة بوفاته جاشت نفوسهم وطاشت قلوبهم فمنهم من خبل كعمر ﷺ، ومنهم من خرس كعثمان ﷺ، ومنهم من أقعد كعلي ﷺ، ومنهم من مات كمدا كعبد الله بن أنيس ﷺ.[4]

---

(١) وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول وكاد يكون إجماعا, ثم عند ابن إسحاق والجمهور أنها فى الثاني عشر منه (فتح الباري: ج٨ ص١٢٩) ويعضده ما رواه ابن سعد من طريق عمر بن عليّ بن أبي طالب قال: اشتكي رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لليلة بقيت من صفر. فاشتكى ثلاث عشرة ليلة, ومات يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول. واستشكل ذلك السهيليّ ومن تبعه بأنهم اتفقوا على أن ذا الحجة كان أوله يوم الخميس لكون يوم عرفة يوم الجمعة بالإجماع. فمهما فرضت الشهور الثلاثة توام أم نواقص أو بعضها توام وبعضها نواقص لم يكن ثاني عشر ربيع الأول يوم الاثنين بحال.

أجاب القاضي بدر الدين ابن جماعة بفرض الشهور كوامل وَبحَمْلِ قول الجمهور 'لاثنتي عشرة ليلة خلت' على معنى خلت بأيامها فيكون موته فى اليوم الثالث عشر. وهذا مخالف لاصطلاح أهل اللسان فى تلك الكلمة حيث لا يفهمون منها إلا مضي الليالي.

فالأقرب ما أجاب به البارزي ثم ابن كثير باحتمال وقوع الأشهر الثلاثة كوامل وكان أهل مكة والمدينة اختلفوا فى رؤية هلال ذي الحجة فرآه أهل مكة ليلة الخميس ولم يره أهل المدينة إلا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة بعرفة برؤية أهل مكة. ثم لما رجعوا إلى المدينة أرخوا برؤية أهلها. فكان أول ذي الحجة الجمعة والمحرم الأحد وصفر الثلاثاء وربيع الأول الخميس. فيكون ثاني عشره الاثنين.

واستبعد ابن حجر العسقلاني هذا الجواب من حيث إنه يلزم منه توالي أربعة أشهر كوامل. واعتمد كما رجح السهيليّ قول أبي مخنق: أنه ﷺ توفي فى ثاني ربيع الأول. انظر فتح الباري (ج٨ ص١٢٩, ١٣٠) والبداية والنهاية (ج٥ ص٢٩٤).

(٢) انظر صحيح البخاري (٦٣/٤٥/٣٩٠٢,٣٩٠٣) صحيح مسلم (٤٣/٣٣/١١٧,١١٨).

(٣) مقال أنس رواه الترمذي. انظر مشكاة المصابيح, باب وفاة رسول الله ﷺ.

(٤) انظر سيرة الحلبيّ وسيرة زيني دحلان (ج٣ ص٣٥٤).

أقسم عمر ﷺ إن رسول الله ﷺ لم يمت وإنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ﷺ أربعين ليلة، حتى قال: والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ﷺ؛ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات.[١] وكان أبو بكر ﷺ قد ذهب إلى السنح[٢] بعد صلاة الفجر، حيث رأى فيه ﷺ بعض الخفة والراحة. فما زال الناس في حيرة ودهشة حتى جاء أبو بكر ﷺ وكان أثبت الناس عند المصائب. أقبل على فرسه فأتى رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه ثم أكب عليه يقبله ويبكي. ثم قال توفي رسول الله، والذي نفسي بيده، رحمة الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيا وميتا، بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ والله، لا يجمع الله عليك موتتين أبدا.[٣]

ثم خرج أبو بكرﷺ فأقبل على الناس فحمد الله وأثني عليه ثم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا فإنّ محمدا قد مات. ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.[٤] فما هو إلا أن سمع عمر هذه الآية من الصديق رضى الله عنهما. فدهش حتى وقع إلى الأرض.[٥] وعرف أن رسول الله ﷺ قد مات.[٦] وبذلك انطفأت الحيرة وانكشفت الدهشة حتى اطمأن الناس. فاشتغلوا بانتخاب خليفة يقوم بأمر دينهم ودنياهم من بعده ﷺ، حتى أجمعوا على بيعة أبي بكر ﷺ برضا ووفاق.

---

(١) ابن هشام (ج٤ ص٣٣٤).

(٢) السُنح : موضع بعوالي المدينة على ميل من المسجد النبويّ حيث كان منزل أبي بكر ﷺ بزوجته الأنصارية. وبلغه وفاة النبيّ ﷺ وهو به (وفاء الوفا للسمهودي: ج٣ ص١٢٣٧).

(٣) انظر البداية والنهاية (ج٥ ص٢٧٩).

(٤) آل عمران:١٤٤.

(٥) من ثقل ندامته على ما وقع منه من الخطأ في اجتهاده وفهمه.

(٦) انظر ابن هشام (ج٤ ص٣٣٥) وابن كثير (ج٥ ص٢٧٩).

تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحققت وفاته ﷺ وانتخبت خليفته وتمت بيعتــه. فانصــرفت الصــحابة إلى تجهيزه؛ فغسلوه فكفنوه وصلوا عليه ودفنوه. وتولى غسله عليٌّ وساعده العبــاس وابناه الفضل وقثم ومولّيا رسول الله ﷺ أسامة وشقران ﷺ[1] وقال عليّ ﷺ: أوصى رسول الله ﷺ أن لا يغسله أحد غيري. فإنه (قال:) لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه[2] فغسله عليّ ﷺ وعلى يده خرقة وعلى الــنبي ﷺ قميصــه[3] واختلفــت الصحابة فى موضع دفنه ﷺ فقال أبو بكر ﷺ: ما قبض نبيّ إلا دفن حيث قبض.[4] ولم ير منه ﷺ شيء مما يرى من الميت. فقال علي ﷺ: بأبي أنت وأمي مــا أطيبــك طبت حيا وميتا.[5] وغسل ﷺ ثلاث مرات بالسدر والماء.[6]

وكفن رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض من كرسف ليس فيها قمــيص ولا عمامة.[7] ثم وضع على سريره على شفير حفرته. ثم صلوا عليه أرسالا، لا يــؤمهم أحد؛ الرجال ثم النساء ثم الصبيان.[8] وكان لهم فى الدفن طريقتان. فكــان أبــو عبيدة يضرح لأهل مكة وأبو طلحة يلحد لأهل المدينة. فأرسل العبــاس إليهمــا رجلين فقال: اللّهم خِرْ لرسول الله ﷺ. فلم يوجد أبو عبيدة، وجيء بأبي طلحــة. فلحد لرسول الله ﷺ لحدا، حيث قبض فى حجرة عائشة رضي الله عنها. فدفنوه فى اللحد المبارك فى الحجرة الشريفة فى جوف ليلة الأربعاء[9].

---

(١) فكان العباس وابناه يقلبونه وأسامة وشقران يصبان الماء وعليّ يغسله وقد أسنده إلى صــدره, وقــد حضر غسله أوس بن خولي الأنصاري (ابن هشام ج٤ ص٣٤٢).

(٢) راجع البيهقي فى الدلائل (٧ ص٢٤٤).

(٣) راجع دلائل البيهقي (ج٧ ص٢٤٣) والخصائص الكبرى للسيوطي (ج٢ ص٢٧٥).

(٤) راجع دلائل البيهقي (ج٧ ص٢٥٩-٢٦٢).

(٥) ابن هشام (ج٤ ص٣٤٢) والبيهقي (ج٧ ص٢٤٣).

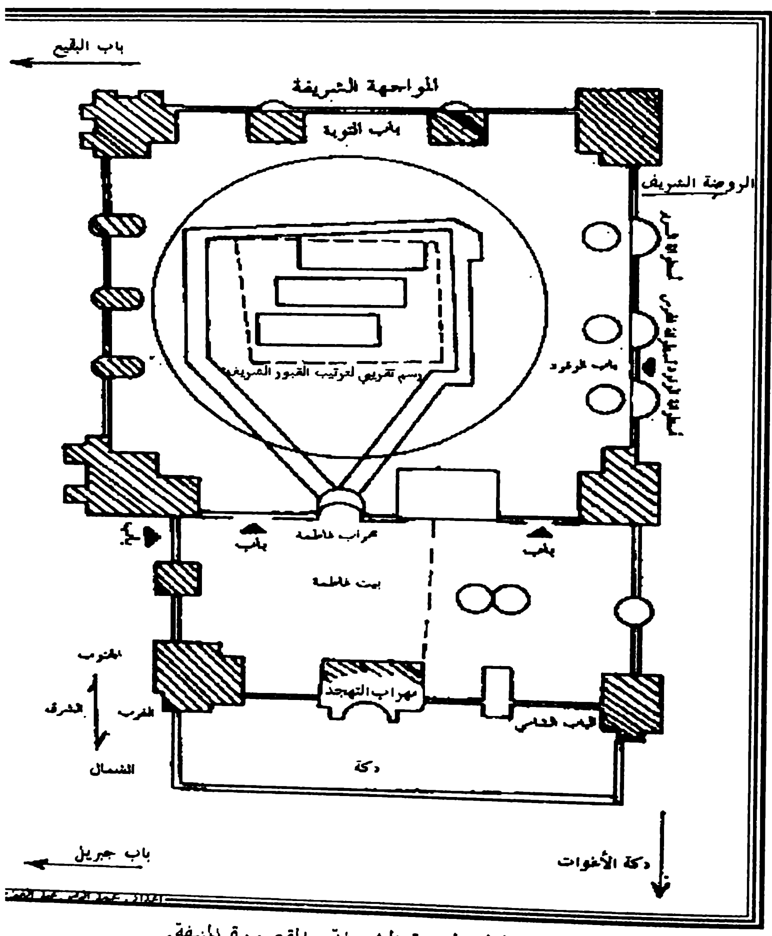
(٦) وكان الماء من بئر الغرث بقباء لسعد بن خيثمة. وكان النبيّ ﷺ يشرب منها (دلائــل البيهقــي: ج٧ ص٢٤٥).

(٧) راجع صحيح البخاري (١٢٦٤/١٨/٢٣). والكرسف: القطن.

(٨) ابن هشام (ج٤ ص٣٤٣) والبيهقي (ج٧ ص٢٥١).

(٩) ابن هشام (ج٤ ص٣٤٣) والبيهقي (ج٧ ص ٢٥٢-٢٥٦) وورد فيمن تولى دفنه روايات. مجموع مــن ذكر فيها هؤلاء. علي والعباس وابناه الفضل وقثم وشقران وأوس بن خولي وعبد الرحمن بن عوف ﷺ.

تمّ بفضل الله تعالى تأليف هذا الكتاب ثاني عشر ربيـــع الأول ســـنة أ
وأربعمائة واثنتين وعشرين من الهجرة (١٢ ربيع الأول ١٤٢٢هـ/ خامس
٢٠٠١م). جعله الله تعالى عملا مخلصا لوجهه الكريم، وخيرا مخلصا مـــن عـ
الجحيم، وذخرا خالصا إلى جنان النعيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظ
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصـــحبه أجمـ
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.



مخطط الحجرة الشريفة والمقصورة المنيفة.

البلاد والمواضع المشروحة في هامش هذا الكتاب

أهم المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم
٢. جامع البيان فى تأويل القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير [الطبرى] المتوفى ٣١٠هـ (دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨ هـ)
٣. الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارىّ [القرطبى] المتوفى ٦٧١ هـ (دار الفكر، ١٤١٤ هـ)
٤. الدر المنثور فى التفسير المأثور للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر [السيوطىّ] المتوفى ٩١١ هـ (دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١)
٥. تفسير البيضاوى للقاضى ناصر الدين أبى الخير عبد الله بن عمر[البيضاوى] المتوفى ٧١٩ هـ (ياسر نديم، ديوبند)
٦. لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام علاء الدين عليّ بن محمد [الخازن] البغدادىّ المتوفى ٧٢٥ هـ (دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ)
٧. معالم التنزيل للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء[البغوى] المتوفى٥١٢هـ (دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ)
٨. تفسير الجلالين للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد [المحلىّ] المتوفى ٨٦٤ هـ والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر [السيوطىّ] المتوفى ٩١١هـ
٩. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوىّ للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر [الخفاجىّ] المصرىّ المتوفى ١٠٦٩ هـ (مؤسسة التاريخ العربىّ بيروت)
١٠. موطأ الإمام أبى عبد الله [مالك] بن أنس الأصبحىّ المتوفى ١٨٩هـ (دار القلم بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م)
١١. مسند الإمام أبى عبد الله [أحمد] بن محمد بن حنبل الشيبانىّ المتوفى سنة ٢٤١هـ
١٢. صحيح البخارى لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ
١٣. صحيح مسلم للإمام أبى الحسين [مسلم] بن الحجاج القشيرىّ النيسابورىّ المتوفى ٢٦١ هـ
١٤. سنن الترمذي لأبى عيسى محمد بن عيسى المتوفى ٢٧٩ هـ (دار الكتب العلية، بيروت)
١٥. سنن أبى داود للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى

المتوفى٢٧٥هـ(دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ)

١٦. سنن النسائي للقاضي أحمد ابن شعيب بن عليّ النسائي (مكتبة تهانوي، ديوبند) المتوفى سنة ٣٠٣هـ.

١٧. سنن ابن ماجة للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزوينيّ ابن ماجة المتوفى ٢٧٥هـ (دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩)

١٨. مستدرك الحاكم للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله [الحاكم] النيسابوريّ المتوفى ٤٠٥هـ

١٩. دلائل النبوة للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ المتوفى ٤٥٨ هـ(دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥)

٢٠. دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ المتوفى ٤٣٠هـ

٢١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثميّ المتوفى ٨٠٧هـ (دار الكتاب العربيّ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢)

٢٢. مصنف عبد الرزاق للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى٢١١ هـ (المجلس العلمي بيروت، ١٣٩٠)

٢٣. مشكاة المصابيح للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ (ياسر نديم، ديوبند)

٢٤. الخصائص الكبرى لجلال الدين [السيوطيّ] (دار القلم بيروت)

٢٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفي ﷺ للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى المتوفى ٥٤٤هـ (أبناء مولوى محمد بن غلام السورتي مومبي)

٢٦. أوجز المسالك إلى موطأ مالك للعلامة محمد زكريا الكاندهلوى المولود ١٣١٥ هـ (دار الفكر بيروت، ١٤١٠)

٢٧. هدى السارى مقدمة فتح البارى للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ [ابن حجر العسقلانيّ] المتوفى ٨٥٢هـ (دار أبي حيان، الطبعة الأولى ١٤١٦)

٢٨. فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني (دار المعارف بيروت)

٢٩. عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى ٨٥٥ هـ (دار الفكر)

٣٠. شرح مسلم للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النوويّ الدمشقيّ المتوفى ٦٧٦هـ (دار أبي حيان، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ)

٣١. بذل المجهود فى حل أبي داود للعلامة خليل أحمد [السهارنفورى] المتوفى ١٣٤٦هـ (دار الكتب العلمية بيروت)

٣٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة عليّ بن سلطان محمد القارى المتوفى ١٠١٤هـ (المكتبة الأشرفية ديوبند)
٣٣. الطبقات الكبرى لمحمد بن [ابن سعد]المتوفى ٢٣٠ هـ (دار الفكر بيروت)
٣٤. تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير [الطبرىّ] المتوفى ٣١٠ هـ (مؤسسة العالمى بيروت، ١٤٠٩)
٣٥. سيرة النبيّ ﷺ لأبى محمد عبد الملك [بن هشام] المتوفى ٢١٣هـ (دار الفكر ١٤٠١هـ)
٣٦. الكامل فى التاريخ للعلامة أبي الحسن علي بن محمد الشيبانى المعروف بابن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ (دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣)
٣٧. البداية والنهاية للحافظ عماد الدين إسماعيل ابن عمر [بن كثير] الدمشقىّ المتوفى ٧٧٤هـ (دار أبى حيان القاهرة، ١٤١٦ هـ)
٣٨. الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ (مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى)
٣٩. تهذيب الأسماء واللغات للإمام النوويّ المتوفى سنة ٦٧٦هـ (دارا لفكر بيروت، الطبعة الأولى١٤١٦هـ)
٤٠. انسان العيون فى سيرة الأمين المأمون للعلامة عليّ بن برهان الدين [الحلبي] المتوفى ١٠٤٤ هـ (المكتبة الإسلامية بيروت)
٤١. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة أحمد بن محمد [القسطلانى] المتوفى ٩٢٣ هـ (المكتب الإسلامىّ، الطبعة الأولى ١٤١٢)
٤٢. شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية للعلامة محمد بن عبد الباقى [الزرقانى] المصرىّ المتوفى ١١٢٢هـ (دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ)
٤٣. مختصر سيرة ابن هشام لمحمد عفيف الزعبىّ (دار النفائس بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٧هـ)
٤٤. تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون (مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة السابعة عشرة ١٤٠٨)
٤٥. السيرة النبوية والآثار المحمدية للسيد أحمد زينى دحلان سنة ١٨٨٧م (بهامش السيرة الحلبية)
٤٦. وفيات الأعيان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر [بن خلكان] المتوفى ٦٨١ هـ (دار صادر بيروت)
٤٧. أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير (دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ)

٤٨. فتوح البلدان للإمام أبي الحسن أحمد بن يحيى البغدادىّ البلاذرىّ المتوفى ٢٧٩ هـ (دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٢)
٤٩. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفي لنور الدين علي بن أحمد السمهودىّ المصرىّ المتوفى ٩١١ هـ (دار الكتب العلمية بيروت)
٥٠. كتاب أزواج النبيّ ﷺ للإمام محمد بن يوسف الصالحي الدمشقىّ المتوفى ٩٤٢ هـ (دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ)
٥١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهانى (دار الفكر بيروت ١٤١٦هـ)
٥٢. المجموع شرح المهذب للإمام النووى (دار الفكر)
٥٣. روضة الطالبين للإمام النووىّ (دار الكتب العلمية بيروت)
٥٤. تاريخ الخلفاء للإمام [السيوطىّ](مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ)
٥٥. معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله [ياقوت الحموىّ] البغدادىّ المتوفى ٦٢٦ هـ (دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ)
٥٦. تقويم البلدان لأبى الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المتوفى ٧٣٢ هـ (دار صادر بيروت)
٥٧. مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة)
٥٨. تاريخ المسجد النبوىّ الشريف محمد إلياس عبد الغنى (الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ)
٥٩. شرح العقائد النسفية للعلامة سعد الدين المسعود بن عمر التفتازانىّ المتوفى ٧٩٢هـ (دار إحياء الكتب العربية بمصر)
٦٠. حاشية النبراس على شرح العقائد النسفية للتفتازانى للعلامة محمد عبد العزيز الفرهارىّ (مكتبة تهانوي، ديوبند)
٦١. حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد للشيخ الإسلام إبراهيم بن محمد [الباجورىّ] المتوفى ١٢٧٦ هـ (أبناء مولوى محمد بن غلام رسول السورتى، مومباي)

مآخذ الصور والخارطات

١. التاريخ الإسلامىّ لمحمود شاكر
٢. بدر الكبرى للدكتور لمحمد عبده يمانىّ
٣. السيرة النبوية لأبى الحسن عليّ الحسن الندوىّ
٤. أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها للدكتور محمد عبده يمانىّ
٥. تاريخ المسجد النبوىّ لمحمد إلياس عبد الغنىّ

تعريف بالمؤلف

هو (أبو محمد عبد الكريم) عبد الرحمن باوا (بن الشيخ محمد بن بيران كتي) المليباري . ولد في ثامن تموز سنة ١٩٤٦ بقرية بيبور (Beypore) قريب كاليكوت. ثم انتقل في عاشر عمره مع أسرته إلى كودمبزا قرية أبيه. درس العلوم الدينية من أبيه بجامع ماوور (Mavoor) مدة خمس سنوات ومن الشيخ بيران كويا مولوي بجامع كودمبزا سنتين وأتم دراسته بمدرسة دار العلوم بوازكاد حيث تلمذ بها للعلامة رئيس المحققين الشيخ أحمد الكنيات. وأقام بها دارسا طيلة خمس سنوات ثم عاد إلى قريته يقضي أيامه في الدرس والتدريس والمطالعة والتصنيف. يدرس الآن في كلية الدعوة الإسلامية التي تديرها دار المعارف: المركز الإسلامي بكيرلا ، كما أنه الأمين العام لهذا المركز.

أهم مصنفات المؤلف

تصنيفاته العربية

١. أبو البشر
٢. سيرة سيد البشر عليه الصلاة والسلام
٣. رزق الأصفياء: حواشٍ على المنظومات الثلاثة الشهيرة:
   (١) هداية الأذكياء
   (٢) جوهرة التوحيد
   (٣) نفائس الدرر
٤. بستان السبعة
٥. الأجساد العجيبة والأبدان الغريبة
٦. لماذا ؟
٧. ينابيع الغنى شرح أسماء الله الحسنى
٨. جنان الأدب
٩. رحلة الأعلام إلى روضة الإسلام
١٠. تيسير الجلالين: سورة الفاتحة و جزء عمّ.
١١. تيسير الجلالين : جزء تبارك
١٢. خلاصة الفقه الإسلامي: ثلاثة أجزاء
١٣. الخلافة الراشدة

١٤. الخلافة الأموية
١٥. تاريخ العالم الإسلامي
١٦. معالم الطلاب (جزءان)
١٧. دروس التزكية: خمسة أجزاء
١٨. تنوير الإيمان بتفسير القرآن: ثلاثة أجزاء

تصنيفاته فى لغة مليالم

١. النبيّ المنتظر
٢. تنـــزيه الشبه عن قضية التقليد
٣. دراسة عن القططة
٤. التأمين والشركة والبورصة
٥. النوم والرؤيا فى نظر العلم والإسلام
٦. الردة: أسبابها وأضرارها
٧. نبوءات خاتم النبيّين
٨. أشعة النظر
٩. إلى سماء شرف النفوس[خلاصة منظومة هداية الأذكياء]
١٠. الأحاديث النبوية: ترجمتها وبيانها [ثلاثة أجزاء]
١١. الحج المبرور
١٢. اللهو واللعب
١٣. يوغا والتفكر والإسلام
١٤. أمواج النظر
١٥. عجائب علم الوراثة
١٦. أمثلة العدل الرائعة

جزاه الله خير الجزاء، وجعله من أهل الصدق والوفاء، وشكر الله مساعيه الجهيدة وخدماته العديدة، وجعل تآليفه باقية نافعة على ممرّالليالى والأيّام،وصلّى الله على سيدنا محمد خير الأنام وآله الكرام وصحابته العظام والتابعين لهم من أهل الإسلام.

فهرس موضوعات الكتاب

تمت

